كمال مصطفى

الصحافة والأدب
في مائة يوم

مطبعة الأنوار

الأهداء

إلى الأم المفداة مصر الخالدة

هذه صفحات تتحدث عن جهاد ابنك البار علي ماهر باشا في سبيلك .

وهذه الصفحات هي ثمرة عمل شاق مجيد سهرت فيه الليالي دون أن يسأم أو يكل ، مضحياً في سبيلك من النفس والولد والأهل والصحب .

فإليك أقدمها هدية نعتز بها ونفخر .

إلى الابن النبيل الألمعي محمد علي ماهر

لن يجد الأبناء ما يفخرون به في الآباء مثل ما تجد في أبيك العظيم ، وهذه صفحة ناصعة من حياته الرائعة ، يعتز بها كل مصري . فلتكن مكافأتك للرجل الذي توجك بمجد الأبوة ، وعظمة الأصل ، وشرف النسب : أن تقدم له في الغد القريب : صفحة ناصعة من حياتك . يعتز بها ويفخر ، وبهذا تكون الابن العظيم للرجل الفذ العظيم .

لقد جعلك أبوك تقول اليوم : ليس لكل الناس أب كأبي . فاجعل هذا الأب البار يقول في الغد : ليس لكل الآباء ابن مثل ابني .

والله يحفظكما ويرعاكما

المخلص

كمال مصطفى

أغسطس سنة ١٩٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

مائة يوم . . .

مائة يوم لن تنساها مصر الخالدة أبد الدهر .

مائة يوم بعثت فيها وزارة على ماهر باشا ابتسامة العزاء ، والأمل والرجاء فى البلد المحزون !

مائة يوم تركت فيها وزارة هذا الرجل العظيم أثراً مجيداً لا تتركه مائة عام .

ولا يطيق رجل واحد أن يتحدث فى أكثر من ناحية واحدة من نواحى ذلك المصلح الفذ ، فلأترك مآثره فى الاجتماع والسياسة والعلم يسجلها الاجتماعيون والساسة والعلماء ، ولأكتف بالحديث عن مآثره فيما يتصل بعملى فى الصحافة والأدب والثقافة .

لقد أتاح لى عملى أن ألمس عن قرب مآثر ذلك الرجل العظيم ، وأن أرى يده الكريمة القوية تطوق الصحافة والأدب بأعظم المنن ، وتبعث فيهما الحياة . . . فاشتد ايمانى بعظمته ، حتى حدثتنى نفسى أن أسجل من مآثره ما أعرف ، لكنى حبست هذه الرغبة ، فلم يزدها الحبس والكتمان إلا قوة وعنفاً واقتداراً .

وهأنذا اليوم أكتب للمجد وللتاريخ : حديث الصحافة والأدب فى مائة يوم . . .

كمال مصطفى

أغسطس سنة ١٩٣٨

تاریخ عظیم

تعودت الحيـاة أن تظهر فى طفولة العظماء ما يبشر بعظمتهم ، وأن تترك بوادر النبوغ المبـكر تؤذن بما سيكون وراءها من عبقرية ومجد .

* * *

وأنا اليوم أقدم بين يدى كتابى ، بعض ما أعرف من تاريخ على ماهر باشا حفظه الله ، وسيرى الناس أثراً من عظمته فى الطفولة والصبا والشباب ، وسيرون فى فجر حياته إرهاصاً بهـذه العظمة التى نضجت واكتملت ، فلفتت القلوب ، وأمالت الأعناق ، ووجهت الأنظار وانحنت لها الرءوس .

* * *

ولا يحتاج تاريخ رجل كعلى ماهر باشا إلى شرح أو تعليق أو تعقيب ، حسب المؤرخ أن يسرد حياة هذا الرجل فيكون منها سجل رائع المفاخر قل أن يظفر بمثله سواه ! حسبه أن يؤرخ حياة هـذا العظيم ، فتتحدث هذه الحياة عن عظمته أحسن ما يستطيعه أى قلم وأى بيان .

* * *

ولد حفظه الله فى ٢٩ نوفمبر سنه ١٨٨٣ ، وأتم دراسته الثانوية فى المدرسة الخديوية ، ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية ، وحصل منها على الليسانس عام ١٩٠٣ .

* * *

اهتم والده المغفور له محمد ماهر باشا(١) بتربية أبنائه ، والعناية بتهذيبهم ، وتكوين خلقهم ، وغرس الفضائل وحب النظام فيهم، فألحقهم فى المدرسة بالقسم الداخلى ، تعويداً لهم على الدقة والاعتماد على النفس ، فلما انتهوا من دراستهم الثانوية ، ولم يكن بالمدراس العالية أقسام داخلية ، هيأ لهم فى المنزل أسباب تلك الدقة ، ووسائل ذلك الاعتماد .

* * *

كان صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا، منذ نعومة أظفاره، مطبوعاً

---

(١) ولد رحمه الله فى صفر سنة ١٢٧١ هـ ، ولما بلغ أشده ألحق بالمدارس الابتدائية ، فتعلم فيها مبادىء اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم ، وبعد اتمام الدراسة الثانوية نقل إلى مدرسة المهندسخانة ، فكان قدوة حسنة لزملائه فى الجد والاجتهاد والحرص على الوقت ، وحسن المعاشرة ولين العريكة ودماثة الأخلاق ، فاكتسب محبة أساتذته واحترام أقرانه ، ولما نال دبلوم تلك المدرسة انتقل إلى مدرسة أركان الحرب ، فأظهر من البراعة والمهارة والمحافظة على النظام والقانون والقواعد العسكرية ، ماجعل رؤساءه ينظرون اليه بعين الاعجاب والاجلال ، وفى سنة ١٨٧٤م عين ضابطا فى أركان حرب الجيش ، لولعه بالخدمة العسكرية ، ثم انتدب فى سنة ١٨٧٥ ضمن رجال حملة الكولونيل كولستن لاستكشاف بلاد كردفان وخط الاستواء ، ثم عين حاكما على « بورولاتوكا » من مديريات خط الاستواء ، ثم مديرا لدارفور وكردفان ، وفى سنة ١٨٧٨ نقل إلى وظيفة وكيل مفتش فى المساحة الجيولوجية بوزارة المالية ، فمكث بهذه الوظيفة إلى أن انتهت الثورة العرابية ، ثم أعيد إلى الجيش وألحق بالأورطة الثالثة ورقى إلى رتبة «صاغ قولاغاسى» ، وفى سنة ١٨٨٤ رافق حملة الكولونيل بار إلى سواكن ، وهناك كلف بتأليف أورطة من السودانيين للمحافظة عليها ، وفى أثناء إقامته بالسودان تقرر تسيير حملة الجنرال قراهام ، فحضر معها موقعة تل طاى ، وأبدى من ضروب الشجاعة وأساليب الاقدام والبسالة ماأدهش العقول وحير الأفكار، فرقى على أثر ذلك إلى رتبة « بكباشى » ونقل إلى الأورطة التاسعة ، ثم انتدب وكيلا لمحافظة سواكن عام ١٨٨٥ فوطد

على الرجولة ، وتقدير المسئوليات ، فلقد توفى والده قبل أن يبلغ سن الرشد ، ولم يكن أكبر اخوته ، ولكن المجلس الحسبى عينه وصياً عليهم فى سن التاسعة عشرة ، فسهر على راحتهم ، وظل يرعاهم الى أن بلغوا أرقى المناصب .

* * *

وكان ، وهو تلميذ بالمدرسة الخديوية ، رئيساً لجمعية « الهلال والنجمة » فمكنته هذه الرياسة من التفوق على لداته فى إجادة البحث وحب الاطلاع .

وكان جريئاً الى أبعد حدود الجرأة ، لا يخشى تبعة ، ولا يهاب سطوة ، وتجلت هذه الناحية فيه وهو طالب نجيب فى المدرسة الخديوية ،

أركان الامن بها ، وأصلح حالها ، ونظم شؤونها ، وفى مارس ١٨٨٨ رقى إلى رتبة «قائمقام» وعين قومندانا لاورطة الاساس بالعاصمة ، ثم رقى بعد سنتين إلى رتبة «ميرالاى» وعين وكيلا لمحافظة اسوان ، وفى ابريل سنة ١٨٩٢ عين محافظا للاسكندرية وأنعم عليه برتبة «اللوا» فمكث بهذه الوظيفة سنة ونصف سنة كان موضع اجلال سكان المدينة ، وطنيين وأجانب ، لما اتصف به من النزاهة والاستقامة ، والأخذ بناصر المظلوم ، وكبح جماح الظالم ، ولقد أثنت عليه الصحف العربية والأفرنجية حينذاك ، وفى سبتمبر سنة ١٨٩٣ عين وكيلا لوزارة الحربية والبحرية ، ورافق سمو الخديو فى زيارته لمديريات الوجه القبلى والحدود ، وكان سندا قويا له عند ماوقعت حادثة الحدود ، يكاد ينفرد دون سائر الوزراء والكبراء بالنظر اليها نظرة وطنية مصرية ، يعارض الانجليز ولورد كتشنر أصدق المعارضة ، ولذلك أقصى عن وكالة الحربية ، ونقل محافظا للقنال عام ١٨٩٤ ، ولكنه لم يلبث طويلا حتى انتدب فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤ محافظا للعاصمة ، وظل فى هذا المنصب إلى أن اختاره الله إلى جواره فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٢ ولم يتم الخمسين ، رحمه الله رحمة واسعة ، وبارك فى ذريته الصالحة النافعة

إذ تزعم طلبة فرقته فى الثورة على المدرس الانجليزى ، لأنه كان يعاملهم معاملة جافة خالية من كل ذوق ، وخشى المدرس ثورة أبناء الأعيان ، فدعا اليه التلميذ على ماهر ، وأخذ يساومه فى التخلى عن زعامة الثائرين ، على أن يعامله وحده معاملة الطلبة الممتازين المجدين ، ولكنه أبى إلا أن يكون مع إخوانه ، مصيره مصيرهم ، وكانت تلك الحادثة مؤذنة بما سيكون لعلى ماهر من عظيم الشأن وبالغ الأثر ، وكان على ماهر الطالب مبشراً بعلى ماهر باشا السياسى الزعيم .

* * *

بدأ حياته العملية — بعد تخرجه فى مدرسة الحقوق الخديوية — محامياً ، فكان مثال الأمانة والاخلاص فى العمل ، وكانت مواهبه الممتازة سبباً فى اختيار وزارة الحقانية له بعد ثلاث سنين ، ليكون قاضياً ، فتولى قضاء محكمة الأزبكية ، وكان اختصاصها يشمل اختصاص محاكم الأزبكية وبولاق والوايلى الحالية ، ثم طلب أن يضم اليه قضاء محكمة عابدين ، ليعنى بدرس حالة الأحداث ؛ ولم يكن يوماً أسير الحرفية القانون ، بل كان يطبق الشرائع فى روحها ، وينظر فى القضايا التى تعرض عليه نظرة اجتماعية ، الى جانب النظرة القضائية ، ويضع نفسه موضع الجمهور ، ويعنى باستخلاص الحقوق أكثر من عنايته بتوقيع العقاب .

جاءته مرة قضية رأى فيها الشهود جميعاً شهود زور ، وأن المتهمين جميعاً أبرياء ، وكانت الجلسة حافلة ، فشق على نفسه أن يعتقد الجمهور أن فى امكان شاهد الزور أن يجىء الى المحكمة ويشهد زوراً ثم ينصرف الى بيته ، نظر الى حرفية القانون ، فوجد أنه لا يستطيع أن يحبس فوراً إلا فى تلبس أو سرقة أو عود ، وليس هناك نص على شهادة الزور ، هذا فى حين أن القاضى المدنى يستطيع الحكم على الشاهد

فوراً وينفذ فوراً ، فقانون المرافعات يسمح بما لايسمح به قانون الجنايات ! فلم يهمه هذا واندفع باحساسه القانونى وصوت ضميره ، فحكم بدخول الشهود القفص وخروج المتهمين منه ، ونفذللحال ؛ فسيقوا جميعاً إلى السجن بلا كفالة ؛ وكتب الى النائب العمومى ، وكان المرحوم ثروت باشا ، خشية أن يلتبس الأمر على النيابة ، فتتردد فى التنفيذ ، مؤملا أن يصل المتهمون بحالتهم تلك الى محكمة الاستئناف ، إذ كيف لا يملك القاضى الجنائى ، ومعه النيابة ، مايملكه القاضى المدنى ! وتأيد الحكم فى الاستئناف فعلا .

وقضية أخرى : هى قضية خيانة الأمانة ، فالمجنى عليه فى مثل هذه القضية يكون قد أعطى وديعة إلى أحدهم فتصرف فيها ، فاذا حبس المتهم لم يهمه ذلك بقدر ما يهمه استرداد ماله ، فاذا أخذ الحكم المدنى بالمال ونفذه ، يعمل استرداد ، ويستأنف الاسترداد ، وتتفرع من القضية الواحدة عدة قضايا ! فيتصور الناس أن القضاء فوضى ، لأن العدل فى نظر المجنى عليه محصور فى استرداد ماخسره . لكن القاضى على ماهر بك قضى بهذا :

« ان التهمة ثبتت لدى المحكمة على المتهم ، والمحكمة لم تصدر حكمها اليوم وتؤجله الى أن ترى تصرف المتهم ، فاذا دفع المبلغ كان بها ، وراعت هذا التصرف فى تقدير الحكم ، واذا لم يدفع فامامه العقاب الصارم »

ولقد كان البعض يفسر هذا بأنه إبداء رأى من القاضى ، ولا يجوز له ذلك ، أما القاضى على ماهر بك فقد فسره بأنه انما أبدى الرأى وهو فى كرسى القضاء وليس فى الطريق .

وفى هذه القضية دفع المتهم ما عليه فعلا ، وبهذا حسم الخلاف ، فلا حبس ولا استئناف ، ولا قضية مدنية ولا استرداد ، ولا عداوة فى النفوس التى ربما كانت نفوس أهل وأزواج .

* * *

ثم نقل مفتشا فى النيابة . فمديرا لادارة المجالس الحسبية ، فنظم كثيراً وأنتج كثيراً ؛ ووضع للادارة نظاما حكيما يضمن سير أعمالها على مايقضى به العدل والواجب ، وكان من أثر ذلك النظام أن ضبطت حسابات القصر والسفهاء والغائبين غيبة منقطعة ، وكان من نتائجه أن قدم للمحاكم كثيرون من الذين أكلوا بالباطل الأموال التى أؤتمنوا عليها.

* * *

فلما انتهت الحرب العالمية . وكان لا يزال مديراً لادارة المجالس الحسبية ، فكان له رأى فى برنامج الوفد ، حيث كان متصلا برجاله قبل تأليفه ، ذلك أن كان البعض يرى المطالبة بالاستقلال الذاتى ؛ بيد أن على ماهر بك اعترض على هذا الرأى بأن الوفد ليس له أن يتنازل عما لا يملك التنازل عنه ، وهو الاستقلال التام.

* * *

ولما نفى المغفور له سعد زغلول باشا وأصحابه الثلاثة إلى مالطة ، وقامت الثورة المصرية . وصرح لورد كيرزون بأن فئة الموظفين ، وهى الفئة العاقلة ، ليست مع الوفد فى حركته ، بل هى فى ناحية الانجليز : ثار الموظفون ، وعلى رأسهم على ماهر بك ، فكان له أكبر فضل فى تنظيم حركة إضرابهم . وكانت اجتماعات نوابهم تعقد فى مكتبه بوزارة الحقانية ، ولقد طلب إليه المستشار الانجليزى ألا يعقد لجنة الموظفين بمكتبه فى الوزارة ، فرفض ، وصرح بأن الموظفين مطالبون بحقوق وطنية ، بل وطلب منه أن يشاركهم فى الاضراب ، ما دام فى خدمة الحكومة المصرية.

* * *

وأفرج عن سعد وصحبه ، وسمح للوفد بالسفر إلى باريس .

ووليت الحكم وزارة رشدى باشا فى ٩ إبريل سنة ١٩١٩ . فطلبت لجنة الموظفين منها أن تعطى الوفد تفويضاً ، فلم تستطع ، فاستمر الموظفون فى الاضراب ، وسقطت الوزارة فى ٢٢ إبريل سنة ١٩١٩ .

* * *

ثم جاءت وزارة محمد سعيد باشا فى ٢١ مايو سنة ١٩١٩ ، وأرادت تشتيت لجنة الموظفين ، فنقلت على ماهر بك فى ١٩ يونيه سنة ١٩١٩ وكيلا لمحكمة أسيوط ، على الرغم من أقدميته ، فرفض النقل ، وآثر الاستقالة ليتفرغ للاشتغال بالسياسة ، فكان فى مقدمة الصفوف ، وكان من الأقطاب الذين لم يرهبهم صليل السيوف ، أو يزعجهم الاعتقال فى الكهوف ، ولقد قرر سعد زغلول باشا ، وهو فى باريس، أن يكون على ماهر بك عضواً فى الوفد المصرى . فلما أعلن اللورد اللنبى أن الحماية باقية ، أصدرت لجنة الوفد المصرى المركزية بالقاهرة بياناً بإمضاء المرحوم محمود سليمان باشا ، وكان واضع هذا البيان على ماهر بك ، فاعتقلت السلطة العسكرية محمود سليمان باشا ، وابراهيم سعيد باشا ، وعلى ماهر بك ، وفى طريقه إلى مقر الاعتقال أخذ يقطع الوقت مع حارسه ، وهو ضابط انجليزى ، فى امتداح محاسن حديقة داره ، والتغزل فى جمال أزهارها ، ونقاء عبيرها ... ولما دهش الضابط الانجليزى لهذا الحديث ، وأبدى استغرابه ، لأنه لم يسأله عن المكان الذى سيذهب إليه ، أجابه : أنا أعرف أن رحلتنا هذه ستنتهى بى إلى المقام فى غرفة ذات جدران أربعة ، وانى فقدت حريتى وكفى ! فهزت هذه الشجاعة النادرة قلب عدوه ، فأحنى رأسه قائلا : إنك ذاهب إلى معسكر قصر النيل ، ثم أكرم وفادته ، وخصصت له حجرة جديدة الأثاث ، وأبيحت له الرياضة التى يقوم

بها ، وأعطيت له الكتب التى أرادها من مكتبة المعسكر ، وبعد عشرة أيام طلب إليه أن يختار جهة بعيدة عن القاهرة للاقامة فيها ، فطلب أن يقيم بالاقصر فى فندق « ونتربالاس » ، فأخذ منه عهد شرف بألا يعود إلى القاهرة إلا باذن السلطة العسكرية . وظل مقيماً هناك إلى ٣ يناير سنة ١٩٢٠ .

* * *

وفى أثناء اقامته بالاقصر جاءت لجنة ملنر إلى مصر ، ودارت بينها وبين المرحومين رشدى باشا وعدلى باشا أحاديث ، رؤى من المصلحة إبلاغها إلى الوفد بباريس ، فاختير على ماهر بك لهذا ، وغادر الاقصر إلى باريس مباشرة ، وقام بما كلف به ، وظل بباريس عضوا بالوفد يحضر جلساته ، ويتبادل الرأى مع أعضائه . وكانت له مواقف وطنية رائعة ، وحدث أن نشب شقاق بين أعضاء الوفد فى باريس ، وخلاف بين سعد وعدلى بلندن ، فكان على ماهر بك الموفق الساعى إلى الوئام ، وإزالة أسباب الخلاف ، ولكن الخلاف اشتد ، واستحال التوفيق ، وقرر بعض أعضاء الوفد ، وهم فى باريس ، العودة إلى مصر . ولم يبق مع سعد غير على ماهر بك وسينوت حنا بك والاستاذ واصف غالى .

* * *

وفى ابريل سنة ١٩٢٠ عادوا إلى مصر ، وطاف سعد باشا على المنشقين ، وكان معه على ماهر بك ، وعادت العلاقات بين أعضاء الوفد ، ولكن لم يدم هذا ، لان خلافادب بين سعد باشا وعدلى باشا ، وانتصر المنشقون لعدلى باشا ، واعتزم عدلى باشا السفر إلى لندن للمفاوضة هو والوفد الرسمى ، واعتزم سعد باشا إعلان الحرب عليه ، فعارض على ماهر بك فى ذلك ، وطلب إلى سعد باشا أن يدعهم يعملون ، فان

جاءوا بخير قبله ، وإن جاءوا بغيره رفضه ، ولكن سعد باشا لم يرض عن هذا ، فكتب له على ماهر بك بأنه مختلف معه فى السياسة العامة، ولا يمكنه تحمل مواقف الوفد منها ، ولكنه بصفته مصريا رهن اشارته فى كل عمل معين يفيد فيه ، ثم انسحب إلى داره . فعرض عليه عدلى باشا أن يكون وزيرا مفوضا فى الوفد الرسمى ، ولكنه اعتذر ، وآثر البعد عن المنازعات الحزبية ، حين رأى الأهواء تعصف بما بين الرجال من وثام ، وتنسيهم ما يجب لهم من اتحاد وثيق .

* * *

ولقد استدعاه المغفور له السلطان فؤاد ، متحدثا إليه فى المسائل العامة فلفت نظره هدوؤه واتزانه ونضجه ، فقربه اليه وقال عنه : انه معد لكل شىء فى المستقبل .

* * *

ولما أعلن تصريح ٢٨ فبراير ، كان على ماهر بك يرى وجوب الافادة بهذا التصريح عن طريق وضع اليد عليه ، واستمرار المطالبة بتحقيق مالم يحققه من الآمال القومية .

* * *

وفى عام ١٩٢٢ رأى رشدى باشا أن يكون على ماهر بك وزيراً فى وزارة ثروت باشا ، ولكنه اعتذر ، فعرض عليه ثروت باشا عضوية لجنة الدستور ، فقبلها . وهناك تجلت ملكاته ، وظهرت طبيعته الحرة ، وآراؤه الجريئة ، فكان نصيرا للحرية ، داعيا للانتخاب المباشر ولحرية الاجتماع وتكوين الجمعيات ، وحرية الصحافة(١) . ولما أن انتهت اللجنة من

---

(١) نشرت مواقف مقامه الرفيع من الصحافة وجهوده الموفقة فى سبيلها أثناء وضع الدستور ، فى نهاية قسم الصحافة .

أعمالها ، عاد إلى ملازمة داره من جديد .

* * *

وفى عام ١٩٢٣ عين ناظرا لمدرسة الحقوق ، فقام بتدريس مادة القانون الدولى العام ، وأصدر أول مؤلف له — بل أول مؤلف مصرى — عن القانون الدولى العام ، وقد أسهب فى القسم الخاص بالمفاوضات ، رغبة فى إيضاح أمرها للباحثين والطلاب .

* * *

وفى أواخر عام ١٩٢٤ عين وكيلا لوزارة المعارف (١) . ثم وزيرا لها ، فقلب فى عطلة الصيف نظم التعليم ، وأدخل عليها إصلاحات عديدة - وكان يرى أن تكون المدرسة وطنا صغيرا ، وان توجه العناية بتربية الصغير إلى قوة البنية ، وإلى قوة الخلق ، وإلى قوة التعليم ، حتى يمكن تكوين الوطنى المستنير ، الذى يعرف واجبه نحو بلاده - ولم يستطع كهول وشيوخ وزارة المعارف ، الذين درسوا على يدى دنلوب ، الوقوف فى طريقه ، إذ كان المغفور له الملك فؤاد يؤيده فى إصلاحاته .

* * *

وفى ٢٦ يونيه سنة ١٩٢٨ اختير وزيرا للمالية فى وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا . فوزيرا للحقانية فى وزارة دولة اسماعيل صدقى باشا ، وأنعم عليه برتبة الامتياز فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٠ ، فأخذ يعمل على تهيئة أسباب إلغاء الامتيازات الأجنبية، فوضع قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين ، ليقضى على الامتيازات الداخلية ، وتولى إصلاح لائحة المحاكم الشرعية ، ثم وقعت حادثة البدارى المحزنة ، وهو مشبع بروح اصلاح البوليس

(١) استبدل بهذا الاسم الآن اسم «وزارة التربية والتعليم» .

والقضاء، فلم يستطع السكوت عليها، واستقال من الوزارة، احتجاجا على ما ارتكبه رجال الادارة فى هذه الحادثة من المظالم التى ضج الرأى العام من هولها، وقد كسب أكبر فوز لموقفه المشرف المجيد.

* * *

وفى عام ١٩٣٣ عرض عليه منصب وزير مصر المفوض بلندن، وبامتيازات مالية تصل بمخصصاته إلى عشرة آلاف جنيه فى السنة، فاعتذر، ثم سافر إلى أوربا للاستشفاء، وعاد فى اكتوبر سنة ١٩٣٤، وكان المرض قد اشتد على المغفور له الملك فؤاد، فكان على ماهر باشا المثل الأعلى للاخلاص والوطنية، إذ قام بواجبه نحو الوطن الممثل فى العرش المفدى.

* * *

وفى أول يوليه سنة ١٩٣٥ عين رئيساً للديوان العالى الملكى، فعمل على أن تكون السراى قبلة لجميع المصريين على السواء، وقد وفق إلى هذا أيما توفيق، ثم كان له الفضل فى إعادة دستور سنة ١٩٢٣، وفى ذلك الحين ألفت الجبهة الوطنية، وقبل الانجليز إجراء المفاوضات،

* * *

وفى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦(١) وقع الاختيار عليه لرياسة الوزارة.

---

(١) هذا نص الأمر الملكى رقم ٨ لسنة ١٩٣٦:

« عزيزى على ماهر باشا

نظرا للأحوال الدقيقة التى تواجهها البلاد فى هذه الآونة، ولما لنا بكم من عظيم الثقة فى العمل على صيانة الوحدة القومية، فوق مانعرفه عنكم من صدق العزيمة وسداد الرأى والمقدرة التامة على الاضطلاع بمهام الأمور، قد اقتضت ارادتنا اسناد رياسة مجلس وزارتنا اليكم.

وأصدرنا أمرنا هذا لمعاليكم للأخذ فى تأليف هيئة الوزارة وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به.

وفقنا الله جميعا وسدد خطانا إلى مافيه خير البلاد »

وهنا تجلت عبقريته وإخلاصه ووطنيته ، فاستطاع تمهيد طريق المحادثات المصرية الانجليزية ، وتغلب على كثير من الصعوبات ، ووفق بين مختلف ميول الأحزاب ورغباتها ، حتى تألفت الهيئة الرسمية المصرية ، ولقد كان ذلك كله يحتاج إلى كثير من الصبر والأناة والمرونة ، ومعالجة الطبائع والنفوس ، والتفوق فى الأساليب الدبلوماتية ، فاجتمعت هذه الخصال فى شخص على ماهر باشا ، وتوجت جهوده بالتوفيق ، وصدر مرسوم ملكى فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦ بتعين أعضاء الهيئة الرسمية للمفاوضات (١)

* * *

ثم اتجهت عنايته الى الاصلاحات الداخلية ، فلقد كانت لديه مشروعات

---

(١) رأيت للذكرى وللتاريخ أن أثبت هنا نص المرسوم بتعيين الهيئة الرسمية ، والكتاب المرفوع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك من حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا ، والكتابين المتبادلين بين دولته وسعادة المندوب السامى البريطانى . وهى :

مرسوم

بتعيين الهيئة الرسمية لابرام معاهدة صداقة ومودة ومحالفة مع بريطانيا العظمى

نحن فؤاد الأول ملك مصر

رغبة منا فى ابرام معاهدة صداقة ومودة ومحالفة مع بريطانيا العظمى ، وبناء على ماعرضه علينا وزير خارجيتنا ، وموافقة رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - يعين مندوبين فوق العادة حضرات :

كثيرة هامة ، بعضها قديم ، وبعضها جديد ، وهو مجدد ، وفى تجديده

مصطفى النحاس باشا [رئيساً]
محمد محمود باشا
اسماعيل صدقى باشا
عبد الفتاح يحيى باشا
واصف بطرس غالى باشا
الدكتور أحمد ماهر
على الشمسى باشا
عثمان محرم باشا
محمد حلمى عيسى باشا
الأستاذ مكرم عبيد
حافظ عفيفى باشا
الأستاذ محمود فهمى النقراشى
أحمد حمدى سيف النصر بك

ويخولون السلطة التامة فى ابرام المعاهدة المتقدم ذكرها وتوقيعها .

مادة ٢ - على وزير خارجيتنا تنفيذ هذا المرسوم ؟

صدر بسراى القبة فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٤ (١٣ فبراير سنة ١٩٣٦)

* * *

الكتاب المرفوع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك
من حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا

مولاى صاحب الجلالة

لم تزل البلاد منذ أعلنتم استقلالها فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ تواقة إلى تحقيق ذلك الاستقلال كاملا ، وإلى أن تتبوأ مكانها بين الأمم ، عاملة على تأييد السلام ، مساهمة فى رفع لواء المدنية ، وهاهى اليوم تجاب دعوتها إلى ابرام اتفاق مع بريطانيا العظمى يكفل لها مصالحها دون أن يتنافى مع استقلال مصر .

وإن من آيات اليمن ودواعى الاستبشار أن البلاد ، بفضل ارشاد جلالتكم وجهودكم الموفقة ، تستقبل هذا الدور متحدة الكلمة متسقة الارادة ، وانها قد أجمعت على المبادرة الى معالجة وضع اتفاق يوثق مابين البلدين من الصداقة والمودة ، ويقر علاقاتهما على أساس متين من حسن التفاهم والتعاون ، وانى موقن أنها لن تألو جهدا فى هذا السبيل ، يحدوها الامل فى النجاح ، ويشد من عزيمتها ماتعرف من سهر جلالتكم على مصالحها ، وحرصكم على عزتها ورفعة شأنها .

وبما أنه ينبغى لذلك تعيين مندوبين عن الحكومة المصرية لمعالجة وضع أسس

الجرأة ، وفى جرأته الحكمة ، وكان فى كل مكان حل فيه مثال الحزم والعزم

الاتفاق وتوقيعه قبل عرضه على البرلمان لاقراره والموافقة عليه ، فانى أتشرف بأن أعرض لتصديق جلالتكم مشروع مرسوم بتعيين مندوبين فوق العادة وتخويلهم السلطة التامة فى مفاوضة الحكومة البريطانية ، وتوقيع اتفاق يفى بالغرض المتقدم ذكره .

ويسرنى ، وأنا أصدع بوحى جلالتكم فى هذا الصدد ، أن أنوه بما للهيئة التى أعرض على جلالتكم انتدابها لهذه المهمة الوطنية الجليلة من جلال الوحدة وقوة التمثيل لعناصر البلاد ومناحيها المختلفة .

وانى لجلالتكم الخادم المخلص الامين ؟

تحريرا فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣١

* * *

الكتابان المتبادلان
بين حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء
وبين حضرة صاحب السعادة المندوب السامى البريطانى

حضرة صاحب السعادة

منذ وليت الحكم علمت بصفة رسمية بتبليغ سعادتكم الشفهى إلى مولاى الملك وإلى سلفى وإلى رئيس الجبهة الوطنية ، ذلك التبليغ الذى تصرح فيه حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية باستعدادها للدخول حالا فى محادثات مع الحكومة المصرية بقصد الوصول إلى الاتفاق على معاهدة بين انجلترا ومصر . وإنى لأجد من الواجب على ومن دواعى السرور أيضا أن أعرب عن الارتياح الذى صادفه هذا الاستعداد الطيب من جانب الحكومة البريطانيـة سواء لدى مليكنا المحبوب أو لدى حكومته وشعبه .

وان الحكومة المصرية لتشاطر الحكومة البريطانية الرغبة فى توطيد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر على أسس ثابتة صريحة ، وهى موقنة بأن تحقيق هذا

وقوة الارادة، والنزاهة والشجاعة، وهو من اكثر أقطاب الدولة انتاجا،

الغرض المشترك انما يكون فى مصلحة البلدين جميعاً ، ولذلك فهى حريصة أيضاً أن تبدأ المحادثات فى هذا الشأن فى الحال .

وتمهيداً لذلك قد صدر مرسوم بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦ معينا لهيئة الوفد الذى كلف إجراء هذه المحادثات والمفاوضات ومحدداً مهمته .

ولا يسعنى عند تبليغكم الصورة المرفقة من المرسوم المشار اليه إلا أن الاحظ أنكم عند قيامكم بالتبليغ الشفهى سالف الذكر قد نوهتم بأن الاخفاق فى عقد اتفاق قد يترتب عليه نتائج جدية مما قد يحمل الحكومة البريطانية على اعادة النظر فى سياستها نحو مصر . ولاشك ، لم يفت سعادتكم ماأثارته هذه التصريحات فى الرأى العام من القلق الشديد . حقا إنكم حرصتم على الاشارة إلى أنهالاتنطوى على شىء من التهديد أو الارهاب وأنها لاتعدوتقرير الواقع . ولكن مهمايكن لهذه الاشارة من أثر فى تخفيف وقع التصريحات التى كلفتم ابداءها بصفة خاصة لايسع الشعب المصرى ، وحكومته ومندوبوه ، ناطقين بلسانه ، أن يعتقد أن محادثات أو مفاوضات تعالج فى ظل مثل تلك التصريحات يمكن أن تكون خالصة أو حرة .

لذلك ، ومراعاة للمصلحة المشتركة للبلدين ، أتشرف بأن أرجو منكم أن تؤكدوا لى أن الحكومة البريطانية ترى حق الرأى ألا شىء يمكن أن يحد من حرية ممثلى مصر فى المناقشة والعمل ، وان استعمال هذه الحرية لن يؤثر على مابين البلدين من صلات الصداقة .

ويهم الحكومة المصرية بهذه المناسبة أن تنوه بما لهيئة المندوبين المصرية من الصفة التمثيلية للبلاد ، فهى تضم ممثلى الرأى العام بجميع مناحيه ، وأن تنوه كذلك بما يتمتع به أعضاؤها من شخصية بارزة ومكانة عالية ، وبما توليها البلاد بأجمعها من ثقة غير محدودة ، وماخولتها الحكومة من سلطة تامة : كل ذلك دلائل قوية على رغبة مصر وحكومتها فى الوصول إلى اتفاق تسوى به العلاقات بين البلدين .

وأوفرهم محصولا فى الحكم . وتفكيرا وتحضيرا خارج الحكم .

* * *

وأرجو عند ابلاغى التأكيدات السالفة الذكر أن تتفضلوا ببيان أسماء المندوبين الذين سيمثلون الحكومة البريطانية .

وأنتهز هذه الفرصة لأجدد لسعادتكم أسمى عبارات التقدير ؟

القاهرة فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦

[ترجمة]

* * *

دار المندوب السامى

حضرة صاحب الدولة

أتشرف باحاطة دولتكم انى استلمت مذكرتكم المؤرخة ١٣ فبراير والتى لفتم بها النظر إلى تصريح صدر منى ، وفقا للتعليمات فى البلاغ الشفوى الذى تشرفت بتوجيهه إلى سلف دولتكم فى ٢٠ يناير ، ذلك التصريح الخاص بالنتائج المحتملة لعدم الوصول الى الاتفاق فى المفاوضات المقبلة بشأن المعاهدة .

وتطلبون دولتكم الآن تأكيدا بأن حكومة جلالة ملك بريطانيا تسلم بأنه لن يحد شىء من حرية مندوبى مصر فى المناقشة أو التصرف ، وان استعمال تلك الحرية لن يخل بحسن العلاقات بين البلدين .

فجوابا على ذلك يسرنى أن أخبر دولتكم بناء على تعليمات حكومتى أن لها وطيد الأمل ، بل انها فى الواقع موقنة أن كلا الفريقين سيبذلان قصارى جهدهما كيلا يترتب على استعمال هذه الحرية أى تأثير فى العلاقات الودية بين البلدين ، وان الحكومة البريطانية لتحمل أصدق عواطف الود حيال الحكومة المصرية والشعب المصرى ، وبينما تجد من الواجب أن تحتفظ لنفسها بحرية العمل بالنسبة لمستقبل مجهول المدى ، شأنها فى ذلك شأن كل الحكومات ، فانها ترى - اذا كان هناك ثمة فشل فى الوصول إلى اتفاق بالرغم مما يحدو الفريقين من صادق الرغبة - أنه ليس من الضرورى أن يترتب على الفشل تأثير فى حسن العلاقات بين البلدين ، تلك العلاقات التى تحرص الحكومة البريطانية لاعلى استدامتها فحسب بل على زيادتها قوة .

فكان للصحافة نصيب من اصلاحاته (١)

* * *

وكان للادب والثقافة العامة نصيب من عنايته (٢)

* * *

وكان للادارة والبوليس نصيب من رعايته ، فعمل على بقاء مدرسة الكونستبلات ، التى أريد الغاؤها فى عهد وزارة المرحوم نسيم باشا ، على الرغم من أنها لا تخرج لبوليس الاقاليم من طلبتها أكثر من ثلاثين فى العام ، ورأى أن يدعم هذه المنشأة ، كى تستطيع أن تخرج أربعمائة شاب كل عام ، يغذون بوليس القاهرة والاسكندرية والاقاليم ، فلا تمضى بضع سنوات حتى يكون أفراد البوليس المصرى من الشبان المتعلمين ، الذين يعرفون الواجب فيؤدونه على الوجه الذى يتفق مع ارتقاء البلاد وكرامتها .

* * *

وكان يجتمع بالمديرين والمحافظين ، ليتحدث اليهم فى مختلف الشؤون الادارية والأمن العام ، وينفخ فيهم من روحه

وفيما يتعلق بأسماء المندوبين الذين سيمثلون حكومة جلالة الملك فى المملكة المتحدة فى المحادثات المنوية ، فانه لم يصلنى بعد التعليمات التامة فى هذا الصدد ، إلا أنى سأبادر إلى إحاطة دولتكم حالما أستطيع ذلك .

وأنتهز هذه الفرصة لأجدد لدولتكم أسمى عبارات التقدير ؟

القاهرة فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦

[ترجمة]

(١) افردت للصحافة قسما خاصا .

(٢) قسم المباراة الصحفية الادبية .

الاصلاحية(١) .

(١) حسبي أن أنشر هنا خطاب مقامه الرفيع فى حضرات المحافظين ومديرى المديريات يوم ٨ مارس سنة ١٩٣٦ ، قال حفظه الله :

إنى لمغتبط وسعيد باجتماعى بحضراتكم . وأرى لزاما علينا أن ننتهز فرصة هذا الاجتماع للتحدث فيه عن موضوع يهمنا جميعا ، وهو اتخاذ التعاون خطة لنا فى خدمة المصلحة العامة للبلاد ، وهى التى يجب أن نجعلها نصب أعيننا جميعا .

وتطرق مقامه الرفيع من هذا الاستهلال إلى المبادىء التى يراها لازمة لتحقيق هذا الغرض ووجوب تعويل أصحاب المناصب العالية عليها .

فقال: ان من الأمور الجديرة بالاجتناب فى المناصب العالية أن يفكر أصحابها فيما يكفل عدم تعرضهم لما قد يفضى إلى خروجهم منها بسبب اقدامهم على مشروعات أو أعمال قد تكون محل نقد أو عدم رضاء فى المستقبل . فمن الواجب على صاحب المنصب الكبير أن ينتهز فرصة وجوده فى المنصب لخدمة بلاده ، الخدمة التى يراها واجبة عليه ، والتى تقتضى كل يوم نظرا أو تجديدا ، ومن صاحبها تفكيرا واقداما ، وشجاعة وانعام نظر فى حاجات البلاد ومقتضياتها الحيوية ، جاعلا نصب عينيه الاصلاح المنشود ، والتقدم المطرد ، والشعور بأداء الواجب ، واحترام حقوق الأهلين على خير الوجوه وأكملها .

وفى طاقة حضراتكم ان تؤدوا واجبا عظيما لهذا الوطن العزيز ، وفى مقدوركم استيفاء استقلاله ، فان قيل ان الغاء فعل الامتيازات الخاصة بالتشريع والضرائب هو من اختصاص الحكومة المركزية ، فأظن أننى على حق إذا وجهت نظر حضراتكم إلى ان الغاء فعل الامتيازات من ناحية القضاء والبوليس هو فى يد رجال القضاء ، وفى يد رجال الادارة ، فلأجل هذا تستطيعون ، باعتباركم مشرفين على رجال البوليس والادارة ، أن تبذلوا قصارى الجهد لتصلوا برجال الادارة ، من حيث الاصلاح ، ومن حيث الكفاية ، ومن حيث تمكينهم من أداء ما فى أعناقهم من واجبات ، الى درجة زملائهم فى البلدان الغربية الراقية . وهذا باب للاصلاح كبير وهام لخدمة البلاد ، واستكمال استقلالها ، والنهوض بها ، وفى مقدور حضراتكم - متى سلكتم هذا المنهج العملى ، فى اناة وانعام نظر ، وفى إخلاص وولاء ، وفى حزم وكياسة - أن تؤدوا لوطنكم العزيز أجل الخدمات وأصدقها .

ثم عمل على توسيع سلطتهم للانتفاع بهم ، ومنحهم بعض

ومسألة أخرى أود أن أوجه النظر اليها ، وهى الخاصة بالأمن العام . وانى أرجو ألا تحفلوا كثيرا بالنظرية التى تقول بزيادة قوات البوليس والخفر ونحو ذلك ، بقدر احتفالكم واهتمامكم بالعمل جديا على رفع المستوى الثقافى لرجال البوليس أنفسهم ، وان تعتبروا أن هذه الثقافة الحقيقية للذين تهيمنون عليهم من افراد اسرتكم فى المحافظة على صرح الأمن وسياج القانون هى العدة الحقيقية ، والطريقة المبدة الميسرة لحفظ كيان الأمن ، وانقاص عدد الجرائم ، ورأب الصدع وتقويم الأود .

ان الطريقة المثلى فى معالجة الاجرام مفتاحها فى أيديكم أنتم ، فى أخلاقكم الذاتية ، فى مظاهركم الخلقية ، فيما تتمسكون به من منهاج سوى قويم ، فيما تأخذون وما تذرون . ولا أرتاب أيها السادة فى أن المدير المثقف الحكيم الذى يضرب المثل الأعلى للوطنى المستنير يخدم أمته ووطنه ولغته وعادات قومه أجل الخدمات وأنبلها اذا عنى أصدق عناية بالحرص على لغته وعلى قوميته ، وحرص الحرص كله على فروض دينه وتعاليم شريعته ، وتمسك أدق تمسك بكرامة منصبه ، ووقف حياته وذمته على خدمه أبناء أمته .

وانه ليسعدنى كثيرا - ولا أشك فى أنه يرضى ضمائركم أيضا - ألا يجعل المدير كل همه منصرفا إلى انتهاج سياسة ارضاء الرؤساء ، باعتبار ان هذه هى الوسيلة الميسرة لفتح باب المستقبل للرقى على مصراعيه أمامه ، بل انى على النقيض من ذلك أرى لزاما على المدير أن يترك التفكير فى هذا ليغلق باب هذا التفكير ، ولينصرف بكليته إلى السير على منهاج اقوم ، وسلوك سبيل أحكم ، ويجعله نصب عينيه ، ذلك هو العمل على سياسة ارضاء الضمير ، واداء الواجب ، وخدمة العدل ، وانتهاج سبل الانصاف ، ولتكن خطتنا أداء الواجب ، لأنه واجب ، وخدمة الحق ، لأنه حق .

وأرجو أن تسود الثقة بين حضراتكم وجميع مرؤوسيكم ، وأنكم لتعلمون حق العلم انه ليس فى مقدور أحد منا اضطلاعه وحده بتحقيق الاصلاح الاجتماعى المنشود ، ولابد لنجاح الخدمة العامة ، وتحقيق المصلحة العامة من أن تجرى على سياسة التعاون الصحيحة ، التى لاسبيل الى تحقيقها كاملة غير منقوصة ، ولا

الحماية لوقايتهم من العزل الاستبدادى ، أو النقل لاسباب سياسية، وأن يكون لهم حق البت محليا فى القرارات التى كانت تحال على الوزارة ، فأرسل الى كل من حضراتهم الكتاب الآتى :

مبتورة الا بتوفر الثقة المتبادلة بين حضراتكم ومرؤوسيكم ، وأظن ان المدير الذى يكون منصفا عادلا برا رحيما ، مقدرا لكفايات رجاله ، حاثا للمحسن على الاستزادة من الاحسان ، عاملا على خلق أصحاب المواهب وحسن الاستعداد ، آخذا بالحزم وقوة الشكيمة المسيء إذا أساء ، ورادعا للممعن فى الخطأ إذا استرسل فى خطأه - أظن ان هذا المدير يخدم أمته أجل الخدمات ، ويرضى ضميره كل الرضاء ، ويحقق ما وضع فيه من أمل ورجاء .

إلى جانب توفر الثقة المتبادلة بين حضراتكم ومرؤوسيكم أرجو أن تعنوا أيضا بالعمل جديا بحكمتكم وسياستكم وحسن تصرفكم وقويم منهجكم لاكتساب ثقة الاهلين انفسهم ، وهذا جد سهل عليكم ، ما دمتم تجعلون العدل نبراسا لكم ، فلا كبير ولا صغير ، ولا قوى ولا ضعيف ، أمام سلطان القانون ، واحترام الكرامة ، وخطة الانصاف ، وارتياد الخدمة الحقة العادلة لابناء الوطن الواحد ، فى غير تفرقة ولا تمييز لأى اعتبار حزبى أو مادى أو وقتى ، فالجميع مصريون . وواجب المدير أن يكون الاب البر للجميع ، والمنصف فى غير هوى ولا ميل ، وفى غير تحزب ولا حيف .

كذلك أرجو من حضراتكم أن تعملوا على اكتساب ثقة رجال القضاء ، وأن تسود بين رجال الادارة ورجال القانون الثقة والتعاون ، والحرص على علاقات التقدير والاجلال المتبادلة لخدمة الحق والقانون .

لتعملوا على احترام الحريات العامة ، عاملوا الناس بالعدل والمساواة الكاملة ، أرجو أن تكون السيادة دواما لكلمة القانون ، وأن تكون الكلمة العليا للقانون ، وأن تكون كلمته هى العليا دائما .

ولست فى حاجة إلى ان اطلب من حضراتكم ان تكون خطتكم فى تنفيذ القانون فى رفق وهوادة ، ولين ولطف ، لا فى شدة وعنف . وأرجو أن يكون للنساء والشيوخ والاطفال والصغار أوفر نصيب من شفقتكم ورحمتكم، ورقتكم وحسن معاملتكم .

فكرت مليا فى توجيه الأعمال بالاقاليم وجهة تكفل لها السير الحسن، وتحي فى الوقت ذاته روح المسئولية فى نفوس القائمين بها ،

ثم تحدث مقامه الرفيع عن المظاهرات، فقال : انه لايرى أن يكون لرجال البوليس أى حق فى اقتحام دور التعليم ؛ ويعتقد أن فى مقدور المدرسين والاساتذة أن يحولوا دون الاضطرابات ، وهم المسئولون أولا وآخرا عما يحدث من اضطراب ، لأن الاستاذ الحكيم الذى يصيخ بسمعه إلى الكرامة الوطنية ، ويقدر لكل ظرف لبوسه وخطته ، لايضيره شيء إذا أحسن إلى أولاده ، وأفهمهم واجبهم ، وزاملهم فى الانصراف وفى العودة إلى الدرس ، آخذا بالحكمة وعدم اتساع للخرق ، وتقديرا للظرف واسداء للنصح ، لست أشك فى أن حضرات المدرسين سيقدرون ما لهذه الخطة الحكيمة ، وحسن مواتاة الامور من جدوى وكبير نفع ؛ ومن احترام للشاعر الوطنية فى غير تفريط فى النظام ، وفى غير جنوح الى العنف .

ثم انتقل مقامه الرفيع بعد ذلك إلى الكلام عن سلطة المديرين، وميلهم إلى توسيع اختصاصاتهم، تمشيا مع خطته فى الأخذ بسياسة التعاون المشترك ، وفسح المجال للقادرين على القيام بخدمة وطنهم وبلادهم فى حيز اختصاصاتهم .

فقال : انى ألاحظ أن الحقوق المعطاة لحضراتكم طبقا للتعليمات المكتوبة والاوامر الادارية الصادرة لكم منذ القدم - هذه الحقوق تمكنكم كل التمكين من تحقيق ما أصبوا اليه ، نعم لقد سلبت هذه الحقوق تدريجيا ، ولكنى سأردها إليكم اتعملوا بوحى من ضمائركم ، وهدى من حكمتكم ، وقويم خطة من نهجكم - سأردها اليكم اتعملوا على خدمة بلادكم لاستكمال استقلالها ، وتثقيف رجال اداراتها ، وتشجيع المحسنين من أبنائها ، واستتباب الأمن فى ربوعها ، ونشر العدالة بين ظهرانيها ، وتبادل الثقة بين موظفيها ، وسيادة الكلمة لقانونها ؛ وعدم التفرقة بين أحزابها . والاصغاء لكلمة الحق دائما .

ولتعلموا أن الحاجة جد ماسة الآن الى تعاون الجميع وتضافرهم لخدمة البلاد . وان الوقت الذى كان يستطيع فيه الحاكم الاضطلاع بكل الخدمات وشتى المشروعات قد فات ؛ وآن لنا أن ننهج جميعاً خطة التعاون ومبدأ التضافر فى خدمة مصلحة البلاد .

وترفع عن عاتق الوزير والوزارة مشاغل لا قبل له ولها بالجمع بينها وبين مشاغل الدولة الكبرى ، التى يجب الانصراف اليها ، ولا غنى ولا مصلحة فى نقلها ممن هم أمس بها وأولى بالقيام عليها .

وعند ماهممت برسم كليات هذه الوجهة، التى يجب أن يولى المديرون والمحافظون شطرها ، علمت أن الوزارة سبقت لها محاولة صادقة فى هذا السبيل . فقد أصدرت فى سنة ١٩٢٨ قراراً بتوسيع اختصاص المديرين والمحافظين نقل اليهم مسئولية كثير من الأعمال التى كانوا يرجعون فيها إلى الوزارة ، ونظم العمل على طريقة أدنى للمصلحة ، وأحفظ لوقت الوزراء ومجهوداتهم ، غير أن ذلك القرار لم يعد يعمل به تماماً ، فرأيت الأصلح ـ قبل محاولة أى تجديد فى طرائق العمل ـ أن أبعث ذلك القرار من سكونه ، وذلك لسبق العهد به والتمرس بتفاصيله ، حتى إذا استقر العمل به ، أصبح من الموافق أن يبسط للمديرين والمحافظين سلطات أخرى ، وأن تستحدث فى العمل أنظمة تستمد من حاجات البلاد وتقاليدها فى أحوالها الخاصة ، وتراعى فيها مع ذلك الاصول والقواعد التى تهدى اليها الابحاث العلمية الجديدة فى شؤون الادارة ، وتنصح باتباعها المؤتمرات الادارية الدولية ـ فعلت

وأخيراً أوصى حضراتكم خيرا بالعامل والمزارع ، وبعد فقد تقررت وكالة وزارة القرية ، أن تعنوا حضراتكم كل العناية بامدادها بكل معونة ممكنة، وأن تساعدوها على أن تخرج المرافق الحيوية الخاصة بفلاحنا المصرى وعاملنا المصرى من حيز التفكير إلى حيز العمل .

ولتعلموا وفقكم الله أن عدد فلاحينا ومزارعينا وعمالنا حوالى اثنى عشر مليونا، وأظن أن من حق هؤلاء جميعا أن يعيشوا ، وأن تحسن حالتهم وأن يعنى بأمرهم ، ومن حقهم أن تولوهم من عنايتكم وحدبكم واصلاحاتكم وصادق جهودكم القسط الوفير والنصيب الأكبر .

ذلك راضيا ، عاملا على الوصول بالادارة المصرية إلى مستوى يرفع من شأنها ، وينبه من ذكرها . ولقد أرى من الواجب ، بهذه المناسبة ، أن ألفت النظر إلى أن من أهم أغراض هذه التجربة أن يستشعر الأهالى بالاحترام للحاكمين ، فتعلو مكانتهم فى النفوس ، وتسهل بذلك مهمتهم ، ولا أشك فى أن وطنيتكم ، وحسن إدراككم المصلحة العامة ، سيحفزانكم على العمل جهد الطاقة ، بل فوق ذلك على توثيق الروابط بين الحكومة ، والأهالى وعلى اقامتها على أساس متين من العطف والحزم من جانب ، وعلى الثقة والاحترام من الجانب الآخر .

ولن يستقيم العمل ، أو ينتظم الحال ، إلا إذا شعر الموظفون العاملون معكم بأن المحسن يجزى باحسانه ، والمسىء يؤخذ باساءته ، والا إذا أحسوا من رؤسائهم البعد عن التحيز والمحاباة ، وإيثار المصلحة العامة ، والعمل الصادق على اتقاء الشبهات ، ومجانبة الريب ، وعلى التزام حدود الواجب والقانون .

وستلقون منى كل معونة وتسهيل فى هذا السبيل ، كما ستلقون حسابا عسيرا عن تنفيذ هذا النظام .

ولى بعد ذلك وطيد الرجاء فى أنكم ستحملون قسطكم من المسئولية عن نجاح التجربة ، وتبذلون فى تحقيق ذلك النجاح كل مقدرة وشجاعة ، وحسن تصرف .

وسأتتبع أعمالكم فى هذا الشأن باليقظة التامة ، والاهتمام العظيم . وتمهيداً لذلك رأيت أن أنظم التفتيش فى الوزارة على وجه يجعله جدير بمهمته ، ولكى يكون عيناً لى على كل ما يجرى فى الأقاليم . وعونا على انجاح التجربة ، ومصدرا للاقتراحات المفيدة من طرائق العمل ،

أو المشروعات والمرافق العامة .

* * *

وفى عهد وزارة مقامه الرفيع صدر فى ١٩ مارس سنة ١٩٣٦ الأمر الملكى رقم ٢٣ لسنة ١٩٣٦ بانشاء قلادة فؤاد الأول ، وقد نص فيه على أن تمنح هذه القلادة لأصحاب التيجان ، وللأمراء الجالسين على منصة الملك ولأعضاء بيتهم ، وكذلك لرؤساء الدول والحكومات ، ولأعضاء الأسرة الملكية ، ويجوز منحها للمصريين الذين يمتازون بالتفانى فى خدمة وطنهم ومليكهم ، وللأجانب الذين يشتهرون بالعمل لخير الانسانية؛ ونص فيه كذلك على ألا يزيد عدد الحائزين للقلادة من المصريين عن عشرة ، وذلك سوى أعضاء الأسرة العلوية الكريمة .

* * *

وكان للأزهر الشريف نصيب من جهود مقامه الرفيع ، فقد صدر فى ٢٦ مارس سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ باعادة تنظيم الجامع الازهر .

* * *

ثم اتجه مقامه الرفيع إلى الاصلاح الاجتماعى ، فوضع للبلاد سياسة اجتماعية ، تقوم على الاحتفاظ باخلاقها وعاداتها وتقاليدها ونظمها الصالحة والدفاع عنها وعلى التوفيق والملاءمة بينها وبين العادات والآراء والنظم الحسنة ، وصور الحياة الجديدة التى أتت بها المدنية الحديثة ، فاستصدر فى ٧ ابريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٦ بانشاء مجلس أعلى للاصلاح الاجتماعى [1] ، يكون مختصا بمراقبة أحوال التطور الاجتماعى

---

(١) يشكل هذا المجلس على الوجه الآتى :

للبلاد ، وبالنظر فى الوسائل والتدابير والاصلاحات التى ترمى الى توجيه هذا التطور توجيها يتسق مع خصائص الشعب المصرى وتقاليده وملكاته ، كما تختص بالسعى فى التوفيق بين مقومات الحيات الاجتماعية للبلاد ، وبين آثار التقدم المادى ، وما استحدث من وجوه العمل الاقتصادية وأحوال الحياة الجديدة ، وبالبحث فى نظام الاسرة ودرس الاصلاحات التى تؤكد تماسكها ، والمحافظة على كيانها ، وصيانة حقوق الولاية فيها ، وللمجلس أن يقوم مباشرة بدراسة أية مسألة اجتماعية ، أو اجراء بحث أو تحقيق بشأنها . وله أن يستعين فى ذلك بالادارات الحكومية المختلفة بواسطة الوزير صاحب الشأن . وله ـ من تلقاء نفسه ، أو بناء على هذه الدراسات والأبحاث والتحقيقات ـ أن ينصح أو يقترح ضرورة إصدار أو اتخاذ تصرف إدارى معين . ويجوز له ـ بالاتفاق مع الحكومة ـ توجيه نصائح ونداءات للجمهور ، وتنظيم دعايات اجتماعية

* * *

ثم شعر بحاجة البلاد إلى سياسة صحية . بعيدة المدى . تؤدى الى تحسين الحالة الصحية فى البلاد ، ويقوم على تنفيذها وزير مسئول . لما لشؤون الصحة من الأهمية الحيوية ، ومن الأثر البالغ فى مظهر حضارة البلد ، وفى كيانها الاجتماعى ، فاستصدر فى ٧ إبريل سنة ١٩٣٦ مرسوما بانشاء وزارة الصحة العامة .

* * *

وزير الداخلية رئيسا ـ وزير المعارف العمومية ـ وزير المالية ـ تسعة أعضاء يعينهم مجلس الوزراء لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

والتفت مقامه الرفيع إلى القضاء ، فعمل على استقلاله الذاتى ، تمهيدا لتوحيد القضاءين الأهلى والمختلط ، واستصدر فى ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣١ لسنة ١٩٣٦ بشأن نظام هيئة القضاء ، والمرسوم بقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٣٦ بشأن تعديل الأمر العالى المشتمل على لائحة ترتيب المحاكم الاهلية . وقد رمى فيهما إلى وضع نظام يكفل حسن اختيار القضاة ، وانشاء مجلس أعلى للقضاء ، يكون المرجع فى أمور القضاء فلا يتخذ أى اجراء في أمر قاض الا بناء على رأيه ، ورمى إلى تحقيق استقلال القضاة ، واحاطتهم بسياج يجعلهم بمأمن من كل ما يمكن أن يؤثر فيهم من قريب أو من بعيد .

ولم يقتبس النظام الذى وضع فى وزارة مقامه الرفيع عن تشريع أجنبى معين ، وانما بحثت أهم الأنظمة الأجنبية الخاصة بحماية استقلال القضاء ، واختير منها ما يصلح لمصر فمصر ، ووضع فى خير شكل يؤدى إلى أحسن نتيجة : رتب للقضاة حقوقا ، وجعل لهم ضمانات ، وأحاط اختيارهم بضمانات تكفل اختيار أحسن العناصر .

* * *

ثم اتجه إلى العناية بالتعليم ونشر الثقافة العامة فى البلاد ، لتكوين الرجال الذين يستطيعون أن يحكموا الحكم الصالح ، الذى يخلق الأمم ، وينهض بها إلى مدارج الارتقاء ، فاستصدر فى ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٦ بانشاء معهد جديد للتعليم باسم « معهد فاروق » يكون الغرض منه الاعداد للدراسة بالجامعة ، والعناية بصفة خاصة بتكوين الشخصية وقوة الخلق فى التلاميذ ، بتنمية روح الواجب والشعور بالمسئولية ، والابتكار فى نفوسهم ، وتعويدهم على التعاون ؛ ويكون القبول به على أثر مسابقة للاستيثاق مما إذا كانت

درجة ذكاء التلميذ واستعداده تمكنه من الاستفادة من دروس المعهد ، وحددت مدة الدراسة بخمس سنوات ، تسبقها سنة أعدادية ، وضمنت مناهج الدراسة تثقيفا من الناحية الاجتماعية والفنية ، وتربية بدنية وتعليم اللغتين الانجليزية والفرنسية، باعتبارهما لغتين أجنبيتين أساسيتين ، ويقوم تعليمهما على دراسة علمية وعملية كافية ، لتمكين التلاميذ من التكلم والكتابة بهما فى سهولة وصحة ، وتنظيم دراسات اختيارية لملاءمة الاستعدادات المختلفة لدى التلاميذ ؛ ولتنمية الاستعدادات والملكات الخاصة فيهم ، وقد كانت النية متجهة إلى فتح أبواب هذا المعهد للنابغين من أبناء الأغنياء والفقراء على السواء ، حتى يكون نواة لانشاء معاهد أخرى على غراره .

* * *

وفى ٤ مايو سنة ١٩٣٦ صدر مرسوم بقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٣٦ بانشاء مجلس أعلى للتعليم (١) ، يؤلف من جماعة يمثلون فروع التعليم كلها تمثيلا

---

(١) يؤلف هذا المجلس على الوجه الآتى :

وزير المعارف العمومية

وكيل وزارة المعارف العمومية

مدير الجامعة المصرية

عضو من كل هيئة من الهيئات الآتية تنتخبه تلك الهيئة :

هيئة التدريس فى كل كلية من كليات الجامعة

موظفو التدريس فى كل من معهد التربية ودار العلوم ومدرسة الفنون الجميلة العليا

ناظر ينتخبه من بينهم نظار المدارس الآتية :

مدارس الفنون والصناعات والمدارس الصناعية

مدارس التجارة

« الزراعة

حسنا ، ويستشار في جميع شؤون التعليم ، فلا يمضى الوزير أمرا من أموره إلا وقد وضح له الرأى فيه ، وعرف ملاءمته لحاجة المتعلمين وقدرة المعلمين ، فان مهمة المجلس بحث جميع الشؤون التي تتعلق بالتربية العامة ، وأساليب الدراسة ومناهجها ، ونظم امتحاناتها ، وسياسة الوزارة في نشر التعليم ، وفى الاشراف على التعليم الحر ، وشروط توظف رجال التعليم وتأديبهم ؛ وقد نص القانون على أن تكون كثرة أعضاء المجلس بانتخاب المعلمين أنفسهم ، ويختار الوزير فريقا من أعضائه يعينون فيه بمرسوم ، حتى يكفل عـــدم تدخل السلطات الحاكمة فى اختيار الاعضاء حسب أهوائها وأغراضها ، ويلائم بين طبيعة الديمقراطية التي تكفل الحرية من جهة ، وطبيعة السلطة التي تضمن الاستقرار من جهة أخرى ، ويحيط المعلمين بضمانات تحفظ لهم كرامتهم الشخصية والعلمية .

* * *

وفى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم ٢٨ ابريل سنه ١٩٣٦ فجعت البلاد بانتقال عاهلها العظيم المغفور له الملك فؤاد . فكان على ماهر باشا رجل الساعة ، واتجه نشاطه إلى ضرورة اجتياز البلاد هذا

ناظران ينتخبهما من بينهم نظار المدارس الآتية :
المدارس الثانوية
« الابتدائية
مدارس المعلمين الاولية
ناظرة تنتخبها من بينهن ناظرات مدارس البنات (غير الأولية)
مراقب التربية البدنية بوزارة المعارف العمومية
سبعة أعضاء ممن لهم خبرة بشؤون التعليم يعينون بمرسوم بناء على طلب وزير المعارف العمومية

الظرف الدقيق، وظهر ولاؤه للاسرة المالكة(١)، واحترامه للدستور، وحبه لمصر، فأعلن فى وقت واحد وفاة جلالة الملك فؤاد، والمناداة بحضرة صاحب الجلالة المليك الصالح المحبوب «فاروق» الاول ملكا على مصر - وتولى مجلس الوزراء، منذ ذلك اليوم، سلطات الملك الدستورية باسم الامة المصرية، وتحت مسئوليته، حتى ٨ مايو سنة ١٩٣٦ وهو الوقت الذى سلم مقاليدها إلى مجلس الوصاية - وحرص على أن يجتمع البرلمان لانتخاب مجلس الوصاية فى الموعد المضروب له فى الدستور.

* * *

وفى ٣ مايو سنة ١٩٣٦ اصدر مجلس الوزراء المرسوم بقانون رقم ٤١ لسنة ١٩٣٦ باعلان رشد حضرة صاحب الجلالة المليك المفدى «فاروق»

---

(١) نشرت جريدة كوكب الشرق بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٣٦ مقالا تحت عنوان «ملاحظات سريعة» فى المؤتمر التاريخى لاختيار هيئة الوصاية، جاء فيه:

وفاء على ماهر باشا

ليس عندى ما أبدأ به هذه الملاحظات أحق ولا أوجب من الحديث عن دولة على ماهر باشا، والشعور الذى خالجنى عندما رأيته يقف ليبلغ المجلس نبأ وفاة جلالة مليكه الجليل الفقيد، فان هذا الموقف جعلنى والحق يقال أحس الاجلال والاكبار لهذا الرجل المخلص الذى غلبت عليه حقوق الوفاء، وهو يلقى رثاءه للملك الراحل، فقد امتلأت عيناه بقطرات من الدمع، وظهر عليه التأثر البليغ الفاجع، ولاحظ المجلس ذلك على دولته، فسرى أثره فى النفوس، وتكهربت به مسارب الاحساس، وساد القاعة شعور رهيب وتأثر عميق.

بارك الله فى هذه النفوس الوفية التى لا تنسى حقوق الولاء والوفاء، وأرجو أن يتقبل دولته منى أصدق التحية وأكبر الاعجاب.

الأول» ، فيما يختص بجميع التصرفات المدنية ، مستندا إلى انه ليس ثمة نص يحدد السن التى يكون فيها للملك الأهلية فيما يختص بمباشرة حقوقه الخاصة وإدارة أمواله، وإلى أن الحكم الشرعى يقضى بأنه إذا بلغ الشخص سن الخامسة عشرة،أصبح ذا أهلية تامة للتصرفات الشرعية جميعها، فتكون له الولاية التامة فى ماله، ويصح أن يكون ناظرا على الأوقاف، وأن يكون وليا على غيره فى النفس والمال .

* * *

وفى ٤ مايو سنة ١٩٣٦ صدر المرسوم بقانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٦ بشروط توظيف الأجانب ، ونص فيه على أنه لا يجوز اسناد أية وظيفة عامة،مدنية كانت أو عسكرية،الى أجنبى إلا فى أحوال استثنائية ، واذا ثبت أن الوظيفة تتطلب مؤهلات علمية أو عملية لا تتوافر فى مصرى ، ولا تسند الوظيفة الى أجنبى لمدة تزيد على خمس سنوات ، تبدأ من تاريخ استلامه عملها ، فاذا كان التعيين لاجل أقل من المدة المقررة،أو إذا خلت الوظيفة قبل نهاية هذه المدة، سرى مفعول القرار الصادر باسنادها أجنبى حتى نهاية المدة المقررة ، ونص على سقوط قرار اسناد الوظيفة الى أجنبى إذا انقضت سنة من وقت صدور القرار ولم يتم التعيين فيها، واشترط ضرورة الكشف الطبى على كل مرشح اجنبى قبل تعيينه ، للتبثت من لياقته صحيا لأداء عمله ومن مقدرته على تحمل جو مصر ، وجعل القانون للحكومة الحق فى فسخ التعاقد مع الموظف الاجنبى فى أى وقت أثناء السنتين الأولين من مدة العقد ، بشرط أن تعلنه قبل ذلك بثلاثة شهور ، كما يحق لها فصله فى أى وقت أثناء مدة الخدمة من غير إعلان سابق، بسبب سوء سلوكه أو تقصيره تقصيرا فاحشا في تأدية أعمال وظيفته ،

ونص القانون على ألا يمنح الموظف الأجنبي عن مدة خدمته أي معاش أو أية مكافأة ، وجعل لمجلس الوزراء تقرير منح مكافآت خاصة إذا اقتضت ذلك مبررات استثنائية.

* * *

ثم سعى إلى تسوية المسائل التى كانت معلقة بين مصر والحجاز، لما بين القطرين الشقيقين من صلات النسب والجوار، ولما لدى المملكتين من خالص الرغبة فى توثيق عرى الصداقة ، فصدر فى ٨ مايو سنة ١٩٣٦ مرسوم باصدار معاهدة الصداقة المعقودة بين المملكة المصرية والمملكة العربية السعودية ، وكان لهذا رنة سرور وفرح فى البلدان العربية التى يجتهد الوطنيون والزعماء فى الشرق أن يعززوا ما بينها من روابط .

* * *

ولا يفوتنى أن أذكر هنا ذلك العمل العظيم ، الذى كان يعتزم مقامه الرفيع أن يختم به اصلاحاته الجليلة ، فى عهد وزارته القصير ، المملوء بعظيم الحوادث ومفاخر الاعمال ، فقد كان يريد الغاء الامتياز المالى ، وذلك باعلان استقلال مصر فى تنظيم ما يفرض من ضرائب على السكان ـ مصريين وأجانب على السواء ـ دون عرض مشروعات القوانين الخاصة بهذا التنظيم على الدول ، وأعد اجراءات هذا الاعلان ، سواء منها ما يختص بالتبليغ للدول ، وما يتبع هذا من بيان للناس وايضاح للجمهور ، ولكن فوجئت البلاد بوفاة عاهلها العظيم المغفور له الملك فؤاد ، فألقى على عاتق على ماهر باشا أعباء ومهام جسام، حالت دون تفرغه لما كان يود تحقيقه فى سبيل مصر وخيرها ورفاهيتها .

* * *

وفى ٨ مايو سنة ١٩٣٦ صدر مرسوم بتعيين دولته عضوا بمجلس الشيوخ .

* * *

وفى ٩ مايو سنة ١٩٣٦ استقالت وزارة مقامه الرفيع ، بعد أن تركت أعظم أثر فى نفوس المصريين جميعا (١)

* * *

---

(١) هذا نص كل من كتاب الاستقالة ، وكتاب قبولها :

كتاب استقالة الوزارة

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على

حضرة صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا

حضرة صاحب السعادة محمد شريف صبرى باشا

أتشرف بأن أرفع إلى حضراتكم ان الوزارة التى عهد إلى بتأليفها والتى تألفت بتاريخ ٣٠ يناير سنه ١٩٣٦ بذلت غاية جهدها لصيانة الوحدة القومية كما وعدت .

ولما كان أول مهمة لها أن تمهد السبيل للمفاوضات وللعمل بالدستور ، فقد مضت فى الاجراءات اللازمة لذلك ، على أنه قبل أن تبلغ تلك الاجراءات غايتها فوجئت البلاد بفقد مليكها المحبوب ، وتعين على أثر ذلك تدارك الحال بتأليف هيئة الوصاية .

والآن وقد تم تأليف هيئة الوصاية ، وتمت من جانب آخر المهمة التى أخذناها على أنفسنا بما تغتبط له ضمائرنا ، فانى أتشرف بأن أرفع إلى حضراتكم استقالة الوزارة التى عهد إلى بتأليفها جلالة المغفور له الملك فؤاد الاول ، بعد أن أدينا الأمانه كاملة .

واننا اذ نرفع هذه الاستقالة ، والدستور نافذ معمول به ، نبتهل إلى الله أن يرعى العهد الجديد ، ويجعله على البلاد خيرا وبركة ، وأن يبقى جلالة الملك فاروق الاول ذخرا للامة .

وانى لحضراتكم المخلص الامين

القاهرة فى ٩ مايو سنه ١٩٣٦ (على ماهر)

وفى ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٣٧ صدر أمر ملكى بتعيين مقامه الرفيع رئيسا للديوان العالى الملكى .

* * *

وفى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٨ أنعم حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم «فاروق» الاول حفظه الله تعالى بقلادة فؤاد الأول على مقامه الرفيع

* * *

أما بعد، فهذه هي بعض أعمال على ماهر باشا ، تتحدث عن نفسها ، وتعلن عن عظمته ، وهذه هى بعض مفاخره ومآثره فى سبيل مصر والمصريين ، تنبىء عما للوطن فيه من آمال كبار ، وانها والله لمفخرة لمصر ان يكون هذا الرجل العظيم من أبنائها

قبول الاستقالة

أمر ملكى بقبول استقالة حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا

دولة الرئيس العزيز على ماهر باشا

اطلعنا على كتاب الاستقالة المرفوع الينا منكم فى ٩ مايو الحاضر وانكم ، وأنتم تتركون الحكم ، بعد أن أديتم مهمتكم بمنتهى الامانة والنزاهة وتفانيتم فى خدمة البلاد وكنتم مثلاً أعلى فى الوفاء والولاء والاخلاص لجديرون بكل اعجاب وشكر .

فلدولتكم ولحضرات الوزراء زملائكم أطيب الثناء .

وأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم راجين لكم دوام التوفيق ؟

صدر بسراى عابدين فى ١٨ صفر سنة ١٣٥٥
٩ مايو سنة ١٩٣٦

مجلس الوصاية
محمد على
عبد العزيز عزت
شريف صبرى

كتب الله له حياة طويلة موفقة فى خدمة الوطن والمليك الصالح المحبوب .



المصادر

اعتمدت فى هذا التاريخ على :

الدليل المصرى لعام ١٩٣٦،

مجموعات القوانين والمراسيم والأوامر الملكية لسنة ١٩٣٦ ،

مجموعة محاضر اللجنة العامة لوضع الدستور ،

صحيفة الأخبار عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ ،

الصحف اليومية سنة ١٩٣٦ ،

بعض المجلات الاسبوعية والشهرية،

كتاب مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر

الصحافة فى مئة يوم

ولى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا الحكم فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ فى ظروف حرجة دقيقة ، فلقد كان المرض وقتئذ شديدا على المغفور له الملك فؤاد الأول ، وكانت هناك حوادث وطنية حركت الطلبة والشبان ، ودفعتهم إلى الاضراب احتجاجا على عدم عودة دستور سنة ١٩٢٣ ، وعلى اباء الانجليز مفاوضة المصريين لحل المسائل المعلقة بين البلدين .

* * *

ولى على ماهر باشا الحكم فى هذه الظروف العصيبة ، فكان الرجل المختار لها ، وكان القائد الماهر ، الذى تدخره البلاد لقيادة سفينتها ، حين يضطرب الموج وتهيج الرياح .

* * *

ولم يكن عجيبا أن يملك على ماهر باشا الموقف السياسى ، ولكن العجيب أن يتسع وقته وتفكيره للشؤون الاجتماعية ، فكان للصحافة نصيب من عنايته ورعايته ، فهو أول رئيس وزارة فى مصر قدر للصحافة وظيفتها العامة ، فيسر لممثليها سبل الاستفادة ، ونهض بكرامتهم ، ولم يبخل عليهم بنبأ لا تضر اذاعته المصلحة العامة ، وكان موقفه من رجال الصحافة موقف الصديق المقدر ، لا موقف الكاره المراقب المترقب ، وقوانين المطبوعات ، التى أصدرها مقامه الرفيع ، كانت كسبا للصحافة ، لم تكن تحلم به .

* * *

أعلن مقامه الرفيع أولا نيته نحو الصحافة فى تصريح مع مندوب الاهرام في ١٩ فبراير سنة ١٩٣٦، جاء فيه:-

« نرجو أن نكون قد وفقنا لاجابة الصحافة الى رغباتها فى تلطيف الضغط الذى تضمنته التشريعات الراهنة ، فقد رفعنا من شروط اصدار الجرائد قيود التأمينات ، واشتراط وجود المطبعة ، وكذلك بعض الشروط الواجب توافرها فى رؤساء التحرير ، وغير ذلك ، وأنا مستعد أن أرفع من التشريعات غير ذلك من القيود ، إذا كان هناك ما تدعو مصلحة الصحافة إلى رفعه وازالته ، لأنني أرى من الواجب أن تعمل الحكومة لمساعدة الصحافة على الارتقاء والتقدم . »

* * *

ثم لم يمض أسبوع على هذا التصريح ، وبعبارة أخرى لم تمض أسابيع على تولى مقامه الرفيع رياسة الوزارة ، حتى صدر فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ بتعديل قانون المطبوعات رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١ تعديلا يتفق مع مطالب الصحفيين ، فخفف الشروط التى سنها ذلك القانون بحذف النص الوارد بالمادة (١١) الخاص بوجود مطبعة لكل جريدة تصدر ثلاث مرات فى الأسبوع فأكثر ، وبجواز أن يحل الضمان الشخصى محل الضمان النقدى ، وهو اشتراط دفع ثلثمائة جنيه لاصدار الجريدة التى تصدر ثلاث مرات فأكثر فى الأسبوع ، ومائة وخمسين جنيها للصحيفة التى تظهر مرة أو مرتين فى الاسبوع ، وبحذف عقوبة إلغاء

الجريدة وجعل التعطيل لمدة أقصر ، وإلغاء عقوبة اقفال المطبعة إلا فى حالة فتحها بدون اخطار ، ووضع أحكام خاصة بالمطابع وتوزيع المطبوعات بالزام كل صاحب مطبعة بارسال اخطار قبل فتح المطبعة ، وأحكام خاصة بمن يتولون بيع المطبوعات وتوزيعها فى الطريق العام .

وهاهو نص المرسوم بقانون ومذكرته التفسيرية :

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ١١٨ لسنة ١٩٣٥ ،

وبناء على ماعرضه علينا وزير الداخلية وموافقة رأى مجلس الوزراء .

رسمنا بما هو آت :

١ - تعريف الاصطلاحات

مادة ١ - فى تطبيق هذا القانون يقصد بكلمة « مطبوعات » كل الكتابات أو الرسوم او القطع الموسيقية أو الصور الشمسية أو غير ذلك من وسائل التمثيل، متى نقلت بالطرق الميكانيكية أو الكيمائية أو غيرها فأصبحت بذلك قابلة للتداول .

ويقصد بكلمة «التداول» بيع المطبوعات أو عرضها للبيع أو توزيعها أو الصاقها بالجدران أو عرضها فى شبابيك محلات أو أى عمل آخر يجعلها بوجه من الوجوه فى متناول عدد من الأشخاص .

ويقصد بكلمة «جريدة» كل مطبوع يصدر باسم واحد بصفة دورية فى مواعيد منتظمة أو غير منتظمة .

ويقصد بكلمة «الطابع» صاحب المطبعة.

ومع ذلك فاذا كان صاحب المطبعة قد أجرها الى شخص آخر فأصبح ذلك الشخص هو المستغل لها فعلا، فكلمة «الطابع» تنصرف إلى المستأجر .

ويقصد بكلمة «الناشر» الشخص الذى يتولى نشر أى مطبوع .

٢ - فى الأحكام المتعلقة بالمطابع وبالمطبوعات على وجه العموم

مادة ٢ - يجب على كل طابع قبل فتحه مطبعة أن يقدم اخطارا كتابيا بذلك إلى

المحافظة أو المديرية التى تقع المطبعة فى دائرتها .

ويشتمل الاخطار على اسم ولقب وجنسية ومحل اقامة الطابع ومقر المطبعة واسمها .

ويجب تقديم اخطار جديد فى خلال ثمانية أيام عن كل تغيير فى البيانات المتقدمة .

مادة ٣ - يجب على كل طابع قبل أن يتولى طبع جريدة أن يقدم اخطارا كتابيا بذلك إلى المحافظة أو المديرية .

مادة ٤ - يجب أن يذكر بأول صفحة من أى مطبوع أو بآخر صفحة منه اسم الطابع وعنوانه واسم الناشر وعنوانه.ان كان غير الطابع،وكذا تاريخ الطبع .

مادة ٥ - عند اصدار أى مطبوع يجب ايداع أربع نسخ منه فى المحافظة أو المديرية التى يقع الاصدار فى دائرتها .

ويعطى ايصال عن هذا الايداع .

مادة ٦ - لاتسرى أحكام المادتين الرابعة والخامسة على المطبوعات ذات الصفة الخاصة أو التجارية .

مادة ٧ - لايجوز لأحد أن يتولى بيع أو توزيع مطبوعات فى الطريق العام أو فى أى محل عمومى آخر ولو كان ذلك بصفة عارضة أو مؤقتة الا بعد الحصول على رخصة بذلك من وزارة الداخلية .

مادة ٨ - لايجوز لأحد أن يمارس مهنة مرتبطة بتداول مطبوعات فى الطريق العام أو فى أى محل عمومى آخر قبل أن يقيد اسمه فى المحافظة أو المديرية .

والشروط اللازمة للتصريح بهذا القيد تبين بقرار وزارى .

مادة ٩ - يجوز،محافظة على النظام العام،أن تمنع مطبوعات صادرة فى الخارج من الدخول والتداول فى مصر ،ويكون هذا المنع بقرار خاص من مجلس الوزراء .

مادة ١٠ - يجوز لمجلس الوزراء أن يمنع أيضا من التداول فى مصر المطبوعات المثيرة للشهوات ،وكذلك المطبوعات التى تتعرض للأديان تعرضا من شأنه تكدير السلم العام .

٣ - فى الأحكام الخاصة بالجرائد

مادة ١١ - يجب أن يكون لكل جريدة رئيس تحرير مسئول يشرف اشرافا

فعليا على كل محتوياتها ، أو جملة محررين مسئولين يشرف كل واحد منهم اشرافا فعليا على قسم معين من أقسامها .

مادة ١٢ - يجب أن يكون رؤساء التحرير أو المحررون المسئولون حائزين للصفات الآتية :-

(أولا) أن يكونوا مصريين، اذا كانت الجريدة تنشر كلها أو بعضها باللغة العربية .

(ثانيا) ألا تقل سنهم عن خمس وعشرين سنة ميلادية .

(ثالثا) أن يكونوا كاملى الأهلية وحسنى السمعة .

(رابعا) ألا يكون قد حكم عليهم لجناية من الجنايات العادية أو لسرقة أو اخفاء أشياء مسروقة أو نصب أو خيانة أمانة أو غدر أو رشوة أو تفالس بالتدليس أو تزوير أو استعمال أوراق مزورة أو شهادة زور أو اغراء شهود أو هتك عرض أو اغراء قصر على البغاء أو انتهاك حرمة الآداب أو حسن الاخلاق أو تشرد لجنحة ارتكبت للفرار من الخدمة العسكرية أو لشروع فى ارتكاب جريمة مما ذكر متى كان الشروع منصوصاً عليه فى القانون .

مادة ١٣ - يجب على كل من أراد أن يصدر جريدة أن يقدم اخطارا كتابيا بذلك الى المحافظة أو المديرية التى يتبعها محل الاصدار .

ويشتمل الاخطار على البيانات الآتية :

(أولا) اسم ولقب وجنسية ومحل اقامة صاحب الجريدة والمحرر أو المحررين المسئولين والناشر إن وجد .

(ثانيا) اسم الجريدة واللغة التى تنشر بها وطريقة اصدارها وعنوانها .

(ثالثا) اذا كان للجريدة مطبعة خاصة، والا فيبين اسم وعنوان المطبعة التى تطبع فيها الجريدة .

ويجب أن يوقع على الاخطار من صاحب الجريدة ومن رئيس التحرير أو المحررين المسئولين ومن الناشر ان وجد .

ويعطى ايصال عن هذا الأخطار .

مادة ١٤ - كل تغيير يطرأ على البيانات التى تضمها الاخطار يجب اعلانه للمحافظة أو المديرية كتابة قبل حدوثه بثمانية أيام على الأقل الا اذا كان هذا

التغيير طرأ على وجه غير متوقع ، فنى هذه الحالة يجب اعلانه فى ميعاد ثمانية أيام على الأكثر من تاريخ حدوثه .

مادة ١٥ - لضمان وفاء الغرامات والمصاريف التى قد يحكم بها على رئيس التحرير أو المحررين المسئولين أو صاحب الجريدة أو الناشر أو الطابع تطبيقا لأحكام هذا القانون أو تطبيقا لأحكام الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى أو الباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الاهلى يجب على الموقعين على الاخطار المنصوص عليه فى المادة ١١ إما أن يودعوا فى ميعاد ثلاثة ايام من تاريخ الاخطار تأمينا نقديا مقداره ٣٠٠ جنيه عن كل جريدة تصدر ثلاث مرات أو أكثر فى الأسبوع و ١٥٠ جنيها فى الأحوال الأخرى ، وإما أن يقدموا كفيلا يرتضيه المحافظ أو المدير .

مادة ١٦ - اذا نقص التأمين بسبب ما أخذ منه بمقتضى أحكام المادة السابقة وجب اكماله فى الخمسة الأيام التالية لانذار يعلن بالطرق الادارية الى صاحب الشأن .

وإذا أصبح الكفيل غير مقتدر وجب أن يستبدل به بالكيفية المبينة آنفا كفيل آخر يرتضيه المحافظ أو المدير .

مادة ١٧ - يجوز اصدار الجريدة فى اليوم الحادى والثلاثين من تاريخ الاخطار إلا إذا أعلن المحافظ أو المدير فى خلال هذه المدة مقدمى الاخطار كتابة بالطرق الادارية بمعارضته فى اصدار الجريدة لعدم توافر أحد الشروط المبينة فى المواد السابقة .

مادة ١٨ - اذا لم تظهر الجريدة فى بحر الثلاثة الأشهر التالية لتاريخ الاخطار أو اذا لم تصدر بانتظام فى خلال ستة أشهر اعتبر الاخطار كأنه لم يكن ويكون اثبات عدم انتظام صدور الجريدة المشار اليه فى الحالة الثانية بقرار من وزير الداخليه يعلن لصاحب الشأن .

مادة ١٩ - يجب بيان اسم صاحب الجريدة ورئيس تحريرها وكذا اسم ناشرها واسم المطبعة التى تطبع فيها اذا لم يكن لها مطبعة خاصة بها وذلك بشكل ظاهر على كل نسخة وفى أول صفحة منها .

واذا لم يكن للجريدة رئيس تحرير وكان لها عدة محررين كل منهم مسئول عن قسم خاص مما ينشر فيها يجب بيان أسماء هؤلاء المحررين بالطريقة عينها مع تعيين

القسم الذى يشرف عليه كل منهم .

مادة ٢٠ - بمجرد تداول عدد من الجريدة أو ملحق لعدد يجب أن يسلم إلى وزارة الداخلية ست نسخ مما نشر موقع عليها من رئيس التحرير أو أحد المحررين المسئولين اذا كانت الجريدة تصدر فى القاهرة وإلى المحافظة أو المديرية اذا كانت الجريدة تصدر فى مدن أخرى .

ويعطى ايصال بهذا الايداع .

مادة ٢١ - يجوز محافظة على النظام العام أن يمنع عدد معين من جريدة تصدر فى الخارج من الدخول والتداول فى مصر وذلك بقرار من وزير الداخلية .

مادة ٢٢ - الجرائد التى تصدر فى مصر بلغة أجنبية ويكون رئيس تحريرها أو محرروها المسئولون غير خاضعين للمحاكم الأهلية - يجوز محافظة على النظام العام تعطيلها بقرار خاص من مجلس الوزراء بعد انذار يوجهه اليها وزير الداخلية أو بدون انذار سابق وذلك لمدة خمسة عشر يوماً اذا كانت الجريدة تصدر ثلاث مرات أو أكثر فى الاسبوع أو لمدة شهر إذا كانت تصدر أسبوعيا أو لمدة ثلاثة شهور فى الأحوال الأخرى .

ويجوز لنفس السبب المتقدم منع تداول عدد معين من الجرائد المذكورة بقرار يصدره وزير الداخلية .

مادة ٢٣ - يجب على رئيس التحرير أو المحرر المسئول أن يدرج من غير مقابل فى أول عدد يصدر من الجريدة وفى الموضع المخصص للأخبار المهمة ماترسله اليه وزارة الداخلية من البلاغات المتعلقة بالمصلحة العامة أو الخاصة بمسائل سبق نشرها فى الجريدة المذكورة .

مادة ٢٤ - يجب على رئيس التحرير أو المحرر المسئول أن يدرج بناء على طلب ذوى الشأن تصحيح ماورد ذكره من الوقائع أو سبق نشره من التصريحات فى الجريدة ويجب أن يدرج التصحيح فى خلال الثلاثة الأيام التالية لاستلامه أو على الأكثر فى أول عدد يظهر من الجريدة فى نفس المكان وبنفس الحروف التى نشر بها المقال المطلوب تصحيحه ويكون نشر التصحيح من غير مقابل اذا لم يتجاوز ضعف المقال المذكور ، فاذا تجاوز الضعف كان للمحرر الحق فى مطالبة صاحب الشأن قبل النشر بأجرة النشر عن المقدار الزائد على أساس

تعريفة الاعلانات .

مادة ٢٥ - لايجوز الامتناع عن نشر التصحيح فى غير الأحوال الآتية :

(ا) اذا وصل التصحيح إلى الجريدة بعد شهرين من تاريخ نشر المقال الذى اقتضاه .

(ب) اذا سبق للجريدة أن صححت بنفس المعنى الوقائع أو التصريحات التى اشتمل عليها المقال المطلوب تصحيحه .

(ج) إذاكان التصحيح محرراً بلغة غير التى كتب بها المقال

(د) اذا كان فى نشر التصحيح جريمة معاقب عليها .

٤ - فى العقوبات

مادة ٢٦ - كل مخالفة لأحكام المواد ١١ و١٢و١٣ و١٤ و١٧ تكون عقوبتها الحبس لمدة لاتتجاوز ستة أشهر والغرامة من ٢٠ جنيها الى ٢٠٠ جنيه أو احدى هاتين العقوبتين فقط .

وتكون المعاقبة على دخول المطبوعات والجرائد أو تداولها أو نشرها خلافا لأحكام المواد ٩ و١٠و٢١و٢٢ بنفس العقوبات السابقة .

ويجوز أن يقضى أيضا الحكم الصادر بالعقوبة بتعطيل الجريدة لمدة ١٥ يوما إذا كانت تصدر ثلاث مرات أو أكثر فى الأسبوع أو لمدة شهر اذا كانت تصدر أسبوعيا أو لمدة سنة فى الأحوال الأخرى .

مادة ٢٧ - يعاقب بنفس العقوبات المتقدمة رئيس التحرير والمحررون المسئولون وصاحب الجريدة والطابع والناشر عند وجوده اذا استمروا على اظهار الجريدة باسمها أو باسم آخر بعد صدور القرار بتعطيلها .

ويجب أن يقضى أيضا فى هذه الحالة بتعطيل الجريدة لمدة تعادل ضعف المدة المنصوص عليها فى المادة المتقدمة وتضاف الى مدة التعطيل السابقة .

مادة ٢٨ - كل مخالفة لأحكام المادة ١٦ تكون عقوبتها الغرامة من ١٠ جنيهات الى ١٠٠ جنيه .

مادة ٢٩ - كل مخالفة أخرى لأحكام هذا القانون يعاقب عليها بغرامة لاتزيد على ١٠٠ قرش وبالحبس لمدة لاتتجاوز اسبوعا أو باحدى هاتين العقوبتين فقط .

وفى حالة الحكم بالعقوبة لمخالفة أحكام المادة الثانية يجوز للقاضى أن يحكم باقفال المطبعة .

مادة ٣٠ ـ فى حالة مخالفة أحكام المواد ٩ و ١٠ و ٢١ و ٢٢ تضبط المطبوعات أو اعداد الجريدة بصفة ادارية .

وفى حالة مخالفة أحكام المادة ١٠ يضبط أيضاً ما استعمل فى الطباعة من قوالب وأصول (كليشيهات)

ويقضى الحكم الصادر بالعقوبة بمصادرة المطبوعات المذكورة أو أعداد الجريدة أو القوالب أو الاصول (الكليشيهات)

مادة ٣١ ـ فى حالة مخالفة أحكام المواد ٤ و ٧ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٧ و ١٩ يجوز ضبط المطبوعات أو اعداد الجريدة بصفة ادارية .

ويجوز أن يقضى الحكم الصادر بالعقوبة بمصادرة هذه المطبوعات أو أعداد الجريدة

مادة ٣٢ ـ يجوز للمحكمة عند الحكم ببراءة المحرر الذى اتهم بارتكاب الجريمة المنصوص عليها فى المادة ٢٤ أو ٢٥ أن تلزمه بنشر التصحيح بالصيغة التى طلب منه نشرها أو بصيغة أخرى تعينها .

وفى حالة الحكم بالعقوبة بسبب الامتناع عن النشر وبالالزام بنشر التصحيح يجب أن يحدث النشر فى العدد الأول أو الثانى الذى يلى صدور الحكم إذا كان هذا الحكم حضوريا أو الذى يلى اعلان هذا الحكم إذا كان غيابيا ـ مهما تكن أوجه الطعن فى الحكم ـ فاذا ألغى الحكم بعد نشره جاز للمحرر أن يدرج حكم الالغاء على نفقة الخصم الذى أقيمت الدعوى بناء على طلبه .

ويجوز أيضا أن يؤمر فى الحكم الصادر بالعقوبة بأنه إذا امتنع المحرر عن تنفيذ الامر الصادر بالنشر بنشر التصحيح على نفقة المحرر فى ثلاث جرائد يعينها صاحب الشأن .

مادة ٣٣ ـ تنشر فى الجريدة الرسمية أوامر منع التداول وقرارات التعطيل والانذارات المنصوص عليها فى المواد السابقة

مادة ٣٤ ـ ينفذ مايصدر من الاحكام ومايؤمر به من التدابير الادارية بمقتضى هذا القانون بدون نظر إلى معارضة صاحب الجريدة أو المطبعة أو أى شخص آخر ذى شأن .

٥ ـ فى الاحكام الوقتية وفى النصوص الملغاة

مادة ٣٥ ـ يعطى الاشخاص الذين يمارسون المهن المبينة فى الباب الثانى ميعادا

قدره شهران من تاريخ العمل بهذا القانون للقيام بتنفيذ ما نصت عليه المواد ٢ و٣ و٧

مادة ٣٦ - يلغى قانون المطبوعات رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١

مادة ٣٧ - على وزيرى الداخلية والحقانية تنفيذ هذا المرسوم بقانون كل منهما فيما يخصه، ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

نأمر بأن يبصم هذا المرسوم بقانون بخاتم الدولة وأن ينشر فى الجريدة الرسمية وينفذ كقانون من قوانين الدولة ؟

مذكرة إيضاحية

لمشروع المرسوم بقانون بشأن المطبوعات

ان وضع المرسوم بقانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٣١ المعدل لبعض نصوص الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى والباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الأهلى اقتضى اعادة النظر فى قانون المطبوعات رقم ٩٨ سنة ١٩٣١ حتى تكون نصوصه متطابقة مع نصوص ذلك المرسوم الجديد

ان المبادىء التى تضمنها قانون سنة ١٩٣١ لم تزل مجعولة أساسا للمشروع الحالى الا انه قد عدلت بعض الاحكام التى كانت موضوعة لتطبيق تلك المبادىء تعديلا قصد به تخفيف تلك الاحكام .

فمثلا قد الغى المشروع الحالى النص الذى كان يلزم كل جريدة تظهر ثلاث مرات أو أكثر فى الاسبوع بان تكون لها مطبعة خاصة (مادة ١١ من قانون سنة ١٩٣١) كما أنه حذف من العقوبات عقوبة الغاء الجريدة وجعل التعطيل لمدة اقصر ، كما انه اضاف إلى الضمان النقدى الضمان الشخصى الذى هو اقل ارهاقا .

ولقد كان الباب الثانى من قانون سنة ١٩٣١ قاصرا على نصوص خاصة بالمطبوعات بصفة عامة دون ان يضع احكاما خاصة بالمطابع وتوزيع المطبوعات - لذلك وضع المشروع الحالى نصوصا جديدة فى الباب الثانى سدا لذلك النقص - فقد نص فى المادة الثانية على الزام كل طابع بتقديم اخطار قبل فتح المطبعة ، ولقد كان قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ كالقانون العثمانى السابق يقضى بعدم جواز فتح مطبعة الا بعد الحصول على ترخيص من الحكومة - اما المشروع الحالى فقد سن طريقة ايسر وهى طريقة الاخطار اذ انه

لما كان الطابع ملزما بتنفيذ بعض اجراءات من أخصها وضع اسمه وعنوانه على المطبوعات التى يباشر طبعها فى مطبعته كان من الضرورى ان يكون لدى الادارة المعلومات الكافية عن المطابع الموجودة حتى يتيسر لها مراقبة تنفيذ القانون، ولهذا السبب الزم الطابع الذى يتولى طبع جريدة ما بأن يخطر الادارة بذلك .

المادتان السابعة والثامنة ـ لا ينبغى الغض من الاهمية التى لعملية التوزيع بين العمليات التى تتعاقب على المطبوعات من حين تحريرها إلى حين تداولها بين الايدى اذ أن توزيع المطبوعات المحظورة هو ركن اساسى للجرائم الصحفية ـ بل قد يكون وحده كافيا احيانا لتكوين الجريمة ـ لذلك تنص قوانين المطبوعات عادة على جعل الموزعين مسئولين أسوة بالمحررين والطابعين والناشرين ـ حتى أن القانون الفرنساوى الصادر فى ٢٩ يوليه سنة ١٨٨٩ جعل بابا خاصا بلصق الاعلانات والتوزيع والبيع فى الطريق العام

والمشروع الحالى فرق بين الاشخاص الذين يتعهدون بيع المطبوعات او توزيعها وبين الاشخاص الذين يمارسون مهنة مرتبطة بتداول تلك المطبوعات على الوجه المبين بالمادة الاولى « بائعون وموزعون ولاصقون الخ » .

ولما كان المتعهدون المشار اليهم آنفا هم عادة أهم عامل فى ترويج المطبوعات، لذلك نص المشروع على الزامهم بالحصول على رخصة من وزارة الداخلية ـ وهناك علة أخرى موجبة لالزامهم بالحصول على هذا الترخيص وهى ان عملية التداول انما تباشر فى الطريق العام او اى محل عمومى

أما الاشخاص الذين يباشرون مهنة مرتبطة بتداول المطبوعات فقد لوحظ أنهم عادة محركون على عملهم من تلقاء غيرهم لا من تلقاء أنفسهم ، لذلك اكتفى المشروع بالزامهم بان يقيدوا اسماءهم بالمحافظة أو المديرية قبل ان يمارسوا تلك المهنة ـ وهذا هو ما كان مفروضا من قبل على بعضهم بمقتضى القرار الوزارى المؤرخ ٣١ يناير سنة ١٩١٥ الخاص بالباعة السريحة .

أما الشروط اللازمة لهذا القيد فقد ترك أمرها لوزير الداخلية ليصدر بها قرارا كما ترك له فرض ما يرى لزوم تطبيقه من الجزاءات التى أغفلها القانون نفسه لقلة أهميتها .

المادة ٩ ـ هذه المادة إن هى الا مضمون ماجاء بالمادتين ١٩ و ٢٩ من قانون سنة ١٩٣١ .

ومن جهة أخرى فانه لما كانت كلمة مطبوعات تشمل الجرائد طبقا لتعريفهما المبين بالمادة الاولى رؤى الاكتفاء بمادة واحدة . كما انه لما كان الاخلال بالاديان والآداب هو من اسباب الاخلال بالنظام العام لذلك رؤى الاكتفاء بعبارة النظام العام دون الاشارة إلى الاديان والآداب

المادة ١٠ ـ اخذت حكم المادة ٢٥ من قانون سنة ١٩٣١ بعد ان استبدلت بعبارة « المطبوعات المضرة بآداب الشبان » عبارة أوسع وانسب منها وهى عبارة «المطبوعات المثيرة للشهوات» .

ومن جهة أخرى فان الضمانات التى نص عليها الدستور من منع الرقابة على الصحف التى تطبع فى مصر أو وقفها والغائها بما يكفل حرية الرأى بواسطة النشر إنما وضعت لكفالة حرية الآراء السياسية فلا يجوز الاستفادة منها بالنسبة للمطبوعات المثيرة للشهوات أو التى تتعرض للاديان تعرضا من شأنه تكدير السلم العام اذ أنه من المفروض على الحكومة أن تحول على أسرع وجه دون وقوع مايترتب من النتائج على مثل تلك المطبوعات الآثمة ولهذا الغرض قضت المادة ١٠ بمنع تداولها فى مصر بقرار خاص من مجلس الوزراء .

والأحكام الواردة فى المواد ١١ الى ١٤ من الباب الخاص بالجرائد ان هى إلا نفس الأحكام الواردة فى المواد ٧ إلى ٩ من قانون سنة ١٩٣١ عدا أنه حذف من نص المادة ١٢ : (١) شرط عدم صدور حكم على رئيس التحرير أو المحررين المسئولين مرتين لجرائم من المنصوص عليها فى الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى وفى الباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الأهلى؛ (٢) شرط عدم صدور حكم عليهم بالعزل من وظائفهم أو بشطب اسمهم بقرار تأديبى لافعال ماسة بشرفهم أو سلوكهم ؛ (٣) شرط ألا يكونوا من أعضاء البرلمان .

وأما المادة ١٣ فلم تدخل على طريقة الاخطار سوى بعض تعديلات لاتحتاج إلى شرح .

هذا وقد كان قانون سنة ١٩٣١ يشترط عند تقديم الاخطار ايداع تأمين مقداره ٣٠٠ جنيه أو ١٥٠ جنيها حسب الأحوال .

ونظراً لأن هذا الشرط كان مرهقا فى بعض الأحوال (وبخاصة بالنسبة للجرائد الدورية من علمية وأدبية) فقد رأى المشروع ـ مع ابقائه ـ أن يضيف اليه شرطا آخر

أيسر منه وهو شرط تقديم كفيل يرتضيه المحافظ أو المدير حتى يصبح لذوى الشأن الخيار بين ما يلائمهم من احد هذين الشرطين

ويقضى المشروع بوجوب ايداع التأمين النقدى أو تقديم الكفيل فى ميعاد ثلاثة أيام من تاريخ الاخطار دون أن ينص على الجزاء الذى يترتب على مخالفة ذلك اكتفاء بما خول للمحافظ أو المدير فى المادة ١٧ من حق المعارضة فى اصدار الجريدة فى خلال الشهر التالى لتاريخ الاخطار .

وقد اعتبر الاخطار صحيحا قانونا إذا لم تبد فى خلال الشهر التالى لتاريخ تقديمه معارضة من جانب السلطة المختصة ومن ثم يصبح اصدار الجريدة جائزاً .

على أنه فى حالة عدم ظهور الجريدة لايجوز اعتبار الاخطار قائماً إلى غير أجل ولذلك حذا المشروع حذو قانون سنة ١٩٣١ فى الماده ١٣ منه بأن نص على أنه اذا لم تظهر الجريدة فى بحر الثلاثة الاشهر التالية لتاريخ الاخطار اعتبر الاخطار كان لم يكن، وكذلك رؤى من الضرورى أن توضع أحكام لحالة عدم انتظام صدور الجريدة أى الحالة التى تصدر فيها فى تواريخ أو مواعيد مخالفة للبيانات المدونة فى الاخطار إلا أنه لوحظ أنه من المتعذر معاقبة هذه الحالة بالغاء الاخطار لمجرد عدم الانتظام كما هو الحال فى عدم الظهور الذى هو من الوقائع الممكن اثباتها بسهولة.

فتلافيا لكل خلاف اشترط القانون صدور قرار من السلطة المختصة باثبات عدم انتظام صدور الجريدة واعلانه لصاحب الشأن . ولو أنه لم توضع عقوبة للمخالفة فى الحالتين المذكورتين إلا أن اصدار الجريدة بعد الثلاثة الشهور أو بعد اعلان قرار وزير الداخلية يعتبر فى حكم اصدارها بغير اخطار أصلا، وظاهر أنه على مقتضى حكم المادة ١٨ المشتملة على هاتين الحالتين يترتب على إلغاء الاخطار رد مبلغ التأمين أو ابراء ذمة الكفيل

أما المواد الباقية من هذا الباب فانها أخذت من المواد ١٥ إلى ٢٣ من قانون سنة ١٩٣١ مع بعض التعديل فى الجزئيات وفى ترتيب الوضع على الوجه الذى اقتضاه المنطق ومع اخراج المادة ١٨ من هذا الترتيب ووضعها تحت « باب العقوبات » مع ما وضع تحته من الجزاءات الأخرى .

وقد ألغى المشروع فى باب العقوبات المذكورة عقوبة الغاء الجريدة التى كان منصوصا عليها فى المادة ١٤ من قانون سنة ١٩٣١ وجعل عقوبة التعطيل لمدد أقصر

طبقا للقواعد التى أخذ بها القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٥ كما أنه ألغى عقوبة اقفال المطبعة التى كانت جزاء لمخالفة الأحكام الخاصة برؤساء التحرير أو المحررين المسئولين أو باصدار الجريدة بدون اخطار أو بناء على اخطار غير صحيح . ولم تبق هذه العقوبة إلا فى حالة فتح المطبعة بدون اخطار (ماده ٣٢) اذ أنه توجد مطابع سرية يتعين بسببها تخويل الحكم بالاقفال . لذلك جعلت هذه العقوبة اختيارية مما يجعل للقاضى سلطة واسعة فى تقدير ظروف الحال فيتسنى له تطبيق هذه العقوبة عند الاقتضاء

وبعد أن كان قانون سنة ١٩٣١ يقضى فى حالة الاخلال بأحكام الكفالة بعقوبة الحبس لمدة قد تصل إلى ستة أشهر وبالغرامة من ٢٠ جنيها إلى ٢٠٠ جنيه اكتفى المشروع بأن تكون العقوبة مالية فقط من ١٠ جنيهات إلى ١٠٠ جنيه حتى يكون الجزاء من نوع الجريمة

وأخيرا فانه بدلا مما كان يقضى به قانون سنة ١٩٣١ من ضبط أدوات الطباعة فى كثير من الأحوال حتى فى أحوال مخالفة الاحكام المتعلقة بالمسائل الادارية جعل المشروع هذا الضبط قاصرا على القوالب والأصول « الكليشيهات » التى استعملت فى الطباعة كما جعله قاصراً على المطبوعات المثيرة للشهوات أو المخلة للآداب

أما مصادرة المطبوعات أو أعداد الجريدة أو القوالب أو الاصول فقد جعلت من اختصاص القاضى وحده .

لهذا تتشرف وزارة الداخلية بعرض مشروع القانون المرافق لهذه المذكرة على هيئة مجلس الوزراء لكى يتفضل عند الموافقة برفعه إلى الاعتاب السنية للتصديق عليه .

* * *

قانون نظام المحكوم عليهم فى جرائم الصحافة

ثم صدر فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢١ لسنة ١٩٣٦ بشأن نظام المحكوم عليهم فى جرائم الصحافة ، بأن جعل عقوبة الحبس البسيط ، او الحبس مع الشغل ، عن طريق فصل المحكوم عليهم بالحبس

عن بقية المسجونين ، وبافراد غرفة خاصة لكل منهم ، مع الترخيص باجتماع بعضهم مع بعض فى اوقات معينة ، وبمنحهم بعض المزايا ، كالاعفاء من الشغل ، والاطلاع على الصحف .

وهذا نص المرسوم و مذكرته التفسيرية :

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ١١٨ لسنة ١٩٣٥ ؛

وبناء على ماعرضه علينا وزير الداخلية بالاتفاق مع وزير الحقانية ، وموافقة رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ ـ تنفذ عقوبة الحبس البسيط أو الحبس مع الشغل المحكوم بها فى الجنح التى ترتكب باحدى طرق العلانية المنصوص عليها فى المادة ١٤٨ من قانون العقوبات فى أماكن مستقلة عن الأماكن المخصصة للمسجونين الاخرين وتفرد لكل محكوم عليه غرفة خاصة تجهز بالطريقة التى يحددها قرار من وزير الداخلية.

الأشخاص المحكوم عليهم بهذه العقوبة ينتفعون بالمعاملة الخاصة التى ينتفع بها المحبوسون احتياطيا بمقتضى المواد ٥١ و٥٤ و٥٥ و٥٧ (ثالثا) من مرسوم ٩ فبراير سنة ١٩٠١ بشأن لائحة السجون ويجوز لهؤلاء الأشخاص الاشتغال مع من يوجد معهم فى السجن من المحكوم عليهم من أمثالهم وكذلك مؤاكلتهم والتريض معهم طبقا للشروط التى تحددها اللائحة الداخلية ومع عدم الاخلال بما يرى اتخاذه من التدابير اذا أسيء استعمال هذه المزايا أو اذا قضت بذلك ضرورة النظام

مادة ٢ ـ فى حالة الحكم بالحبس مع الشغل يشتغل المحكوم عليهم داخل السجن فقط ويراعى فى اختيار نوع الشغل الذى يفرض عليهم عوائدهم وحالة معيشتهم .

مادة ٣ ـ يطبق على المسجونين المشار اليهم آنفا أحكام لائحة السجون الا ما تعارض منها مع المزايا المذكورة فى المادتين السابقتين

ومع ذلك فعلى الوزير أن يستبدل بالجزاءات المنصوص عليها فى المادة ٧٥ من لائحة السجون الحرمان من تلك المزايا كلها أو بعضها لمدة لاتتجاوز ستة أشهر مالم تكن ظروف الحال من الخطورة بحيث لاتسوغ ذلك

مادة ٤ ـــ يجوز للمحكمة بسبب ظروف الجريمة أن تأمر فى الحكم الصادر

بالعقوبة بعدم تطبيق الأحكام المقررة بهذا القانون

مادة ٥ — لوزير الداخلية بالاتفاق مع وزير الحقانية أن يمنح المزايا المنصوص عليها فى هذا القانون كلها أو بعضها لكل شخص حكم عليه من أجل جناية ارتكبت باحدى طرق العلانية المنصوص عليها فى المادة ١٤٨ من قانون العقوبات

مادة ٦ — على وزيرى الداخلية والحقانية تنفيذ هذا القانون كل فيما يخصه، ويعمل به بمجرد نشره فى الجريدة الرسمية

نأمر بأن يبصم هذا المرسوم بقانون بخاتم الدولة وأن ينشر فى الجريدة الرسمية وينفذ كقانون من قوانين الدولة

مذكرة تفسيرية

عنى كثير من الدول بتوفير نظام خاص بالمسجونين المحكوم عليهم بسبب الجرائم السياسية أو جرائم الصحافة والرأى

والنظام الذى يقرره هذا المرسوم بقانون يقضى بفصل المحكوم عليهم فى جرائم الصحافة عن بقية المسجونين الآخرين وبافراد غرفة خاصة بكل منهم مع الترخيص لهم بالاجتماع ببعضهم البعض فى أوقات معينة

وهذا النظام ـ فضلا عما يقرره من تلطيف للنظام العادى للسجون كالترخيص بالمراسلة والزيارة مرة فى كل أسبوع واستحضار الأغذية من الخارج ـ يقضى ببعض المزايا كالاعفاء من الشغل واستحضار الجرائد وغيرها من وسائل الترويح عن النفس (المادة الأولى) كما أن الغرف التى تخصص لهؤلاء المحكوم عليهم سوف تجهز بحيث تكون أروح لهم من الغرف المعتادة وذلك طبقا لانموذج يحدده قرار من وزير الداخلية

وفيما عدا ذلك تطبق أحكام لائحة السجون على هؤلاء الاشخاص ، على أنهم إذا ارتكبوا جريمة من الجرائم المذكورة فى المادة ٧٥ من لائحة السجون (الهيجان والاعمال الاعتسافية والهروب) فيستبدل بالجزاءات المذكورة فى هذه المادة الحرمان من هذه المزايا كلها أو بعضها لمدة لا تتجاوز ستة أشهر ،وهذا الحرمان لا يقضى به غير وزير الداخلية وينبغى أن يقضى به ما لم تكن ظروف الحال من الخطورة بحيث لا تسوغ ذلك فيأمر بتطبيق الجزاءات المنصوص عليها فى المادة ٧٥ من لائحة السجون

وهذا النظام المقترح يطبق على الاشخاص المحكوم عليهم بالحبس فى الجنح التى ترتكب باحدى طرق العلانية المنصوص عليها فى المادة ١٤٨ من قانون العقوبات . على أنه يجوز بسط هذا التطبيق على الاشخاص المحكوم عليهم فى جناية ارتكبت باحدى طرق العلانية المشار اليها (المادة ٥ من المشروع والمواد ١٤٨ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٦ من قانون العقوبات)

ولئن صح أن المسلم به عادة هو قصر الانتفاع بنظام خاص للعقوبة على جرائم الرأى دون غيرها وأن الجريمة الصحفية ليست ملازمة حتما لجريمة الرأى إلا أن الواقع أن جرائم الصحف تكون غالبا من جرائم الرأى

حقيقة أنه قد يكون من بين هذه الجرائم مالا يتضمن التعبير عن رأى معين كنشر المرافعات القضائية المحظور نشرها ؛ على أنه حتى فى هذه الاحوال قد يكون هناك من الاعتبارات مايجعل تطبيق نظام السجن العادى أقسى على المحكوم عليهم فى هذه الجرائم منه على المجرمين العاديين ، إذ قد لايكون غير الاندفاع الطائش وراء مقتضيات المهنة سببا فى الوقوع تحت طائلة العقاب ، كما أن المركز الاجتماعى لهؤلاء الاشخاص وظروف معيشتهم مما يجعل الجمع بينهم وبين المجرمين العاديين فى نظام السجن تصرفا قاسيا

وعلى النقيض من ذلك فقد ترتكب بطريق الصحف جرائم هى فى موضوعها أشبه بالجرائم العادية نظراً لما تنطوى عليه من دوافع مرذولة كما هو الحال فى نشر الكتب المثيرة للشهوات مما يمكن أن يدخل فى حكم المادة ١٥٥ من قانون العقوبات أو كما هو الحال فى القذف فى حق الاسر وفى غير ذلك من الجرائم التى وإن عدت من جرائم الرأى لاتدعو لما فيها من مظاهر الاستهتار بالقانون ومن إطلاق لمرذول الغرائز إلى التخفيف والتلطيف عند تنفيذ العقوبة

من أجل ذلك يخول المشروع للمحكمة أن تقضى أحياناً بعدم تطبيق مايوجب أن يكون قضاؤها فى ذلك مستنداً إلى الظروف الخاصة بالجريمة. ومؤدى هذا أن يخرج من حساب التقدير كل ظرف خاص بشخص الفاعل اللهم إلا الظروف المتعلقة بالركن الادبى للجريمة

وبهذا يصبح تطبيق هذا النص فى مأمن من التقدير المبنى على مجرد الرأى

لهذا تتشرف وزارة الداخلية بعرض مشروع القانون المرافق لهذه المذكرة على هيئة مجلس الوزراء لكى يتفضل عند الموافقة برفعه الى الأعتاب السنية للتصديق عليه .

ثم اتجه حفظه الله إلى ترقية الصحافة ، وتثقيف المشتغلين بها ، فأقام لرجال الصحافة وأهل الرأى حفلة شاى بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية مساء يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٣٦ ، وألقى خطابا قيما عن رأيه فى الصحافة ، وشرف مهنتها ، وأثرها فى تكوين الخلق السياسى ، ونشر الثقافة ، ثم أعلن عن افتتاح موسم للمحاضرات الصحفية ، التى اعتبرها مقامه الرفيع نواة لانشاء قسم للصحافة فى الجامعة المصرية .

وهاهو نص الخطاب :

سادتى الاعزاء

أحييكم ، وأرحب بكم ، وأحمد الله اليكم ، لهذه الفرصة السعيدة حقا ، التى أترقبها فى ميل صادق ، منذ أمد طويل ، لما أحمله لرجال الصحافة ، خدام مصر العاملين ، من تقدير واجلال ، ولما أؤمله من معاونتكم الميمونة المباركة من خدمات ، بنائية انشائية ، وثقافية تجديدية ، لوطننا العزيز ،

ويحلو لى أن تتاح فرصة الاجتماع بحضراتكم لنتصل بعضنا بعضا ، لتبادل الرأى فى مختلف شؤوننا الاجتماعية . مادامت الظروف الحاضرة ، والتقاليد السياسية ، تقضى - للمصلحة العامة - بترك الاحاديث السياسية الخارجية ، المتعلقة بالمباحثات الراهنة فى طى الكتمان ، ويسرنى دائما ان أفضى اليكم بكل شىء ، من حقكم أن تقفوا عليه ، لتمكينكم من الاضطلاع بالمسؤوليات الكبرى التى تحملونها ، ولأداء مافى أعناقكم من رسالات اصلاحية (تصفيق)

أرحب بكم ناقدين مستفسرين ، وأرحب بكم من كرام الكاتبين

المصلحين، ذلك لأنني ممن يرون في الصحافة الرشيدة برلمانا حرا لتصوير المطالب الأهلية العامة (تصفيق)، برلمانا حرا لتبيان ما يجيش في صدور المصلحين المفكرين والباحثين الجريئين، من آراء ومقترحات، وانتقادات وتوجيهات، وكم تحتاج شتى مقومات استقلالنا، بل كم تتطلب أداتنا الحكومية ومجالسنا النيابية إلى صوت الصحافة الرشيدة، ليدعم حقا، وينير أفقا، ويذيع واجبا، ويثبت نفعا، ويصلح أمرا. (تصفيق)

ليس من شك أيها السادة ان الهيئة الحاكمة تستفيد دواما من جهودكم الموفقة، وناضج بحوثكم، ومتتابع نشاطكم الشيء الكثير، لتتمشى وما لهذا الجيل من تعدد مطالب، ومختلف أساليب من ضروب التجديد المنشود، لتسير البلاد في شتى مرافقها الحيوية، وآمالها القومية، جنبا إلى جنب، مع وثبات القرن العشرين، في غير عنف، ولكن في غير جمود، بل في جرأة المؤمن، واتئاد الحكيم، وشجاعة رجل المبدأ والعقيدة، ويقين المصري الوطني المستنير وسداد المصلح العملي البصير. (تصفيق)

الواقع أيها السادة أنكم على حق، حينما ينادي مناديكم: إن الوطن في حاجة ماسة إلى شتى نواحي الاصلاح، وأظنني على حق أيضا، إذا ما أهبت بكم - وانتم العدة الصالحة في نجاح كل اصلاح - إلى التضامن والتآزر، على رفع مستوى هذه الصناعة الشريفة، إلى مكانتها السامية، الخليقة بجليل خدماتها، المتفقة مع نبيل غاياتها.

وأظنني على حق إذا ما لجأت إلى عناصركم الكريمة الرشيدة، المؤمنة معنا جميعا، بما لصناعتكم الشريفة من حرمة وكرامة (تصفيق)

وبما يجب على المتشرف بالانتساب اليها من استمساك بأخلاق الرجولة ، والجرأة والصدق ، وحمل الأمانة ، ونبالة القصد ، وتحرى الصواب ، وإقامة المعوج ، واليقظة الساهرة فى استقصاء ماينفع الوطن، بالعمل الطيب ، والأثر الطيب ، والقول الطيب «تصفيق»

وأرجو أن تتأكدوا من استعداد الحكومة دائما لتلبية المطالب، التى يكون من وراء الأخذ بها اطراد تقدم الصحافة فى مصر ، لتكون صحافتنا مدرسة ثقافية تعليمية لجميع أفراد الشعب ، لتحققوا غايتكم النبيلة فى تكوين رأى عام مصرى منصف ، متزن مستنير ، وحسن توجيهه فيما فيه الخير لمصر ولجميع سكان مصر ، من أجانب ووطنيين ، بل وللانسانية جميعاً (تصفيق)

سادتى الأعزاء

شىء آخر أحب أن تذكروه حضراتكم جميعا ، وأن تذكروه جيداً، وأحب أن يكون لنا سويا بمثابة شعار ودستور ، لنعمل معا فى عقيدة وإيمان على تحقيقه ، وتحقيقه دائما أبدا ؛ ذلك أننا جميعا ـ حكومة وصحافة، نوابا وشعبا، حاكمين ومحكومين ـ أبناء أسرة واحدة يكمل بعضنا بعضا، وتكاد تكون مأموريتنا الانشائية واحدة أيضا .

ولست أشك أنكم ترون معى أن الوطن في أمس الحاجة الى تكاتف المصلحين، تكاتفا اتاجيا، فى تضحية ، ونكران ذات ، فى عدم تغال وانتقاص رأى ، وفى افساح مجال لأصحاب المواهب والكفايات، للادلاء بما يريدون وبما يؤمنون (تصفيق)

الواقع أيها السادة أن وجوه الاصلاح عديدة ، وحاجات البلاد عديدة ، وواجبات كل منا عديدة ، وانى لأعتقد انه إذا رسم كل قادر

منا خطته فى حدود تلك الدائرة المقدسة - دائرة أداء الواجب - جاعلين الهدف دائما اعلاء كلمة مصر ، وكلمة الحق عن مصر ، لأجل مصر ، وفى سبيل مصر (تصفيق حاد)

أعتقد أيها السادة اننا اذا مافعلنا ذلك ، فسنصل - بفضل تعاوننا - إلى تحقيق شيء غير قليل من خير مطرد لهذا الوطن .

والآن أيها السادة الاجلاء ، وقد تفضل كرام شيوخكم ، وأصحاب الرأى من رجالاتكم ، بأن يساهموا فى إلقاء بعض المحاضرات ، بما أصابوا من خبرة ومران ، وما نالوا من علم وعرفان ، إيذانا بروح التعاون والتضامن ، فانه مما يملأنى غبطة وابتهاجا ، أن أفتتح فى هذا اليوم المبارك الميمون - يوم عيد رأس السنة الهجرية - باسم الله الواحد الاحد ، وباسم حكومة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك حفظه الله ، رمز الحريات ، وأمل الوطن ، وخادمه الأكبر (تصفيق حاد) ، وباسم الصحافة الكريمة ، أفتتح موسم المحاضرات الصحفية ، التى سيتلوها قريبا باذن الله وتآزر الجميع ، افتتاح قسم ليلى للصحافة فى كلية الآداب بالجامعة المصرية (تصفيق حاد)

ولا يفوتنى فى هذا الاجتماع - مادمنا فى صدد الشؤون الصحفية - أن أشكر لحضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة رؤساء وأعضاء لجان التحكيم فى المباراة الصحفية : تفضلهم بقبول هذه الخدمة الثقافية العامة .

رعاكم الله جميعا ، وحياكم ، بقدر رعايتكم لما فيه حياة وطنكم ، وبارك الله فيكم ، بقدر عنايتكم بما فيه اليمن والخير والبركة لبلادكم .

والسلام عليكم رحمة الله (تصفيق حاد)

ثم أعلن حضرة الأستاذ محمود عزمى أسماء شيوخ الصحافة الذين سيلقون كلمتها ،

وكان أولهم حضرة العلامة الجليل الدكتور فارس نمر باشا ، فاستهل كلامه بأن قال :

إن الصحفيين يعترفون بأنكم أول وزير تقدم لخدمة الصحافة .

وبعد أن أشار إلى أن المغفور له السلطان حسين كان يعطف على الصحافة ، ويعمل على إنصافها ، قال :

وإن الدرر التى سمعناها من دولتكم فى وصف الصحافة وتقديرها قدرها لما يعين الصحافة على القيام بالمهمة الملقاة على كاهلها .

لهذا كله نقول : لبيك يادولة الوزير ، فان الصحافة ستفعل كل ما تستطيع ، حتى تقوم بالواجبات المفروضة عليها فى خدمة هذا الوطن العزيز .

على أننى لا أريد أن آخذ من وقتكم الثمين أكثر مما أخذت ، فأكتفى بأن أقول : إن الغرض الذى يجب أن ترمى اليه الصحافة هو أن تكون صناعة شريفة ، تقوم بواجبات شريفة ، لا أن تكون تجارة .

واختتم الدكتور كلمته بأن أشار إلى ما قاله دولة على ماهر باشا ، من وجوب تعاون الحكومة والأمة على العمل لغاية واحدة .

ثم قال : وإنى أرجو الله أن يحقق آمال دولتكم .

* * *

ثم تكلم حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير عبد القادر حمزة باشا ، فقال :

إنه منذ ثلاث وستين سنة لم تكن مصر قد عرفت من الصحافة

العربية غير جريدة واحدة ، وهى « الوقائع المصرية »، التى أسسها المغفور له محمد على باشا قبل ذلك بثلاث وثلاثين سنة ، فلما جاء المغفور له اسماعيل باشا ، بدت فى البلاد تباشير حركة فكرية قوية ، فلم تمض سنتان حتى صدرت أول جريدة أهلية مصرية هي « اليعسوب »، ثم توالت الصحف حتى زاد عدد ماصدر منها فى ١٢ سنة على ١٥ صحيفة .

إذن فى عهـد الخديوى اسماعيل باشا والد جلالة الملك الحالى ، والآن فى عهد جلالة الملك فؤاد الأول تخطو الصحافة فى هذا السبيل خطوة واسعة ، فتفك عنها القيود، ويسن لها قانون خاص بمعاملة المحكوم عليهم ، وقد لا تمضى أيام حتى تعترف الحكومة بهيئة تمثلها .

وما دمنا قد ذكرنا الخطوات التى خطتها الصحافة الآن ، فلنذكر أن دولة على ماهر باشا عرف كيف يحقق بحزم وعزم رغبات جلالة الملك فى النهوض بالصحافة ، و فعل فى أيام قليلة مالا يفعله غيره فى سنين .

ثم قال : إن الصحافة أدت واجبها كاملا منذ ٤٠ سنة أو أكثر ـ رغم أنها لم تجد من الحكومات غير تشجيع قليل ، بل كانت تجد عكس ذلك أحيانا ـ فاليوم وصاحب الجلالة الملك يوجه إليها تشجيعه، ووزيره ينفذ هذا التشجيع ، لا يرتاب إنسان فى أنهما سيضعان الشىء فى موضعه ، ويزرعان نباتا صالحا، ولا يسع الصحافة إلا أن تسدى للملك والوزير شكرها الخالص ، ولهما عند الله والوطن جزاء ماقدما من خير .

* * *

ثم ألقى حضرة الفاضل الأستاذ حسين فتوح بك ـ رئيس تحرير كوكب الشرق إذ ذاك ـ كلمة حضرة الأستاذ أحمد حافظ عوض بك ، الذى لم

يتمكن من حضور الحفلة لأسباب صحية ، وقد قال فيها : إن هذه الحفلة فى نظرى أول اعتراف ، وتكريم وتقدير من جانب الحكومة القائمة للصحافة ورجالها ، بعد أن طال العهد بين الحكام والصحافيين على الشكوك وسوء الظنون ، وضآلة التقدير والاحترام من جانب الحكام للصحفيين الذين كرسوا حياتهم لخدمة وطنهم من طريق هذه الصناعة ، ولقوا فى سبيل ذلك من عنت وقلة تقدير وسوء معاملة ، بل واضطهاد ،مصحوبا ذلك كله بأذى فى كل مايتصل بحياتهم ومعاشهم ، وتضييق دائرة نجاحهم ، حتى لم نر جمعا كبيرا من الصحفيين المصريين الذين عرفناهم ولحقوا بجوار ربهم من تركوا لأولادهم من بعدهم مالا أو معاشا ، كالذى يتركه أندادهم فى الذكاء والمقدرة والنبوغ ممن سهلت لهم سبل الحياة فى وظائف الحكومة أو غيرها من المهن الحرة الأخرى.

والمتقــدم اليوم براية الاعتراف بهـذا الحق المهضوم ، فى جميع ماتقدم من الأعوام ، هو ذلك البطل الذى يدوس أشواك سوء الظنون ، ويتخطى أسوار الخلافات ، ويمد يده ومعونته ، وهو فى مركزه العالى ، لرجال هذه المهنة فى جهادهم ونضالهم ، ولا أكون مبالغا إذا قلت : وفي إفناء حياتهم كيما يقوموا بواجباتهم ، صاحب هذه اليد الجريئة البيضاء ، وهذه الهمة الغريبة النادرة القعساء ، هو رئيس الوزارة الحاضرة على ماهر باشا ، ولا غرابة فى أن يكون أول رافع لهذا العلم فى وسط هذا المعترك المتناقض المصالح والأهواء ،فتى من فتيان هذه النهضة الحديثة ، التى له فيها تاريخ مشكور ، وفضل معروف غير منكور - ولقد كان من الطبيعى ، وأنتم ترون اهتمامى بتقدير هذا الاجتماع ،أن يسوءنى ،ويؤلمنى أكثر من إساءة المرض وألمه،أننى لم أستطع شهود هذا الاجتماع التاريخى ، الذى أرجو أن ينمو خيره ، ويظهر أثره ويكثر ثمره - إن من أول

وألزم مايلزم لهذه الصحافة المصرية ، لتؤدى واجبها على تمام الكمال ، هو أن تكون مستقله بمواردها ، وقوية بنفسها ، لترفع شعلة الحق ، ولتنير بها طريق الأمة غير محتاجة لتمليق الدهماء .

* * *

وبعد أن انتهى الأستاذ حسين فتوح بك من إلقاء هذه الكلمة ، أشار إلى موقف صاحب الدولة على ماهر باشا فى لجنة الدستور سنة ١٩٢٢ - وكان يومئذ صاحب العزة على ماهر بك - فى الحرص على حرية الصحافة ونضاله فى هذا السبيل ، وأن الفضل يرجع اليه فى المبدأ الذى ينص على أن الصحافة حرة فى حدود القانون

* * *

ثم صعد المنبر شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران بك (بعد أن قدمه حضرة الدكتور محمود عزمى بعبارة لطيفة قال فيها : إنه يقدمه إلى الحاضرين لأنه صحفى ولو كره) فألقى قصيدة من شعره الجزل الرصين، كانت تقاطع أبياتها بالتصفيق والاستحسان ، وها هى :

لك فى ارتجال جلائل الهمم ما عز لو نبغيه فى الكلم
حتى كأن نجاز موعدها بعض العهود عليك والذمم
ولقد تبيت مبرحا بك من ألم ولا تشكو من الألم
وسواك يسئمه الكفاح وما بك فى كفاح الدهر من سأم
لله ما أحدثت من غرر طاب الحديث بها لكل فم
أضحت صحافتنا تتيه على أخواتها فى أرفع الأمم
أيدتها تأييد ذى ثقة من نفسه بالحق معتصم
كم خاف صولتها فغللها باغ إلى أن باء فى ندم
ذات الجلالة ليس ضائرها مر السحاب وظل محتكم

تاريخها فى مصر مذ نشأت تاريخ جهد غير منفصم
أفدح بما عانتــه صابرة من مرهق المثلات والنقم
هى نورت أذهان أمتها إذ كانت الأذهان فى ظلم
هي أيقظتها بعد طول مدى من هجعة كانت بلا حلم
هى علمتها ماالحيــاة وما يوحيه مجد النيــل والهرم
هى باليراعة والصحيفة قد أغنت غناء السيف والعلم
فاليوم أنصفها وأيدها علم ، رعاه الله من علم
قمن بأن تعتز دولتــه وبأن يلقب ناصر القلم
شرفا على هما فئت على عهد الشجاعة فيك والشمم
لاتطرق الاصلاح عن عرض بل تطرق الاصلاح من أمم
أعددت للدستور عدته ولواحظ الأحقاد لم تنم
عجلا إلى الغايات تطلبها بمضاء لا وان ولا برم
حرم لعزة مصر ترفعــه وأساســه متخضل بدم
لن يبلغ الصياد مأربه ممن يلوذ بذلك الحرم
الداخلية دوحة هرمت وذوت نضارتها على الهرم
جددتها والخير أجمع فى تجديد ما أعيى من القــدم
فضمنت صحتها مشذبة وأزلت ما استعصى من السقم

* * *

اجعل ثقاتك للقرى حكما وابسط مجال البت للحكم
قدس القضاء رجعت فيه إلى ذكر العليم وخبرة الفهم
تبغى صيانته وترفعــه شأنا الى العليــا من القمم
لا تبق فى نفس به اضطلعت من حاجة تعدل وتستقم
كشف المظالم لا يرام إذا مارمته من كف مهتضم

تلك القوانين التى افترقت — فى كل شعب غير ملتئم
شئت التئام شعابها ولما — تبغيـــه سر غير مكتتم
بل حكمة أن يستشف مدى — غاياتها من أبلغ الحكم
قلم الاستقلال مدرجـــة — هى وحدة التشريع والنظم

* * *

نعم المولى والزمان رضا — هـــذا الأبى الطاهر الشيم
لبق بلا مذق ولا ملق — سمح بلا ريب ولا تهم
إن تندبه تجده منتدبا — أبدا لكل مبرة عمم
أو تدعه للرأى تلف له — فيـــه جلاء الصارم الخذم
عجز البيان وقد هممت به — عن أن يحيط بذلك العظم
هيهات يبلغنى المرام وما — أنأى مناط الشمس أن يرم

* * *

شكر الصحافة

ولقد رأت الصحافة أن تشكر لمقامه الرفيع ما أظهره من الاعتراف بحقوقها، والعناية بأمرها، فتألف لهذا الغرض وفد من حضرات أصحاب السعادة والعزة الأساتذة الدكتور فارس نمر باشا وعبد القادر حمزة باشا وانطون الجميل بك وحافظ عوض بك وعبد الرحمن فهمى بك(١)، فقابلوا مقامه الرفيع صباح الاثنين ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦ فى رياسة مجلس الوزراء، وأعربوا له عن شكر الصحافة، وتحدثوا معه فى القانون الذى تنتظره، للاعتراف بهيئة تمثلها، فأعلنهم أنه محل عناية، وأنه سيصدر إن شاء الله قريبا، وقال: إنه يستصوب أن تكون الخطوة التى تخطى الآن فى هذا السبيل تمهيدا لخطوة ثانية تستكمل فيها الهيئة الممثلة للصحافة

(١) كان يرأس تحرير جريدة «روز اليوسف» اليومية إذ ذاك

كل سلطتها ، فوافقه الوفد على ذلك شاكرا مقدرا ، ثم دعوه الى حفلة شاى يقيمونها لمقامه الرفيع ، اعترافا بفضله ؛ فاعتذر قائلا : إنه لم يفعل للصحافة شيئا سوى أن أعطاها حقها ، باعتبار أنها جزء من كل يجب أن تتعاون أجزاؤه جميعا ، ليتحقق النجاح للعاملين والخير للبلاد ،

فقال الوفد: ولكن الصحفيين يعتبرون أنفسهم مقصرين، إذا هم لم يكرموا الرجل الذى أعطى للصحافة هذا الحق ، فقال : إنه حينئذ يقبل الدعوة، حتى لا تكون عندكم شبهة التقصير .

وترك الوفد لمقامه الرفيع تحديد اليوم الذى تقام فيه الحفلة، ولكن توالى الحوادث السياسية ، ثم وفاة المغفور له جلالة الملك فؤاد ، لم تدع لمقامه الرفيع وقتا لهذه الحفلة .

* * *

المحاضرات الصحفية:

ألقيت تسع محاضرات صحفية (١) بدار الجمعية الجغرافية الملكية من حضرات الأساتذة عبد القادر حمزة باشا ، وأمين سعيد ، والدكتور محمود عزمى ، وأميل زيدان بك ، وأنطون الجميل بك ، وسليمان فوزى ، وفؤاد صروف ، ومحمد مسعود بك ، وحسين شفيق المصرى ؛ وكانت دار الجمعية تحفل بجمهور من رجال الأدب والقلم والكبراء ، يتقدمهم حضرات أصحاب السعادة أحمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة المصرية ، وأحمد مختار حجازى باشا (وكيل الداخلية اذ ذاك) ، والدكتور منصور فهمى بك عميد كلية الآداب وقتئذ ومدير دار الكتب الملكية الآن ، ورؤساء تحرير الصحف ومحرريها من الرجال والسيدات ، وعدد غير قليل من طلبة العلم، لسماع المحاضرات .

---

(١) نشرت التسع المحاضرات فى نهاية قسم الصحافة

وكانت آخر محاضرة مساء ٧ مايو سنة ١٩٣٦ ، ثم أوقفت المحاضرات عقب استقالة الوزارة .

* * *

تدريس الصحافة فى الجامعة المصرية

وبلغ من عناية مقامه الرفيع برفع مستوى الصحافة ، والعمل على ترقيتها ، وتمكينها من أداء رسالتها الاجتماعية والثقافية والسياسية فى البلاد ، أن اهتم حفظه الله بتحقيق ما وعد به فى حفلة افتتاح موسم المحاضرات الصحفية ، وهو إعداد قسم ليلى للصحافة فى كليـة الآداب بالجامعة المصرية ، وقد أعد - بأمر من مقامه الرفيـع وبارشاده - برنامج أولى لمشروعى مدرسة الصحافة والمحاضرات الصحفية ، ثم أرسل إلى وزارة المعارف لدرسه ، والعمل على تنفيذه .

وهذا هو البرنامج :

الغرض الثقافى العام

كل برنامج يعد لمدرسة الصحافة يجب أن يشمل على ناحيتين من الدراسة :

الأولى - دراسة ثقافية عامة فى الفنون والعلوم .

الثانية - دراسة فنية خاصة بأساليب الصحافة ونواحيها .

والغرض العام هو تخريج شبان وشابات على جانب واف من الثقافة يمكنهم من :

(١) فهم ما يحدث فى بلادهم وخارجها فهما دقيقا وتقديمه لقراء صحفهم فى أسلوب سائغ (٢) تجهيزهم بما يلزم من المعرفة لتنظيم ادارات الصحف وتدبير شؤونها العملية والمالية .

الناحية الثقافية

اللغات الحية :

المشتغل بالصحافة فى مصر يحتاج إلى اجادة لغة واحدة على الأقل من اللغات الحية ، ويحسن أن تكون الانجليزية أو الفرنسية ، مع الالمام بلغة أخرى . فالصحافة العربية تعتمد - فى جانب غير يسير من موادها - على النقل من اللغات الأوربية وخاصة الانجليزية والفرنسية ، فالبرقيات العامة ، من شركتى روتر وهافاس ، والبرقيات الخاصة من المكاتبين الخصوصيين، تصل إلى الصحيفة المصرية

باحدى هاتين اللغتين . ثم هناك تلخيص مقالات تنشر فى الصحف الأوربية تتعلق بشؤون مصر السياسية ، أو لها ميزة أو فائدة خاصة للقراء ، ولا بد للصحفى المصرى من أن يتصل بالعناصر الأوربية فى البلاد أثناء تأديته مهمته ، فيجب أن يكون مجيداً لاحدى اللغتين وملما بالأخرى كى يحسن التفاهم مع الأوربيين ومقابلة كبرائهم وعظمائهم .

الترجمة :

يجب أن يكون الصحفى المصرى ممن يحسن الترجمة من اللغات الأوربية إلى العربية ترجمة سريعة سائغة دقيقة .

علم السياسة :

من ناحية فلسفة نشوء الدولة باختصار .

من ناحية النظم السياسية والدساتير المقابلة فى مختلف الأمم بتوسع .

وهذا يشمل تاريخ تطور النظم السياسية وأقطابها . ففى كل يوم يجىء بالبرقيات العامة ذكر لناحية من هذه النواحى فى حياة الأمم السياسية ، ولا يستطيع المترجم أن يحسن الترجمة إلا إذا كان فاهما ما يقتضيه الدستور أو النظام السياسى فى أمة ما من العمل فى حالة خاصة ، وعارفا أهم أقطابها ، وملما بالمعلومات اللازمة له من غير توان أو تأخير .

علم الاقتصاد :

إن نشوء نظريات الحكم الجديدة - الاشتراكية والشيوعية والنقابية - وقيام حكومات كبيرة على أساسها يجعل دراسة الاقتصاد من الناحية السياسية - فضلا عن الناحية الثقافية العامة - ضرورة لكل صحفى .

ثم هناك جميع ما يتعلق بالنقد والذهب والتجارة الدولية والحواجز الجمركية والتبادل على أساس الحصص والمعاهدات التجارية . . . . الخ

علم القانون :

فهم القانون الدولى ، والمعاهدات القائمة ، وكيف تفسر ، والقواعد الأساسية التى نهض عليها القانون الدولى ، وتطورها بنشوء فكرة السلام الاجماعية ، وقيام جامعة الأمم ودستورها وملحقاتها ، ومحكمة العدل الدولية ، وحقوق الدول فى الحرب والسلم وحقوق المحايدين . . . . الخ

علم الاجتماع ، علم النفس ، مبادىء العلوم ، التاريخ ، الجغرافيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أصول الآداب والفنون والنقد الأدبي والفني :

وهذه علوم لا بد أن تشتمل عليها الناحية الثقافية العامة من دراسة الصحافة ، لأنها تمكن المثقف من تفهم ما قد يعرض له اثناء تأديته لمهمته، كمقابلة عالم معين ومحادثته ، ويجب توجيه النظر خاصة إلى التاريخ الحديث والجغرافيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لأن المشكلات التي تعرض للصحفي إذا كانت تتعلق بالتاريخ الحديث أو الجغرافيا ، فهي في الغالب تحتاج إلى سرعة النظر ، ويجب الالمام بشؤون العالم في المائة السنة الأخيرة من نواحي التاريخ السياسي والاقتصادي والجغرافيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لأن هذا من الضرورات القصوى.

المشكلات السائدة الآن :

ويحسن اتساع المجال لدراسة بهذا العنوان تتناول في خلال ثلاث سنوات . بحيث يتاح للفصل الواحد تتبعها سنة فسنة إلى أن ينتهي ، فيتناول الاستاذ - خلال سنة واحدة مثلا - موضوع جامعة الأمم والمشكلات التي تدور حولها ، وفي سنة أخرى يتناول هو أو غيره المشكلات الخاصة بالشرق الأقصى ، وفي سنة ثالثة مشكلات الشرق الأدنى وما يتصل بها من تاريخ تطور الاستعمار وبواعثه ونتائجه . . . . وهكذا .

الناحية الفنية الصحفية

١ - تاريخ الصحافة بوجه عام ، وتاريخ الصحافة العربية بوجه خاص .

٢ - الخبر وعمله : الصفات الأساسية التي يجب أن يتصف بها . ارتفاع قيمة الأنباء في الصحافة الحديثة . ما هي العناصر التي تجعل لحادثة دون غيرها قيمة كنبأ يهم الجريدة . كيف يجب أن تكتب مقالات الأنباء . استهلال المقال وعناصره . صلب المقال . مميزات الكتابة الصحفية الأنبائية .

٣ - مصادر الأنباء في مصر : السياسية ، القضائية ، البوليسية ، الخارجية ، الاجتماعية .

٤ - الافتتاحية : قيمتها . كيف تكتب . الغرض منها . فصلها من قسم الأخبار أو فصل قسم الأخبار عنها للمحافظة على النزاهة في سرد الوقائع .

٥ - الاعلانات : اعتماد الصحافة عليها . فلسفة الاعلان . الاعلان ونفسية

الجماهير . صلة الاعلان بالمصانع والمتاجر . ما يتعلق بالاعلانات من الأعمال الفنية كحفر الصور والتصوير والرسم وتصحيح التجارب .

٦ - الصحافة والجمهور : الصلة بالقانون . ما يجوز نشره وما لا يجوز قانونا. قانون الصحافة . الصحافة وقانون الجرائم . الانباء وملكيتها . القذف .. الخ الصلة بالحياة العامة - أو الصحافة والحياة الادبية . تبعة الصحافة الأدبية

٧ - الصحافة من ناحية الاخراج : الحروف وصفها وجمعها . المطابع وعملها. مراقبة اعداد الجريدة للبيع من حين تقديم الكتابة إلى حين العرض فى السوق. تصحيح التجارب . أصناف الورق والحبر والمفاضلة بينها . الحفر والتصوير. نفقات الطبع .

٨ - فنون توضيب الصفحات، وكتابة عناوين المقالات، واعداد العبارات الأولى منها

٩ - ادارة الصحف : مصادر الدخل . نفقات النشر . توزيع النفقات بين الادارة والتحرير وقسم الاعلانات وايجاد رابطة بينها بواسطة مدير عام . تقسيم العمل بين التحرير والادارة والاعلانات . التوزيع ووسائل زيادته . العمال وأجورهم . الاشتراكات وتحصيلها ومتابعتها وزيادتها .

* * *

نظام جمعية الصحافة

على أن هذه الجهود الجليلة ، التى بذلها مقامه الرفيع فى سبيل الصحافة ، لم تكن ترضى تمام اهتمامه بها ، ورغبته الصادقة فى مساعدتها على النهوض بمسئوليتها أمام الرأى العام .

فأتبع مقامه الرفيع قانون المطبوعات ، وقانون نظام المحكوم عليهم فى جرائم الصحافة ، بمرسوم باعتماد نظام جمعية الصحافة فى ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦ .

فلقد كان حفظه الله يرى أن تكون الصحافة فى مصر هيئة لها شخصيتها الكاملة ، وانها جديرة بالمساعدة اللازمة لبلوغ الغاية السامية

من وجودها ، فبحث فى تنظيمها بمصر ، واعترف بالهيئة التى تمثلها اعترافا رسميا عن طريق اصدار المرسوم الآتى نصه :

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على نظام جمعية الصحافة ،

وبناء على ماعرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، وموافقة رأى المجلس المشار اليه .

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - يعتمد نظام جمعية الصحافة المرفق بمرسومنا هذا .

مادة ٢ - على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ مرسومنا هذا ؟

صدر بسراى القبة فى ٢٨ محرم سنة ١٣٥٥ (٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦)

نظام جمعية الصحافة

الجمعية وأغراضها

مادة ١ - تتألف جمعية الصحافة ممن ينضمون اليها وفق أحكام هذا النظام ويكون مقرها مدينة القاهرة .

والصحف فى أحكام هذا النظام هى المطبوعات الدورية بكل أنواعها .

مادة ٢ - أغراض الجمعية :

(١) العمل على رفع شأن الصحافة والمحافظة على كرامتها .

(٢) السعى للاعتراف بحقوق الصحافة والصحفيين وتحقيق مايجب لها ولهم من المزايا .

(٣) تنمية روح الاخاء والتعاون بين الصحفيين وتسوية مابينهم من المنازعات المتعلقة بالمهنة .

(٤) تنظيم علاقة الصحافة والصحفيين بالحكومة والجمهور .

مادة ٣ - لايجوز للجمعية التعرض للمسائل السياسية أو المسائل الطائفية والدينية ولا القيام بأى عمل خارج عن نطاق الأغراض المبينة فى المادة الثانية .

أعضاء الجمعية

مادة (٤) - أعضاء الجمعية عاملون ومشتركون وفخريون .

فالعضو العامل هو من يقرر مجلس الادارة قبوله بعد أن يفحص طلب انضمامه ويتأكد توافر الشروط الآتية فيه :

(أولا) أن يكون مصريا .
(ثانيا) ألا تقل سنه عن الحادية والعشرين .
(ثالثا) ألا يكون قد صدرت عليه أحكام فى جريمة من الجرائم المخلة بالشرف
(رابعا) أن يكون حسن السيرة .
(خامسا) أن يكون حاصلا على شهادة دراسة عالية من مصر أو من الخارج أو أن يكون على درجة من الثقافة تلائم مهنة الصحافة .
(سادسا) أن يكون صاحب صحيفة أو ممثلا له أو محترفا الصحافة .
(سابعا) أن يزكى طلب انضمامه اثنان من أعضاء مجلس ادارة الجمعية .
(ثامنا) أن ترفق بطلب انضمامه قيمة رسم الدخول فى الجمعية .

مادة ٥ - رسم الدخول فى هذه الجمعية جنيهان والاشتراك السنوى للعضو العامل جنيهان .

وللأعضاء العاملين الذين سددوا اشتراكهم حق التمتع ، بحسب الأحكام المقررة ، بما يمنح للصحفيين من المزايا .

مادة ٦ - الأعضاء المشتركون هم الأعضاء العاملون الذين ينقطعون عن مزاولة عمل الصحافة ويوافق مجلس إدارة الجمعية على استمرار اتصالهم بها .

ورسم الاشتراك السنوى بالنسبة لهم ثلاثة جنيهات .

والأعضاء الفخريون هم من يمنحهم مجلس الادارة هذه الصفة لمساعدتهم الجمعية مساعدة ذات شأن .

ادارة الجمعية

مادة ٧ - يدير شؤون الجمعية مجلس إدارة مؤلف من اثنى عشر عضوا تنتخبهم الجمعية العمومية بالاقتراع السرى لمدة سنتين يجوز إعادة انتخابهم بعدهما .

ويتجدد نصف أعضاء المجلس المذكور كل سنة .

ويكون اخراج نصف أعضائه بعد نهاية السنة الأولى بالاقتراع .

مادة ٨ - يشترط فى عضو مجلس الادارة أن يكون صاحب صحيفة أو ممثلا له أو مديرا لسياستها أو رئيسا لتحريرها أو لتحرير قسم منها أو محررا ذا شأن فيها ، وتبلغ إدارة كل صحيفة الجمعية قبل أول أكتوبر من كل سنة بيان من تنطبق عليهم هذه الاوصاف .

ويجب أن يشتمل المجلس على ستة من أصحاب الصحف أو ممثليهم .

مادة ٩ - يختار المجلس من بين أعضائه كل سنة رئيسا ووكيلين وسكرتيرا وأمينا للصندوق ، وتتألف من هؤلاء اللجنة التنفيذية .

مادة ١٠ - ينتخب المجلس من بين أعضائه كل سنة لجنة تؤلف من ثلاثة يعهد اليها بالنظر فى الخلافات المتعلقة بالمهنة التى تقع بين أعضاء الجمعية لتسويتها .

وتنظر اللجنة فى هذه الخلافات بناء على طلب أحد المتنازعين أو أحد أعضاء مجلس الادارة أو على قرار من المجلس .

ويجوز للمتنازعين أن يختار كل منهما عضوا من أعضاء الجمعية ليكونا مع ثالث يختاره مجلس الادارة لجنة تتولى الفصل فى النزاع .

وفى الحالتين يجب على الطرفين احترام القرار الذى تصدره اللجنة ، فاذا أبى أحدهما الاذعان له عرض الأمر على مجلس الادارة ليقرر ما يراه فى تنفيذ القرار أو فى شأن العضو .

مادة ١١ - ينعقد مجلس الادارة مرة فى كل شهر على الأقل بدعوة من الرئيس ، وتنعقد اللجنة التنفيذية مرتين فى الشهر بدعوة من الرئيس كذلك .

ويجوز انعقادهما فوق ذلك كلما دعت الضرورة بدعوة من الرئيس أو إذا طلب ذلك ثلث أعضاء كل منهما كتابة .

ويصح انعقاد مجلس الادارة بخمسة أعضاء واللجنة التنفيذية بثلاثة .

مادة ١٢ - يختص مجلس الادارة بالنظر فى طلبات الانضمام إلى الجمعية وتقرير عضويتها وادارة أموالها ، وتختص اللجنة التنفيذية بالنظر فى الأمور المستعجلة وفيما يحيله اليها مجلس الادارة من شؤون .

وتصدر قرارات كل من الهيئتين بكثرة الأصوات المطلقة فى الشؤون العادية ، وعند تساوى الاصوات يرجح الجانب الذى فيه الرئيس .

وتصدر القرارات الخاصة بقبول طلبات الانضمام وفصل الاعضاء بكثرة الثلثين .

مادة ١٣ - إذا خلا محل أحد أعضاء المجلس بسبب الاستقالة أو الوفاة أو بأى سبب آخر يقوم مجلس الادارة مؤقتا بتعيين من يحل محله ويعرض أمره على أول جمعية عمومية تعقد بعد التعيين .

وتنقضى مدة العضو الجديد فى الميعاد الذى كانت تنتهى فيه مدة العضو السابق .

مادة ١٤ - يرأس الرئيس جلسات مجلس الادارة واللجنة التنفيذية والجمعية

العمومية ويضع جدول أعمال الجلسات ويوقع المحاضر ويشرف على تنفيذ القرارات ويوقع جميع المكاتبات والمستندات الخاصة بأعمال التصرف والادارة التى يقررها المجلس ويمثل الجمعية عند التقاضى أمام المحاكم .

مادة ١٥ - فى حالة غياب الرئيس أو وجود مانع من حضوره يحل محله فى اختصاصاته المبينة فى المادتين ١١ و ١٤ أقدم الوكيلين، وعند التساوى فى الاقدمية أكبرهما سنا .

مادة ١٦ - يتولى أمين الصندوق تحصيل الاشتراكات والمبالغ الأخرى المستحقة للجمعية ودفع المبالغ المستحقة عليها وإيداع مالدى الجمعية من النقود فى مصارف القاهرة التى يعينها المجلس .

مادة ١٧ - يؤدى أعضاء مجلس الادارة واللجنة التنفيذية وظائفهم مجانا .

الجمعية العمومية

مادة ١٨ - تؤلف الجمعية العمومية من الاعضاء العاملين والأعضاء المشتركين المسددين اشتراكهم وحدهم ، وتنعقد عاديا بدعوة من مجلس الادارة فى الأسبوع الاول من شهر ديسمبر من كل عام للنظر فى تقرير مجلس الادارة عن سير الجمعية وعن حساباتها السنوية وفى اقتراحات الاعضاء .

وتختص وحدها بالنظر فى فصل الأعضاء الذين يصدر عنهم مايمس شرف المهنة أو كرامة الجمعية من غير أن يحول ذلك دون فصلهم بصفة عاجلة بقرار مؤقت يصدره مجلس الادارة مشمولا بالنفاذ حتى يعرض على الجمعية العمومية لاقراره أو الغائه فى أول جلسة تلى صدور القرار .

ويجوز انعقادها بصفة غير عادية فى غير الموعد المقرر لاجتماعها العادى بدعوة من مجلس الادارة من تلقاء نفسه أو بناء على طلب يقدمه ثلاثون من الاعضاء العاملين .

مادة ١٩ - لا يصح انعقاد الجمعية العمومية فى اجتماعها الاول الا إذا حضرها ثلثا الاعضاء ، فاذا لم يتكامل العدد أجل الاجتماع إلى موعد آخر يصح انعقاده بمن يحضره من الاعضاء .

وتصدر قرارات الجمعية العمومية بكثرة الأصوات المطلقة للأعضاء الحاضرين فى الشؤون العادية وبكثرة الثلثين فى حالات فصل الاعضاء .

مادة ٢٠ - لا يجوز ادخال أى تعديل على هذا النظام إلا بموجب قرار من

الجمعية العمومية يصدر بناء على اقتراح من مجلس الادارة وتصدق عليه الحكومة .

ويكون صدور القرار المذكور بكثرة ثلثى الأصوات .

مادة ٢١ - تدون مداولات وقرارات مجلس الادارة واللجنة التنفيذية والجمعية العمومية فى محاضر يضع عليها كل من الرئيس والسكرتير امضاءه .

أموال الجمعية

مادة ٢٢ - تودع أموال الجمعية المكونة من رسم الدخول والاشتراكات والتبرعات فى أحد المصارف باسمها ولا يسحب شيء منها إلا بقرار من مجلس الادارة واللجنة التنفيذية ، وتوقع صكوك السحب من الرئيس وأمين الصندوق معا.

صندوق التعاون

ماده ٢٣ - تنشىء الجمعية لأعضائها صندوق تعاون يضع مجلس الادارة لائحته ويعرضها على أول جمعية عمومية للتصديق عليها .

اللائحة الداخلية ونادى الجمعية

مادة ٢٤ - يضع مجلس الادارة لائحة داخلية للجمعية، ومتى أنشىء لها ناد يضع المجلس له نظاما خاصا ، وتعرض اللائحة الداخلية للجمعية ونظام النادى على الجمعية العمومية فى أول انعقادها .

حل الجمعية

مادة ٢٥ - لايجوز حل الجمعية إلا بمقتضى قرار من الجمعية العمومية تصدره فى اجتماع يعقد خصيصا لهذا الغرض .

ويكون صدور القرار المذكور بكثرة ثلثى الأصوات .

مادة ٢٦ - للحكومة دائما بمقتضى قرار من مجلس الوزراء أن تأمر بحل الجمعية إذا خالفت أحكام المادة الثالثة .

مادة ٢٧ - تقرير مصير أموال الجمعية عند حلها يكون بقرار يصدر من الجمعية العمومية بكثرة الثلثين وتصدق عليه الحكومة ، وإذا امتنعت الجمعية عن اصدار هذا القرار ، أو اذا لم تصدق عليه الحكومة، أو إذا كان الحل حاصلا على مقتضى نص المادة السابقة ، توزع تلك الاموال، بمقتضى قرار من وزير الداخلية، فى سبيل اعانة المعوزين من الصحفيين أو عائلات المتوفين منهم ، والا فللجمعيات القائمة بأعمال خيرية أو علمية .

ولم يأل مقامه الرفيع جهداً فى معاونة الصحافة ، معاونة مادية ، فأصدر أمره الكريم بتحويل ماتبقى من المبلغ الذى كان مقرراً للجوائز فى المباراة الصحفية الأدبية إلى بنك مصر على ذمة صندوق تعاون جمعية الصحافة . فكان هذا المبلغ حينذاك ١٢٣٠ جنيها ، ثم سحب منه بعد استقالة وزارة مقامه الرفيع خمسمائة جنيه قيمة ماكان قد أخذ من مبالغ المراهنات ، وخمسمائة وخمسون جنيها جوائز لثلاثة موضوعات لم تكن لجانها قد انتهت من بحثها . وكان الباقى إلى نهاية يوليه سنة ١٩٣٨ مائة وثمانين جنيها ، ولست أدرى ماتم بشأن هذا المبلغ .....

* * *

الامتيازات الصحفية

ثم اتجه مقامه الرفيع إلى بحث موضوع الامتيازات الصحفية فى مصر والخارج ، لمنح الصحافة المصرية امتيازاتها كاملة على النحو المتبع فى أرقى البلاد الأوربية .

السلفيات الصناعية

ولما كانت ميول مقامه الرفيع نحو الصحافة ، هى ميول صادقة لافادتها ، وتذليل مايعترض سبيل هذه الصناعة الشريفة من العقبات .

ولما كانت وزارة المالية قد قررت مبدأ السلفيات الصناعية ، على أساس إمداد التاجر المصرى والصانع المصرى بسلفيات صناعية ، يتولى بنك مصر - بعد تحرياته ، واتصاله بوزارتى التجارة والمالية ، وأخذه ضمانات عقارية أو غيرها - الاقراض بفائدة ٤ فى المائة وعلى مدد طويلة للراغبين فى زيادة رؤوس أموالهم ، واتساع دائرة أعمالهم ،

أمدادا لهم بما يحتاجون اليه ، وتشجيعا لهم فيما يرومونه من اطراد التقدم وتحسين الحال ، وذلك أخذا بالسنة الاصلاحية الانشائية فى تثبيت النهضة الاقتصادية الصناعية ، وتوطيد أركانها ، وتدعيم أسسها .

ولما كانت الصحافة ، باعتبارها من الصناعات الانشائية الشريفة ، فضلا عما تؤديه للبلاد من خدمات لايستهان بها ، جديرة بأن تنتظم فى سلك الصناعات التى تعاونها الحكومة بالسلفيات الصناعية ، ليتمكن القائمون بها من ادخال تحسين جوهرى فى آلات الطبع والسبك والاخراج .

فقد تكرم حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فى مارس سنة ١٩٣٦ ـ بصفته وزيرا للداخلية إذ ذاك ـ بالكتابة إلى وزارة المالية لتخصيص مبلغ كبير من السلفيات الصناعية لباب تقدم الصناعة الصحفية فى مصر ، وتقرير استفادة الصحافة من السلفيات الصناعية .

تليفونات الصحف

ثم اتجهت نية مقامه الرفيع الى مضاعفة آلات التليفون التى تمنح للصحف ـ تسهيلا لها على أداء مهمتها ـ بدون زيادة فى القيمة التى تحاسب عليها وزارة الداخلية ؛ وذلك بالاتفاق مع وزارة المواصلات على أن يكون لوزارة الداخلية الحق فى أن تمنح بالقيمة التى تدفعها ضعف عدد التليفونات الممنوحة لبعض الصحف ، بمعنى أن تعفى وزارة الداخلية من دفع نصف الاشتراك ، حتى يستطاع منح الصحف المحرومة من هذا الامتياز ، وأن تعتبر المكالمات التى تزيد على العدد

المحدد مجانية ، وأن توضع أجور خاصة للمكالمات الخارجية «الترنك».

وقد أمر حفظه الله بالكتابة إلى وزارة المواصلات فى ذلك فى شهر فبراير سنة ١٩٣٦ ، ثم قرر مجلس الوزراء فى ٢٧ فبراير «قبول مبدأ جعل اشتراك تليفونى بنصف أجرة للصحف على أن يطبق ذلك على المكالمات المحلية الداخلية».

ثم كتبت وزارة الداخلية إلى مصلحة التليفونات لاعفاء أصحاب الصحف من دفع قيمة المكالمات الداخلية ، الزائدة الصادرة عن التليفونات المجانية الممنوحة لهم على حساب وزارة الداخلية ، وذلك على سبيل المساعدة للصحافة ، ولكن مصلحة التليفونات رأت استمرار العمل بالقوانين الموضوعة ، وعدم اجراء أى تغيير .

السفر بالسكك الحديدية

تصرف ادارة المطبوعات لأصحاب الصحف والمحررين استمارات سفر بنصف القيمة ، ولكن حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أمر فى فبراير سنة ١٩٣٦ بأن يكتب إلى وزارة المواصلات برجاء أن تصرف لادارة المطبوعات دفاتر اشتراكات أو استمارات بربع القيمة كالتى تصرف عادة لرجال الدين ، وأن تتولى ادارة المطبوعات صرف هذه الدفاتر أو الاستمارات للصحفيين الذين يسافرون فى مهام صحفية .

الاعلانات والحكومة

كانت ادارة المطبوعات تتولى توزيع اعلانات المصالح الحكومية على الصحف ، فلما أنشئت وزارة التجارة والصناعة ، وافق مجلس الوزراء فى ٧ أغسطس سنة ١٩٣٥ على نقل عملية توزيع الاعلانات

على الصحف إلى هذه الوزارة ، ولكن لما وليت الحكم وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، قرر مجلس الوزراء بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٣٦ اعادة عملية توزيع الاعلانات الى ادارة المطبوعات ، لصلتها الوطيدة بالصحف ، ومعرفتها بأسمائها جميعاً وأمكنتها وتواريخ صدورها ، ثم رأى مقامه الرفيع رفع أجور الاعلانات إلى الضعف ، وتقرير نشرها بجميع الصحف التى تصدر بالمحافظات والاقاليم ، وأصدر القرار الوزارى الآتى :

« وزير الداخلية

بعد الاطلاع على منشور وزارة المالية رقم ٣٥ - ١ - ٤ الصادر بتاريخ ٩ مارس سنة ١٩١٢ بتكليف ادارة المطبوعات بمهمة توزيع الاعلانات الخاصة بمصالح الحكومة على الصحف ، المعدل بالمنشورين رقم ٣٣ سنة ١٩٢١ و ٣٧ سنة ١٩٢٤ .

وبما أن الغرض الاساسى من ذلك هو توخى الفائدة التى تعود على المصالح الحكومية من نشر اعلاناتها فى الصحف التى ترى ادارة المطبوعات - بصفتها المهيمنة عليها والمطلعة على درجة أهميتها وانتشارها - فائدة النشر بها

وبما أن فئة النشر كانت تتراوح فى سنة ١٩١٢ بين خمسة عشر قرشا وخمسة قروش للسطر الواحد ، تبعا لأهمية الجريدة ودرجة انتشارها ، وقد تناولها التخفيض بعد ذلك ، ففى سنة ١٩٢٤ أصبحت أكبر قيمة للسطر الواحد اثنى عشر قرشا ، ثم أدخلت عليها عدة تعديلات فى السنوات التالية ، حتى استقر أمرها على سعر يتراوح بين تسعة قروش وخمسة .

وبما أنه من أعز أمانينا أن تحافظ الصحافة على أن تكون صناعة شريفة مدرة على أصحابها بالربح الوفير ، وحافزة لهم بما يصيبون من وراء الاشتغال بها على استخدام أصحاب المواهب والكفاءات من الكتاب المجيدين والاخصائيين الممتازين ، وأداء ما على عاتقها من رسالات ثقافية واجتماعية وأدبية وعلمية ، والوصول بمكانتها الى مستوى الصحافة الغربية ، ولا يتسنى لها ذلك الا إذا زاد ايرادها ، وضربت الحكومة لأصحاب المتاجر والمعلنين وغيرهم القدوة الصالحة فى رفع

الأجور وتحسينها .

لذلك

قرر :

أولا - رفع الأجور الحالية وجعلها اثنى عشر قرشا للسطر الواحد لجميع الجرائد المحلية بدون تمييز بين جريدة وأخرى .

ثانيا - على ادارة المطبوعات تنفيذ هذا القرار اعتبارا من اليوم .

١٨ مارس سنة ١٩٣٦ وزير الداخلية

على ماهر باشا »

تذاكر واشتراكات الترام والسيارات

فى مارس سنة ١٩٣٦ أصدر حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أمره الى إدارة المطبوعات بمخابرة شركات السيارات والترام بأن تتولى ادارة المطبوعات نفسها صرف التذاكر والاشتراكات المجانية الخاصة بالصحفيين ، تشريفا لهم ، وعملا على استقلالهم ، واحترام كرامتهم ، وحتى لايكونوا تحت رحمة الشركات ، وليتحروا الصواب فى كتاباتهم وانتقاداتهم ، وابداء مافيه مصلحة الأهلين .

* * *

تعويض أصحاب الصحف

رأى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أن تتفق الحكومة مع حضرات أصحاب الصحف - مثل البلاغ والسياسة والجهاد وكوكب الشرق وآخر ساعة وغيرها - الذين رفعوا قضايا على الحكومة ، لتصرفات اعتقدوا انها مخالفة للعدالة والقانون ، ولقد انتهى الأمر بين مقامه الرفيع وبين أصحاب الصحف على تسوية مرضية للطرفين .

* * *

إقامة حفلات شاى للصحفيين

ورأى مقامه الرفيع أن تعنى ادارة المطبوعات باقامة حفلات شاى للصحفيين ، مرة كل أسبوع ، حيث يخطبهم أحد حضرات الوزراء فى كل مايهم رجال الصحافة عامة ومكاتبى الصحف الأجنبية خاصة ، وأن يكون للصحفيين مطلق الحرية فى الاستفسار من الوزير عما يهمهم الوقوف عليه من المعلومات ، حتى تنشأ من وراء ذلك وحدة فى الرأى ، وفى وجهات النظر السياسية ، ويسود بين الجميع روح الوئام والتعاون على مافيه مصلحة البلاد .

فأقيمت حفلة افتتاح موسم المحاضرات الصحفية .

ثم حفلة تكريم وفود الصحفيين الفلسطينيين والسوريين والعراقيين ومعهم مدير ادارة الدعاية والنشر بالعراق .

فكان لهاتين الحفلتين أبلغ الاثر فى إيجاد جو من الصفاء والمودة بين الحكومة والصحفيين .

* * *

تبادل الزيارات بين مصر والبلدان الشرقية

ولما كان قد وفد على مصر مندوبون من حكومتى أنقرة والعراق وغيرهما من ادارات الدعاية بها ؛ لأخذ معلومات من ادارة المطبوعات ، وتوثيق العلاقات بينها وبين مصر .

فقد تفضل حضرة صاحب المقام على ماهر باشا ، ورأى أن واجب المجاملة للأمم الشرقية ، وحسن الجوار ، وضرورة توثيق الروابط الودية والثقافية والأدبية بين مصر والبلدان الشرقية ، يقتضى رد الزيارة لأولئك الصحفيين وموظفى ادارات الدعاية الذين وفدوا على مصر بصفة رسمية .

فأشار مقامه الرفيع بأن تنتدب الحكومة بعض الصحفيين وموظفى

المطبوعات لزيارة أنقرة والعـــراق وسوريا وفلسطين والحجاز وغيرها .

* * *

ايجاد عنصر صحافى مثقف بالمطبوعات

وكانت نية مقامه الرفيع متجهة إلى تعيين بعض الصحافيين الممتازين بادارة المطبوعات ، لحاجتها الى وجود عنصر ثقافى مثقف بها ، ممن لهم دراية بفنون التحرير والترجمة ، وتكون مهمتهم تلخيص صحف الأمم الشرقية والغربية واصدار نشرة أسبوعية تتضمن خلاصات هذه الصحف ، وتقارير المفوضيات والقنصليات المصرية ، فيما يهم الجمهور المصرى الاطلاع عليه ، وغير ذلك من المقالات السياسية والعلمية والاجتماعية ، والأخبار التى ترد بالصحف والمجلات الأجنبية عامة ، وتزويد الصحف المصرية بها ، ومساعدتها بذلك على اداء رسالاتها الاصلاحية فى القومية والثقافة والاجتماع والأخلاق .

* * *

الأخبار الصحافية الهامة

ثم رأى مقامه الرفيع ـ لمصلحة الصحافة ـ ضرورة العمل على توثيق الصلات بين ادارة المطبوعات ومختلف الوزارات والمصالح الحكومية ، فأشار بأن يكون مدير المطبوعات ـ بقدر الامكان وفى المسائل الهامة ـ الوسيط بين الوزارات والصحافة ، رغبة فى توحيد المجهود الانتاجي فى اقناع جماهير الشعب وأفراد الأمة بالاصلاحات المرومة ، وعملا على الاستيثاق من تحرى الاخبار الصحيحة ، وعدم اضطرابها ،

وتفاديا من وقوع بعض الصحف فى الأخطاء ، أو ارتكانها الى الاشاعات التى يروجها أحيانا بعض ذوى الغايات لمصالح معينة ، وتوجيها لنظر الجمهور إلى المسائل التى تهمه ولم يصدر عنها أى بيان .

* * *

تبادل النشرات

وفى مارس سنة ١٩٣٦ رأى مقامه الرفيع تطبيق نظام «تبادل النشرات» بين مصر والممالك الأخرى ، وهو يقتضى بأن تتبادل مصر مع الحكومات الأخرى قصاصات بما تكتبه الصحافة المصرية عن هذه الحكومات وبما تكتبه صحافة تلك الحكومات عن مصر ، توطيدا لحسن الصلات وتمكينا لأسباب السلام والوفاق وحسن الدعاية .

* * *

المحاضرات الصحفية

١

الصحافة المصرية ـ نظرة تاريخية ونظرة تحليلية

للأستاذ عبد القادر حمزة باشا

ألقيت هذه المحاضرة مساء يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦

سادتى

فى هذه الساعة التى نبدأ فيها أولى المحاضرات الصحفية ، يطيب لى ، وأعتقد انه يطيب لكم أيضا ، أن نشكر مرة أخرى الرجل الذى فكر فيها ، ودعا اليها ، وافتتحها بمحاضرة أنصف فيها الصحافة ، فقال انها برلمان حر ، ورحب بها ناقدة ومستفسرة .

لقد كانت الصحافة تنتظر رجل الدولة الذى يقدرها هذا التقدير ، بعد أن كافحت عشرات من السنين ، فعملت بكفاحها هذا لتكوين الرأى ، وساهمت فى نشر

الثقافة ، وكانت في جميع الأطوار السياسية سلاحا من أمضى الاسلحة التي تسلحت بها البلاد . فالآن وهى تجد هذا الرجل فى صاحب الدولة على ماهر باشا ، خليق بها ان تغتبطوان يحفزها ذاك إلى مزيد من النشاط فى طلب الكمال ، ومزيد من النشاط فى خدمتها للبلاد . اعاننا الله جميعا وكتب لنا التوفيق والسداد

سادتى

كان يحسن ، لكى نبدأ بالبداية ، ان نذكر فى هذه المحاضرة طرفا من تاريخ الصحافة فى العالم،ولكننا إذا خضنا فى هذا فأكبر الظن أن يطول الشرح فلايتسع الوقت للحديث فى الصحافة المصرية . وهذا الحديث الاخير هو الذى يهمكم أكثر من غيره،فلندع اذن تاريخ الصحافة فى العالم لفرصة أخرى ولزميل آخر . ولنقصر حديثنا اليوم على الصحافة فى مصر

وهذا الحديث ينقسم إلى قسمين رئيسين : أولهما نظرة تاريخية،والثانى نظرة تحليلية ،وتقضى الضرورة بالايجاز فى النظرتين،لان كل واحدة منهما تحتاج إلى بحوث طويلة . ونأخذ الآن فى النظرة التاريخية .

نعود بالنظرة التاريخية إلى مصر القديمة ،أى إلى مايقرب من خمسة آلاف سنة مضت ، ونسأل :هل عرفت مصر هذه الصحافة أو لم تعرفها ؟

والجواب على ذلك انه ان أريد بالصحافة الصورة التى نراها عليها اليوم وهى اصدار صحف دورية مطبوعة لتذيع على الناس الثقافة السياسية والعلمية ، فمصر القديمة لم تعرفها لسبب ظاهر هو انها لم تعرف المطبعة والطباعة . أما إن أريد بالصحافة معناها الأوسع وهو اذاعة التبليغات والاخبار ، فمن البديهى انه كانت لدى الحكومة تبليغات وأخبار ، يهمها ان تذيعها على الرعية ، كانت لديها مثلا الأوامر التى تصدرها كل يوم وتريد أن تخضع لها رعيتها ، وكانت لديها أخبار الانتصارات التى كان الملوك والقواد المصريون يحرزونها شرقاوغربا وجنوبا،وكان يهمها ان تقف الرعية عليها وان تقيم الاحتفالات لها . فهذه الاوامر والاخبار كيف كانت تذيعها الحكومة ؟

كانت طريقة الاذاعة ارسال رسل يحملون مكاتيب مكتوبة على ورق البردى إلى كل أقليم ، وكان هؤلاء الرسل فى حركة دائمة ، وكانت لهم محطات معينة يتجهون اليها بما يحملون من الرسائل ، وكانت للملك جياد مخصصة لهم فى كل محطة

من هذه المحطات ، ومتى وصلت الرسالة إلى حاكم الاقليم اذاع ما فيها على سكان اقليمه ، وقد يلجأ فى بعض الاحيان الى اطلاق المنادين ينادون بما فيها . وأظنكم تعرفون ان الاذاعة بواسطة المنادين طريقة كانت منتشرة فى مصر إلى سنين ، وانها ما زالت تستخدم إلى وقتنا هذا فى بعض القرى ، وأخص ما تستخدم فيه نعى المتوفين إلى أهل القرية كى يجتمعوا ويشيعوا المتوفى

ولكن الحكومة المصرية كانت لديها تبليغات أخرى ليس من الضرورى ان تريد لها الاذاعة على عجل ، أو هى تريد لها هذه الاذاعة،ثم تريد لها إلى جانبها اذاعة أقوى ، فكيف كانت وسيلتها إلى ذلك ؟

كانت وسيلتها النقش على الحجر ، وكان لابد لها حينئذ من احجار عدة تنقش على كل واحد منها نسخة من التبليغ الذى تريده ثم تبعث بها إلى حيث توضع فى المعابد التى يكثر تردد الناس عليها ، ومن هذه الاحجار حجر رشيد المشهور، الذى كان وسيلة للوقوف على سر الكتابة المصرية ، وقد وجدت من هذا الحجر الى الآن نسختان :احداهما هى التى أخذها الانجليز فى حملة بونابرت ووضعوها فى المتحف البريطانى ، والثانية عثر عليها بعد ذلك . وهى توجد الآن فى المتحف المصرى .

وأنتم تعرفون ولا شك ان حجر رشيد مكتوب بثلاثة خطوط : اليونانى والديموطيق والهيروغليفى ، وهذان الخطان الأخيران من خطوط اللغة المصرية، وانما كتب الحجر بلغتين وثلاثة خطوط لأنه كتب فى عهد بطليموس الخامس فى نحو سنة ١٩٦ قبل الميلاد ، وكان الغرض من كتابته اذاعة قرار أصدره المجمع الدينى فى مدينة ممفيس لمصلحة بطليموس هذا، فكان الخط اليونانى لليونانيين ، والخط الديموطيق لعامة الشعب والخط الهيروغليفى للكهنة . وبذلك يمكن أن يقال ان حجر رشيد كان جريدة واسعة الانتشار .

ولا تظنوا ان مصر انفردت باستخدام النقش على الحجر لاذاعة التبليغات والاخبار ، كلا فقد شاهدت فى معرض الصحافة فى كولونيا (بالمانيا)،حينما زرته فى سنة ١٩٢٨ ، قطعة من الحجر وجدت فى جزيرة كريت ، ويرجع تاريخها إلى ماقبل المدنية اليونانية ، وقد حفرت عليها اشارات ورموز ، فلما قرئت هذه الاشارات والرموز عرفت انها دعوة إلى وليمة ، وشاهدت إلى جانب هذه القطعة

قطعة من الخشب وجدت فى استراليا، ويرجع تاريخها إلى أكثر من ألفى سنة، وعليها نقوش هى أيضا دعوة إلى وليمة . فهاتان الدعوتان على الحجر والخشب هما اذن الجد الاعلى ، الذى نعرفه ، لما تنشره الصحف الآن من اخبار الزواج والولائم والدعوة اليها .

وقد كانت الصحافة ، إلى ما قبل اختراع المطبعة فى القرن السادس عشر ، تختلط بالكتابة وبالبريد ، فتاريخها فى تلك العصور القديمة هو تاريخهما ؛ اما بعد اختراع المطبعة فقد انفصلت الصحافة عن الكتابة وعن البريد وصارت شيئا ضخما مستقلا بذاته ، ليست الكتابة وليس البريد الا بعض أدواته .

فلننظر الآن فى تاريخ الصحافة بعد اختراع المطبعة ، ولنحصر بحثنا دائما فى مصر

أول جريدة أنشئت فى مصر هى التى أنشأها نابليون بونابرت باللغة الفرنسية باسم Le Courrier d' Eg. فى سنة ١٧٩٨ وهى التى نشرت بعد صدورها بنحو اسبوعين خبر العثور على حجر رشيد، ومنها وصل الخبر إلى علماء أوربا .

وبعد شهر واحد من انشاء هذه الجريدة الاولى انشأ نابليون جريدة ثانية باللغة الفرنسية أيضا اسمها La Décade E لأنها كانت تصدر كل عشرة أيام

وكانت الاولى اخبارية سياسية ، اما الثانية فكانت علمية وكانت تنشر محاضر أعمال المجمع العلمى الذى أسسه بونابرت .

وبعد ذلك اسس مؤسس الاسرة العلوية المغفور له محمد على باشا الكبير جريدة « الوقائع المصرية » فى حدود سنة ١٨٣٠ ، فيكون قد مضى عليها إلى الآن مائة وست سنوات ، فهى بهذا أقدم الجرائد العربية فى مصر وفى الشرق .

وانقضت بعد انشاء (الوقائع المصرية) خمس وثلاثون سنة لم يبعث فيها وجود هذه الجريدة الرسمية فى نفوس المصريين رغبة فى اصدار جريدة أهلية . وجاء عهد الخديو اسماعيل باشا فتحركت بتشجيعه هذه الرغبة فى النفوس، فظهرت مجلة « اليعسوب » فى سنه ١٨٦٥ وكانت طبية انشأها الدكتور محمد على البقلى باشا وابراهيم الدسوقى .

وتلتها فى سنة ١٨٦٧ أول جريدة سياسية هى « وادى النيل » لمنشئها عبد الله أبو السعود افندى وكانت تصدر مرتين فى الاسبوع .

ثم جريدة (نزهة الافكار) فى سنة ١٨٦٩ لمنشئها ابراهيم المويلحى بك ومحمد

عثمان جلال بك .

ثم مجلة (روضة المدارس) فى سنة ١٨٧٠ انشأها على مبارك باشا حينما كان وزيرا للمعارف ، وكانت الحكومة تتولى الانفاق عليها ، وكان يتولى التحرير فيها كثير من الاعلام منهم على مبارك باشا وعبد الله فكرى باشا والشيخ حسونة النواوى والشيخ حسين المرصفى ورفاعه رافع بك ومحمود الفلكى باشا ومحمد قدرى باشا والشيخ حمزة فتح الله .

وفى سنة ١٨٧٧ ظهرت جريدة « الوطن » ثم جريدة « مصر » وكان السيد جمال الدين الافغانى يكتب فيهما بعض رسائله .

ويطول الشرح اذا نحن أردنا أن نذكر جميع الجرائد التى صدرت فى عهد اسماعيل ، فنكتفى بأن نذكر منها جريدة «الكوكب الشرقى» لسليم باشا الحموى ، وجريدة (الاهرام) لمنشئها سليم تقلا بك وأخيه بشارة تقلا باشا ، وقد صدرت فى سنة ١٨٧٥ فى الاسكندرية وكانت فى أول ظهورها أسبوعية ، ثم صدرت بجانبها جريدة (صدى الاهرام) يومية ، ثم عطلت هذه وبقيت (الاهرام) وانتقلت بعد الثورة العرابية الى القاهرة ، وهى تصدر إلى اليوم .

ونذكر أيضا جريدة « أبو نضارة » وقد صدرت فى سنة ١٨٧٧ لصاحبها الشيخ يعقوب صنوع المصرى الاسرائيلى ، وهى أول جريدة سياسية هزلية مصورة .

وقد تحبون ان تروا جريدة من جرائد ذلك العهد فاليكم عددا من جريدة (صدى الاهرام) فى سنة ١٨٧٨ وعددا آخر من جريدة (الوطن) فى سنة ١٨٨٨ ، وفى هذين العددين مجال واسع لمن يريد أن يقارن هذه الصفحات الاربع الضئيلة بالصفحات الاثنى عشرة أو الست عشرة التى تصدر فيها الصحف اليوم ، ليعرف أى تقدم تقدمته الصحف المصرية ولاسيما فى السنين الاخيرة حتى صارت أعظم الصحف فى الشرق القريب بعد ان كانت الصحف التركية هى التى لها هذه المنزلة فيه .

ونظرة سريعة فى هذين العددين ترينا :

أولا ـ انه كان من المألوف أن تنشر المقالات الافتتاحية والمقالات غير الافتتاحية بغير عنوانات ، ولهذا كان على القارىء أن يقرأ المقالة ليعرف موضوعها . أما الآن فما على القارىء الا أن يقرأ العنوانات ليعرف الموضوعات ويعرف ما يهمه منها .

ثانيا — ان ثلاثة أرباع الجريدة على الاقل خاص بأخبار خارجية والربع الباقى فقط هو الخاص ببلاغات الحكومة وبأخبار مصرية . ولعل السبب فى ذلك أن الاخبار الخارجية تنقل من جرائد أجنبية، أما الاخبار المصرية فتحتاج الى مخبرين ومحررين .

ثالثا — ان بعض الصحف كان يلجأ الى السجع فى الكتابة ، فكان من أجل ذلك يقع فى تعبيرات لانستطيع نحن الآن أن نقرأها من غير أن نبتسم

فهذه مثلا جريدة نشرت قصيدة فى مدح رياض باشا فجعلت عنوانا لها :
« دولتلو رياض باشا بلغه الله ماشا »

ومنذ ٢٥ سنة فقط كان هذا النوع من الكتابة لايزال سائغا فى بيئة الصحف اليومية الجدية . فقد أرادت صحيفة أن تنتقد قاضيا من قضاة محاكم الاخطاط فكتبت فى ذلك كلمة جعلت عنوانها، قاضى خط بلط فى الخط ، وأقول مرة أخرى إن هذه الجريدة لم تكن هزلية ، بل كانت جدية ويومية

ودارت فى سيناء فى سنة ١٩١١ معركة فى بلدة تسمى قطية فكتبت تلك الجريدة نفسها مقالا عن هذه المعركة جعلت عنوانه « معركة قطيه وما جرى للترك ياعنيه »

وأرادت هذه الجريدة أيضا أن تمدح مشروعا نافعا من مشروعات الحكومة فجعلت عنوان ما كتبته فى ذلك «كلك منافع يا توم»

وصدر قانون للدمغة فشكت منه الصاغة فكتبت : « عريضه الصاغه بعد تلك الغاغه » . وكتبت عن البترول (كيف يحل ويزول شكل البترول)

وكتبت عن الحشيش (كيف يباد ويزول هذا العدو المهزول)

وهناك من أمثال هذا كثير

وأعود الى القصيدة التى نشرتها جريدة الوطن فى سنة ١٨٨٨ فى مدح رياض باشا فاقرأ بعض أبياتها ، لا على أنها مثال للشعر المصرى فى ذلك الوقت، فانى أعرف أن الشعر فى ذلك الوقت كان أرقى منها بكثير ، بل على أنها مثال مما كانت الصحف الجدية تتسامح فى نشره

قال الشاعر .

يا هنا مصر سناها فى الدجا ضا   واليها الانس والاسعاد آضا
برياض العدل فيها العزيز كو   بل ويكفى أن للعدل رياضا

فقارنوا هذا كله بما تقرأونه الآن فى الصحف تعرفوا مقدار الخطوات الواسعة التى خطتها الصحافة فى سبيل النمو والتقدم .

ونقف عند هذا الحد من النظرة التاريخية . فننتقل بعد ذلك الى النظرة التحليلية:

أول مايلاحظه الناظر ان خمسا وثلاثين سنة انقضت على وجود « الوقائع المصرية » . حتى وجدت أول جريدة أهلية ، ثم توالى صدور أكثر من خمس عشرة جريدة بين سياسية وادبية وفكاهية فى المدة من سنة ١٨٦٥ إلى سنه ١٨٧٧ وذلك مع أن المدارس كانت قد فتحت أبوابها للتعليم الحديث منذ عهد محمد على الكبير ، والبعثات المصرية الى أوربا كانت قد توالت منذ عهده أيضا، فأخرجت لمصر علماء شاهدوا الصحافة فى أوربا وعرفوا قيمتها فى تربية الجمهور ، ولكن تفسير هذا الجمود سهل، وهو يرجع إلى أمرين: الاول انه كان من الضرورى بعد فتح المدارس وبعث البعثات إلى أوربا أن يمضى زمن كاف لتربية نشأة حديثة تعيش الصحف من اقبالها عليها، والثانى أن المدة ما بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٧٧ هى بعينها المدة التى وجدت فيها فى مصر حركة فكرية قوية ، اصطدمت فيها أفكار مصرية تقف موقف الدفاع بأفكار أوربية تقف موقف الهجوم ، فدعا هذا الى انشاء الصحف واتخاذها لبث ماتغلى به النفوس

وفى هذه الآونة كان من الذين اشتغلوا بالصحافة الامام الشيخ محمد عبده والمغفور له سعد زغلول باشا فكان لهما فى ترقية أسلوب الكتابة أثر ظاهر

وتلت ذلك الحوادث العرابية فتولدت فيها حركة فكرية اتصلت بالحركة الأولى فقويت الحاجة الى الصحافة وظهر حينئذ عبد الله النديم بجريدته «التنكيت والتبكيت» ثم بجريدته «الطائف» فقربت نظارة ذلك العهد جريدته هذه الأخيرة حتى قررت أن تخصها بتدوين أعمال مجلس النواب دون (الوقائع المصرية)

وخمدت الحركة الفكرية بعض الشىء على أثر النتيجة التى انتهت اليها الحوادث العرابية ، ولكن هذا الخمود لم يكن الا وقتيا ، لانها عادت بعد سنوات قليلة فهبت من مرقدها ، وهبت الصحافة معها ، وكانت هبة الصحافة فى هذه المرة أشد قوة وأوسع ميدانا . وكان من رجالها السيد على يوسف صاحب المؤيد . ومصطفى كامل باشا صاحب اللواء ، وأحمد لطفى السيد باشا مدير الجريدة فيما مضى ومدير الجامعه المصرية الآن ، ومحمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش مديرا اللواء فالشعب، وبشارة تقلا باشا وسليم تقلا بك صاحبا الاهرام ، والدكتور فارس نمر

أحد أصحاب المقطم والدكتور يعقوب صروف أحد أصحاب المقتطف وجورجي زيدان بك صاحب الهلال .

وكانت لكل واحد من هؤلاء الرجال آراء يخالف فيها الآخر ، فلست أدخل في هذه الآراء ولكنى أقول ان المناقشة الحادة التي تحصل في كثير من الاحيان إلى أقصى حدود العنف بين هؤلاء الرجال وصحفهم هي التي ساعدت في وقتها على تكوين الرأى العام ، وساعدت في الوقت نفسه على أن تخطو الصحافة خطوة جديدة في سيرها إلى الامام .

وجاءت بعد هذا الحركة الفكرية القوية التي هبت في سنة ١٩١٨ والسنين التي تلتها فخطت الصحافة خطوة أخرى ، بل خطوات ، وظهرت قوتها جلية في توجيه الرأى العام .

والكلام في هذه الحركة وأثرها في الصحافة وأثر الصحافة فيها طويل ، ثم هو كلام في الاحياء ، وكل كلام في الاحياء سابق لأوانه ، فاذن احيلكم فيه إلى أنفسكم ، لانكم تعرفون الحركة كما أعرفها وزيادة ، وتشاهدون باعينكم اثرها في الصحافة وأثر الصحافة فيها ، كما أشاهد وزيادة .

من هذا العرض السريع نرى ان خطى الصحافة صاحبت دائما حركات فكرية ، فالصحافة اذن اداة تقتضى وجودها طبيعة التفكير وليست اداة ترف ولا فضول .

هذا هو بعينه الذى وقع للصحافة في أوربا فقد كان الغالب على هذه الصحافة إلى ماقبل الثورة الفرنسوية التي ابتدأت في سنة ١٧٨٩ ، أنها أداة لنقل الاخبار ، ثم جاءت هذه الثورة وانتقلت عدواها إلى جميع أنحاء أوربا ، فاصطدمت أفكار قديمة موروثة من تقاليد الماضى بأفكار جديدة أخرجها العقل الطليق والعلم الطليق . فكانت الصحافة في هذا الاصطدام جنديا أول من ينزل إلى ميدان المعركة قبل غيره ، فيقاتل قتال المستبسل ، فيظفر حينا ويصاب بالجروح حينا ، ثم إذا حميت المعركة فسالت الدماء وطاحت الرؤوس لم تبق الصحافة جنديا فقط ، بل صارت جنديا وزعيما معا ، حتى كانت زعامة الحركة لفريقين بارزين هما رجال القلم ورجال السيف ، وكان رجال القلم أعلى زعامة وأكثر ظهورا ، فجان جاك روسو ومونتسكيو وفولتير مروا بالصحافة وقد كانوا هم الذين وضعوا بذرة الثورة ، وميرابو وروبسبير ومارات مروا بالصحافة أيضا وقد كانوا في الثورة في

السنام والذروة؛ واندرى شينييه مر بالصحافة أيضا وقد كان كاتب الثورة فى عهدها الأول، ثم لما جاء عهد الارهاب وعنف روبسبير فى سفك الدماء رشقه شينييه بسهم من قلمه فرماه روبسبير بالمقصلة؛ فلم تمض أيام حتى كان روبسبير صريع هذه المقصلة .

وفى هذه المعركة الطاحنة كم حبس صحفيون ونفوا وقتلوا ، ولكن الصحافة كانت تسير بهم دائما الى الأمام ، وصحفهم لم تكن تحترق فى نيران المعركة إلا ليخرج منها جديد ، هو أشد حياة وأقوى كفاحا .

رسمت أمامكم هذه الصورة الصادقة لدور من الادوار التى مرت بها الصحافة فى أوربا ، ويخيل الى أنى رسمت بها صورة صادقة لدور كهذا الدور نفسه مرت به الصحافة فى مصر، فقد حوربت هذه الصحافة فى حريتها فعطلت عشرات منها ، وسجن كثير من كتابها وضربت عليها القوانين القاسية ، ووضعت لها الشروط المرهقة، فسقط فى هذا الصراع من الصحف ما سقط، ولكن الصحافة فى مجموعها لم تسقط . بل تغلبت وخرجت قوية نامية ، وكان خروجها هذا لخير الوطن وخير العلم والثقافة .

بقيت لى بعد ذلك كلمة قصيرة فى مستقبل الصحافة المصرية، وفى معهد الصحافة الذى شرعت الحكومة فى انشائه فى الجامعة المصرية .

فأما مستقبل الصحافة فلا شك فى أنه سيكون زيادة مستمرة فيما هى عليه الآن من الحياة والنمو ، وقد استطاعت الصحافة أن تبلغ ما بلغته. وعدد الذين يعرفون القراءة والكتابة لايزيد فى بعض الاحيان على ١٠ فى المائة وفى أحيان أخرى على ١٧ أو ٢٠ فى المائة ، ومن هؤلاء ١٠ فى المائة فقط هم الذين يقرأون الجرائد، والتعليم الآن ينتشر فيكثر انتشاره عدد القراء ويزداد بكثرتهم قدرة الصحف على حياة أقوى ونمو أوسع

على أننى أنصح الصحف بأن تقف عند الحد الذى بلغته زمنا غير قصير، لأنها اندفعت بحرارة التنافس وحرارة الرغبة فى طلب الكمال فجاوزت الحد الذى يتناسب مع حالة بلاد لا يزال انتشار التعليم فيها محدوداً ، حتى لقد صرنا إذا نحن قارنا الصحف المصرية ببعض الصحف فى أوربا كصحف فرنسا أو صحف ايطاليا وجدناها مثلها أو أكبر منها حجما، ووجدناها تقرب منها مادة ، والصحف فى فرنسا وايطاليا

لايقل طبع الواحدة منها عن مئات الألوف، وقد يصل إلى الملايين، فى حين أن طبع الصحيفة المصرية لايزيد على بضع عشرات من الالوف ، وما يقال فى عدد القراء يقال فى الاعلانات .

وأما معهد الصحافة، فالفكرة فيه جليلة ، وهو يؤدى إلى بناء الصحافة على أساس علمى متين ، ولكن إن كانت الحكومة تريد لهذا المعهد النجاح فعليها قبل كل شىء أن تزيل عن فكرها كل ما يسمى تعطيلا للصحف ، إذ الطلاب لا يقبلون على معهد يعلمون أن المستقبل الذى يقودهم اليه هو العمل فى صحف تصدر زمنا وتعطلها الحكومة أو تعطلها المحاكم زمنا .

فعقوبة التعطيل يجب أن تمحى من قوانين الصحافة ، لا لأنها فقط اضرار خطيرة برؤوس أموال تستثمر فى عمل شريف ، واضرار بمن عدا المذنب من محررين أبرياء وموظفين أبرياء وعمال أبرياء وباعة أبرياء وقراء أبرياء ، لا لهذا فقط يجب أن تمحى عقوبة التعطيل ، بل له ولضمان النجاح لذلك المولود السعيد الذى بشرتنا به الحكومة ، والذى شكرناها وما زلنا نشكرها عليه، وهو معهد الصحافة.

نعم إن الوزارة الحالية خففت من أضرار التعطيل بجعله لا يتجاوز خمسة عشر يوما للصحف اليومية ، بعد أن كان يصل إلى ستة أشهر ، وكان فى بعض الحالات يصل الى اعدام الصحيفة ومصادرة المطبعة . ونحن نعرف لوزارة ماهر باشا هذه اليد على الصحافة، كما نعرف لها أيديها الأخرى، ولكن بقاء التعطيل ، ولو الى خمسة عشر يوما ، وجواز تكراره مرة أخرى ، يحولان دون الاقبال على المعهد ، وهما بعد عقوبة تصيب من الابرياء عشرات أو مئات إلى جانب مذنب واحد فيعاقب عقابه عدلا

وقد سمعت أن هناك نية منصرفة الى حذف عقوبة التعطيل من قوانين الصحافة ، فعسى أن يكون هذا الذى سمعته صحيحا، لنضيف بذلك فضلا لهذا العهد على الصحافة، وعلى الثقافة ، وعلى المجتمع المصرى، الى أفضاله الاخرى العديدة

وبعد ذلك أعتذر اليكم عن هذا الوقت الذى أضعته عليكم وأشكركم .

٢

مقام الصحافة المصرية

فى بلاد العرب

للأستاذ أمين سعيد (صاحب مجلة الرابطة العربية)

ألقيت مساء يوم ٢ ابريل سنة ١٩٣٦

أيها السادة

موضوع محاضرتنا الليلة هو مقام الصحافة المصرية فى بلاد العرب .

والصحافة المصرية التى أعنيها،هى الصحف والمجلات التى تصدر فى هذه العاصمة باللغة العربية، بين يومية وأسبوعية وشهرية ، فهى التى تجوب بلاد العرب شرقا وغربا وشمالا وجنوباً .

وبلاد العرب التى أعنيها،هى البلاد التى ينطق أهلها بالضاد،والتى تجاور مصر من الشرق والغرب والجنوب .

فنى الشرق : الحجاز واليمن وحضرموت وعمان ونجد والبحرين والكويت والعراق وسوريا وفلسطين وشرق الاردن .

وفى الغرب : برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى .

وفى الجنوب:السودان .

تلكم هى الأقطار العربية،أو الأقطار التى يتكلم أهلها باللغة العربية،ويدرسون الآداب العربية ، ويتثقفون ثقافة عربية ، ولا يقلون عن ٥٠ مليوناً من النفوس يقرأون الصحف المصرية العربية ، ويعجبون بها .

أيها السادة

لم تكن هنالك صلات ثقافة وعلم وأدب وثيقة بين مصر وهذه الاقطار قبل الفتح العربى الاسلامى،فقد كان العراق خاضعا للفرس،وكانت لغتهم منتشرة فيه . أما الشام فكان خاضعا لدولة الروم البيزنطيين،وكانت اللغتان السريانية والاغريقية

لغة سكان الشمال والغرب والوسط، أما سكان الجنوب الغربى (فلسطين) فكانت العبرية لغتهم ، وكانت العربية لغة سكان الجنوب الشرقى، فهم من العرب الاقحاح ، وكذلك شأن سكان جزيرة سيناء .

وكان الحجاز ، جار الشام ومصر ، يتمتع باستقلال ناجز لا سلطة لأجنبي عليه وكانت العربية لغة سكانه . أما اليمن فكان خاضعا خضوعا اسميا للفرس، وكانت عمان وحضر موت والبحرين (هى بلاد الحسا اليوم) ونجد مستقلة استقلالا تاما .

* * *

أما مصر فكانت خاضعة لدولة الروم البيزنطيين ، وكان فيها لغتان : الاغريقية والقبطية ، والاولى لغة الدواوين والتعليم والادب والفلسفة . والثانية لغة سواد الشعب ، وكان الروم يحاربونها ويقاومونها . وكانوا حينما جاء العرب يبالغون فى اضطهاد رجال الاكليروس القبطى ، ليحملوهم على اعتناق عقيدة كنيسة القسطنطينية، فانقذوهم منهم .

أما السودان فكان مستقلا عن مصر وكان يخضع لحكومات من أبنائه .

وكانت بلاد شمال أفريقيا تحكم بأنظمة خاصة بها فى داخل الامبراطورية الرومية، وكانت اللغتان الرومية والبربرية منتشرتين فى شمال أفريقية حين الفتح العربى، الأولى لغة الدولة والتعليم، والثانية لغة جمهور الأمة وسوادها

وقضى العرب على الاوضاع الرومية والفارسية فى هذه الأقطار، وأحلوا لغتهم تدريجا محل اللغات الاغريقية والفارسية والسريانية والعبرية والقبطية والبربرية، فصارت اللغة العربية فى أواخر العهد الأموى اللغة الرسمية لجميع هذه الاقطار، ولغة العلم والأدب والتعليم، فنشأت بذلك صلة جديدة بينها، وربطتها برباط واحد

وأول دولة عربية مستقلة نشأت فى مصر هى الدولة الفاطمية. فقد مد الفاطميون بأنصارهم إلى مصر، بعد ما توطدت دعائم دولتهم الجديدة فى شمال أفريقية، وكانت تضم الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، فاستولوا عليها بعد طول نضال فى أواخر القرن الرابع للهجرة ، وأنشأوا فيها ملكا ضخما، كما أنشأوا الأزهر المعمور. فأدى للثقافة العربية أجل الخدم ، ووجه إلى مصر الانظار، فأصبحت بفضله وبفضل الرجال الذين أنشأهم مركزا كبيرا من مراكز الثقافة والتعليم فى العالم العربى .

وضعفت الروابط الأدبية بين مصر والأقطار العربية فى عهد الاحتلال العثمانى، فقد أحل الترك العثمانيون لغتهم محل اللغة العربية فى دواوين الحكومة ومصالحها،

فكان أول حادث يحدث بعد الفتح العربي ،وأنشأوا أنظمة ادارية عقيمة ،فكان ذلك الجمود الذى ران على الشرق العربي فى القرون الأخيرة ، وأدى إلى سقوط حكوماته ودوله،الواحدة بعد الأخرى، فى قبضة الاستعمار الأوربي .

وسبقت مصر الأقطار العربية فى نهضتها الصحافية ،فأنشأت صحافة فى الشرق العربي، فصدرت فى القاهرة والاسكندرية صحف ومجلات جابت بلاد العرب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وأقبل الناس عليها،وتعلم الكثيرون فى مدارسها،ولكن تأثيرها ظل محدودا لصعوبة المواصلات من جهة،ولان الحكومة العثمانية الحميدية - وكانت تسيطر على جانب كبير من بلاد العرب - كانت تقاوم الافكار الحرة التى تدعو لها هذه الصحف وتقاومها . وقد ضربت فى سبيل ذلك رقابة شديدة على المطبوعات ، فلايدخل البلاد الا ما توافق على ادخاله ونشره ويتفق مع خطتها وسياستها . يضاف الى ذلك انعدد المتعلمين كان ضئيلا جدا فى خلال تلك الفترة، وتبدل الحالفى بلاد العرب ،التى كانت خاضعة للحكم التركى بعد اعلان الدستور فى سنة ١٩٠٨ ،وسقوط الحكومة الحميدية، والغاء المراقبة على المطبوعات، وانطلاق الاقلام والألسنة ، فصارت الصحف المصرية تدخل بدون مراقبة،فساعد ذلك على رواجها فانتشرت، وكان انتشارها من جملة العناصر التى ساعدت على تكوين هذه النهضة الجديدة .

وجاءت الحرب العظمى بعد ذلك أيها السادة ،فولدت هذا الرقى العظيم فى المواصلات،وكانت هذه النهضة القومية العظيمة المشهودة فى جميع أنحاء الشرق العربي، فعزز ذلك مقام الصحافة المصرية،وساعد على انتشارها ورواجها،إذ طارت على جناحين:جناح البخار والهواء وجناح النهضة الجديدة .

لقد كان بريد مصر لايصل إلى العراق حتى ١٩٢٢ فى أقل من عشرين يوما،ولذلك كان عدد الذين يقرأون الصحف المصرية هناك يحصون بالعشرات ، وانتشرت انتشارا كبيرا فى بلاد الرافدين، بعد ماصارت السيارة تخترق صحراء الشام ،وتقطع فى ٢٠ ساعة ماكانت الابل تقطعه فى ٢٠ يوما ، وصار بريد مصر يبلغ بغداد فى يومين وفى ٧ ساعات بالطائرة،وصار عدد الذين يقرأونها يقدر بالألوف،ولايزال عددهم فى ازدياد ، وسبب ذلك قوة النهضتين الوطنية والعلمية فى العراق وسلامتهما، فهناك شعب نشيط امتاز بالاقبال على طلب العلم ، لاعتقاده أن نشره هو الوسيلة الوحيدة

لتوسيع قواعد الدولة الجديدة التى شادها ، وكل نهضة لاتقوم على العلم الصحيح والوطنية الصحيحة فمصيرها إلى الزوال والانهيار

وكذلك كان الحال أيها السادة مع الشام قبل الحرب العظمى، فقد كانت وسائل المواصلات محدودة، وكانوا يعولون على بواخر البريد فى ارسال البريد المصرى الى الشام ، وهذه ، مهما كثرت، فلا تزيد على واحدة أو اثنتين فى الاسبوع، ومعنى ذلك أن صحف مصر اليومية ما كانت تصل إلا بعد يومين أو ثلاثة أيام من صدورها.

وساعد انشاء سكة حديد فلسطين، فى زمن الحرب العظمى، على طى المسافات وتقريب الابعاد، فانتظمت المواصلات، وصار بريد مصر يصل إلى الشام فى كل يوم وبذلك صارت صحف مصر تصل يوم صدورها أو فى غداته على الاكثر، فانتشرت فى أنحائه وأجزائه من غزة حتى طوروس . ونؤكد لكم أيها السادة أنه لا توجد قرية من قرى الشام، فضلا عن المدن والأمصار، لاتدخلها صحف مصر، والصحف الاسبوعية أكثر انتشارا، لسهولة تناولها ورخص ثمنها بالنسبة لليومية .

وماقلته عن انتشار الصحافة المصرية فى بلاد الشام أقوله عن انتشارها فى العراق، فقد تسنى لى فى سنة ١٩٣٣ أن أرحل رحلة طويلة فى العراق فما دخلت مدينة، ولا مررت بقرية، ولا عشت بمربع أو مغنى ، إلا ورأيت جريدة مصرية واحدة أو أكثر، فهى متغلغلة فى تلك البلاد، منتشرة انتشارا لا يكاد يصدقه إلا من زارها وطاف أرجاءها .

فبلاد الشام وبلاد العراق هما أكثر الاقطار العربية اقبالا على الصحف المصرية واقتناءها، ويقدر مجموع ما يصدر اليهما فى الاسبوع الواحد للبيع وللمشتركين بنحو ١٥٫٠٠٠ مجلة وجريدة أسبوعية وشهرية

والصحف اليومية هى أقل رواجا وانتشارا هنالك، لاعتبارات معروفة، ويقدر ما يصدر أسبوعيا منها لذينك القطرين بنحو ١٠٫٠٠٠ عدد، أى انهما يستهلكان من صحفنا اليومية ومجلاتنا نحو ٢٥٫٠٠٠ عدد فى الاسبوع الواحد، وهو عدد كبير لايستهان به، وخصوصا متى ذكرنا أن مجموع سكانهما يكاد يعادل نصف سكان القطر المصرى ، فضلا عن أن فى العراق والشام صحافة يومية راقية تسير سيرا حثيثا إلى الامام ، فصحف بيروت اليومية التى تصدر باللغة العربية ثمان ، وصحف دمشق اليومية ست ، وصحف بغداد اليومية خمس

وخطت احدى صحفنا اليومية الكبرى فى الصيف الماضى خطوة مرفقة، فاتفقت مع شركة مصر للطيران، وصارت ترسل أعدادها يوميا بطائرتها إلى حيفا وبيروت، فتصل وتباع بعد ساعات من صدورها ، فساعد ذلك على كثرة رواجها ، وزاد فى الاقبال عليها . ولا ريب أن تحسين المواصلات وتقدمها ينشط الحركة الصحافية

ويأتى الحجاز فى المرتبة الثانية بعد الشام والعراق ، فالصحف المصرية منتشرة فى أرجائه، وفى الحجاز شبيبة ناهضة تحشق العلم وتتعطش اليه، فتجد فى الصحف والمجلات المصرية ضالتها فتقبل عليها

وفى إمارات الخليج الفارسى العربية إقبال على صحفنا لا يستهان به

ولم يطرأ على نظام المواصلات بين مصر وبلاد العرب الغربية (شمال أفريقية) ماطرأ على نظام المواصلات بينها وبين بلاد العرب الشرقية من تحول، فهى لا تزال على ما كانت عليه منذ أوائل القرن تقريبا، وبواخر البريد الايطالية والفرنسية التى تسافر فى البحر المتوسط هى الواسطة الوحيدة للمواصلات بين مصر وهذه الاقطار، وهى برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى ، ولا بد للبريد الذى يرسل اليها من المرور فى ايطاليا اذا كان مرسلا للقطرين الاولين، ولمرسيليا اذا كان مرسلا للاقطار الأخرى، فلا يصل الا متأخرا ، ولذلك اكتفى الجمهور بالاقبال على الصحف الاسبوعية والمجلات، وخصوصا غير السياسية منها، لأن لهذه الاقطار حالات خاصة لا يساعد المقام على معالجتها

وتناقلت الصحف، قبل الحرب الايطالية الحبشية، أن هنالك مشروعا بانشاء طريق معبد يصل الاسكندرية بتونس مارا ببرقة وطرابلس الغرب، فتسير السيارات بانتظام بين هذه الاقطار ، حاملة الركاب والبريد، ولا تقل المسافة بين مصر والجزائر عن ٣٠٠٠ ك م ، فى حين أن المسافة بين مصر وبغداد لا تزيد عن ١٥٠٠ ك م، ومن تحصيل الحاصل القول بأن فتح هذا الطريق للسيارات، ويرجى أن يتم ذلك بعد انتهاء الحرب الحاضرة، يساعد على رواج الصحف المصرية فى تلك الأقطار

وربما كانت تونس أكثر بلاد العرب الغربية اقبالا على قراءة صحفنا المصرية، فهى منتشرة فى ربوعها ولا سيما بين الطبقة المتعلمة . وفى تونس شبيبة راقية اعتنقت فكرة القومية العربية .

ومع أن الجزائر أقدم تلك الأقطار عهدا بالاستعمار الأوربى، فهى لا تزال محتفظة

بروحها القومية العربية .وللصحافة المصرية سوق رائجة فى حواضرها الكبرى،وهى الجزائر وقسنطينة ووهران وتلسان ، ولو أزيلت بعض الحواجز التى تحول دون دخول الصحف المصرية، بلا استثناء ولا تمييز، إلى تلك البلاد، لزادت مقطوعيتها كثيرا، ففى الجزائر يقظة قومية مباركة .

وفى المغرب الأقصى اقبال على صحفنا ،وهى تباع فى فاس ومراكش ورباط الفتح والدار البيضاء ووجده وتطوان ومليلة والعرايش،والمدن الثلاث الأخيرات خاضعة لأسبانيا،ويتمتعن بحرية صحفية،فتدخلها الصحافة المصرية بلا رقابة، وتلق فيها رواجا كبيراً .

وما يقال عن المغرب الاقصى يقال عن برقة وطرابلس الغرب ، فان للصحافة الأسبوعية فيهما سوقا رائجة .

ولا يقل عدد ما يصدر إلى بلاد الحجاز وجنوب اليمن وبلاد العرب الغربية من المجلات والصحف الأسبوعية عن ٧٠٠٠ عدد فى الاسبوع الواحد،أى نحو نصف ما يرسل إلى الشام والعراق، وربما كان عدد ما يرسل اليها من الصحف اليومية لايزيد عن ٣٠٠٠ فى الاسبوع،وذلك لصعوبة المواصلات وعدم انتظامها، ولوجود مراقبة شديدة فى بعض هذه الاقطار،تبيح الدخول لصحف وتمنعها عن أخرى .

وفى السودان أيضا اقبال عظيم على الصحف،يومية وأسبوعية،لايستهان به .

وهنالك قطران سحيقان،للصحف المصرية فيهما سوق ، ولها فيهما رواج،وهما أميركا وجاوه ، ففى الولايات المتحدة وفى أميركا الجنوبية جالية عربية نشيطة ناجحة لا يقل عدد أبنائها عن ٧٠٠٠٠ ، معظمهم من سورية ولبنان،ولا يزال الجانب الأكبر منهم متمسكا بلغته وتقاليده وعادات بلاده ،على بعد الدار وطول الغياب ، ويقرأ هؤلاء الصحف المصرية بشغف واهتمام .

ومعظم أبناء الجالية العربية فى جاوة من حضرموت،وهم أهل جد ونشاط،نزحوا إلى تلك البلاد راكبين متن الاقيانوس الهندى،ونشروا فيها اللغة العربية والثقافة العربية، ولا يقل مجموعهم عن ٧٠٠٠٠،وهم شديدو التمسك بقوميتهم وعروبتهم. وبالطبع فان للصحف المصرية والكتب المصرية سوقا كبيرة فى جاوة .

ولا اخالنى مبالغا أيها السادة اذا قدرت مجموع ما يصدر من صحفنا الأسبوعية

الى هذه الاقطار بثلاثين الف عدد فى الاسبوع الواحد. وقدرت مجموع ما يصدر من الصحف اليومية بعشرين ألفا فى الأسبوع ، أى اننا نصدر اليها فى الأسبوع خمسين الف عدد من صحفنا ومجلاتنا ، وهو عدد لا يستهان به. ويرجى أن يزداد مع الايام .

أيها السادة

ولقد كان من جراء انتشار الصحف المصرية هذا الانتشار الواسع فى طول البلاد العربية وعرضها ، أن زاد اهتمام سكانها بسير الحركتين الوطنية والعلمية فى مصر ، فهم يتابعون بشغف وعناية زائدة سير الأولى ، فلا يكاد يفوتهم خبر من أخبارها ، ولا حادث من حوادثها فهم يماشونها فى دورها ومراحلها ، ولا أبالغ إذا قلت إن بين أبناء الطبقة الوسطى هنالك من يعرف من تاريخ القضية المصرية وتحولها ما لا يكاد يعرفه بعض أبناء هذه الطبقة فى مصر نفسها. ولو سألت أى شاب فى الشام أو الحجاز أو العراق عن أى زعيم اردت من زعماء مصر السياسيين لأجاب بما يدهشك من سعة اطلاع واحاطة نادرة ، ومما يلذ ذكره أن الناس هناك منقسمون تبعا لانقسام الأحزاب هنا ، فنهم من يؤيد الوفد المصرى ، ومنهم من يؤيد الحزب الوطنى ، ومنهم من ينتصر للأحرار الدستوريين ، وهكذا دواليك .

وكذلك فهم يتتبعون فى شغف أخبار النهضة العلمية والأدبية ، فلكبار كتابنا وأدبائنا وصحافتنا هنالك كثير من المعجبين ، يقرأون ما يكتبونه بعناية ، ويدارسونه ويتناقشون فيه ، ويعقدون لذلك الاجتماعات ، ويحبرون فى صحفهم المقالات وما زارهم أديب أو عالم مصرى إلا أكرموه وكرموه ، وأنزلوه منازل الرحب والسعة ، وما مات أديب مصرى الا اقامت له المآتم والمناحات وعدوا رزء مصر به رزءاً لهم ، ومصابها بفقده مصاباً لهم .

وكذلك حالهم مع كبار الزعماء الوطنيين ، فهم يقابلون بالحفاوة الزائدة أينما صاروا ونزلوا ، وتؤدب لهم المآدب العظيمة وتعقد المآتم عند موتهم وتصرم أجلهم .

وهكذا أيها السادة أنشأت الصحافة المصرية العربية صلة وثيقة بين مصر وبين الأقطار العربية ، وكونت رابطة جديدة لم تكن معروفة من قبل ، فكثر اهتمام القوم بشؤون مصر ، وأخبار مصر ، وحوادث مصر ، وكل ما يتصل بمصر . وفى عقيدتى

أيها السادة أن هذه الروابط التى أنشأتها الصحافة بين مصر والبلاد العربية ستزداد قوة كل يوم، لأنها مستمدة من روح الشعب، وتتحول فى المستقبل الى تحالف وثيق العرى، وأخاء ثابت الدعائم إن شاء الله

أيها السادة

بقى على أن أصف الخدمة التى أدتها الصحف المصرية لبلاد العرب، فقد كانت، باعتراف الجميع، عاملا نافعا عمل فى تكوين النهضتين الوطنية والعلمية، كما كانت مدرسة مفيدة ساعدت على نشر العلوم والفنون، فلا بدع إذا ما أقبلوا عليها، وأكثروا من الاهتمام بشؤون رجالها والمشتغلين بها .

وهناك شيء واحد لو أتمته الصحافة المصرية لكان فضلها مزدوجا، وذلك أن تهتم بشؤون الأقطار اهتماما يعادل اهتمامها بشؤوننا، فتدون أخبارها وحوادثها بدقة وعناية، وتعالجها وتعلق عليها، فان ذلك مما يسر سكان تلك البلاد، ويزيد فى اقبالهم على صحافتنا وشغفهم بها .

على أنى لا أنكر أن هناك تبدلا مشهوداً من هذه الناحية، فقد عكف بعض صحفنا الكبرى على نشر أخبار تلك البلدان، وأقام الكتاب والمراسلين، وهى وإن كانت خطوة كبيرة بالنسبة للاهمال السابق إلا أنها غير وافية بالمرام فى نظر الأكثرين من سكان تلك البلاد، الذين يطلبون المزيد، ويرجون من الصحافة المصرية أن تزيدهم إهتماما وعناية، فتعرفهم إلى الجمهور المصرى معرفة حقيقية، وتطلعه على أخبارهم وحوادثهم، وتصف لهم حقيقة نهضتهم والمدى الذى بلغوه فى تقدمهم، فان ذلك مما يزيد الصلات القائمة بين مصر وهذه الأقطار، وقد كانت عاملا قويا فى تأسيسها وانشائها كما قلت ـ قوة ومتانة ـ وتكون همزة الوصل وواسطة التفاهم وأداته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٣

رسالة الصحافة

للاستاذ محمود عزمى (صاحب مجلة الشباب)

ألقيت مساء يوم ٧ ابريل سنة ١٩٣٦

سيداتى وسادتى :

اخترت « رسالة الصحافة » موضوعا لهذه المحاضرة الثالثة من المحاضرات الصحفية التى افتتح رئيس الوزارة موسمها منذ أسبوعين . ولست أدرى هل أحسنت الاختيار وهل استبصرت البحث، و« رسالة الصحافة » من الامور التى لما ينعقد الاجماع عليها . وهى إذا اعتبرها أهل الذكر من الأدباء والمثقفين واقعا لاريب فيه، فان من الناس من لايرون فى« الصحافة» إلا تجارة كسائر التجارات، يقصد المشتغل بها أول ما يقصد إلى الكسب المادى ، ويرضخ فى كثير من توجهاته لتيار زيادة الانتشار، وما يقتضيه من مواقف بعيدة البعد كله عن روحية الرسالات وطبيعة تحليقها فوق العادى الأرضى من الاعتبارات .

وانى لأخشى أن يكون لأصحاب هذا الرأى فى رأيهم بعض العذر ، وان كنت أعتقد أنهم انما يستندون إلى نظرات سطحية ومشاهدات تفصيلية، لاتصلح أساسا لحكم مستقيم .

إنهم انما يحدون أنصارهم بمظاهر الصحف، فيجدونها على اختلاف أنواعها تعنى العناية كلها بالاكثار من الاعلانات إكثاراً يحسبونه طاغيا على مواد الصحيفة الأصلية طغيانا لايبررونه هم بصفة كونهم قراء .

وهم ينظرون إلى الصحف الاخبارية - والصحف الاميركية على رأسها - فيجدون همها كله موجها إلى نشر ما يدهش من الأنباء دون كبير عناية بنصيب الصدق والحقيقة منها، ولا يستطيعون أن يمنعوا ذاكرتهم من أن تستعيد ما قاله « شوبنهور » من أن المغالاة بأنواعها ضرورة من ضرورات الصحافة .

ثم هم ينظرون إلى صحف الآراء فيتمثلونها ميدانا للتعصب الفكرى وما يذره فى النفوس من احقاد ويوغر به الصدور من سخائم .

وهم بعد ذلك يلقون نظرة على كبريات الصحف العالمية، فيجدون وراء كل

واحدة منها جماعة تحفزها وتسندها لمصالح صناعية أو مالية أو طائفية، كثيرا ماتتعارض مع المصالح القومية العامة،وكثيرا ماتطوح بالعالم كله إلى مآسي الحروب والخلافات الدولية ، فلمصانع الاسلحة صحف، ولمعامل الغواصات والمدرعات صحف،وفى كل من هذه المنشئات الجهنمية ادارة مطبوعات تحرر فيها المقالات، وتوزع منها على مختلف الصحف المتصلة بها والصادرة فى أكثر من دولة واحدة، بل الصادرة فى دولتين متناقضتى المصالح الحربية ، كثيراً ما تعمل المقالات على توسيع مسافة الخلف بين حكومتيهما وشعبيهما، لتنشب بينهما الحرب وتستفيد المصانع المتضامنة .

ثم هم يستمعون إلى الواقفين على الدخائل ،فيعرفون منهم مايشتهر أمره من اتصال الجرائد القومية بسفارات وأنظمة أجنبية تعمل بواسطتها على تأييد وجهات نظرها الخاصة أو تقديمها للجمهور على نحو قد يبتعد قليلا أو كثيرا عما تريده السياسات القومية للرأى العام من توجيه ،ومشهور فى العالم كله ان جريدة « الجورنال » الباريسية مثلا انما يغلب فيها النفوذ الانجليزى، كما يغلب النفوذ الاميركى فى زميلتها « الماتان »، وتحلو الكلمة الفرنسية فى جريدة « ديلى تلغراف » الانجليزية. ويتجلى الاتحاد الالمانى فى « الديلى ميل » وما اليها من صحف « روزرمير » .

يستمعون إلى هذا كله،ويقرأون كتابا، كذلك الذى ظهر فى فرنسا منذ سبع سنين،وكان لظهوره فى دوائر المثقفين دوى عظيم،فقد كان عنوانه « خيانة الذين يعملون »،وكان موضوعه اتهام الكتاب والصحفيين وسائر المثقفين بأنهم قد نزلوا عن رسالتهم الفكرية إلى ارباب المال ورجال الصناعة والاعمال. ويؤجرون مواهبهم لاكثر العارضين بعد ان قوموها بالمال ويجرون أقلامهم بمدح ما تذمه ضمائرهم وتحليل ماتحرمه عقولهم. يستمعون إلى ذلك كله، ويقرأون مثل هذا الكتاب، فيسائلون أنفسهم: ترى هل للصحافة ورجالها حقا منزلة ؟ ثم لا يلبثون ان يحكموا عليها وعليهم غير عارفين لهم قدرا ولا مقرين لها برسالة .

* * *

تلك حالة نفسية قائمة بالفعل عند فريق من الناس فى مصر وفى غير مصر، لكنها حالة نفسية قائمة عند حد ماقدمته على نظرات سطحية ومشاهدات تفصيلية لا تصلح

أساسا لحكم مستقيم .

ووجه السطحية فى نظرات أصحابها انها لاتذهب بهم إلى تفهم مبدأ جوهرى أصيل، هو ان كل منشأة من المنشئات يجب ـ كى تؤدى وظيفتها ـ أن تعيش أولا، وان لحياتها مقومات يجب أن تضمن ، وان الاعلانات التى يشكو القراء من طغيانها انما هى المورد الوحيد الذى لاتطمئن الصحيفة إلا بتوافره، وان توافره هو الذى يعين أصحاب الصحيفة على أن يتولوها بالتحسين ويتعهدوها بالترقية ؛

ووجه التفصيل فى مشاهدات غير المقرين للصحافة برسالتها انهم لا ينظرون اليها بوحدة متفاعلة العناصر مهما تباينت اتجاهاتها ، متضمنة الافادة من كل تنظيم وتجديد ، متلاحقة الخطى فى سبيلها وفى سبيل المهمة الاجتماعية الملقاة على عاتقها، وان اتصلت بأى نوع من أنواع الاتصال بالاتجار والمادية .

* * *

وإذا كان علينا ـ ونحن فى صدد تلمس « رسالة الصحافة » عن طريق الرد على أولئك الذين لايقرون لها برسالة ـ اذ كان علينا أن نتعرف تلك المهمة الاجتماعية التى يعرفها لها الجميع، والتجارة ذاتها مهمة من مهام الوجود والعمران والاجتماع، اذا كان علينا أن نتعرف تلك المهمة، فلا بد لنا من الرجوع الى الواقع التاريخى، نستدل به على الدوافع التى عملت فى انشاء الصحف فيقرأ خلالها وخلال التطورات التى أدخلها عليها الدهر مانستطيع أن نستنتجه: طبيعة كامنة فى الصحافة ولازمة مستقرة من لوازمها، يستند اليهما ما ندين به نحن للصحافة من رسالة نحاول التدليل عليها علمياً .

والواقع التاريخى الذى يريد أن نستلهمه انما يدلنا على أن الصحافة الفرنسية والصحافة الانجليزية هما اللتان يصح اعتبارهما أصلا للصحافة العالمية الحاضرة من حيث الرسالة الاجتماعية التى تؤديها ، كما يدلنا فى الوقت عينه على أن الدوافع إلى انشاء الصحافيين فى أول عهدهما لم تكن واحدة .

أما الصحافة الفرنسية، فقد كانت الدوافع إلى نشأتها دوافع حكم وسلطان، وقد قامت ـ جازت دى فرانس ـ جدة الصحف الفرنسية ، التى أنشئت سنة ١٦٣١ بمعاونة ريشيليو ، وتأييده الشخصى ، بل اشترك فى تحريرها لويس الثالث عشر ذاته ؛ وقد كان يحلو له أن يحمل أصول مقالاته إلى المطبعة ويحضر صفها بنفسه، وهكذا

كان شأن الصحف السياسية التى أنشئت فيما بعد على التوالى، إذ كان الدافع إلى انشائها تأييد جماعات وأفراد تريد أن تتولى الحكم .

وأما الصحافة الانجليزية، فقد كانت دوافع إنشائها راجعة الى طبيعة انقسام الأمة البريطانية إلى طبقات، وقد أسست جريدة (التيمس) سنة ١٧٨٥ للسهر على تقاليد الجد والخلق العظيم بين الطبقة الراقية المستنيرة فى انجلترا ، وقامت جريدة (ديلى تلغراف) فى سنة ١٨٥٥ لتكون لسان حال الطبقات الوسطى، كما جاءت فى العهد الأخير جريدة (ديلى هرالد) تعبر عن طائفة العمال، بل تنفرد بما لم تتوفر لصحيفة أخرى غيرها فى انجلترا، أى بكونها اللسان الرسمى لحزب سياسى هو حزب العمال ولمنشأة سياسية هى مؤتمر اتحاد النقابات .

لكن هذا الاختلاف فى الدوافع التى يستند اليها قيام أقدم صحافتين فى العالم لايحول دون تقرير واقع لايدل ثبات أصوله عن ثبات أصول تلك الدوافع، وهو أن النزوع الى التحرر من قيود الحكم المستبد وقيود التقاليد الفاسدة هو الذى يرجع اليه التفكير فى انشاء الصحف لتوجيه ذلك النزوع المحتوم لصلحة الدولة. بالنسبة لفرنسا، أو لزيادة تنظيم النضال الذى يستوجبه بالنسبة لانجلترا .

وإذا كانت الصحف قد انقسمت على مر الأيام الى صحف آراء وصحف أخبار تتصل بجماعات ترعى مصالح مالية وصناعة معينة ، أو تمثيل اتجاهات سياسية خاصة، فانها لاتزال مستندة فى نشاطها المختلف بله المتناقض إلى ذلك الاعتبار الأول الذى راعته جداتها العليا، ألا وهو اعتبار النزوع إلى التحرر من القيود، فصاحب الرأى لا يستطيع أن يبديه كاملا ، وناشر الخبر لايمكن أن ينشره مفصلا ، وصاحب وصاحب الاعلان لايستطيع أن يقدمه للقراء شاملا كل ما يجذبهم، إذا كانت هناك أعباء تفرضها القوانين على الكتاب والناشرين .أو كانت هناك اعتبارات عرف تسيغ أشياء ولا تسيغ أخرى .

هناك إذن خاصية مشتركة تبيناها خلال الواقع التاريخى، وقد كانت بين طبائع الصحافة جميعا ، وتلك هى خاصية «النزوع إلى التحرير» .

ولقد كان من شأن هذه الخاصية أن جذبت ـ وهى لاتزال تجذب ـ إلى الصحف كل تواق للحرية، وكل متألم من قيود القانون والعرف ، يبثون عن طريق المناجاة

الشفوية حينا، وعن طريق التحبير أحيانا، ما يحسونه من ألم ويطمحون اليه من حرية، فتنشر لهم شكاياتهم، فتشفى بنشرها شيئا من غليلهم، أو تزيدهم لما يتألمون منه وعلى ما يتوقون اليه حرقة فتوقظ فيهم ملكات كانت من قبل كامنة وتخلق فى البيئة تيارات لم تكن من قبل معروفة ، وتلك هى ملكات النقد وتيارات التقدير .

ولم تكن «السياسة» وحدها «موضوع» ما نشأ على هذه الوتيرة من نقد وتقدير ، بل كان الأدب والاجتماع، وكان مختلف أنواع النشاط الفكرى جميعا كذلك. وأنتم تعرفون ما للنقد فى عوالم السياسة والأدب والاجتماع من أثر وسلطان، وما له من نتائج اصلاح، فتعرفون بالتالى فضل الصحافة عن طريق اذاعته واطلاق العنان لما يتضمنه من رغبة فى التحرير والتقديم .

* * *

على أن للصحافة خاصية أخرى لا تقل أهمية من حيث الأثر الذى ينتجه عن خاصة النزوع الى التحرير، وما ولدته من كشف عن ملكات النقد وتوجيه لتارات التقدير وأعنى بها ذلك الذى أود أن أعبر عنه «بالأثر الصوفى لكل مطبوع » ولا تزال المطبوعات تفعل فى الناس فعلها السحرى الذى قلما يكون لمكتوب يجرى به قلم تمسك به يد ، ولا شك أن الطباعة حين وجدت كان لها فى الناس أثر أى أثر، ولا شك أنه كان من الشدة بحيث لا يزال طابعه فيهم منذ قرون قائما أمامهم الى الآن، وأنى لأعرف كثيرين من المثقفين، بل من الساهرين على التثقيف الجامعى فى هذه البلاد ، من يخضع للمطبوع ذلك المصنوع السحرى فيأخذ ما تنشره الصحف على أنه دائما حقيقة لاريب فيها ، وعلى أن له من الصفات مايكاد يتاخم القدسية فى كثير .

« وذلك الاثر الصوفى لكل مطبوع » يتفاعل بطبيعة الحال مع النقد الذى سجلناه كنتيجة أولى من نتائج تلك الخاصية الصحفية الاولى ، خاصية النزوع إلى التحرر، ومن شأن تفاعل هذين العنصرين ان تظهر ملكات وعبقريات كانت تظل مدفونه لو لم يقع ، وان يبرز شخصيات كانت تظل مخبوءة لو لم يكن ، وان يعرض للناس من الآراء ما يستخلصون منها برامج توجههم فى حياتهم الخاصة والعامة ، وان تعمل هذه البرامج المستخلصة فى تعهد الرأى العام وتنظيم مايعمل .

ولعل تعهد هذا الرأى العام بالتنظيم والتوجيه يكون هو أولى رسالات الصحافة فى الجماعة ، ذلك بأن الرأى العام اذا ما انتظم فانما يتوجه الى السلطات بما كان أفراد المتألمين من القيود التواقين للتحرر يتوجهون به على صفحات الصحف من نقد، ويتقدم بما كانوا يتقدمون به من مطالب، لكن الرأى العام المنظم يعرف الناحية التى يتجه اليها ويتقدم منها على وجه التخصيص ، بينما كان أولئك المتألمون التواقون يرسلون عبارات ألمهم وتوقاتهم الى جمهرة القراء الذين يجهلون أشخاصهم

يتقدم الرأى العام بالنقد والمطالب الى السلطات التى اصطلح المصطلحون على تقسيمها الى تنفيذية وتشريعية وقضائية ،وسرعان ماتجيئه « علنية » النقد والمطالبة عن طريق الصحف على أن يصبح مراقبا لتصرفات تلك السلطات جميعاً، وسرعان مايعين ذلك كله الصحافة على أن تصبح بدورها « سلطة رابعة من سلطات الدولة» يتفاعل عن طريقة النقد ، قراراً أو تأييداً أو استهجاناً ومخالفة، وعن طريق اقتراح الحلول للازمات والابانة عن المخارج من المضايق، مع الثلاث السلطات الاخرى، كما يتفاعلن فيما بينهن .

وفى كل يوم تقف الصحافة من المشروعات العامة، ومن التصرفات الحكومية، ومن الاجراءات البرلمانية والقضائية ذاتها ماينجلى خلالها للقراء وللناس جميعا فعل تلك الرقابة التى تختص بها دون سائر الهيئات ،ويتجلى عمق هذا الفعل الذى يقدر أن للعلنية فيه شأنا عظيما ، والناس لايزالون يخشون عرض أعمالهم على الناس، وهم يخشون بخاصة أن يجىء هذا العرض فى وضح النهار ،ولذلك ماتزال طبيعتهم تتلمس الفرار من « عار النقد العلنى » ، ولذلك فانهم يعيرون - وعلى الرغم منهم فى كثير من الاحايين - كتابات الصحافة اهتماما ما كانوا ليعيروا نصفه كتابات تتضمن النقد عينه والمطالب عينها لو كانت تجىء عن غير هذا الطريق العلنى ، وان كان من أهل ذكر وذى اختصاص

ولا ريب أن أيام الزملاء الصحفيين مملوءة بما يدلل على صحة ما أقرر . لكنى أود أن أتقدم لكم بمثلين اثنين لابأس من إيرادهما ،ففيهما بعض الترويح .

أما المثل الاول - ويسرنى أن أرى الاستاذ الكبير لطفى السيد حاضرا ادلائى به فقد كان طرفا من اطراف ظروفه - فيرجع العهد به إلى أربع وعشرين سنة أو ثلاث وعشرين ،وقد كنت فى ذلك الحين مدرسا بمدرسة التجارة العليا،وكانت لائحة هذه المدرسة موقوتة غير مستقرة استقرارا نهائيا ، فوجدت

بها بعض ما رغبت فى إصلاحه لفائدة العلم ونظامه ، فتقدمت إلى ادارة التعليم التجارى ووزارة المعارف بملاحظات رجوت ادخال ماتضمنته من وجوه اصلاح على اللائحة قبل عرضها على الجمعية التشريعية للنظر فيها واقرارها ، وحسبت تلك الملاحظات قد أعيرت جانبا مما كنت أعتقدها جديرة به من اهتمام، لكن جاء وقت نظر الجمعية التشريعية لتلك اللائحة، وأعلن أمرها ، فوجدتها هى لم ينلها تعديل أو تحوير .

عند ذلك فكرت فى الصحافة وكتبت ثلاث مقالات دفعت بها الى « مدير الجريدة »، ورجوته فى أن يظل اسم الكاتب مستورا ، وقد ضمنت تلك المقالات الثلاث ما كنت قد ضمنته ملاحظاتى الرسمية من قبل ، فلم يكد المقال الاول ينشر حتى كان اهتمام من وزارة المعارف وادارة التعليم التجارى، وما أن نشر الثانى حتى كان استدعاء لى ومناقشة فى ملاحظاتى وما شملته من اقتراحات. وما أن انتهت الجريدة من نشر المقال الثالث حتى كان التعديل والتحوير قد أصابا اللائحة المقدمة للجمعية التشريعية وحتى كان الاصلاح الذى التمسته من قبل اساسا مقبولا ومقررا وأمرا واقعا بالفعل .

والمثل الثانى كان البرلمان ميدانه ، برلمان سنة ١٩٢٦ الذى كان يرأسه سعد باشا، سعد باشا فى منصة الرياسة، والمجلس يناقش موضوعا من الموضوعات المطروحة عليه ، ولسعد باشا رأى فيه ، فلم يتردد فى ابدائه مطولا مدعما من على منصة الرياسة ، وأنا فى ذلك الوقت مراسل برلمانى لجريدة « السياسة » ، تناولت هذا المظهر بالنقد، وصدرت « السياسة » فى الصباح، ألاحظ فيها أن سعد باشا على منصة الرياسة انما يمثل المجلس كله ويمثل الأمة كلها ولا يستطيع فى هذا التمثيل الشامل أن يدلى برأى فردى فى موضوع تجرى فيه المناقشة فى المجلس ، لكن سعد باشا نائب ، ولم يستطع عن طريق نيابته أن يدلى بآرائه الفردية ، لكن له هذا الادلاء عن غير منصه الرياسة، فاذا هو أراد استعمال حقه فى الكلام الفردى فليعهد بالرياسة لأحد الوكيلين وليغادر منصة الرياسة وليأخذ مكانه بين الاعضاء وليطلب الكلمة لتعط اياه « نائبا محترما عن السيدة » ، وفى اليوم الذى ظهرت تلك الملاحظات على صفحات السياسة فى صباحه كان للبرلمان جلسة ، وكان يرأس مجلس النواب سعد باشا ، وعرض موضوع أراد سعد باشا أن يدلى فيه برأى ، فرأيته ينادى

الأستاذ ويصا واصف ويطلب اليه رياسة الجلسة ثم ينزل هو إلى مقاعد الأعضاء ويطلب الكلمة فينادى الأستاذ ويصا واصف معلنا الكلمة لنائب السيدة زينب المحترم» .

* * *

وإذا كانت «رسالة الصحافة» التى وصل بنا هذا التحليل الى تقريرها لها هى رسالة «السلطة الرابعة» التى تراقب سلطان الدولة الاخرى وتتفاعل وإياها فى «صلحة الجماعة» ، فان لها لرسالة ثانية لاتقل فى نظرى عن تلك خطورة ولاتقصر مدى، وأعنى بها رسالة «المثل الصامت الاعلى للتضحية» الذى يقدمه الصحفى كل يوم وكل لحظة ويدعو اليه من طريق القدوة الحسنة لمصلحة الوطن .

ولايذهبن تصوركم تلك التضحية إلى مايصيب الكتاب والصحفيين من مواقف المحاكمات ومتاعب السجون فهى وحقكم أهون أنواع التضحية التى يتقدم بها الصحفيون كل يوم وكل لحظة مبتسمين ، وان كانت تلك المحاكمات ونتائجها تكون أركان الأدلة القاطعة على أن للصحافة رسالة معنوية تسمو بأصحابها عن اعتبارات المادة ومقاصد الكسب التى يريد البعض ان يروها هى وحدها اعتبارات الصحافة ومقاصد الصحفيين، والحمد لله إذ تقوم هذه الادلة كل حين فى مصر وفى غير مصر حيث لاتزل القوانين «الحادة» تفعل فعلها وحيث لا تزال «عيون الحكام» تفعل فعلها وحيث لا تزال «عيون الحكام الحمراء» ترمق الصحفيين وإن كان العهد الماضى فى مصر قد غير من «حمار» العيون الكثير .. ولو إلى حين . . .

انما اقصد إلى نوعين من المواقف المؤلمة التى يقفها الصحفى الحق كل يوم وكل لحظة فيما بينه وبين نفسه وتصيب أعصابه وتصيب كائنه كله من جرائها ما تصيب، فكم مرة فى اليوم الواحد يواجه فيها الصحفى نضالا بين رغبته الأكيدة الخالصة فى الاعراب عن رأيه الذى يدين به اعرابا خالصا من شوائب اللف والمواربة وضرورة من ضرورات الاعتبارات المادية وما اليها تقضى عليه بالسكوت عن ركن من أركان موضوعه أو ناحية من نواحى رأيه ،وإنه لنضال مضعف مهلك يؤثر الصحفى الحق عليه كل أنواع المحاكمات والتعذيب الجسمى .

ونوع آخر من أنواع تلك المواقف المؤلمة ذلك الذى يضطرك فيه رأيك إلى

مغاضبة صديق تربطك وإياه صلات وثيقة وتتضامن وإياه فى ذكريات عزيزة ، ويظهر أن إغضاب الأصدقاء من شروط المهنة فى الصحافة فقد استمعت منذ سنوات ـ وأنا فى لندن . إلى صحفى يخطب زملاءه وقد أقاموا له حفلة تكريم لمناسبة انسحابه من ميدان الصحافة وقد بلغ الخامسة والسبعين ، فيقول فيما يقول : إن أشد ما ناله فى حياته الصحفية اضطرارها إياه لمغاضبة أصدقائه ، وأشد ما كان يؤلمه فى هذا الصدد عدم استطاعته الحيلولة دون هذه المغاضبة ، وقد انتهى الأمر إلى الاعتقاد بأن هذه المغاضبة شرط من شروط المهنة فطالما أحس بأنه لم يؤد واجبه الصحفى على الوجه الأكمل كلما كان يعالج موضوعا يتصل بصديق له ولا يغاضب هذا الصديق .

* * *

على أن الصحفى الحق الذى يقدم كل يوم تلك « المثل العليا الصامتة » ، ويذوب من جرائها فى سبيل اثارة الغير ، انما يحتمل كل ما تنطوى عليه من آلام ، بتلك الثقة التى تعرفها سير أصحاب الرسالات جميعا ، وانما يسمو برسالته ـ التى تكاد تكون الحية هى الاخرى ـ فوق الدنىء من الاعتبارات التى لا يخل « المواطنون » ان يرجموه بها وهو يئن تحت اعباء ما يحمله عنهم من تكاليف، كما رجم مواطنون رسلا وأنبياء فيهم من قبل . .

* * *

ولعل من العزاء للصحافة والصحفيين فى شىء ان أذكر اذ أختتم هذه المحاضرة تلك الكلمة التى قالها « كليمنصو » يوم فشل فى محاولة ارتقاء عرش رياسة الجمهورية الفرنسية بعد ما أدى لفرنسا ما أدى من رسالة قومية اثناء الحرب العظمى. فقد سأله سائل عن أثر هذا الفشل فى نفسه ـ وكان « كليمنصو » من عظماء الصحفيين كما كان من عظماء رجال الدولة ـ فاجاب :

« بقلم متين وبعض من الورق يستطيع المرء ان يصبح ملك العالم » .

ولتحى صاحبة الجلالة ! !

٤

اتجاهات الصحافة الحديثة

للأستاذ اميل زيدان رئيس تحرير الهلال

ألقيت مساء يوم ٩ ابريل سنة ١٩٣٦

فى نصف قرن

تطورت الصحافة فى الخمسين سنة الماضية تطورا بالغا أصاب كيانها وهز أركانها، فالفرق بين صحيفة صدرت منذ بضع عشرات من السنين وصحيفة تصدر اليوم كالفرق بين عربة تجرها الجياد وسيارة من طراز ١٩٣٦ .

* * *

روى جورج نيونز، وهو أحد آباء الصحافة الحديثة التى نحن بصددها. انه جلس يوما يطالع صحيفة يومية فلم يلبث أن شعر بالسأم يستولى عليه اذ كانت الصحف وقتئذ أشبه شيء بالسجل الطويل الممل . ولم يستوقفه فى تلك الصحيفة الا خبران اثنان طالعهما بلذة . . . ففكر فى الأمر ثم ساءل نفسه قائلا : لم لا انشأ جريدة تقتصر على نشر النبذ والمعلومات المشابهة لذينك الخبرين . ولم يمض طويل وقت حتى اصدر مجلة « تيت بتس » جامعة لكل طريف جذاب فنالت رواجا كبيرا .

وتأثر لورد نورثكليف ـ وكان اسمه وقتئذ الفرد هرمسوث ـ بفكرة «جورج نيونز» فانشأ مجلة « انسرز » على غرار (تيت بتس) . تلك كانت خطوته الاولى فى الصحافة . على ان أثره الباقى هو انشاء (الديلى ميل) التى كان صدورها بدء عهد جديد . فنورثكليف كان بلا ريب نابليون الصحافة واليه يرجع الفضل الاكبر فى تقدمها العجيب .

ففى سنة ١٨٩٦ أى منذ أربعين سنة استوقف المارة فى شوارع لندن اعلانات كبيرة كتب عليها هذه الكلمات : The Daily Mail - A surprise - أى « الديلى ميل ـ مفاجأة » ولم يلبثوا أياما قليلة حتى رأوا العدد الأول من هذه الجريدة ففوجئوا به حقيقة ـ إذ جاء يختلف اختلافا بينا عما ألفوه حتى ذلك الحين .

وأول مافوجئوا به ثمن الديلى ميل فقد كان نصف بنى (أى مليمين) وهو نصف الثمن المعتاد وقتئذ . ومع أن حجمها كان أصغر من حجم الجرائد الاخرى - ٨ صفحات فقط - فقد احتوت على خلاصة ماكانت تنشره تلك الجرائد . ثم ان تلك الخلاصة كانت مسبوكة فى قالب جذاب وبعناوين لافتة وترتيب يرتاح اليه النظر . ولم يكن ثمة أثر للمقالات المطولة والمباحث المستفيضة بل اقتصرت الديلى ميل على الزبدة التى تهم الرجل العادى أو رجل الشارع . ومما امتازت به أيضا عنايتها بالاخبار فى المقام الأول ، وجعلها الآراء والمناقشات السياسية فى المقام الثانى .

ذلك كان منشأ « الديلى ميل » بل منشأ الصحافة الحديثة . ولقد كوفىء منشئها على جهوده باقبال لم يعرف له مثيل . فبعد ثلاث سنوات بلغ المبيع من جريدته نصف مليون نسخة فى اليوم .

أما الآن فالديلى ميل تبيع كل يوم مايقرب من المليونين ، ولها فى هذا المضمار ثلاث منافسات : الديلى اكسبريس ومنشئها لورد بيفربروك الكندى الأصل . والديلى هرالد صحيفة العمال وان يكن ناشروها من الرأسماليين، والنيوز كرونيكل صحيفة الاحرار التى تكونت باندماج (الديلى نيوز) و (الديلى كرونيكل)

* * *

وعلى ذكر الديلى اكسبريس، تعرفت فى الصيف الماضى فى لندن بالمستر بيفرلى باكستر وكان قد استقال من رياسة تحرير تلك الجريدة الشهيرة . فسألته عن سبب استقالته فأجاب هذا الجواب: ان الناس لايصدقوننى حين أقول لهم السبب الحقيقى . والواقع انه حين عهد إلى لورد بيفربروك فى رياسه تحرير الديلى اكسبريس كانت تطبع نحو ٤٠٠٠٠٠ نسخة فعزمت على الوصول بها إلى المليونين. وفى العام الماضى وصلت فعلا إلى بغيتى . فلم يعد لى ثمة حافز على العمل الصحفى بعد أن حققت الغاية التى نشدتها فتركت الصحافة إلى عمل جديد ما زال مجال التوسع فيه عظيما - أعنى صناعة الأفلام .

على ان انتشار الجريدة ليس وحده مقياس شأنها فالتيمس تطبع نحو ٢٠٠٠٠٠ نسخة وهى بلا ريب أعظم جريدة فى العالم - ومثلها الطان الفرنسية فانها تطبع أقل من ١٠٠٠٠٠ نسخة فى اليوم .

* * *

ومع تطور الصحف تطورت مهنة الصحافة ، وأصبحت لها نظم وقواعد . فبعد ان كان الصحفى فى الغالب كاتبا بوهيميا أو أديبا يداعب القلم ويطلع على القراء بينات أفكاره خضع لقوانين معينة وتقيد باعتبارات كثيرة . وبعبارة أخرى أصبح محترفا بعد ان كان هاويا .

أما فى مصر فقد تطورت صحفنا مثل تطور الصحف الغربية - مع حفظ النسبة طبعا - ويكفى للدلالة على هذا التطور انه لم يكن فى مصر سنة ١٩١٤ صحيفة تطبع أكثر ٤ أو ٥ آلاف نسخة فى حين ان لدينا الآن صحفا تطبع ٤٠ و ٥٠ ألفا وأكثر . وصحفنا فى تطورها تقتبس من زميلاتها الغربية ، ولذلك فما اناذاكره من اتجاهات الصحافة الحديثة والاخطار التى تتعرض لها ينطبق على صحفنا مثل ما ينطبق على سواها .

اتجاهات الصحافة الحديثة

لا تقوم الجريدة اليوم على التحرير والتحبير فحسب . ولانستطيع ، ونحن ندرس اتجاهات الصحافة الحديثة ، أن نغفل الأركان الأخرى التى تقوم عليها وهى :

١ - الادارة المالية - ٢ الاعلانات ٣ - الطباعة وما يتصل بها .

(١) فالصحف الكبرى فى العالم تملكها الآن شركات قوية تديرها على أسس مالية واقتصادية ، فقد انقضى - أو كاد - عصر الصحافة الفردية وأصبحت إدارات الصحف متشعبة الأقسام والدوائر ولا يكاد يعرف العامل فى احدى الجهات شيئا مما يجرى فى جهة أخرى من صحيفته .

لست أعنى أن الجريدة عمل تجارى بحت - كلا فلها وظيفة اجتماعية سامية . ولكنها لاتستطيع تأدية هذه الوظيفة على أحسن وجه إلا بتوطيد مركزها المالى .

لماذا ؟ لأن الجريدة إذا توطدت ماليتها استطاعت أن تستقل فى آرائها وأمكنها أن تنتقد بجرأة وأن تصارح الحكومة والجمهور بما تقتضيه المصلحة العامة . أما إذا كانت ضعيفة ماليا فانها تظل كالريشة تتجاذبها الاهواء وتلعب بها الاغراض

(٢) وأما الاعلانات فقد أصبحت عماد الربح فى الجرائد الحديثة . فالنسخة الواحدة تتكلف أكثر من الثمن الذى تباع به ، وإنما تعوض الخسارة بفضل الاعلانات ، وقد حسبوا أن البيع والاشتراك لا يأتيان إلا بثلث الدخل ، والثلثان الآخران من الاعلانات .

ومن الخطأ أن يعتقد القارىء أن الاعلانات تطغى على الجريدة وتحرمه حقه . فالواقع أنه لولا الاعلانات ما أمكنه أن يشترى الجريدة بهذا الثمن البخس .

(٣) أما الطباعة وما يتصل بها من فنون فلا حاجة بى إلى الافاضة بشأنها ، وقد بلغت الآلات الحديثة من السرعة ما جعل القارىء يقرأ تفاصيل الحريق الذى يشب فى المدينة ويرى صوره على صفحات الجريدة قبل أن يطفأ ذلك الحريق ، والتحدث عن التقدم العجيب فى هذا المضمار يخرج بى عن نطاق بحثى الذى أردت أن يدور معظمه على التحرير والمحررين .

* * *

تعنى الصحيفه الحديثة فى المقام الاول بالأخبار . كما يدل على ذلك اسمها الانجليزى Newspaper أى صحيفة الأخبار . وقد ذهب البعض إلى أن كلمة News مشتقة من الأحرف الأولى للاتجاهات الأربعة Wast, East, North, South

ومهما يكن من ذلك فلا ريب أن معظم الاهتمام ينصب اليوم على جمع الأخبار باسرع الطرق وسردها باسلوب ممتع شائق .

وليس من السهل أن تحدد ماهية «الخبر» الصحفى . وقد يكون للخبر خطر فى ذاته ولكنه لا يلفت نظر القارىء العادى فيهمله الصحفى أو يطرحه فى احدى زوايا الصحيفة . وعلى الاجمال فقيمة الخبر على نسبة لفته للنظر . قال أحد كبار الصحفيين على سبيل التمثيل الفكاهى : «اذا عض كلب رجلا فليس هذا بخبر لانه عادى ، أما إذا عض الرجل كلبا فهذا خبر ذو شأن» .

إن الهدف الذى يرمى اليه الصحفى العصرى هو - كما قلنا - استمالة القارىء العادى أو رجل «الشارع» . فلا بد للصحفى من دراسة هذا المخلوق ومعرفة نزعاته لكى يستطيع اجتذابه واقتناص انتباهه والتغلب على ملله : فذهنه كسول يكره الجهد كما أنه فضولى يعنى بسفاسف الامور وقد يعرض عن جلائلها . وعالمه فى الغالب محدود لا يتعدى مدينته أو مقاطعته .

هذه حقائق أساسية يجب ألا تبرح ذهن الصحفى . والقاعدة البسيكولوجية التى ينبغى له أن يضعها دائما نصب عينيه هى أن يتحدث عن أشياء تهم القارىء وعن أشخاص يعرفهم . فلا بد من ربط الخبر بما يحويه ذهن القارىء من نزعات

ومعلومات ولا بد من النظر الى الحوادث جميعا من زاويته الضيقة .

فهذا القارىء قد يهتم لعراك صبيين فى الشارع الذى يسكنه أكثر مما يحفل لانقلاب حكومة بعيدة . وقد قدر أحد الصحفيين أن وفاة تحدث فى المدينة التى تطبع فيها الجريدة تعادل من حيث قيمتها الصحفية خمسين وفاة فى المقاطعة التابعة لها المدينة والف وفاة فى أحد الاقطار المجاورة ومليون وفاة فى قارة بعيدة .

وجملة القول أن للصحفى مقاييس غير مقاييس الأديب أو مقاييس العالم، وقواعد البلاغة الصحفية تختلف من عدة وجوه عن قواعد البلاغة التى تدرس فى المدارس، كما أن الاجادة فى الصحافة تتطلب صفات خاصة غير تلك التى تتطلبها الاجادة فى غيرها من المهن .

وفى رأس هذه الصفات السرعة والسبق، يحكى عن أحد الصحفيين فى اثناء حرب الترنسفال أنه أراد أن يسبق زملاءه جميعا فى ارسال نبأ عن نتيجة معركة خطيرة وكان هناك مكتب واحد للتلغراف فلكى يمنع زملاءه من استخدام ذلك التلغراف صمم على أن يشغله باستمرار وسلم للموظف نسخة من الانجيل وطلب اليه أن يرسل إلى جريدته الصفحة تلو الصفحة ريثما يتيقن من نتيجة المعركة المرتقبة، فيكون أول من يرسل الخبر إلى جريدته .

ومعلوم ان معاهدة فرسايل نشرتها جريدة شيكاغو تريبيون قبل ان تخرج من أيدى مصنفيها . وأثار هذا الحادث ضجة عظيمة، فقد استطاع مكاتب تلك الجريدة اقناع أحد ممثلى الدول الصغيرة المظلومة بتسليمه نسخة المعاهدة وأغراه بأن فى نشرها تنبيها على الحيف الواقع على بلاده .

* * *

وبعد جمع الأخبار يجب « اخراجها » ، والاخراج الصحفى فن كالاخراج السينمائى ، وغرضه ابراز الخبر وتنسيقه بصورة لافتة للانظار . وللعناوين شأن خاص فى ذلك، وقد حسبوا ان العناوين فى بعض الصحف الامريكية تشغل أحيانا من المساحة أكثر مما يشغله الخبر نفسه .

أراد نورثكليف يوما ان يلقى درسا على أحد أعوانه فقال له : « اذهب إلى بائع الفاكهة عند زاوية الشارع وسله أين يضع أحسن ماعنده من التفاح » ، فحار المحرر، ولكنه صدع بالامر، وما لبث أن عاد وقال: إن بائع الفاكهة أخبره أنه يضع

أحسن تفاحة فى أبرز مكان من الواجهة، فقال نور ثكليف : « والصحفى كبائع الفاكهة يجب أن يبرز أحسن ما عنده للعيان وينسقه تنسيقا جذابا يستهوى النظر ويأخذ باللب » .

أما الأسلوب الكتابى فأول ما يشترط فيه توضيح الخبر وتبسيطه وتقريبه بحيث لايحتاج القارىء إلى بذل شىء من الجهد فى تفهمه - لأن القارىء العادى كما قلنا عدو لكل جهد .

كنت فى أول عهدى بالكتابة ميالا إلى بعض الموضوعات العويصة ، شأن المبتدئين المتفلسفين ، وحدث أن قابلت يوما أحد زملائى فى المدرسة فأقبل على مهنئا وقال : إنما تكتبه يافلان عال جداً فانى قرأت المقال ولم أفهمه . وقد ظن أنه يمدحنى على اعتقاد أن الكتابة العالية هى تلك التى لا تفهم بسهولة ، هذا الصديق قد خدمنى أعظم خدمة، فقد أدركت وقتئذ أن الواجب الاول على الصحفى أن يكتب لقرائه بأسلوب سهل قريب المنال .

أخطار المهنة

سمعنا جميعا عن الصحف الصفراء ، والمقصود بهذا التعبير تلك الصحف التى لا هم لها الا كسب المال عن أى طريق أتى، فغرضها الأول والأخير زيادة المبيع من نسخها ومضاعفة مساحة الاعلانات التى تنشرها ، فضلا عن موارد أخرى سرية وشبه سرية .

والصفرة فى الصحف درجات ومراتب ، ولا تحجم بعض الصحف الصفراء ، فى سبيل الوصول الى أغراضها ، عن استخدام أشنع ضروب التهويل والافتراء والاغفال والتجسيم .

ومن أغرب ماقاله أحد الصحفيين إنه يجب على كل صحيفة أن تضم اليها (مجنونا) لكى يستنبط بين حين وآخر أشياء غير مألوفة ليتحدث عنها الناس ، فتحدث الناس هو سر الرواج .

ولنضرب بعض الأمثلة على أساليب الصحف الأميركية، فهى أبرع من سواها فى هذا الميدان .

لكل نجمة سينمائية كما هو معلوم وكيل يشرف على مصالحها ويتولى استغلال مواهبها ، وقد روى أحدهم أنه كان يتفق مع النجمة الناشئة لمدة ثلاث سنوات

فيشرع فى الاعلان عنها مستعينا بالصحف والصحفيين ثم يتغاضى جانبا من الفرق بين راتبها الاصلى والراتب الذى وصلت اليه بمسعاه ، ومن هذا القبيل قصة جانيت مكدونلد وزوا جهابولى عهد ايطاليا . فقد اخترعت هذه القصه اختراعا وشغلت الصحف زمنا غير يسير . وكان مروجها يذكى الاهتمام بها يوما بعد يوم فلم يمض شهر واحد حتى كانت جانيت مكدونلد أعظم نجمة تتألق فى سماء السينما .

قال أحد أرباب الصحافة الصفراء : «أفضل أنواع الأخبار الصحفية هى الاخبار الكاذبة لأنها — أولا — محتكرة للصحيفة التى تنشرها فلا ينافسها فيها منافس، وثانيا لأن تلك الصحيفة تستطيع أن تكون أول من يكذبها »

كان اديسون المخترع الاميركى العظيم يتمشى يوما فى احد حدائق فينا . فعلم بأمره أحد الصحفيين فأقبل عليه محدثا، ولكن اديسون لزم الصمت ولم يشأ الافصاح عن شىء . وما كاد أديسون يرحل حتى دبج الصحفى حديثا مستفيضا بينه وبين أديسون ونسب اليه أقوالا كثيرة فى شؤون شتى . وكان عنوان المقال : أديسون أعظم مخترع فى العالم . فلما أطلع أديسون على هذا الحديث أرسل الى الصحفى تلغرافا قال فيه : «أرجو التصحيح . إن أعظم مخترع فى العالم ليس أنا بل انت » .

وعثر احد الصحفيين الامريكيين يوما على عجوز زنجية بلهاء عمياء لاتكاد تعى شيئا وكان فى ذلك اليوم قد نضبت موارد الاخبار لديه . فخطر له ان يبهر الجمهور الامريكى اذ يقدم له تلك الزنجية بصفة كونها مرضع جورج واشنطن . فمن ذا يستطيع اثبات العكس ؟ ولم يلبث ان عقب هذا الاكتشاف المزعوم مناقشة حادة فى الصحف . بل ان الجمهور الامريكى نفسه انقسم فريقين : فريق يؤمن بقصة المرضع وفريق ينكرها . وهذا الفريق الثانى كان على الخصوص من اعداء الزنوج فعز عليهم ان يكون محرر وطنهم رضع لبن زنجية . وقد شغلت هذه القصة الصحف والجمهور زمنا غير يسير .

ونال مستر هرست ، ملك الصحافة الأمريكية اليوم ، شهرته الفائقة على أثر عمل صحفى باهر ، مازال الصحفيون فى أمريكا يضربون به المثل : فقد حدث فى أثناء ثورة جزيرة كوبا على الحكم الاسبانى أن انضمت فتاة جميلة اسمها افنجلينا ستروس إلى فريق الثوار، فما كان من ولاة الامور الاسبانيين الا ان ألقوا القبض

عليها وزجرها في السجن ، وكانت الصحافة الامريكية ، وفي متقدمتها صحف هرست، تدافع عن أهل كوبا وحقهم في الاستقلال وتحرض الحكومة الامريكية على اعلان الحرب على اسبانيا ، الا أن الحكومة عارضت في هذه المجازفة ، فلما القى القبض على تلك الفتاة استغل هرست هذا الحادث إلى الحد الاقصى فأوفد أحد أعوانه البارعين بمهمة سرية هي السعي في انقاذ السجينة الحسناء ، وقد تم ذلك فعلا بعد أسبوعين وعاد الصحفي مع الفتاة إلى أميركا،فلاقيا استقبالا شعبيا عظيما حتى اضطر رئيس الجمهورية نفسه إلى استقبال تلك البطلة في البيت الابيض، وبالطبع كانت صحف هرست في تلك المدة تستغل هذا الحادث بتفاصيله استغلالا وافيا ، فتضاعف الاقبال عليها . . . ولكن ذلك (التهويل) الصحفي كان في مقدمة العوامل التي دفعت الولايات المتحدة الى اعلان الحرب على اسبانيا

* * *

على أن الخيال الخصب واستغلاله على تلك الأوجه الشائنة ليس هو الخطر الوحيد الذي تتعرض له الصحافة . . والقراء طبعا

فهناك عوامل كثيرة قد تحد من حرية الصحافة،وتحول دون تأدية مهمتها بالنزاهة الواجبة

فبعض الحكومات اليوم تقيد الصحف بقيود صارمة وتسيطر عليها سيطرة تامة فتحول دون نشر أي خبر داخلي أو خارجي لا يرضى عنه الحاكمون بأمرهم

على أن بعض الحكومات تلجأ الى وسائل أخرى للتأثير في الصحف . نعني التفاهم الودي عن طريق الرشوة وبذل المال . وللحكومات جميعا مصروفات سرية يذهب معظمها الى جيوب فريق من أصحاب الصحف

ومن أشد الاخطار على الصحافة طغيان أصحاب الأموال عليها،ولقد أصبحت الصحافة في كثير من البلدان شبه احتكار - احتكار في الواقع وإن لم يعترف به القانون، فالرأي العام في أوربا وأميركا يتغذى كل يوم بغذاء ذهني يقدمه له نفر قليل من قياصرة الصحافة . ومن الصعب بل يكاد يكون مستحيلا أن يجرأ احد اليوم على اصدار صحيفة جديدة في مدينة كلندن أو باريس لما في ذلك من المجازفة المالية العظيمة .

ومن أنواع التأثير الذى تتعرض له الصحف تحكم المعلنين ومديرى المصالح والشركات - فقد يؤثرون فى خطة الجريدة فيمنعونها من كشف بعض الاعمال الضارة بمصلحة الجمهور ، فاذا لم تذعن الجريدة حرموها من اعلاناتهم، وهى كما لا يخفى من أهم موارد الصحف .

لكى يرتفع مستوى الصحف، يجب أولا أن يرتفع مستوى المشتغلين بالصحافة، وثانيا أن يرتفع مستوى الجمهور نفسه، فبين الصحافة والجمهور تفاعل مستمر، فالجرائد تثقف القراء - أو على الاقل تعاون على تثقيفهم، والقراء كلما تثقفوا تشددوا فى مطالبهم واضطروا الصحف إلى رفع مستواها .

فكما تكون الأمة تكون صحافتها .

ومن أقوال بريزبين أشهر صحفيى أمريكا اليوم قوله : «إذا نظرت الى المرآة فلم يعجبك ما ترى فلا تلم المرآة، وكذلك اذا نظرت إلى صحيفة فلم تعجبك فلا تلم الصحيفة بل الجمهور الذى يقبل عليها» .

على أن الصحفى ليس فقط خادم الجمهور ولسان حاله، بل يجب أن يكون أيضا دليله ومرشده ، وأقصى ما تحتاجه الصحافة فى مصر وفى غيرها انما هو طائفة من الصحفيين يدركون رسالة الصحافة السامية ويعملون على رفع شأنها بين سائر المهن

ولعل ما تدرسه الوزارة الماهرية من المشروعات المتعلقة بالصحافة يعاون على بلوغ المطالب - إن شاءالله .

٥

صانعـــو الجريدة

للأستاذ أنطون الجميل بك

ألقيت فى مساء ١٦ ابريل سنة ١٩٣٦

سادتى

تحدث اليكم من تقدمنى من الزملاء الأفاضل عن الجريدة بعد طبعها وبعد نشرها . وانى متحدث اليكم فى هذا المساء عن الجريدة قبل طبعها وقبل تداولها بين الناس .

سمعتم فى المحاضرات السابقة البيانات الطريفة عن تاريخ الصحافة ، وانتشارها ورسالتها وتوجهاتها الحديثة ، ولعلكم راغبون بعد ذلك فى سماع شىء عن صناعة الصحافة نفسها .

عرفتم من الأحاديث الماضية حالة الجريدة خارج دارها، والكثيرون يطمعون فى ولوج الباب ليتبينوا مافى الدار

فهيا بنا ندخل على الأسد فى عرينه لنعرف سر قوته

أو إن شئتم هلموا نتخطى عتبة الباب فندخل على صاحبة الجلالة فى خدرها، لتعرفوا مهمة القائمين على خدمتها ، وهم كثر ، لانها ذات دلال وذات مطالب ومطامع لاتقنع بالشىء القليل ، أو بعبارة أبسط تعالوا ندخل الى مطبخ الجريدة، كما يقول الفرنجة ، لنرى الذين يهيئون لكم غذاءكم اليومى

أما الزملاء فلن يسمعوا شيئا جديداً غابت عنهم معرفته ، ولكنهم قد يروقهم الحديث عن صميم حرفتهم على حد قول الشاعر : « حديثه أو حديث عنه يطربنى »

وأما غير الزملاء فلاشك أنه يروقهم كماقدمنا معرفة بعض أسرار المهنة ، والمرء ولوع بمعرفة مايجهل .

* * *

من يهىء لكم هذه الصحيفة التى تقرأونها فى صباح يومكم أو أصيل نهاركم فى المنزل أو فى المقهى؟

لن يتناول حديثي المعدات الأولية للجريدة من حروف وورق وحبر وآلات طابعة، مما يشتغل به ألوف المهندسين والعمال في المصانع والمعامل والمسابك . فذلك موضوع آخر قد اعالجه أو يعالجه غيري من الرصفاء في فرصة أخرى ، وأقصر حديثي في هذه الأمسية على صانعي الجريدة ، أي على أولئك الذين يحضرون موادها الكتابية في كل يوم حتى تجيء خلقا سويا ، فيتناولها القارىء من يد البائع أو يتلقاها مع موزع البريد

صحافيون ظاهرون
وصحافيون مستترون

« صانعو الجريدة » هم الصحافيون أو الصحفيون ، وهم حسب المتعارف بين الناس جميع الذين يشتغلون بالصحافة ولكنكم تعرفون منهم فريقا وتجهلون فريقا ، فهم طوائف كثيرة منهم البارزون للعيان ، يراهم الناس ويعرفونهم . ومنهم المستترون عن الأعين ، تخمنون وجودهم تخمينا ولا ترون أشخاصهم ، بل قد تجهلونهم تماما . فهم كالوقادين في قعر السفينة يغذونها بالقوة التي تسيرها . يشعر الجميع بوجودهم ويكاد لايراهم أحد . واذا استعرنا تشبيها من الصحافة نفسها قلنا انهم الحروف الصغيرة التي يتألف منها الخبر أو المقال ، وغيرهم يؤلف حروف العنوان الكبيرة التي لامعنى لها لولا الحروف الصغيرة

صحافيون جالسون
وصحافيون واقفون

ثم ان الصحافة من حيث كيفية العمل ، كالقضاء : صحافة جالسة ، وصحافة واقفة : فالصحفيون الجالسون هم الكاتبون أو المحررون ، في مكاتبهم . والصحافيون الواقفون هم الجوالون المتنقلون ، يضربون في كل جهة من المدينة وفي كل مدينة من القطر ، بل في كل قطر من الدنيا . وما أشد ما تنطبق عليهم الآية الكريمة المنقوشة أمامكم في صدر هذه القاعة « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها »

المخبرون

ينتشرون كل يوم كالنحل في دواوين الحكومة ، ويرتادون الحفلات والمجتمعات

يتسقطون الأخبار ، ويستطلعون الناس حقيقة الانباء ، ثم يعودون بجنيهم الى خلايتهم كالنحل فيفرغون ما فى جعبتهم .

والمبرز منهم من سبق زميلا فى تصيد خبر هام ، أو بزه فى استيفاء تفصيل عن نبأ خطير . وعمل هذه الطائفة من صانعى الجريدة المعروفين بالمخبرين يزداد أهمية مع تقدم الصحافة حتى يكاد يكون لبعضهم المقام الأول فى الصحافة الغربية . وركن عملهم السرعة فى التقاط الخبر والصدق فى ايراده .

أما السرعة فهى سر النجاح فى الصحافة الحديثة وقد أصبحت طرق النقل كثيرة وسبلها سهلة ممهدة ، بالتلغراف والتليفون . فاين من عصرنا عصر المتنبى الذى كان الخبر فيه يطوى البلاد حتى يصل اليه فيتردد فى تصديقه .

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب
تعثرت به فى الافواه السنها والبرد فى الطرق والاقلام فى الكتب

أما الصدق فى ايراد الخبر فقائم على الامانة فى نقله ، فلا يقال فى روايته ما قاله الشاعر قديماً :

هموا نقلوا عنى الذى لم أفه به وما آفة الاخبار الا رواتها

وقد يكون الخبر صحيحاً فى جملته ، ولكن طريقة روايته تدل على غرض فى الصدر وهوى فى النفس :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت تقل قىء الزنابير .

وما أشبه الصحافيين فى عهدنا بالشعراء فى الامس يوم كانوا يسجلون الحوادث ويدونون الوقائع فى قصائدهم فيتناقلها الناس حسب روايتهم .

المراسلون وبريد الجريدة

والى هذه الطائفة من الصحفيين ينتسب المراسلون من الداخل والخارج ، وهم الذين يوافون الجريدة بانباء الحوادث التى تقع فى الاقاليم أو فى البلدان الاخرى ، وينطبق اجمالا عليهم ما ذكرناه عن المخبرين .

ولا بد هنا من الاستطراد الى ذكر « بريد الجريدة » ، فان موزع البريد يحمل فى صباح كل يوم وفى مسائه إلى صحفنا اليومية أكداسا من الرسائل ، وفيها أحيانا المطرب والعجيب مما تجدون خبره عند المنوط بفتح « البوستة » واكتفى أن أروى لكم على سبيل المثال اننا تلقينا أخيرا صورة شاب ، وقد دون اسمه تحت

رسمه ، واضاف اليه هذه العبارة: (ارجو نشره عملا بحرية النشر) ، فقط ليس إلا ، مسكينة حرية النشر ! كم يطالب الصحفيون باسمها بأشياء . . !

ويظهر ان الصحف الاوربية لا تعانى ما تعانيه صحفنا من رسائل البريد . فقد زرت اوربا فى الصيف الماضى وقصدت الى ادارة إحدى كبريات الصحف . وكان من الاسئلة التى سألتها : ومن المكلف بفتح الرسائل عندكم ؟

قال محدثى : وأى رسائل !

قلت : الرسائل الواردة الى التحرير .

قال : ليس لدينا رسائل ، فان الانباء ترسل الينا بالتلغراف أو بالتليفون فتتلقاها الأوانس ويدونها على الآلة الكاتبة ثم يدفعنها الى القسم المختص فيصوغها فى القالب المناسب .

الكتاب

أما الصحافة الجالسة فقوامها المحررون أو الكتاب ، وهم الذين يدبجون المقالات التى تقرأونها فى صدر الجريدة أو فى تضاعيف صفحاتها من بحث موضوع عام أو تعليق على حادث ، أو معالجة مشكلة أو نقد مشروع ، أو تأييد فكرة .

وفى كبريات صحف الغرب طائفة من هؤلاء الكتاب يجتمعون كل يوم برئيس التحرير فيتفهمون الموضوع الذى يعالجه كل منهم ويقررون الاتجاه الذى ينتهجونه فيعلقون على الحوادث ، أو يبحثون الموضوع الذى توحيه تلك الحوادث بالتحبيذ أو الاستنكار

وأخص ما يجب أن تمتاز به هذه الطائفة من الكتاب السرعة فى الكتابة والطلاوة فى الديباجة والبراعة فى التعبير والافتنان والتشويق فى الاسلوب . وقد تتطور الحوادث فى خلال اليوم الواحد فتقتضى على عجل تحوير ما كتب أو تعديله أو العدول عنه .

ومن تقاليد بعض الصحف أن يوقع كل كاتب ما يكتبه ، ومن تقاليد البعض الآخر أن تكون الكتابات غفلا من الامضاء كأنها صادرة من الجريدة .

المترجمون

ويدخل فى هذه الطائفة المترجمون ، وعملهم فى صحفنا العربية أهم منه فى الصحف الافرنجية ، لأن كل ما نتلقاه من الأنباء الخارجية يجيئنا بلغة أجنبية ،

فلا بد من نقله إلى لغتنا على وجه السرعة وقد يكون الاصل مبهم العبارة فيجب توضيحه ، أو مضطرب النقل فينبغي تقويمه ، أو مشتملا على بيانات لابد من التثبت منها .

وكثيرا ما يقع المترجمون من جراء ضيق الوقت في اغلاط ، فيجيء المعنى متقلقلا أو معكوسا ، وأكثر مايقع ذلك لهم في نقل اسماء الاعلام . فيلامون على ذلك أحيانا أشداللوم كهذا الذى ترجم« Saladin سلادينوس » فحرك عظام « صلاح الدين » في قبره ، ويعذرون على ذلك أحيانا كل العذر إذا كتبوا مثلا Mogdichou مقديشو في سياق ترجمة تلغراف عن الحبشة . فكيف لهم أن يتثبتوا أنها « مقدشو » أو « مقعد الشاه » ،وفقا لما رواها ابن بطوطة كما يريد صديقي البحاثة محمد مسعود .

الهواة المتطوعون

وإلى جانب الكتاب المحترفين يجب أن نذكر الهواة المتطوعين الذين يوافون الصحف بكتاباتهم . ولاشك في ان صحافتنا مدينة لفريق منهم بابحاث غزيرة النفع محققة الفائدة ، لاسيما وان أمامهم متسعا من الوقت لترقية الموضوع الذى يختارونه حقه من البحث والتنقيب . فهم غيرمقيدين بموضوع مفروض ولا بميعاد مقرر . على أن هناك طائفة من المتطوعين يحملون رؤساء التحرير عبئا ثقيلا ، كثيرا مالا يعرفون كيف يتخلصون منه فيطرقون الموضوعات السخيفة ويلحون في نشرها الحاحا مرهقا . وإذا تأخر نشر ماجادت به قريحتهم الخامدة تصوروا ان الارض وقفت عن دورانها .

ولعل أغرب ماوقع لى من هذا القبيل الحادثة الآتية :

كنا في سنة ١٩٣٢ وكانت قضية القنابل في أشد أدوارها حتى ان المحكمة كانت تعقد لها في الغالب جلستين في اليوم ، فتستغرق تفاصيلها انهرا عديدة كثيرة من صحفنا ، وحوالى الساعة العاشرة من احدى الليالى حمل لى الحاجب بطاقة ثقلت باسم صاحبها وما تلاه من الألقاب العلمية الضخمة . فاضطررت الى مقابلته على مضض ،وكان بودي أن أقول للزائر الكريم ما قاله الشاعر «لصائدة القلوب »

. . . ليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

دخل ، وبعد تحيات ومجاملات قدم لى مقالا كثير الصفحات . فألقيت على

العنوان نظرة لأتبين الموضوع ، فألفيت أنه مما لا تذهب جدته ولا تضيع بهجته بل هو من قبيل سد الفراغ بمثله، فوضعته جانبا .

قال صاحبنا : أرجو أن تقرأ مقالتي هذه .

قلت : أنا مشغول جداً سأطالعها غداً .

قال : ولكني يهمني جداً أن تنشر صباح غد .

قلت : لا سبيل الى ذلك ، الساعة الآن العاشرة ولا نستطيع جمع مقالات . والجريدة مزحومة ، وقضية القنابل تستغرق منها جانبا كبيرا .

رأى تصميمي على الرفض ، فوقف كاسف البال وهم بالانصراف . ثم عاد فقال : ولكن ألا يمكنك يا أستاذ أن تؤخر قضية القنابل وتنشر مقالتي هذه ؟

كدت أصعق لأن موضوع مقالته الثمينة التي لا تحتمل التأجيل كان . . « صيد الحوت في الأوقيانس » ! وأودعكم تتصورون كيف شيعت حضرته الى الباب .

وعندي وعند زملائي الشيء الكثير نرويه لكم لولا خوف الاطالة .

وقانا الله شر الكتاب المتطوعين المتطفلين !

المحررون الفنيون

وهناك المحررون الفنيون للشئون المالية والتجارية والسينمائية والألعاب الرياضية، وغير ذلك من الأبواب الكثيرة التي تشتمل عليها صفحات الجرائد الكبرى .

الجماعون والمصححون

والآن وقد جهزت المواد من مقالات وأنباء وتلغرافات وراجعها المسئول عنها ونسقها ، ووافق بينها حتى لا يتنافر خبر مع خبر ، ولا تتعارض مقالة مع تلغراف، ولا يطغى باب على باب ، تندفع هذه المواد الى المطبعة حيث يبتدىء عمل منضدي الحروف أو الجماعين وعمل المصححين .

وهنا تطالب الميزات التي لاغنى عنها في الصحافة وهي الدقة والسرعة . ويجب أن تقرن دائما الواحدة بالاخرى . فالدقة مع الابطاء ربما لا تضر عند جمع كتاب ولكنها تضر في جمع الجريدة التي يجب أن تنتهي صفحاتها في مواعيد معينة ، والا فاتها القطار أو فاتتها الطيارة ، وكذلك السرعة وحدها بلا تدقيق لا تفيد فان هذا التلغراف الذي ورد في آخر ساعة عن سعر القطن في ليفربول أو عن سعر الغزل في مانشستر إذا لم يدقق في جمع الأرقام الواردة فيه قد يترتب عليه خسائر مادية جسيمة .

وتعرفون المثل القائل « يريد الناشر ما لا يريده الكاتب » فكم من مرة تجيء الغلطة المطبعية التي يرتكبها العامل ويسهو عن تصحيحها المصحح مشوهة للمعنى

فتجعله غير مفهوم أو مفهوما على غير المقصود . والاغلاط المطبعية كثيرة فى جميع اللغات . وقد تكون فى لغتنا أكثر منها فى سواها من جراء تشابه الحروف وبسبب الدور المهم الذى تلعبه النقطة فان اثبات نقطة على الحرف أو اهمالها كثيرا ما ينقل المعنى إلى ضده . والمشتغلون بالطباعة يعرفون الشىء الكثير من ذلك . وانا مورد بعض ما تعيه الذاكرة من هذا القبيل على سبيل التفكهة :

أخذ المرحوم الشيخ محمد الخضرى على نفسه اعادة طبع كتاب الاغانى المشهور . وقد قرظت احدى الصحف عمله هذه وأرادت أن تثنى على همة الشيخ الخضرى فجاء ثناؤها ، بغلطة مطبعية ، على « عمة » الشيخ رحمه الله .

وجاء فى مقالة عن مشروع اصلاح القضاء انه يرجى من ورائه « تجديد شباب القضاء » ولكن العامل الذى جمع المقال أراد أن تكون العبارة « تجريد ثياب القضاة » ولا شك فى أننا جميعا مهما طمعنا فى « تجديد شباب قضائنا » لانريده عن طريق تجريد قضاتنا الأجلاء من ثيابهم .

ولعل أروع مايروى من هذا القبيل ماورد منذ بضع سنوات فى احدى صحفنا ، فقد أوردت خبر قران فوصفت الحفلة وذكرت أسماء الحاضرين من كبار القوم واسم صاحب الفضيلة الذى كتب عقد قران العروسين . ولشد ما كان دهش القراء اذ قراوا بعد ذلك الجملة الآتية : « وقد زج الاثنان فى السجن ليلقيا جزاء ماجنت أيديهما » وكان القارىء يجد فى النهر الثانى خبرا آخر عن لصين ثقبا جدار حانوت وسرقا ما فيه وقد ختم بهذا الدعاء « فندعو لهما بالتوفيق والهناء ورغد العيش » .

وقد أدركتم ان العامل قد أخطأ عند « التوضيب » فنقل سطرين من خبر إلى محل سطرين من خبر آخر .

ومثال ذلك كثير .

الموضبون

وعلى ذكر « الموضبين » والعمال لابد من الاشارة إلى ما يديه هؤلاء من ازدراء غير مقصود لأكبر المقامات . فاذا دخلتم مطبعة من مطابع الصحف ساعة « التوضيب » طرقت آذانكم مثل هذه العبارات : « حط وزير التجارة بعد تصدير البصل . كمل العمود بوزير المالية . احذف السطر الأخير من خبر رئيس الوزراء . قدم هتلر . أخر موسولينى » وهم على هذه الحال يتصرفون فى أكبر الاسماء تقديما وتأخيرا ، كلاعب الشطرنج .

ولن أنسى حكاية ذلك « الموضب » اللبق ، وقد جاءنى مرة فى آخر الليل ، مضطربا يقول ، اطال الله حياته : « ينقصنا باب من أبواب الجريدة . . . الوفيات . . . . » .

رئيس التحرير

بقيت لى كلمة عن رئيس التحرير، وهو المطالب بوضع أنفه ، كما يقول الفرنجة، فى كل مواد الجريدة. فيراجع المقالات والاخبار فيحذف ويزيد. ويشذب ويهذب ، ويعدل ويحور ، ويوافق على النشر أو يقضى بالاهمال والالقاء فى سلة المهملات ويتلقى العتب والشكوى من جراء إهمال خبر أو وقوع خطأ أو تأخير مقال ، فى حين أنه لا يتخير مواد اليوم إلا بعد أن يوازن ويقارن ويقابل بين ما لديه فيقضى بتقديم هذا الخبر أو تأخير هذه المقالة وفقا لمقتضيات الحال .

ورئيس التحرير أو مدير السياسة مقضى عليه فى صحفنا بتلقى جميع الطلبات ومقابلة جميع الزائرين . فطالب الاشتراك والراغب فى الاعلان والحامل كتابا من تأليفه أو مقالا من وضعه، جميع هؤلاء يرون أنهم لا يصلون إلى ما يريدون الا بالابتداء بمقابلة رئيس التحرير، مع أن الأمر على عكس ذلك وكان الأولى بهم أن يعربوا عن الغرض من زيارتهم فيحولوا إلى المحرر أو الموظف المختص، فتقضى حاجتهم سريعا .

ورئيس التحرير فوق ذلك هو المسئول قانونا عن كل ما ينشر بالجريدة . وكم من رؤساء التحرير عندنا مثلوا أمام النيابة والقضاء ، بل كم منهم زاروا السجن فعوملوا فيه معاملة الأشقياء واللصوص والسفاحين القتلة. الى أن انتهى الأمر بتعديل مواد القانون فيما يختص بجرائم الرأى والنشر بعد أن طالت شكواهم من هذه الحالة .

ويظهر أن هذه الشكوى قديمة العهد، فان الشعراء الذين كانوا فى الماضى يقومون بالوظيفة التى يقوم بها الصحفيون اليوم قد بثوا شكواهم من حبسهم كأنهم سارقو مال الدولة من جباية الضرائب .

قال أبو دلامة وقد حبس مع الدجاج :

أقاد الى السجون بغير جرم كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلا ولكنى حبست مع الدجاج

ادارة الجريدة

أيها السادة . نظرنا الى معظم صانعى الجريدة التى تقرأونها . على أن موضوعنا لا يكمل الا إذا أشرنا الماما الى عناصر أخرى تعد، ولو عن طريق غير مباشر، من صانعى الجريدة . وهم الذين تجمعهم كلمة «الادارة» وعلى رأس هذه الطائفة مدير الادارة .

وهو المنوط بحسابات الجريدة وتوزيعها واعلاناتها وسائر شئونها المادية .

ولا يخفى ما يشترط فيه من الدقة والضبط واليقظة . وهو عادة غير محبب إلى الصحفيين مهما أوتى من لطف وكياسة ورقة طباع ، لأنه مسيطر على المال لا يصرف إلا بحساب . والصحافيون بطبيعتهم « بوهيميون » يحبون أن يصرفوا بلا حساب.

أما توزيع الجريدة ، ويدخل فيه بيعها واشتراكاتها أى ايصالها الى القارىء ، فقد أصبح من أهم شئون ادارات الصحف .

وأما الاعلانات فقد صارت ركناً أساسياً فى ايراد الجريدة لا غنى لها عنها لتكفل حياتها.

قلنا ان الشعراء قديماً كانوا يقومون بتدوين الحوادث والأخبار فى قصائدهم كما يفعل الصحفيون اليوم فى صحفهم . وقد كان الشعراء أيضا يقومون بمهمة الاعلان ولا نعرف « التعريفة » التى كانوا يتقاضونها عن الاعلان فى شعرهم .

جاء فى كتاب الأغانى ما ملخصه ان تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر (والخمار ما تغطى به المرأة رأسها) فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق ، وكان صديقاً للدارمى ، فشكا ذلك اليه ، وكان الدارمى قد نسك وترك الغناء وقول الشعر فقال له : لا تهتم بذلك فانى سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ، ثم وضع شعراً للغناء :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا صنعت براهب متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع غناؤه بين الناس ولم تبق فى المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود ، حتى نفذ ما كان مع العراقى منها .

وليس الاعلان عن الزواج أو الزواج بالاعلان من مبتكرات عصرنا . فقد سبقنا اليه قدماء العرب . ولكن المنهاج كان أوفر كياسة وألطف أسلوبا كما تدل على ذلك حكاية الأعشى الذى زوج بنات المحلق بأبيات نظمها .

كان الأعشى يوافى سوق عكاظ فى كل سنة ، وكان المحلق الكلابى مئناثا (من يلد أناثا) مملقا « فقيرا » فقالت له امرأته : يا أبا كلاب ما يمنعك عن التعرض لهذا الشاعر ؟ فما رأيت أحداً اقتطعه إلى نفسه الا وأكسبه خيرا . قال : ويحك ماعندى الا ناقتى وعليها الحمل . قالت : الله يخلفها عليك .

قال : فتلقاه المحلق قبل أن يسبق اليه أحد ، وابنه يقوده ، فقال الاعشى ، وكان كما يدل عليه اسمه ضعيف البصر : من هذا ؟ قال المحلق : شريف كريم . ونحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها . وأحاطت بناته بالأعشى فقال : ماهذه الجوارى حولى ؟ قال : بنات أخيك وهن ثمان .

وخرج الاعشى ولم يقل فيه شيئا . فلما وافى المحلق سوق عكاظ إذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى ينشدهم من قصيدة جاء فيها :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرق

فسلم عليه المحلق فقال الاعشى : مرحبا ياسيدى بسيد قومه . ونادى : يامعشر العرب هل فيكم مذكار (من يلد الذكور) يزوج ابنه إلى الشريف الكريم ؟ قال فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الا زوجها .

* * *

أيها السادة - بقى واحد من « صانعى الجريدة » لم أذكره ، وقد يكون العامل الرئيسى فى صنع الجريدة ، عنيت « القارىء » ولن أقول عنه الا ما نقله صديق الاستاذ زيدان فى محاضرته الأخيرة عن الصحفى الاميركى بريز بين وهو « إذا نظرت إلى المرآة فلم يعجبك ماترى فلاتلم المرآة . وكذلك إذا نظرت إلى صحيفة فلم تعجبك فلا تلم الصحيفة بل الجمهور الذى يقبل عليها » .

جميع من ذكرت يقومون بخدمة صاحبة الجلالة ، فيصنعون هذه الجريدة التى يطالعها الواحد منكم ثم يرميها ، وإذا سأله سائل عما فيها أجاب بعدم اكتراث : لاشىء !

والآن أيها السادة قد تمت زيارتنا وانتهت جولتنا فى إحدى دور الصحف وتعرفنا من فيها . فان راقتكم هذه الزيارة فنعما ، والا فان الذنب ذنب الدليل الذى رافقكم فى تجوالكم فلم يحسن الابانة عما فى هذه الدار .

٦

الصور الهزلية والصحافة
للاستاذ سليمان فوزى

ألقيت فى مساء ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦

سيداتى ، أيها السادة .

نشأ الشعر والتصوير معا فى أقدم العصور ، ويجوز أن يكون أحدهما أخذ من الآخر ، ولعل التصوير أقدم ، لأن القدماء جعلوا الصور حروفا للهجاء ، والمفهوم من هذا أن مبتكر حروف الكتابة كان مصورا .

والهزل طبع فى الانسان منذ فهم الحياة ، ولكن الآثار الباقية هى التى أراد القدماء تخليدها ، ولم يكونوا يخلدون غير المتصل بالشؤون الدينية والحربية والسياسية والاجتماعية العالية، فخلت من الصور الهزلية التى أهملوا تخليدها، أو خلدوها ولكنهم لم يحطوها بوسائل الحفظ من عاديات الأيام وتأثير تقادم العهد فأكلها الدهر.

والصور الهزلية معروفة من أيام قدماء المصريين ، أى قبل ثلاثة آلاف سنة

عنى قدماء المصريين بتصوير الحالات النفسية، ولقد صوروا ست فى صورة وحش وسموه «ست الملعون» لأنه قتل أخاه أوزيس وألقى بجثته فى النيل كما قتل أخته ومثل بجثتها شر تمثيل وصوروا أوزيس فى صورة (قطة)

وتفنن قدماء المصريين فى تصوير عظمائهم بأوجه حيوانات صغيرة وكبيرة، جميلة وقبيحة ، بحسب أخلاقهم وميولهم وطباعهم ونفسياتهم

وعرفت «الرقابة» أيام قدماء المصريين ، وفرضت أول ما فرضت على الصور الكاريكاتورية ، فقد حرصوا على أن لا تمس هذه الصور الاخلاق والدين والسياسة، وكان عقاب المصور الكاريكاتورى الذى يتجاوز هذه الحدود الجلد واللعن

وامتازت صور المصريين بالتشنيع على رجال الكهنوت، كما امتازت بتصوير الاسرى وتصوير نفسياتهم على وجوههم، ومعبد أوسنبل بين اسوان ووادى حلفا يحتوى من جانبيه على صور كاريكاتورية مدهشة يقول الفنيون إن الهزل فيها، وخاصة فى ابراز الشفاه والانوف والكآبة من الاسر ، من أبدع ما وفق اليه الكاريكاتيريون

وكان قدماء المصريين يمثلون ـ بالتصوير الهزلى ـ الموت والميزان والصراط ومن ثقلت موازينه ومن خفت ، ولا تزال هذه الصور فى معابدهم المختلفة

وأخذ الافريقيون فن التصوير الهزلى عن قدماء المصريين فاستعملوه (أولا) فى الآثار والانتيكات ، واستعملوه كثيرا فى التشنيع على الآلهة وعلت فى هذا شهرة مصورهم انفيل الذى خلق من خياله شخصا جعله رمزا ثابتا سماه (جرل ليس) أى (خنزير) كما هو الحال فى شخص جحا وجون بول !

وإذا كنا ننظر الى البحث فى علاقة فن التصوير بالصحافة فاقدم ما كان منها انما كان فى الصين منذ الف سنة على ما يظن المؤرخون ، وكانت صحافة رسمية للحكومة فلا مجال فيها للهزل

ويقال إن الفرس كانوا قبل الف سنة يجعلون صورا هزلية على الأمتعة الخزفية والمنسوجات ولكن لم يبق منها شىء يدل على الصور الكاريكاتورية فى ذلك الزمن، والعرب لم يحدثونا عن غير صور قصور الملوك .

كما أن الصور الكاريكاتورية كانت على أمتعة الشعب الرومانى ولكنها ذهبت لان الرومانيين والافريقيين لم يحافظوا على شيء غير الصور الدينية والتاريخية العليا ، ولم تكن لهم صحافة تبقى بجاميها للاجيال المتعاقبة ، وفى وصف تلك الامتعة يقول عبده ابن الطبيب .

حتى انكفأنا على فرش يزينها   من جيد الرقم أزواج تهاويل
فيها الدجاج وفيها الأسد مخدرة   من كل شيء يرى فيها تماثيل

وليس فى وسعنا الرجوع إلى غير الكتب العربية من مؤلفات القدماء ، وهذه الكتب العربية لم تعرف الافن من الاسلام ، وكان المسلمون يحرمون التصوير لأنه يذكر الناس بالوثنية ، ولو لم يكن معروفا فى الجاهلية ما نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولكن العرب لم يعدموا وسيلة للتعبير عن أفكارهم الكايكاتورية بالكتابة فى النثر والنظم كقول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولو كان هذا مصوراً ، أو لو أن مصوراً رسم رجلا على هيئة وعل ينطح صخرة فخلع أحد قرنيه لكانت من أجمل الصور ولاسيما حين يكون الرجل المرسوم من عظماء القوم .

وفى ديوان الحماسة الذى جمعه أبو تمام فى شعر الجاهلية والاسلام باب للهجاء فيه أعاجيب الخيالات التى لو صورت لكانت من أبدع التحف ، وهل صورة كاريكاتورية ادعى للضحك مما فى قول القائل :

. . . .   الانف بالعرض والعينان بالطول

وقول الآخر :

وأقسم لو خرت من استك بيضة   لما انكسرت لقرب بعضك من بعض

وفى غير الحماسة فى كتب الأدب كثير لا يحصى ، نذكر منه قول حماد عجرد فى بشار :

. . . . فكأنه   قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وقول جرير فى أحد الشعراء ، يضعه بين أمه وأبيه :

. . . .   كالجحش بين حمارة وحمار

وقوله فى هجاء بنى تغلب قوم الأخطل :

وإذا وضعت أباك فى ميزانهم   قفزت حديدته إليك فشالا

ومن الصور البديعة ما وصف به ابن الرومي رجلا أحدب قال :

فصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما قد ذاق أول صفعة وأحس ثانية لها فتجمعا

ومن المضحك أن يتغزل المرار العدوى فى امرأة فيصفها بقوله :

وإذا تضحك أبدى ضحكها اقحوانا قيدته ذا أشر
فهى هيفاء هضم كشحها فخمة حيث تشد المؤتزر

ولو صور مصور امرأة بهذا الوصف وهى تضحك وتعض باسنانها اقحوانة وهى نحيلة الخصر غليظة المقعد لأضحك منها اعداءها وهى بشكل الخنفساء .

ومن الاوصاف الكاريكاتورية قول الاعشى، وهو يتبع امرأة يحبها وهى تتبع رجلا تحبه، والرجل الذى تحبه هى يتبع امرأة أخرى يحبها ، وكل معشوق يفر من العاشق، فى قوله :

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

أما وذلك زمن لم يكن فيه عند العرب اشتغال بصناعة التصوير فان فى شعرهم صوراً كاريكاتورية وفنية كثيرة ، وكذلك فى نوادرهم وممازحاتهم، وشرحها يطول حتى يتصل بالكتب الهزلية التى كانت أصلا للصحافة الفكاهية .

وانتقل التصوير الهزلى من اليونان إلى إيطاليا ولمصوريها القدماء المشهورين: ليونار دافنشى واتينال وكراش وباسو ، لوحات فاخرة مدهشة .

وللفنان هول بين الألمانى جملة رسومات فى تقريظ الجنون ومدحه جعلها كلها حول غرامه بأراسو .

وكان « راتللى » الفرنسوى دكتوراً وكاتباً، ولكنه كان مصورا هزليا لا نظير له، ولقد برع فى صوره سنة ١٥٦٥ إلى درجة أنه كان بعبع كل البارزين فى عصره .

وتعشقت فرنسا الكاريكاتير فى عهد لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر بحيث احتل فيها وفى صحافتها مكاناً حراً إلى أوسع حدود الحرية وإلى درجة أنه كان الخطر كل الخطر على التيجان والعروش .

ورأى ذلك لويس الخامس عشر فحاربه بكل أنواع المحاربات وجعل بوليسه وادارة الأمن العام فى وقته تطارد المصورين الكاريكاتوريين أفظع مطاردة وتشردهم أشنع تشريد ، ومع ذلك فانهم كانوا كلما اشتد ضغطه عليهم اشتدوا فى التشهير به والتشنيع عليه الى درجة أنهم ألهبوا نيران الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ وكانوا العامل الاول فى اعدام لويس السادس عشر وزوجته مارى انطوانيت .

وصور المصورين الكاريكاتوريين فى ترف « اللوايسة » لويس ولويس

ولويس - واسرافهم وانفاق أموال الدولة على الملاهى والملاذ وتصوير الشعب مع ذلك عاريا جائعا متضورا، مما يعتز به التاريخ .

ولا تزال لوحات الأستاذ فرنى معدودة من أجل مايقتنى .

وانجلترا مدينة لريشة الفنان الكاريكاتورى هوجارث فى تقويم العادات الاخلاقية والسياسية والاجتماعية فيها .

وتقدس اسبانيا رجلها العظيم جويا الذى قد يعد الآن وبعد وفاته بما لايقل عن مائتى سنة نقيب الكاريكاتوريين فى العالم .

وبدأ الكاريكاتير فى أمريكا بالفنان هو آرت .

وفى سويسرا بالفنان توبفار .

وفى النمسا بكل من تيودور وجراتسى .

وفى البرتغال بالفنان برادنللو .

وفى هولاندا بالفنان جون برانيسك .

أيها السادة :

عرفتم أن العرب لم يشتغلوا بفن التصوير وإن كانت فى شعرهم ونوادرهم صور كاريكاتورية مدهشة .

وعرفتم أن الصحافة الفكاهية تتصل بكتبهم الهزلية .

ومن المتأخرين من مؤلفى تلك الكتب الشيخ حسن الآلاتى صاحب (مضحك العبوس) الذى قلده المرحوم الشيخ النجار صاحب الارغول .

وأول من أدخل التصوير الهزلى فى الصحف العربية الشيخ يعقوب أبو نظارة ٠

كان مدرسا فى المدارس الأميرية واشتغل بالتمثيل وأنشأ جريدته «أبو نظارة» فى آخر عهد اسماعيل باشا وغضب سموه عليه فقصد إلى باريس وأصدر فيها جريدته «أبو نظارة» وجرائد ومجلات أخرى مزينة كلها بالصور الكاريكاتورية .

وكانت هذه الجرائد والمجلات ممنوعة من الدخول إلى مصر ولكنها كانت تصل اليها خلسة فى مظاريف مقفلة .

وممن أصدروا صحفا كاريكاتورية بعد ذلك .

١ - الأستاذ عبد الحميد أفندى زكى الذى كان ضابطا بالجيش المصرى ولعب دوراً فى سياسة مصر والسودان ثم سافر إلى أوربا وأصدر جريدته أسبوعية مصورة بالألوان باسم « السياسة المصورة » كانت تظهر أولا فى فينا ثم أصدرها فى روما ثم جاء إلى مصر وأخذ يطبعها فى روما ويصدرها فى القاهرة .

٢ - الأستاذ خليل زينيه وكان يحرر فى الأهرام لخمسين سنة اتفق مع جريدة البتى باريزيان على أن ترسل إليه أعدادها مصورة بدون متن .

وكانت متى وردت يملأها بما أعده لها من مادة باللغة العربية مع نبذ وجيزة عما فيها من صور ورسوم هزلية وجدية .

٣ - وأصدر عبد المجيد أفندى كامل، وكان ضابطا فى الجيش المصرى ثم اشتغل بالصحافة زمنا، جريدة هزلية باسم البابا غللو المصرى كان يطبع صورها الكاريكاتورية على الحجر .

٤ - وأصدر فقيد الصحافة العظيم محمد بك المويلحى جريدة «أبونواس» فكانت أبدع وأرقى صحيفة هزلية كاريكاتورية .

وكانت تجمع إلى جانب الصور مقالات نقدية يكتبها نخبة من مشهورى كتاب العصر المعروفين .

كما أصدر جريدة كاريكاتورية أخرى هى جريدة «أبوزيد»

٥ - وكان المرحوم ابراهيم بك رمزى من أعيان الفيوم بدأ حياته العملية بالاشتغال كاتبا فى مديريتها

وفى ذاك الحين عين المغفور له عدلى يكن باشا مديراً للفيوم فزوج شقيقته من ابراهيم بك.

وترك رمزى بك العمل فى الحكومة واشتغل بالصحافة فأصدر مجلة أسبوعية باسم الفيوم .

ثم حولها إلى جريدة ذات أربع صفحات ونقلها إلى العاصمة .

وكان يصدرها دائما بصورة هزلية محفورة على الخشب تملأ ثلث الصفحة الأولى منها .

وأنشأ مسبكا للحروف باسم مسبك التمدن .

وأنشأ كذلك مجلة بهذا الاسم .

٦- وأصدر يوسف حياته جريدة ذات ثمانى صفحات وكان صفحتها الأولى دائما بصورة هزلية .

ورسم فيها يوما جلالة الملكة فكتوريا برأس انسان وجثة خنزير معلق فى مشنقة.

ومع تسامح اللورد كرومر فانه لم ترضه هذه الصورة ، واهتمت النيابة بالموضوع وأحس حياته بالعقاب ففر إلى الأستانة مع زميلين له توفيا منذ سنوات .

وبدل حياته اسمه باسم يوسف كمال . وهو يشتغل الآن بالتحرير فى صحف بيروت.

٧ ـ وأصدر الزميلان الكاتبان الكبيران الأستاذان محمد مسعود وأحمد حافظ عوض بك جريدة « هاهاها » .

٨ ـ وأصدر الاستاذ حافظ بك وحده بعد ذلك جريدة « خيال الظل » .

٩ ـ كما صدرت « الجريدة الأسبوعية » لصديقنا الاستاذ طاهر حقى .

أيها السادة

أعلنت الحرب العالمية الكبرى سنة ١٩١٤ وفرضت الرقابة على الصحف فى مصر فكان من الصعب جدا أن تواصل الجرائد الكاريكاتورية مهمتها أو أن يصمد الصحفيون الكاريكاتيريون فى عملهم فاختفت هذه الصحافة من الميدان إلى أن كانت سنة ١٩٢١ فأدخل الكشكول على تحريره الصور الكاريكاتورية وبدأها بلون واحد وبأيدى مصورين مختلفين .

كان الكشكول ينشر كل أسبوع أربع صور لكل فنان صورة وتنافس الفنانون فى وضع صور الكشكول واشترك فيها فقيد الفن النابغة مختار والاساتذة الأفاضل محمد حسن وعباد وأحمد صبرى ومحمد مندور ومصطفى بك مختار .

واستمر فن التصوير الهزلى يتقدم تبع الحوادث ، وتبع التمرين الأسبوعى المستمر ولأن المجال الصحفى للتصوير الهزلى ليس واسعاً فان كثيرين ممن ساهموا فى وضع الصور وظفوا ، أو أن صرفتهم أعمالهم الواسعة عنه ، وبقى فى ميدانه الذين اختاروه فى حرفة واختاروه محترفين .

أيها السادة :

تختلف مهمة الجرائد الكاريكاتورية عن الجرائد الأخرى تمام الاختلاف، وينحصر عمل الجرائد الكاريكاتورية فى البحث عن مواطن النقد فى الأعمال العامة وابرازها فى وجوه أصحابها وتكبير مايكون صغيراً منها واظهاره واضحا جليا ليراه الناظر اليه كأنما يراه فى أصله .

فليس من شأن المصور الكاريكاتورى أن ترى الحسنات .

والصور التى تتضمن المدح أو الثناء ليست إلا عيبا فنيا فاضحا فى التصوير الهزلى لا يهضمها الفن ولا يتذوقها .

ومهارة المصور الكاريكاتورى أو مهارة مديرى سياسة الجرائد الكاريكاتورية فى تصوير العيوب تصويرا يجعلها بارزة بقدر علاقتها بالجمهور وبالمصلحة العامة .

ومن الناس من يكون مطبوعا على الهزل فتجيء ألفاظه صوراً كاريكاتورية وهو لا يتعمد .

ونظرة هؤلاء لها على صورهم التأثير الذى يكون لفطرة الشاعر على شعره أو لفطرة الكاتب على كتابته .

كان الفرزدق فى بعض الطريق فصادفه نبطى فقال له :

أأنت الفرزدق الشاعر ؟ قال: نعم .

قال أإذا هجوتنى يموت ولدى ؟ قال : لا

قال أفيموت حمارى ؟ قال : لا

قال:أفتموت امرأتى عائشة ؟ قال :لا

قال : أأموت أنا ؟ قال : لا

قال:فأنا من قدمى إلى عنقى فى عين أم . . . (الا بعد) .

فقال له الفرزدق وهو مغيظ:ولم تركت رأسك خارجا .

قال: حتى أرى ما تصنع .

وكان غلام يستمع للفرزدق وهو يلقى قصيدة على جمع كبير،فكان هذا الغلام يصفق طربا،فلما انتهى الشاعر الكبير من انشاده استدناه وقال له :

أأعجبك شعرى ؟

قال الغلام : لم أسمع مثله فى الجودة والرصانة والمعنى .

فدخل الفرزدق الزهو ، وقال للغلام :

أيسرك أن أكون أباك ؟ فقال الغلام :

أما أبى فلا أبتغى به بدلا ، ولكن يسرنى أن تكون أمى !

ولو أن النبطى كان مصوراً كاريكاتوريا لكان عنيفا بفطرته ، كما أن الغلام لو كان مصوراً كاريكاتوريا لكان رقيقا بفطرته .

ولو أن أهل رشيد درسوا فن التصوير الكاريكاتورى لبزوا العالم كله فيه ، فان نوادرهم الهزلية وقفشاتهم يصح أن تكون صوراً كاريكاتورية لاتحصى .

منها على سبيل المثال ان « رشيديا » قصد إلى محطة سكة الحديد ومعه ولده الصغير وكان مستعجلا فسأل :

أى القطارات يقوم الآن ؟

فقيل له : المفتخر فالاكسبريس فالمستعجلة .

وظن الرجل ان « المستعجلة » هى اسرع القطارات فركبها .

وأزعجه أنها تسير الهوينا وتقف فى كل محطة ، فلما جاء الكومسارى سأله عن تذكرته قدم له (نصف التذكرة) الذى يركب به ابنه .

فقال الكوميسارى :

أتركب بنصف تذكرة وأنت رجل كبير ؟ فاجاب الرجل :

« مانا ركبت وأنا لسه قد كدا » و (أشار بيده اشارة الذى ركب وهو طفل صغير أى أنه كبر فى القطار) .

ومنها ان (رشيدية) ذكر أمامها اسم مغنية أو مغن نشأ ريفيا بسيطا وكسب الآلاف وأخذ يعد نفسه فى عداد الاورستقراطيين فقالت : مهما يكن فانه هو هو : يأكل بسكويت ويتكرعه (دره) .

أيها السادة :

أنا أسوق هذه الامثال لتعرفوا أن ريشة المصور وحدها ليست كل شىء ، وان الصور التى نبغ بها المصورون انما كان الفضل فيها (للفكرة)

فكلما كان المفكر (ابن بلد) كانت الصورة الهزلية ناضجة لاذعة .

وقد اصطلح على أن الصورة الواحدة أنفع - إن نضجت - وأبقى أثراً من عشرات المقالات .

ووضع الصورة الهزلية متعب غاية التعب ، وواضعها يسهر الليالى ويكد ذهنه طوال الأيام لتجىء موفقة ، ولذلك يمكن القول بأن الصحف الكاريكاتورية لا تتفوق الا فى الحوادث السياسية الهامة أو فى الانقلابات الاجتماعات أو فى البرلمان الذى تكون جلساته حامية ، وإلا فان هذه الصحف فى الجو الهادىء تعد نفسها فى اجازة وتكذب إن هى ادعت أنها تؤدى مهمتها .

والمصور ، ليضع صورة مضبوطة الملامح بارزة الأوضاع المقصودة منها ، يحتاج إلى جهود ونفوذ ، وإذا كانت قد نجحت صور فى مصر فلأننا كنا نحمل الزعماء والسياسيين والوزراء وكل من فى طبقتهم من الرجال العموميين على الجلوس أمام المصور فى الوضع الذى يريده هذا المصور لا الذى يتطلبه مركز المصور لرسم شدقيه على حدة وانفه على حدة وأذنه على حدة وفمه على حدة ولفتته إلى اليمين أو إلى اليسار على حدة وهكذا ، حتى لا تتغير ملامح الوجه والشكل فى أى وضع أراد المصور أن يضع صورته .

ولعلكم ياحضرات السادة تدركون صحة ذلك من وجوه الأشخاص الاولين واتقانها ، ومما يرسم الآن من وجوه السياسيين أو الرجال العموميين الحديثين ، فان المصورين الهزليين يرسمون وجوههم من الصور الفوتوغرافية التى تنشر فى الصحف لا من دراسة نفسياتهم وتقليبهم على مختلف الأوضاع كما كان يحدث .

ولهذا تأتى صورهم الحديثة صناعية بعيدة من طبيعتها .

وإذا ذكرت (الكشكول) وأشرت إلى المتاعب التى لاقاها أصدقاؤه والمشتغلون فيه فيما سبق فانما أردت أن أشير إلى أنه لم يعش فى خدمة فن التصوير الهزلى إلا بفضل القضاء العادل وأحكامه وفضل الذين تولوا الدفاع عنه من حضرات المحامين الأفاضل .

فبقوة هذه الأحكام وتحت رايتها أمكن أن يتشجع أصحاب الصحف الهزلية وأن ينهض فن التصوير الهزلى وأن تكثر صحفه وتتعدد ، وستبقى هذه الاحكام دستوراً لهذه الصحف ولأصحابها ما بقيت وبقى الفن .

وأرادت الصحف اليومية أن تزاحم الصحف الأسبوعية فى التصوير الهزلى، ولكن أغلبه عدل عنه واكتفى بالتصوير الفوتوغرافى لا للنفقة ولا لقلة المصورين الكاريكاتوريين ، ولكن لأن الفكرة — متعبة جد التعب — ولأنه أسهل على الكاتب أن يدبج عشرات المقالات من أن يحرق دماغه فى فكرة كاريكاتورية لصورة واحدة .

أيها السادة :

خطا التصوير الهزلى فى أوربا خطوة جديدة ، فقد استعملوه فى الروايات الفكاهية السياسية على المراسح وأخذ الممثلون والممثلات يضعون على وجوههم أقنعة مرسوما عليها وجوه الكبراء والوزراء ورجال المال والاعمال والنواب .

ولقد تناقلت الصحف أن بعض المراسح فى باريس أخرجت إبان الأزمة الوزارية الفرنسية الأخيرة رواية سياسية هزلية أبطالها رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والنواب .

رفعت الستارة عن رئيس الجمهورية يضرب رئيس الوزراء شلوتا فاذا به يتدحرج حتى يصل إلى مجلس النواب .

ويتلقفه النواب ، فهذا يزغزغه وهذا يمرمط به الأرض ، وآخر يخرج له لسانه، وغيره يحاول أن يشلحه من بنطلونه .

وبعد مدة تجد رئيس الوزراء واقفا يشكر النواب على ما لقيه منهم من العطف العظيم وعلى ثقتهم الغالية ويعدهم أن يكون عند حسن ظنهم به .

ويصفق النواب ويرقصون مع رئيس الوزارة ورئيس الجمهورية على نغمات المارسيليز.

ولا ينقصنا ليكون هذا عندنا إلا فرقة تمثيلية جريئة وإدارة مطبوعات واسعة الصدر ونيابة عمومية لاتجرى وراء كل صائح .

أما القضاء فتتسع عدالة أحكامه للمرسح كما اتسعت للصحافة الهزلية من قبل فى حدود المصلحة العامة .

والسلام عليكم ورحمة الله.

٧

المخترعات الحديثة فى الصحافة

للاستاذ فؤاد صروف

رئيس تحرير المقتطف

ألقيت مساء يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦

أيها السادة

ان الصحافة تجارة خاصة من ناحية ومعهد عام أو شبه عام ، من ناحية أخرى، فهى تجارة همها صنع عرض معين وتوزيعه وبيعه . وهى فى مقابل ذلك أحد المنشآت العامة التى ينص الدستور على حريتها فى حدود القانون . فمن الناحية العملية ـ تتأثر بأحوال العصر الاقتصادية واتجاهاته . ومن الناحية الثقافية تتأثر كذلك بالأفكار الاجتماعية السائدة والمثل الوطنية والدولية التى ترنو اليها الشعوب، ان نجاحها فى ميدانها التجارى يقاس بارباحها الصافية فى آخر السنة . واما نجاحها من ناحيتها الاجتماعية ، فرهون بنوع الأخبار التى تذيعها والآراء التى تؤيدها والتسلية التى تبيحها للجمهور القارىء .

الا أنها ، سواء نظرنا اليها ، من الناحية الخاصة ، أو من الناحية العامة ، لايسعها ان تقف بمعزل عن روح العصر وأساليبه . ولابد لها من أن تأخذ بأسباب المخترعات الحديثة ، التى جعلت تيار العمران سريع المجرى ، متدافع الأمواج . فاننا بفضل هذه المستنبطات الحديثة ، فى المخاطبات والمواصلات على وجه من التخصيص ـ أصبحنا ، ولا صبر لنا على البطء فى شىء . فالمسافات الشاسعة ، نريد أن نجتازها بالطائرات ، ولا نكتفى بالقطار ولا بالسيارة . والأنباء من البلدان النائية نريد أن نتلقاها بالتلغراف ، ونفضل اللاسلكى . وقد أثر هذا فى اخلاق الاحداث . فالفتى يريد أن يتعجل اليوم الذى يصبح فيه رجلا أو يعامل معاملة الرجال . والفتاة تستبق الساعة التى تمكنها من أن تصير لأمها أختا وصديقة . والامم تقطع الاوصال التى تربطها بالماضى ، لتجارى

الامم السابقة فى ميدان الرقى . وهى تحاول أن تختصر عصورا من التقدم فى بضع سنوات .

ولما كانت الصحافة مرآة للحضارة فى بلد من البلدان ، بل مرآة للحضارة فى جميع البلدان ، وجب عليها أن تدخل أسباب السرعة . إلى مخادع كتابها ومراسليها ، وإلى الحجر التى تنضد فيها حروفها ، وتطبع صفحاتها وتوزع نسخها

السرعة ديدن وشعار

تصوروا ادارة صحيفة لاتزال جارية على نظام العهد القديم . يجتمع المحرر بعض الرجال من أصحاب المكانة فى البلد ، فى ناد أو مجتمع خاص ، فيتناقش معهم فى شؤونه السياسية والعمرانية ، فيكتب فى ذلك مقالة أطول من ليل المغنى ، يقف فيها من الأمة موقف الخطيب أو المعلم أو الواعظ ، ثم يدفع بالمقال إلى عمال ينضدون الحروف باليد ، فاذا انتهى العمال من تنضيد الحروف ورتبت صفحات الجريدة ووضع بعض الصفحات على بلاطة مطبعة مسطحة تدار باليد فتطبع ناحية واحدة من عدد الجريدة ثم ترفع هذه الصفحات وتوضع محلها الصفحات التى تقابلها على الوجه الثانى فيطبع الوجه الثانى من الجريدة ولا تكون سرعة الطبع أكثر من ألف فى الساعة ثم تؤخذ هذه النسخ وتطوى باليد ، وتوزع بالبريد على المشتركين ، وإذا نشر صاحب الجريدة شيئا من أخبار البلدان المجاورة أو البعيدة انتظر وصول البريد بالسفينة أو القطار لينشر رسالة مضى على كتابتها أسبوع أو أكثر ، وقد تكون الأيام دارت دورتها وآلت الى حوادث تنقض ما انطوت عليه تلك الرسالة من وصف للحوادث أو بسط للآراء .

لذلك جعلت جريدة « بروكلن إيغل » الاميركية شعارها « أنباء اليوم اليوم » To-day s news to-day وهى كغيرها من الصحف العصرية فى أميركا وانكلترا وفرنسا واليابان تتكبد نفقات طائلة فى سبيل ذلك ، وقد لانستطيع أن نصدق ما يقتضيه تحقيق هذا الشعار من النفقة إلا إذا اطلعنا على صحيفة نيويورك تيمس الأميركية مثلا ، وقرأنا فيها مقالات برمتها تنقل اليها كل يوم من مراسليها فى جميع أقطار المعمورة على أجنحة الأثير أو باسلاك البرق .

من منا يطيق أن يقرأ صحيفة من الطراز القديم الذى وصفته لكم ، من منا لا يطلب فى متدمة ما يطلبه فى الصحيفة التى تعود مطالعتها انباء تلغرافية وتليفونية عما هو حادث فى أنحاء القطر المصرى وجيرته وسائر اقطار العالم فى ميادين السياسة

والاقتصاد والعلم والرياضة والفن وغيرها. من منا لا يفتح صحيفته كل صباح ليعلم نتيجة انتخاب أو اقتراع الليلة السابقة أو نتيجة مباراة فى الملاكمة أو التنس ختمت فى لندن أو نيويورك قبل بضع ساعات. وإذا لم يجد تلك النتيجة باء كاسفا أسيفا لان جريدته لا تليه. إن الصحيفة التى لا تستطيع أن تجعل السرعة والدقة ديدنها وشعارها فى جمع الاخبار وإذاعتها ليست بالجريدة التى تستطيع أن تثبت طويلا فى ميدان المنافسة التجارية، ولو حوت كل ثقافة الأولين والآخرين، لأن الجمهور الذى يقرأ، أصبح وهو لا يصبر على البطء فى شأن من شؤون الحياة.

فما هى أهم المستنبطات الحديثة التى لا غنى للصحف عنها، أو التى تضافرت على رفع الصحف الغربية وبعض الصحف الشرقية إلى أعلى مقام؟

المطبعة الدوارة

أولا ـ المطبعة: ولا أريد بالمطبعة المبدأ الذى كشف عنه جوتنبرج، فالصحيفة البطيئة التى تقدم ذكرها كانت تطبع بمطبعة أرقى جداً من مطبعة جوتنبرج.

ولكن طابعيها لم يكن فى وسعهم أن يطبعوا منها سوى نسخ محدودة فى ساعة من الزمان. إلا أن ارتقاء وسائل المواصلات وتقدمها، وانتشار التعليم وازدياد عدد القراء. كل هذه العوامل قد تضافرت على توسيع انتشار الصحف، فالمطبعة التى تدار باليد والتى تطبع صفحة واحدة من الجريدة ثم الصفحة الأخرى من كل عدد على حدة لا تستطيع أن تلبى الطلب، لذلك استنبطت مطبعة تسد الحاجة من هذا القبيل، وهى على اختلاف فى التفصيل بين أنواعها المختلفة تقوم على بضع قواعد أساسية: فالحروف إذا نضدت باليد وجعلت صفحة ورصفت الصفحة قرب الاخرى كان من المتعذر أن تطبع من هذه الصفحات شىء ما إلا إذا بقيت الصفحات على بلاطة من الحديد مستوية كل الاستواء لأن أقل محاولة لتغيير استواء صفحة الحروف يفك الحروف وينثرها، أما فى المطبعة الجديدة فتنضد الحروف ثم يصنع لها قالب من الورق المقوى بأساليب خاصة بطرق هذا الورق المقوى على الحروف، وهى بارزة كما لا يخفى، فيكون مكان الحروف غائرا فى هذا الورق المقوى ثم يؤخذ هذا القالب ويوضع فى آلة خاصة فيتخذ شكلا نصف اسطوانى وبعد ذلك تصب فوقه طبقة من مزيج أو خليط معدنى خاص: من الرصاص والقصدير والانتيمون، ويكون هذا الخليط مصهورا، فيملأ كل منخفض فى قالب الورق المقوى ويخرج قالبا معدنيا نصف اسطوانى الشكل، فيه حروف بارزة تقابل الحروف الأصلية ولكن الفرق بين الاثنين، ان الحروف الأولى مفككة ـ وهذه كلها متماسكة فى

لوحة واحدة ، الأولى مستوية وهذه نصف اسطوانية. فاذا صنعت صفحات الجريدة كلها على هذا النمط . توضع القوالب على اسطوانات خاصة فى ماكينات الطباعة ، ثم تدار الماكينة ، فتقوم المحابر قياما ذاتيا بتحبير وجوه هذه الصفحات ، وتلتهم المطبعة الورق من لفائف ضخمة ، فيمر الورق المنساب فى الماكينة أمام هذه الصفحات ، فيضغط عليها ضغطا خفيفا ، فتطبع الجريدة ولو كانت صفحاتها عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين أو خمسين صفحة ، وتقطع كل عدد من الجريدة عن أخيه ، وتخرجه مطويا جاهزا للبيع ، بسرعة تختلف من عشرة آلاف إلى عشرين ألف نسخة فى الساعة .

يقف المشاهد أمام الفتحة التى تخرج منها الأعداد فيكاد يعجز ، أو هو فعلا يعجز عن احصائها بعينه . ولذلك تجد فى بعض الماكينات ، عداداً خاصا ، يقرع صوتا معينا كلما أخرجت المطبعة مائة عدد من الجريدة ، فيأخذها العامل الواقف أمامها ويعطيها لآخر فيرزمها فى رزمة على حدة استعدادا للتوزيع

والمطابع التى تقوم على هذه القاعدة تعرف بالمطابع الدائرة أو الدوارة ، وتعرف بالانكليزية باسم Rotaries وبالفرنسية باسم Rotatif

لفائف الورق

ثانيا - ولكن هذه المطبعة لاتجدى الصحافة الحديثة نفعا ما . إلا اذا كان الورق فى لفائف ضخمة ، لان رزم كل رزمة منها قطع من الورق مفصول بعضها عن بعض . وهذا يرجع بنا إلى صناعة الورق وتقدمها . وليس يتسع أمامى المجال الآن ، الا لاجمال المبدأ فى صناعة الورق ووصف موجز لما رأيته فى أحد معامله الكبيرة فى انكلترا

فالمبدأ الذى بنيت عليه صناعة الورق هو استعمال الالياف الخشبية الدقيقة التى فى جدران الخلايا النباتية ، سواء أكانت تلك الالياف من خرق قطنية أو نباتية أو من جذوع أشجار أو من أنواع خاصة من القش . تؤخذ الخرق القطنية والكتانية مثلا وتنظف وتقطع وتبل وتغلى حتى تتحول ربا ، ثم يؤخذ هذا الرب ويوضع فى مرجل كبير ، ويغمر بماء حار نقى ، اذ تبث فيه الصودا ، وتضرب جيداً بأجهزة خاصة ، حتى تتقطع الألياف ، ثم تلون أو تترك على لونها المصفار ، أو تقصر أى تبيض وفقا للطلب ، ثم تضاف اليها مادة غروية تمسك الألياف الخشبية معا متى جفت ثم يحل كل هذا حتى يصير الرب الكثيف ، وهو أكثف قليلا من الماء . فيمر فى آلة كبيرة طويلة ، وهو طبقات رقيقة ، تختلف ثخانتها باختلاف

ثخانة الورق المطلوب ، فتبخر الآلة الماء رويدا رويدا ، وتترك الألياف والغراء، فتتماسك معا وتصبح ورقا .

وقفت من سنوات أمام آلة من هذا القبيل ، فى مصانع دكنصن الانكليزية المشهورة ، حيث يصنع جانب كبير من ورق الحكومة المصرية ، فرأيت الرب المحلول فى الماء يدخل أحد طرفى الآلة ، ماء أو شبيها بالماء ، فيمر فى أجزائها المختلفة ، وهو كلما تقدم فيها صار أقرب إلى الورق وأبعد عن الماء ، ويخرج فى نهايتها بعد مسيرة عشرين قدما أو ثلاثين ورقا منسابا ، صالحا للاستعمال ، ملفوفا لفائف ضخمة ، هى من الأركان التى تقدم عليها صناعة الصحافة الحديثة .

منضدات الحروف

ثالثا - كانت الصحف أولا ، نشرات صغيرة ، تنضد حروفها باليد ، وكانت لصغرها لا يعييها هذا التنضيد البطىء . فلما صار حجم الصحف يتباين من ١٦ صفحة الى ٣٢ إلى ٤٠ صفحة أحيانا ، صار لا مندحة عن استنباط وسيلة ميكانيكية تمكن القائمين على اصدار هذه الصحف ، من تنضيد الحروف فى أقصى سرعة مستطاعة ، فاستنبطت لذلك الالة المعروفة باسم « اللينوتيب » واتقنت ، وهى شبيهة بالآلة الكاتبة ، أو المكتاب (التيب ريتر) ، لها مفاتيح عليها رسوم الحروف المستعملة . فاذا قرع الكاتب على أحد هذه المفاتيح ، خرج من خزينة خاصة فى الآلة ، قالب نحاسى حفر فيه شكل ذلك الحروف . وتعرف هذه القوالب بالأمهات فاذا تم جمع الامهات الخاصة بسطر معين، رفعت بالضغط على جهاز خاص إلى امام مخزن آخر ، فيه الخليط المعدنى الذى تصب منه الحروف ، فيصب من هذا الخليط سطر كامل فيه الحروف التى نضدت أمهاتها بالضغط على المفاتيح . وبعد ذلك تفرق الامهات تفريقا أوتوماتيكيا ، فيذهب كل حرف الى المخزن الخاص به ، ويسقط السطر الذى صب فى جانب خاص من الآلة ثم تليه السطور الاخرى

وانتم تعلمون أنه فى استطاعة البارعين من الكاتبين على المكتاب أن يطبع أكثر من مائة كلمة فى الدقيقة . فتصوروا السرعة التى تنضد بها حروف الصحف التى تعتمد على هذه الآلات المنضدة للحروف ، ويقدر فى دوائر الصحف الاميركية ان العامل على منضدة الحروف يحل محل أربعة أو خمسة من العمال ، الذين ينضدون الحروف باليد . فاذا دفعت بمقال لعامل ينضد الحروف باليد واستغرق فى تنضيد حروفه ساعة من الزمان تمكن العامل على منضدة الحروف الميكانيكية أن يفعل ذلك فى ربع ساعة على الأكثر .

ومن مميزات هذه الآلة ، ان كل حرف يستعمل فى طبع الجريدة ، حرف جديد ، كأنه خارج من المسبك ، فى حدوده ومعالمه ، فيخرج الطبع به جليا واضحا ، لانه بعد استعمال الحروف المنضدة كذلك يعاد صهرها ، واستعمال معدنها المصهور فى صب حروف أخرى . يقابل ذلك ان الحروف التى تنضد باليد ، تفرق بعد الاستعمال ، ثم تنضد ثانية وثالثة ورابعة شهورا متوالية ، حتى تفقد معالمها الواضحة ويصبح الطبع مطموسا أو غير واضح فى بعض الأحيان.

وقد أتيحت لى زيارة جريدة نيويورك تيمس من سنوات فرأيت فى «العنبر» الذى يحتوى على منضدات الحروف - ثمانين منضدة تشتغل ليل نهار ، مع تبديل العمال طبعا .

وكان يؤخذ على هذه الآلة المنضدة عند الشروع فى استعمالها ، قلة أشكال الحروف التى تستعمل فيها . لان زيادة عدد الامهات ، يجعل الآلة معقدة كثيرة النفقة . ولكن المستنبطين ، تداركوا ذلك ، فصنعوا آلات خاصة للعناوين والاعلانات ، وهى مما يقتضى استعمال أشكال مختلفة من الحروف . وقد شاهدت فى ادارة النيويورك تيمس ، إحدى هذه الآلات فاذا هى من عجائب البراعة والاتقان .

فعلى لوحة هذه الآلة ، مفاتيح بأشهر أنواع الحروف التى تستعمل فى العناوين والاعلانات المنمقة Displayads. يرسم المصدر الاعلان أولا ، ويكتب ازاء كل سطر من سطوره ، نوع الحروف التى يجب أن يجمع بها ، فينقر العامل باصبعه على تلك الحروف ، فيحرك قضيبا والقضيب يحرك دبوسا ، يثقب ورقة أمامها فى شكل اسطوانى . وحينما ينتهى العامل من عمله ، تكون هذه الاسطوانة الدرقية ، قد أصبحت كثيرة الثقوب وهى أشبه مايكون بلف «البيانو» فتؤخذ وتدفع فى آلة فيها مزيج من الرصاص والقصدير والانتيمون ، وهى المعادن التى تدخل فى الخليط المعدنى ، الذى تصنع منه الحروف ، فتسبك الحروف فى الشكل الذى أشار به الرسام ومدير الاعلانات .

وقد استنبطت من سبع سنوات آلة عجيبة ، يتمكن بها الصحفى من تنضيد الحروف عن بعد وتعرف باسم Teletypesetter أى منضدة الحروف التلغرافية أو منضدة الحروف عن بعد ، ولا أعلم مدى استعمالها الآن ، وانما أرجح أن أكثر استعمالها ، فى ملاحق الجرائد الرياضية . فالصحف الفرنجية - وبوجه خاص الصحف الاميركية والانكليزية - تعنى عناية خاصة بأنباء الألعاب والمباريات

الرياضية على اختلافها ، وتتنافس فى السبق إلى اعلان نتائجها ووصفها ، وعلاوة على تنافسها بعضها مع بعض ، يجب ان تنافس مذيعى محطات الاذاعة اللاسلكية الذين يجلسون فى شرفات تطل على ساحة اللعب ويصفونه دورة دورة . فهذه الآلة الجديدة ، أى « منضدة الحروف عن بعد » ليست فى الواقع الامنضدة الحروف نفسها (أى اللينوتيب) وقد شطرت شطرين : شطرا فيه لوحة المفاتيح ، يأخذه المكاتب معه إلى ميدان المباراة ، وينقر وصفها على مفاتيحه أول أول ، ثم تنقل تأثيرات النقر على المفاتيح إما بواسطة اتصال سلكى ، أو بواسطة اتصال لاسلكى ، إلى الجزء الثانى من الجهاز الباقى فى دار الصحيفة ، وهو الذى يحتوى على الامهات والخليط المعدنى المصهور ، فتنضد الحروف ، حتى إذا انتهت المباراة ، كان وصفها المفصل معدا للطبع ، فيصدر الملحق ، بعد انتهاء المباراة بدقائق معدودة .

وسائل الأنباء

ننتقل الآن إلى المخترعات الحديثة التى كان لها شأن كبير ، ولايزال ، فى جمع الانباء من أربعة أقطار المعمورة ونقلها .

أما التلغراف والتلفون السلكيان فمعروفان لديكم جميعا ، وكذلك التلغراف والتلفون اللاسلكيان ، ونقل الصور السلكى واللاسلكى ، وقد أضيفت جميعها إلى أساليب نقل الأخبار فى الصحف الحديثة .

ولا أبغى أن أتولى هنا بسط القواعد العلمية ، التى بنيت عليها جميع هذه المخترعات ، فان وصف مخترع واحد منها قد يستغرق أكثر من محاضرة واحدة ، ولكننى أجمل القول فى ارتقاء وسائل المخاطبات ، ثم أصف لكم مثلا أومثلين ، يدلان على مدى اعتماد الصحيفة العصرية على هذه المخترعات العجيبة .

فوسائل المخاطبات اجتازت فى ارتقائها من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ثلاث مراحل : الأولى لما كان التخاطب يتم بالاشارات أو بالكلام أو برسول يعتمد على مضاء ذاكرته . والثانية لما استنبطت الكتابة فصار فى الامكان ارسال رسائل مكتوبة يكتم مافيها بعض الكتمان أو الكتمان كله ، ومن ثم صار ارتقاء رسائل التخاطب مرتبطا بارتقاء المواصلات ، فاستخدمت الجياد والعربات والسفن الشراعية أولا ثم البواخر وسكك الحديد ثم الطائرات والبلونات .

أما المرحلة الثالثة فهى المرحلة التى بدأ فيها المستنبطون ، بتحويل الكلام إلى إشارات كهربائية تنتقل من غير أى تقيد بسرعة الناقل سواء أكان حمامة من حمام

الراجل أو رسولا أو باخرة أو طائرة . والارتقاء فى هذا النوع من وسائل التخاطب من أهم ما اتصف به القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين، وقد كان نقل هذه الاشارات أولا بالسلك ، ثم على متن أمواج الأثير أو بكليهما معا . وهذا النقل السلكى واللاسلكى ، من أهم الأركان التى تقوم عليها الصحافة العصرية الراقية .

فما من حادث يقع فى ناحية من انحاء الأرض أو فى أعلى طبقات الجو أو فى سفينة تتقاذفها الأمواج فى عرض البحر ، الا وتنقل أنباؤه على متن الأسلاك البرقية أو على أجنحة الأمواج اللاسلكية . فوسائل المخاطبات الحديثة صغرت الأرض وقربت الشعوب والأمم بعضها من بعض حتى أصبحت وكأنها ، من هذا القبيل ، أمة واحدة ، وللصحافة فى ذلك شأن عظيم ، لأن رسلها يجمعون الأخبار ويرسلونها فتنضد وتطبع وتذاع بعد حدوثها بساعات أو سويعات ، فيقرؤها الجمهور ويحس كأن الحادث واقع ببابه . وعندى أن هذا العمل من أجل الأعمال العمرانية شأنا ، إذا تنزه عن الغرض الضيق والمآرب الخسيس لاننا حين نخرج من حدود ذاتيتنا الضيقة بترسيع أفق نظرنا إلى الحياة ينطلق الفكر من أغلال التحزب والتشيع الوطنى والتاريخى والاجتماعى ، وهذا الانطلاق إذا عرف أرباب الصحف كيف يربونه على خير وجه كان أمتن دعامة من دعائم السلام .

والآن أريد أن أصف لكم بعض الأمثلة على مكانة وسائل المخاطبات السلكية واللاسلكية فى الصحف الحديثة .

دخلت فى ذات مساء من صيف ١٩٢٤ جريدة نيويورك تيمس بنيويورك فذهب بى أحد المحررين إلى غرفة التلغراف اللاسلكى فرأيت رجلا جالسا وعلى أذنيه سماعة مزدوجه وأمامه آلة كاتبة ، فقلت إلى ماذا تصغى؟ قال إلى محطة باريس — قلت وما يذاع؟ قال خطبة مكدونلد ، وكان مكدونلد أيها السادة رئيس الوزارة البريطانية حينئذ ، فى جنيف ، يلقى خطبته المشهورة فى جامعة الأمم فى موضوع التحكيم ونزع السلاح .

والتفت إلى ناحية أخرى فى تلك الغرفة ، فرأيت آلات كاتبة عدة تنقر من تلقاء نفسها حروفا وكلمات على ورق ينساب على اسطوانتها الدائرة ، فعجبت بذلك وسألت فيه ، فقيل لى هذه آلات كاتبة ، متصلة رأسا بشركات الأخبار الأميركية وفى مقدمتها الأسوشيتدبرس ، فانه عند ما تتلقى هذه الشركات انباء جديدة لا تطبعها على ورق وتوزعها كما تفعل شركات روتر وهافاس بالقاهرة ، بل انها ، توفيرا للوقت ، تبعثها الينا وإلى من كان مثلنا مشتركا فيها بهذه الوسيلة ، وهى فى الواقع

تلغراف متصل بمكتاب، توفيرا للوقت واقتصادا للعناء، وهذا المكتاب التلغرافي يستطيع أن يتلقى من الاسوشيتدبرس ستين كلمة فى الدقيقة، فالجريدة الكبيرة تستطيع أن تتلقى فى خلال ثمانى ساعات من الانباء ما عدد كلماته ٨ آلاف كلمة ، بهذا الجهاز .

لقد سمعتم جميعا باسم الاميرال برد الاميركى الذى كان أول من طار إلى القطبين، طار إلى القطب الشمالى سنة ١٩٢٦ وإلى القطب الجنوبى سنة ١٩٢٩ .

ففى الرحلة التى رحلها إلى القطب الجنوبى سنة ١٩٢٩ اتفق مع إدارة نيويورك تيمس لقاء مبلغ كبير من المال على أن يخصها بانبائه عن طريق الارسال اللاسلكى، لكن أعجب ماتم له ولها فى هذا الصدد هو أنه استقل طائرته فى أحد الايام ومعه رجلان مصور وعامل لاسلكى — وطار ميمما القطب الجنوبى وإذ ذاك البوصلة على أنه فوق القطب كان العامل اللاسلكى قد اتصل بمحطة نيويورك تيمس بواسطة التليفون اللاسلكى ودار حديث بين ذلك الانسان المحلق فوق القطب والانسان الآخر الجالس على مقعد وثير فى نيويورك ، والمسافة بينهما عشرة آلاف ميل .

وبعدها زرت جريدة المنشستر جارديان بمنشستر فرأيت فيها مالم أره قبلا فى جريدة أخرى، مع أنه قريب جداً من الجهاز الجامع بين التلغراف والآلة الكاتبة الذى وصفته لكم، ذلك أن لادارة هذه الجريدة مكتباً خاصا كبيراً فى لندن . ورجال هذا المكتب أعضاء فى قلم التحرير العام . ويصل ادارة الجريدة فى منشستر بمكتبها بلندن خط تلغرافى يستطيع أن ينقل عدة رسائل تلغرافية فى آن واحد ، سواء أكانت ذاهبة جميعها من منشستر إلى لندن أو آتية جميعها من لندن إلى منشستر أو ذاهبة أو آتية معا . وفى هذا الجهاز جزء كهربائى خاص ، بارع التركيب يفصل الرسائل بعضها عن بعض. وفى غرفة الاستقبال فى مكتب منشستر جاردريان خمس آلات كاتبة تتلقى هذه الانباء بعد فرزها بعضها عن بعض وتطبع كل رسالة على حدة . وإذ كان مدير هذا المكتب يشرح عمل هذا الجهاز قال: لنسأل مثلا عن حالة الجو فى لندن ، ومال إلى المائدة أمامه وضغط على بعض أزرار هناك رسالة تلغرافية بشفرة مررس، مؤداها : كيف حالة الجو عندكم ؟ وفى أقل من دقيقة كانت احدى الآلات الكاتبة امامى تكتب ما يأتى : الجو صاف والشمس مشرقة والهواء دافىء .

أساليب التصوير وطبع الصور

وتوزيع الجريدة

ولا يخفى عليكم ان الجريدة العصرية عادت لا تكتفى بالانباء مكتوبة ، بل صارت تميل كثيرا الى الأنباء مصورة ، وقد كان نشر الصور فى العهد الماضى صعبا جدا ، لأن صنع الكليشهات كان يجب ان يتم على الخشب أوالنحاس باليد ، ولكن اتقان أساليب التصوير الضوئى ، والحفر الزنكغرافى ، وما اليه من أساليب الحفر المختلفة ، جعل نشر الصور فى الصحف اليومية أمرا ميسورا ، على ما فيه من مشقة ، تلازم كل أعمال الصحفى .

وفى العهد الأخير استنبطت وسائل نقل الصور بالتلغراف السلكى ، وبالتلغراف اللاسلكى ، حتى وبالتلفون ، فمن نحو سنتين ، لما تمت المباراة الجوية بين انكلترا واستراليا ، تمكنت جريدة الديلى اكسبريس من نشر خبر وصول الطيارين السابقين وصورة وصولها ، فى عدد واحد .

جميع هذه الاجهزة ، تحتاج فى بسطها إلى وقت ، ولعل أحد اخواننا المشتغلين بالصحافة المصورة ، يجعل الصحافة المصورة موضوعاً لمحاضرة يلقيها علينا .

أما أساليب التوزيع ، فليس فيها شىء جديد الا استعمال السيارات كثيراً والطائرات أحيانا ، علاوة على القطرات . ولكن استعمال هذه الوسيلة أو تلك يتوقف على طبيعة البلاد التى توزع فيها الجريدة

بقيت لى كلمة واحدة :

قد تنفق الأموال الطائلة ، فى ابتياع الدور الفخمة ، والمنضدات والمطابع الحديثة ، وقد تستخدم الاسلاك والامواج فى نقل الانباء والصور ، والسيارات والطائرات فى توزيع أعداد الجريدة ونشرها .

ولكن وراء كل ذلك عمل الرجل :

الرجال الذين لا يصدهم صاد عن تسقط الاخبار وتمحيصها ، الرجال الذين يعلقون عليها بآراء حصيفة صادرة عن علم واسع واخلاص جم ، عن بداهة مصقولة بالاختبار ، واستقلال قائم على السعى فى سبيل النفع العام ، الرجال الذين يقيمون باختيارهم من ضمائرهم وعقولهم مجلس رقابة يجرون على قضائه ، ويفهمون ان الصحافة ، مع كونها تجارة ، يجب الانبور ، هى كذلك أمانة اجتماعية معلقة بأعناقهم ، ويجب أن يؤدوا الامانة حقها ، فاذا أقبل المحررون جميعا من الرئيس إلى أصغر المصححين على أعمالهم بهذه الروح ، فالصحافة خير ، وتستحق أن يسبغ عليها لقب « صاحبة الجلالة »

٨

الاخطاء اللغوية الاصطلاحية والمطبعية

للأستاذ محمد مسعود بك

ألقيت مساء يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٣٦

سيداتى سادتى

اخترت أن يكون موضوع محاضرتى الليلة الـكلام فى الأخطاء اللغوية والاصطلاحية والمطبعية، لأنى رأيت القائمين بصناعة الصحافة ينشدون فيها المثل الاعلى للاتقان، ويتوثبون إلى سدرة منتهى الاحسان والاجادة فوددت لو أن يكون أول مظاهر جهودهم فى هذه السبيل بروز صحفهم من خدرها كل يوم نقية الذيل من شوائب الاخطاء لتكون كمثال المثال العبقرى، يخرج من تحت سنان قلمه الفولاذى صقيلا جميلا كالحسناء فى ليلة جلوتها

واذا كنت قد آثرت هذا الموضوع على غيره من الموضوعات المتصلة بالصحافة، وهى جماء العدد متشعبة المناحى، وأغلبها يغرى الباحث بطرق أبوابها، فما هو إلا لأنى بعد تلك الامنية التى منيتها لخير الصحافة أوقن أن الخطأ العلمى أو الادبى، ولو كان مرده إلى الجهل أو السهو، يبقى دينا فى عنق صاحبه لا يبرأ منه الا بالفيئة العاجلة الى الصواب فيه، بعد أن يعلم ماجهل ويتذكر مانسى

نعم ان الخطأ يبقى معلقا بعنق المخطىء اذا تجلى له وجه الصواب فيه فاستهتر ولم يأخذ به، أو استكبر ولم يأبه له، لان الخطأ فى العلم كالخطأ فى الحقوق العامة، عمل ضار بالغير ولو لم يقصد به إلى نفع ذاتى أو مغنم خاص، ومن ذلك أنه يضر ناشئة المدارس لانهم دائما يعتقدون الصواب فى كل مايتلقونه عن الصحف فيأخذون به على علاته من غير ملاحظة ولا تمحيص ولا نقد، فتنتشر الأخطاء بينهم وتنساب إلى غيرهم بالتناقل والتداول فيكون من شأنها مايكون من الداء الوبىء اذا استقرت جرثومته فى بيئة لا يلبث لوثها أن ينتقل الى مايجاورها من البيئات

والخطأ، قل أو جل، واحد تجاه التزام المخطىء بالرجوع فيه إلى الصواب بل بالعمل على ترويجه والدعوة اليه حتى يستقر فى الاذهان وينقش فى الصدور ويأخذ مكانه بين الحقائق التى لا مرية فيها .

تلك هى عقيدتى فى تصحيح الاخطاء ووجوب الالتزام به كدين يتحتم وفاؤه، وإنى وقد انبريت لمعالجة الموضوع انما أعمل بوحى هذه العقيدة ، لا لغمط أحد أو الازدراء به ولا الازدهاء بمعرفة لا أملك منها فتيلا، وأنما لأقضى حاجة فى نفسى وهى أن أرى الصحافة المصرية فى رقيها الأدبى مسايرة لها فى رقيها المادى

* * *

أخطاء الصحف ، أيها السادة ، صنفان :أحدهما مصدره المحررون والمترجمون والمتطوعون من الكتاب ومرده غالبا إلى الجهل أو السهو والثانى مصدره الطابعون أى منضدو الحروف ورؤساؤهم، ومرده أولا إلى طبيعة الحروف العربية وكثرة عددها وتشابهها، ثم الى جهل الطابعين أصول صناعتهم وعجز منضدى الحروف منهم عن ادراك معنى ماينضدون حروفه لأن سوادهم تعلموا رسم الحروف فى المطابع لا فى المدارس، فهم يجهلون بسائط العلوم العربية من نحو وصرف وغيرهما .

والمخطئون من الطبقتين لاجناح عليهم ، الى حدما ، فيما يخطئون ، مادام عليهم من أصحاب الصحف رقباء على أعمالهم مفروض انهم يوجهون تصرفاتهم الى ناحية الاتقان والكمال، ومن رؤساء التحرير مرشدون مسئولون عن اخطائهم، ويجب عليهم لدرء هذه المسئولية ان تتحرك فى نفوسهم الاريحية الى ضبط عملهم والتوفر على اتقانه بذرائع أقلها أن يحصوا على هؤلاء أخطاءهم ويأخذوهم بتصحيحها أولا أول وينتقوا الطابعين من المتعلمين الذين فازوا من علوم الوسائل فى اللغة العربية بقسط يقيهم مساقط الاخطاء ومعاثرها .

* * *

والأخطاء فى الصحافة المصرية ليست تراثا ورثته عن صحافة الربع الأول من هذا القرن فيما قطعته من أشواط خطواتها المستخذية العاثرة وانما هى طغيان الجانب المادى منها على الجانب الأدبى وقصر العناية فيها على الوضع دون الموضوع كأنها ليست نقيصة لاصقة بها دون غيرها من صنوف المطبوعات كالكتب التى يتسع الوقت عادة لابرازها فى ثوب قشيب من الصحة والصواب، ومع ذلك لا يكاد يظهر كتاب فى عالم المطبوعات حتى تكون فى الاخطاء منثورة على صفحاته تأخذ الابصار بلألائها المشرق .

نعم لم تكن الصحافة المصرية أثيرة الاخطاء دون المطبوعات غيرها، ولكننا مع هذا نبغى لها الكمال الذى يكفل لها أن تصبح من هذه الناحية على صعيد واحد مع الصحافة الاوربية التى اجتازت دور التعثر فى الاخطاء بفضل سهرها المتواصل

على الخلاص من ربقتها، وقد بلغ من أمر ذلك انكم تقرأون الصحيفة الأوربية قراءة تمعن واستقصاء فلا يجد أحدكم خطأ فى كلمة ولا حرفا صاعدا أو هابطا أو منزعجا من حيزه يمنه أو يسرة مع أنها تكون من كبريات الصحف التى تصدر فى بضع عشرات الصفحات أى بضع مئات الأعمدة للعدد الواحد منها .

ولعلكم سمعتم بقصة ذلك الصحافى الانجليزى أو الأمريكى الكبير الذى أرصد مبلغا كبيرا من ماله لمن يهديه الى خطأ أيا كان فى جريدته الكبيرة، فهل لنا أن نتمنى لصحافتنا التوفيق يوما ما لمنح هذه الجوائز لمن يتتبع سقطاتها ويتلمس غلطاتها .

* * *

أيها السادة - قلت فيما تقدم إن الاخطاء بمختلف أنواعها لم تقتصر على الصحف بل عدتها الى الكتب مع أن الكتب على خلاف الصحف تطبع فى متسع من الوقت وبعد مراجعات كفيلة لمجانبة الخطأ فيها ، ولهذه المناسبة أرانى فى حاجة الى الانضاء اليكم بكلمة استطرادية فى موضوعها سوف تلمحون منها فداحة المسئولية التى تبهظ عواهل الطابعين الذين لا سبيل لهم الى التنصل منها بما يمكن أن ينتحلوه من ضيق الوقت أمامهم لابراز مطبوعاتهم عاطلة من الاخطاء .

طغى سيل الاخطاء على الكتب بأنواعها، من مدرسية وغير مدرسية . فأصبحت لا يخلو أحدها من فهرس الخطأ والصواب فى أوله أو آخره ، لا يتناسب عدد صفحاته مع بقية صفحات الكتاب وقد جرف ذلك السيل فى مسيله الكتب المنزلة قبل غيرها، فالقرآن الكريم، مع ما يتحراه الطابعون له فى مصر وغيرها من التدقيق المطلق فى تصحيحه ، ليخرج من بين أيديهم مصونا من الخطأ، قد وقعت الاخطاء فى طبعات كثيرة منه متناولة رسم الكلمات أو حركات الحروف أو ما جرى مجرى ذلك حتى قضت الحالة بابادة النسخ المطبوعة منه بالغة ما بلغت مقاديرها ونفقاتها .

حدث فى العقد الأول من هذا القرن العشرين ان عهدت وزارة المعارف الى احدى المطابع الحجرية فى فينا طبع خمسين الف نسخة من المصحف الشريف فلما ثبت لها أن اخطاء طفيفة من قلم الناسخ اندست فيه أمرت بالقائها فى البحر منذ وصول الباخرة الاسكندرية .

وكما يقع ناسخو القرآن الكريم وطابعوه فى أخطاء نسخية أو مطبعية، على الرغم من حرصهم ويقظتهم نرى الكثيرين من حفظته أو مستظهرى طائفة من سوره وآياته تخونهم الحافظة فى معرض الاستشهاد أو التضمين أو غيرهما، فيبدلون من عباراته أو كلماته عبارات أو كلمات أخرى، لاسيما عند تشابه الآيات ، وما أكثر

المتشابهات فى القرآن الكريم .

نشر مقطم ١١ ديسمبر سنة ١٩٣١ للاستاذ محي الدين رضا أحد محرريه نبذة أشار فيها إلى تحريف آية قرآنية فى الصفحة الاولى من مقدمة كتاب الفقه على المذاهب الاربعة، فى اليوم التالى نشر المؤلف فى المقطم كلمة يعترف فيها بالتحريف ويعتذر بأنه صحح الآية فى آخر الكتاب، ولم يشر الاستاذ رضا إلى هذا التصحيح وحسناً فعل لأن كلام الله أرفع من أن يكون موضوع تخطئة وتصويب فى ذيل كتاب كان الأمثل بمؤلفه الفاضل أن يعيد طبع الورقة التى وقع الخطأ فيها لأن التصحيح فى آخر الكتاب لايحول دون بقاء الخطأ ماثلا فى الصفحة الأولى منه .

وفى يوم الجمعة قبل الأخير ظهرت فى المقطم مقالة بقلم الاستاذ عبد الرحيم ابن محمود ضمنها الآية الشريفة: « يريدون ان يطفئوا نور الله الخ » على أنها احدى آيات سورة الصف فأبدل من كلمة « ان يطفئوا » كلمة « ليطفئوا » الواردة فى آية مشابهة لها من سورة التوبة ، وقد نبه إلى هذا الخطأ منه فكتب فى مقطم الاثنين الماضى كلمة يعترف فيها بخطأه اذ يقول « وأكاد أذوب حزنا لوقوع هذا الخطأ منى فى حرف من القرآن فأسأل الله الغفران » فالكاتب الفاضل خانته الحافظة فخلط بين الآيتين للتشابه بينهما .

ومن الاخطاء ضرب يقع فيه محرر المقال أو مؤلف الكتاب ، لمجرد أنه قام بنفسه على تصحيح مقاله أو كتابه ، وتعليل ذلك فيما يلى :

كتب الاستاذ م . الشرقاوى من علماء الازهر ينعى على الدكتور زكى مبارك وقوع أخطاء مطبعية فى كتابه النثر الفنى فقال : « كنا نحسب أنه لايوجد خطأ فى كتاب يشرف على تصحيحه رجل عالم كالدكتور مبارك وتتولى طبعه دار الكتب المصرية » الخ، فرد الدكتور عليه فى بلاغ ١٨ مايو سنة ١٩٣٥ يقول: « إن الغلط المطبعى فى المطبوعات العربية قد عجزعنه الأساة ، ولاسيما إذا كان المؤلف هو المصحح، فانه يقرأ فى صحائف ذاكرته، وهو يظن انه يقرأ فى صحائف الكتاب » ، وهذا التعليل يدلكم على ان سواد أخطاء المؤلفين ناشىء من تصحيحهم التجارب المطبوعة لمؤلفاتهم بأنفسهم ، لانهم وهم بسبيل تصحيحها تسبق خواطرهم أنظارهم فتمر الأخطاء أمامهم مرادون أن يفطنوا لها .

وبين يدى الآن مصنف حديث جم الفائدة اسمه اعجام الأعلام ، ألفه الأستاذ محمود مصطفى مدرس اللغة العربية بالجامعة الأزهرية لضبط أعلام الأناسى والبلاد، وهو فى ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط ومصدر باستدراك لطيف جاء فيه:

« حرصنا كل الحرص على سلامة هذا الكتاب من الخطأ المطبعي ، فتحقق لنا غرضنا على وجه كاد يكمل ، وساعدتنا على ذلك جهود رجال المطبعة وحسن معاملتهم لنا في هذه الغاية ، ولكن فات حرصنا أغلاط قليلة ، ولعل ما أوردناه في البيان الآتي هو كل ما وقع في الكتاب من الأغلاط والحمد لله على ذلك » ، ثم يجيء البيان فاذا به يحتوي خمسة أخطاء مطبعية فقط . وها أنذا قد بلغت من مطالعة الكتاب إلى صفحة ١٣٨ فأحصيت سوى الأخطاء الخمسة المتقدمة ستة عشر خطأ مطبعياً ، وفي هذا الدليل المقنع على ان المؤلف الفاضل لم ينفعه حرصه في اخراج مؤلفه بريئاً من عيوب الاخطاء وان مساعدة الطابعين له على ذلك كانت مجرد حسن ظن لم يحققه الواقع ، لأنه إذا كان مجموع الأخطاء في الصفحات المائة والثماني والثلاثين قد بلغ إلى ٢١ خطأ . فالمنظور من مراعاة قاعدة النسبة والتناسب ان يبلغ عددها في كتاب يعد ٢٥٠ صفحة إلى ٣٨ غلطة وكسرا من غلطة واحدة يعدل ١ على ٣٢ فأين إذن هذه الحقيقة المؤلمة من أن يكون عدد غلطات الكتاب كله خمسا فحسب ؟

* * *

بعد هذا الاستطراد الذي وقفتم منه ، أيها السادة ، على أسباب تسرب الأخطاء إلى الصحف والكتب أرى لزاماً علي قبل الكلام على الاخطاء اللغوية والاصطلاحية والمطبعية وضرب الأمثال عليها أن أكاشفكم بما يعروني من الدهش المقرون بالأسى كلما فتحت صحيفة من صحفنا المتبارية في مضمار الاجادة والاتقان فتكون تلك الاخطاء بمختلف أنواعها أول ما يلتمس نظري منها .

ولقد استفزني ذلك منذ فترة من الزمن إلى التقاط دررها وأصدافها من بطون الصحف ، فاجتمع لي منها بضعة آلاف قيدت أوابدها في كراسات كثيرة رجاء أن تتاح الفرصة لي يوما لابرازها في كتاب يكون عدة للكاتبين في توقيتهم معاثر الأخطاء التي تملأ طريقهم ، وها أنذا ما زلت استشرف تلك الفرصة المرموقة ولكنها لم تسنح بعد من وراء الافق ، وإلى أن ينبلج أطرح بين يدي فضلكم ألوانا من الاخطاء التي جمعتها ، منقولة عن النصوص التي وردت فيها .

تتسامح الصحف كثيراً في نشر عبارات للكاتبين تلمحون منها ضعف التأليف وركاكة العبارة مع الخطأ ، من ذلك قول بعضهم : « تربيتنا تتراوح مذبذبة بين الحنان الأموي والاهمال الأبوي » يريد بالأموي النسبة إلى الأم بينا هو النسبة إلى أمية ، وقوله عن امرأة ولدت مولودا شاذ الخلقة : « وهي بعد طول العذاب

وطول التمنى قد تفجع كما يرى اليوم، حتى أن أموميتها الحنون تنكر ذلك المخلوق» يريد بالأمومية الأمومة. وقوله: «كان أرباب الطرق يضربون سيوفهم بالهواء» أى انهم كانوا يفتلون من خيوط الهواء طرة يلهون بها ظهر سيوفهم. وكان الامثل أن يقول. «يخطرون بسيوفهم» لأن الخطران هو تحريك السيف فى الهواء ازدهاء بالشجاعة والبطولة.

ويجرى مجرى الركاكة وسوء التعبير قول بعض الصحف: «حكمت المحكمة على المتهم بعام واحد سجنا مع الاسعاف بقانون التأجيل» يريد وقف التنفيذ

ويرسل بعض الكتاب القول ارسالا لايدرون معه أتتفق نتائجه مع مقدماته أم تناقضها؟

نعت احدى الصحف فى سنة ١٩٣٤ للقراء أحد موظفيها الأمناء وقالت فى نعيها انه توفى عن ٦٥ سنة وانه خدمها منذ تأسيسها - إذن يكون الفقيد قد زاول خدمة الصحافة فى السادسة من عمره لانه ولد فى سنة ١٨٦٩ ولان الصحيفة التى خدمها منذ وجدت أسست سنة ١٨٧٥

وكتب كاتب: «ستلقى محاضرات عن الاسرائيليين فى عهد الفاطميين أى منذ قرنين ونصف» ومعنى هذا أن الدولة الفاطمية التى انقرضت سنة ٥٦٧ للهجرة كانت لاتزل قائمة بعد سنة ١١٠٠ واننا الآن نعيش فى ظل دولة المماليك البحرية وإن حكم الولاة العثمانيين الذى بدأ سنة ٩٢٣ هجرية لم يخرج بعد من عالم الذر.

وكتب غيره يقول: «السحت سواء كان حلالا أو حراما» ولعمرى إذا كان السحت فى اللغة هو كل مالا يحل كسبه ولا أكله فمن أين يكون له حلال وحرام؟

واذا انتقلنا من الجمل والعبارات المصنوعة بما تقدم من ألوان الخطأ والتناقض وجدنا أمامنا طوائف من الألفاظ المفردة يتناولها الخطأ من وجوه شتى.

من هذه الطوائف أفعال تتعدى بنفسها فيعدونها بحروف الجر مثل: أدمن. احتوى. سلب. حرم. وقى. كلف. عهد. وعد. زود الخ.

وهذا خطأ كل الخطأ، صوابه الاستغناء عن تلك الحروف.

قال الشاعر:

لا أعرفنك بعد اليوم تندبنى   وفى حياتى ما زودتنى زادى

وقال ابن بطوطة: «زودنى دراهم لم تزل عندى محوطة»، وهكذا بقية الافعال.

وأفعال تتعدى بحروف الجر فيعدونها بنفسها مثل: أبصر وحف فى قولهم:

أبصرهم الشرطي ، وحفه التلاميذ ، والصواب أبصر به وحف به - وأفعال يخلطون معانيها ببعض لأن أصلها اللفظي واحد مثل : رصد وارصد ، حرم وأحرم ،غلاوأغلى ، توفروتوافر ، خلدوأخلد ، لحظ ولاحظ،باح وأباح، لغا وألغى ، زكا وأزكى ، عفا وأعفى الخ - وأفعال مزيدة بحروف الطلب نقتصر منها على فعلى : استعرض واسترجل ، اللذين تمرون بهما كل يوم فى كل الصحف ،لنضرب بهمامثلاعلى مقدار مايرشح اليه استعمالهمامن فساد وتناقض فى المعنى .

فالاستعراض فى اللغة هو إما الانحاء بالسيف على الرقاب وإطارة الرؤوس من السكنات،وإما فحص الجارية لشرائها ، جاء فى وفيات الأعيان:«كان الخليفة الطائع قد استعرض جارية فأعجبته فأمر بشرائها »، وأما فى المعنى التالى وهو أن تكون رئيسافى ديوان فتقول:« استعرضت اليوم كاتب سرى »أى طلبت منه أن يعرض على عمل يومه ، ولايجوز أن تقول : «استعرضت العمل أو الاوراق » . أما استعراض الجيش والكشافة والتلاميذ فخطأ،صوابه عرض الجيش الخ - أما الاسترجال فيما يسمونه الفتاة المسترجلة أى المتشبهة بالرجال فى زيها وأطوارها فمعناه طلب الرجل وكذا إذا قيل الفتاة المترجلة فلا معنى له أكثر من ان فتاة كانت تمتطى مطية ثم نزلت عنها ، والصواب فى ذلك ان نقول:الفتاة أو المرأة المرجلة، من أرجلت المرأة أى تشبهت بالرجل .

وترد فى الصحف كلمات مثل : أولا فأولا أو أولا بأول وعلى قيد وجلس على يمينه أو يساره ومن أول وهلة ولأول وهلة وفى أول وهلة ، والصواب فيها على التوالى هو : أول أول ، قيد (بكسر القاف) ، وجلس إلى أول وهلة .

قال المغفور له أمير الشعراء فى رثاء والدته :

من الهاتكات القلب أول وهلة   وما دخلت لحما ولا لامست عظما

وترد فيها على الرغم من ان اللغة العربية أغنى لغات الارض طراً ألفاظ عجمية مع وجود مقابلها فى هذه اللغة . من ذلك قولهم فى وصف موكب عرس: « وكان القمشجى يفتح للموكب الطريق » ، والصواب: المطرق، بتشديد الراء المكسورة . جاء فى بعض كتب الادب عن أمير « خرج والمطرق بين يدى موكبه » . ومنه استعمالها اللفت والاسانسور للترقاء وهو أوفى كلمة لأداء معنى تلك الآلة ومنه . قولها الفليتو والكستليته وهما الطعامان المعروفان من اللحم تظفر بأدائهما اداء لغويا صحيحا كلمتا الملحاء والشراسيف ، فاذا كان من الآكلين من يتشهاهما غير ناضجتين ينزو الدم منهما وصفتا بالمعرضتين بتشديد الراء أى غير

تامتى النضج تنضحان بالدم . ومنه «أفتح دولة . . . معرض الكريز تنيم لجمعية فلاحة البساتين » كأن كلمة الافحوان محيت من معاجم اللغة العربية وأذكر بهذه المناسبة إنى قرأت كتابا فى علم الزراعة طبعته وزارة المعارف جاءت فيه كلمة «توليب» تعريبا لكلمة tulipe الافرنجية كأن اللغة العربية خلت من مقابلها وهو الخزامى التى كانت إحدى الأعرابيات تدلل باسمها ولدها الصغير حيث تقول :

يا حبذا ريح الولد   ريح الخزامى فى البلد

ومنه قولها : «صورة بروفيل لأجمل فتاة» كتبت هذه الجملة تحت صورة إحدى الحسان وكان حتما أن يكتب « صورة من عارض لأجمل فتاة» لأن العارض هو جانب الوجه المقابله بالفرنسية «profil» ومنه الباطنطة أى الضريبة على المهن الحرة ومقابلها العربى الصحيح هو «القبالة» التى ذكرها بهذا المعنى الشريف الادريسى فى نزهة المشتاق ونقلها الافرنج الى لغاتهم بلفظها العربى فقالوا gadelle للضريبة على الصناعات كضريبة الجوخ والملح، ومنه المدالية للشارة التى تمنح للمرضى عنهم والكلمة عربية محرفة عن المثالة بفتح الميم ومنه الغرانيت فى فصل عنوانه «صناعة الغرانيت ومستقبلها فى مصر» واسمه العربى هو الحجر الأعبل . ومنه القرويت تعريبا لكلمة eorvette وهى نوع من السفن الحربية فى القرن التاسع عشر وكان مثلها فى االاسطول المصرى على عهد ساكن الجنان محمد على باشا معروفا بالغراب ومنه الباسابورت لما نسميه من ناحية أخرى جواز السفر وأتم كلمة لأداء معناه هو البراءة تؤيده الآيتان الاوليان من سورة التوبة ويعززه قول ابن بطوطة فى كلامه عن بلدة الصالحية التى دخلها فى طريقه الى الشام : «كان لايجوز عليها - أى الصالحية - أحد إلى الشام الا ببراءة من مصر ولا إلى مصر إلا ببراءة من الشام احتياطا على الاموال وتوقيا من الجواسيس» ومنه الاستنجة لقضيب الحديد فوق قاطرة الترام يتناول سلك الكهرباء ، وهذا المعنى متوافر فى كلمة الكندرة وهى كل قضيب طويل رفيع ينال بواسطته شيء بعيد .

وحيث تظهر فوادح الأخبار فقيها يتصل بأسماء الاعلام للأناسى والاماكن الجغرافية والاصطلاحات العلمية من طبية وفلكية وغيرها ، أما أسماء الاعلام الخاطئة فمنها « مولى عبد المجيد قاضى البوليس» فى الهند طبعا والصواب مولوى وكولونل زهراوردى والصواب سهروردى نسبة الى مدينة سهروردو و «السلطانة فاليدا زوج السلطان عبدالعزيز» للسلطانة الوالدة أمه لا زوجه و« الزعيم سمدخان» للزعيم عبد الصمد و« ١٥٠٠٠ مقوالى ويزدى» لهذا العدد من المقاولة واليزيدية الخ

أما اسماء الاعلام الجغرافية فالخطأ فيها عام وشائع ومتأصل لا أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر سوى مغاديشيو لمقدشو ووبى شيبالى لوادى الشبل واكسوم واقصوم ليكسوم المدينة المقدسة وجرندار وغوندار لغندر وآساب وآصاب لعصب وجوبا وجوالند لبلاد الجب هذا فى الحبشة؛ وفى مراكش موجادور ومغادر لثغر مقدور «اسم ولى من الأولياء» وطنجير لطنجة ومكنس لمكناسة وطفيليلات لتافللت وطيطوان لتطوين عاصمة المنطقة الاسبانية وموكلتم mercultem لبقعة من آزمور اسمها رـكل ـتم أى أمضى وكل هناك وفى الجزائر الجه منطوق alger الفرنسية المدينة أو ثغر الجزائر وبوجي منطوق bougie الفرنسيه لبجاية وأوران لوهران، وفى بلاد أندلس سراغوسه وسراجوسا وسرقوسة لسرقسطه وسيفليا وسيفيل الاشبيلية وملجا وملقا المالقة بفتح اللام وفلاسيا وفالنس لبلنسية وسلمنكا لشلمنقة، وفى مصر جفتن للجزيرتين اللتين تجاه ساحل الغردقة حيث آبار البترول بالبحر الاحمر وصواب اسمهما «الجافتين» أو «الشفتين» وغوسن لأرض جاسان المعروفة فى التوراة وهى وادى طوميلات ... الخ .

أما الاصطلاحات الطبية فقد اعتاد كتاب الصحف ايرادها بمنطوقها العربى وفى هذا من التفريط فى حق اللغة ما لا يستهان لضرره وسوء مغبته. فهم يقولون التيتانوس لداء الكزاز والابنديسيت أو الأعور للمراغ أو المرغة وكانابلسم للازوق والجوطر تعريبا من goitre للنوطة وهى الانتفاخ فى الرقبة ... الخ .

واعتادوا فى الاصلاحات الفلكية أن يطرحوا أسماءها العربية الصحيحة جانبا ليحلوا محلها منطوق أسمائها الافرنجية. فهم يقولون جوبيتر للشترى وفينوس للزهرة وعلامة سكوربيو لبرج للعقرب وبرج الكبش لبرج الحمل وخط الظهيرة المركزى لخط الزوال ... الخ مع أن المفهوم هو أن ٩٥ فى المائة من الأسماء والاصطلاحات الفلكية عربى الأصل نقل بلفظه إلى اللغات الافرنجية فى كثير من التحريف يقذف فى وهمنا أنها أسماء أجنبية فنعربها بمنطوقها الفاسد بينما هى عربية بحتة فى أصلها وأرومتها .

ننتقل الآن الى الكلام على الاخطاء المطبعية فى الصحف فنقتصر على أن نذكر منها ما مرده إلى الطابع . هذا العامل كثيراً ما يستبهم عليه معنى ما هو مكاف ان ينضده من الكلام فتراه يتصرف فيها بما يوحيه اليه الخيال من تصحيف وتحريف وتقديم وتأخير وإضافة وحذف. فالكلمة من قولك إذا لم يفهمها، لأنها لم ترد عليه من قبل؛ تناولها بالتحريف والتصحيف دون أن يحسب حسابا لاتساق المعنى . من ذلك خبر نشرته الاهرام بالرسم والوضع الآتيين :

الحديقة النموذجية

«تم انشاء الحديقة النموذجية التابعة لوزارة التجارة والصناعة وركبت آلاتها ويشتغل قسم الجلود الآن بشراء الخامات اللازمة لادارتها »

« وستكون مهمة هذه المدينة ترقية صناعة دبغ الجلود وذلك بتعليم رؤساء المدابغ الأهلية أحدث الطرق المتبعة فى هذه الصناعة »

فى هذا الخبر كلمتان وهما الحديقة والمدينة اذا أبدلت منهما كلمة المدبغة ولاحظت أن بين الكلمات الثلاث جناسا لفظياً واضحا بدا لك سر هذا القالب المضحك الذى صب فيه ذلك النبأ

وفى باب التلغرافات من مقطم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٥ خبر جاء فيه « رفع الصليب المكوف رسميا على الباخرة بريمن » وما من شك فى أن محرر المقطم أو مترجمه أراد «المعقوف أى المعطوف المثنى من طرفه وهو صليب الراية النازية ولم يرد « المعكوف » الذى له من المعانى مالا محل لوصف الصليب به ولكن الطابع كان يعرف معنى عكف ويجهل معنى عقف فعز عليه أن يؤثر مجهولا على معلوم

وفى عدد المقطم الصادر بتاريخ ٢٥ يناير مقال فى الحرب يظهر ان مصححه وجد فيه كلمة زائدة فرمجها بقلمه ومبالغة فى تفهيم الطابع ان المراد من الرمج هو حذف هذه الكلمة كتب على الهامش تجاهها «تحذف» فظهرت الجملة كما يأتى :

« وهذا تكون المصادر الحبشية اتفقت روايتها مع رواية المصادر «تحذف» الايطالية »

والأمثال من هذا القبيل لا يكاد يحصيها العد. وقد زخرت بها الصحف والمجلات والكتب ، ولكن أدعاها إلى العناية بالتفكير فى استئصال شأفته هو الذهاب فى الطباعة الى حد تغيير الأوضاع فى المقال أو الصحيفة بحيث يستعجم على القارىء فهم المراد . من الامثال على ذلك ان إحدى الصحف بتاريخ ٢ مارس سنة ١٩٣٠ نشرت صورتين إحداهما لملك اسبانيا السابق على أثر عزله والثانية لوزيره الذى دعا الى الثورة عليه . فاذا بالاولى تحمل اسم الوزير وبالثانية تحمل اسم الملك

وفى صفحة الصور من أهرام ١٨ ابريل سنة ١٩٣٤ صورة كتب تحتها السطران التاليان : « اللصوص الثلاثة حسن ومراد وعويس الذين على خريطة العالم وتم تخطيطه الآن باكتشاف الجلف الكبير وما جاوره » وفى إحدى الصحف الصادرة بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٣٤ صورة كتب تحتها فى ثلاثة أسطر ما يأتى : « محمد الجندى تاجر المخدرات وإلى جانبه سكينه أحمد الجمل بائعة . أحدهما الحكم على الاحرار والثانى وجوب الاتفاق على خطة حاسمة تسير عليها . الفجل وأمامها

الغلامان عبده عباس وفتحى عطوه » فسبب هذا الخلط كله إحلال أسطر محل أسطر أخرى أو دس بعضها بين البعض الآخر كما هو ظاهر

وبمناسبة تصرف الطابعين فى أوضاع الكلم والرواسم (الكليشهات) حتى انهم فى جريدة روز اليوسف الصادرة بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٩٣٦ وضعوا رسما لخريطة الحبشة فى وضع أصبح الشرق به شمالا والشمال غربا والغرب جنوبا والجنوب شرقا. أذكر نادرة لجريدة e cons aitu tiomrel التى كانت تصدر فى عهد الملك لويس فيليب. فقد حدث أن قلد هذا الملك رياسة الوزارة للمسيو تيير thiers السياسى المؤرخ فنشرت الجريدة هذا الخبر بالعبارة الآتية: «دعا جلالة الملك اليه المسيو تيير وعهد اليه تأليف الوزارة فألقى بين يديه كلمة شكر قال فيها: إن آسف فلا آسف إلا على شىء واحد وهو عجزى الآن عن كسر رقبتك بيدى كما يكسرون رقبة الديك الرومى » فلما قرأ الناس هذا الكلام البذىء أيقنوا أن المسيو تيير قد أصابه مس من الجنون وتوقعوا له سوء العاقبة ولكنهم لم يلبثوا أن تحقق لهم فساد حسابهم وخطأ ظنهم لأنهم لما مضوا فى تلاوة الصحيفة قرأوا فى النهر التالى ما يلى « أسفر البحث الدقيق الذى أجراه البوليس فى جناية شارع . . عن نتيجة باهرة فلقد قبض على الجانى الأثيم الذى لم يتمالك بعد أن جرد من سلاحه وشدت يداه إلى عنقه أن صاح بوكيل النيابة حانقا «إن الله وأبناء وطنى ليشهدون بأنه لم تكن لى ثمة من غاية غير الاخلاص فى خدمة مليكى ووطنى» إذ فهموا أن الطابعين الكرام قد أرعجوا الجملة الأخيرة الواردة على لسان الوزير المؤرخ من حيزها فى العمود الأول حيث حل محلها قول المجرم القاتل الذى عز عليه أن يرى نفسه عاجزا عن الفتك بوكيل النيابة فاعرب عن أسفه لانه لم يكن ليستطيع كسر عنقه كما يكسر عنق الديك الرومى

سيداتى سادتى : هنا أمسك عن الكلام فقد أتممت محاضرتى التى رميت بها الى جمع رأى رجال الصحافة المصرية فى مكافحة الاخطاء اللغوية والاصطلاحية والمطابعية على التذرع إلى هذه الغاية بوسيلتين :

الاولى : وضع معجم لتلك الاخطاء بعد تصويبها .

الثانى : انشاء مطبعة نموذجية لتعليم العمال فى المطابع أصول صناعتهم .

وقد قلت فى غضون محاضرتى انى جمعت بضعة آلاف من تلك الأخطاء وصححت شطراً منها وبقى الشطر الثانى تحت التصحيح وانه ليسرنى ان أعلن لكم الآن استعدادى لوضع هذا العمل بعد إتمامه بين يدى الصحافة ليكون نواة لعمل أوسع نطاقا «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى» .

٩

تطور الصحف الأسبوعية

للأستاذ حسين شفيق المصرى

ألقيت مساء يوم ٧ مايو سنة ١٩٣٦

سيداتى ، سادتى

تذكر بعد أن شاب الشبابا ... فان وفد دعاه فما أجابا
وشاقته الأوانس والحيا ... فود من الشوق لو تصابى
وعاوده هواه فكاد لولا ... وقار الشيب يوسعه عتابا
ولولا أن يقال دهاه مس ... فخولط ما تبايت الخضابا
ومن ظن الشباب صبيغ شعر ... فان الصقر قد أمسى غرابا
ومن يكتم حساب سنيه يوما ... فصفحة وجهه تبدى الحسابا
بقاء الشيخ فى الدنيا فناء ... ولو ملك النواصى والرقابا
وهل بعد الشباب له حياة ... وقد لاقى المنية حين شابا

تذكرت وأنا أسجل هذه الحوادث أيام الصبا والشباب فى ذلك الزمن الذى كان يمر النسيم بالحديقة الغناء متعطرا بنفحات الزهر والدنيا ضاحكة والآمال كالأيدى الممدودة للمصافحة والسلام .

كانت مصر فى ذلك العهد تبدأ سيرها فى طريق المطالبة بالاستقلال . وليس حديثنا الآن عن ذلك الشأن فأحدثكم عنه ، ولكننا نتكلم عن تطور الصحافة الاسبوعية وهى جزء منه ، وقد كان ضعفها قوة ، وضيق نطاقها سعة ، وبطؤها سرعة ، فان الحرية مطلقة ، يقول من يشاء مايشاء ، ويكتب من يريد مايريد والأمة فى حريتها وهى جاهلة تستطيع مالاتستطيعه فى قيودها وهى متعلمة .

كنا نلهو وكنا نلعب ، وكنا نطيع أنفسنا فى المرح والمجون ولكن كان لنا أدب وكانت لنا أخلاق ولم نكن ننسى ان بلادنا رازحة تحت أعباء ثقال فلم يكن مرحنا ولهونا يصرفنا عن التعاون على القاء تلك الأعباء عن عاتق الأمة وهى منطلقة فى سبيل الاستقلال .

ولست أنسى أن عدد المتعلمين منا فى ذلك الوقت كان أقل من عدد الجنيهات الانجليزية فى هذا الوقت الحاضر ، واسألوا كبار الاسنان منها عن المهرجان الذى كان يقام تعظيما للتلميذ الذى ينال الشهادة الابتدائية ، وكيف كان الناس ينظرون إلى ذلك التلميذ الظافر بالشهادة الابتدائية كما ننظر الآن إلى الدكتور منصور فهمى

أو الدكتور طه حسين ! فاذا علمتم هذا عرفتم قلة عدد الذين كانوا يقرأون ، ولا تذكروا الذين كانو يكتبون فانهم كانوا كالجن ، نسمع بهم ولا نراهم ، وفى تلك القلة من عدد القراء كانت تعيش الصحافة وليس العجيب أنها كانت تعيش ؛ ولكن العجيب الغريب أنها كانت قوة قاهرة تهابها الاعداء ويفاخر بها الاصدقاء .

نشر قلم المطبوعات عدد قراء الصحف اليومية والاسبوعية فى ديسمبر سنة ١٨٩٢ منذ أربع وأربعين سنة ، فكانوا :

٢٧٧٥ قراء الأهرام ، ١٤٥٥ قراء المقطم ، ١٢٠٠ قراء المؤيد ، ١٣٤٥ قراء الاستاذ ، ١٣٠٠ قراء المقتطف ، ٧٤٠ قراء الهلال ، ٦٠٠ قراء الزراعة ٥٤٥ قراء الفلاح ، ٤٤٣ قراء المحروسة .

فأنتم ترون ان قراء أوسع الصحف انتشارا لم يبلغ عددهم إلى ثلاثة آلاف وأكبرها حجماً وأطولها وأعرضها أربع صفحات كالخطاب الذى يكتبه أحدكم إلى أخيه يسأله عن صحة والديه .

وإذا علمنا ان الاهرام والمقطم كان كثير من نسخهما يرسل إلى لبنان والشام والعراق والاناضول وبلاد الغرب الأقصى، رأينا ان « الاستاذ » كان أوسع الصحف انتشارا فى مصر ؛ وكلنا يسمع بصاحبه ، عبد الله نديم ، الكاتب الشاعر الزجال الجاد الهازل المنقطع النظير ، خطيب الثورة العرابية الذى كان الانجليز يحسبون له ألف حساب وكان المصريون يرفعونه إلى صف العظماء .

ونحن نبدأ الحديث عن تطور الصحافة الأسبوعية بذكر « الاستاذ » لان المجلات التى سبقت زمنه لم تكن لها حركة تستحق الدرس الطويل ، وعلى هذا الحساب يكون عمر الصحافة الاسبوعية اليوم خمسة وأربعين عاماً ، وأنها نشأت بين يدى ذلك الأديب الكبير ، وهو أول من أجاد الجمع بين الجد والهزل فى الصحافة ، وقلده المقلدون ؛ ومنهم من قعد به العجز عن ادراك شأوه ومنهم من لحقه ولكن بعد زمن ، ثم سبقه السابقون من المتأخرين الذين جاءوا بعده بزمن طويل وله فضل السبق على كل حال .

فهل كان عبدالله نديم أكتب الكتاب وأشعر الشعراء وأزجل الزجالين وأظرف الظرفاء؟

كان كذلك فى زمنه وليس ينقص من قدره أن يأتى الزمان بمن يفوقه، وحسبه مجدا أنه كان الاول فى عصره. وهذه سنة سنها التطور لكل عظيم ينبغ فى عصره انحطاط يتلوه عصر ارتقاء وإلا وقفت المدنية عند حد لا تتعداه .

كان الأدب العربى فى عهد عبد الله نديم فى الدرك الأسفل من الاضمحلال فانهض الصحافة الأسبوعية من رقدتها وأنهض الأدب العربى ومشى بهما الخطوات الأولى

بما وهب الله له من تلك المقدرة التي كانت على قدر ذلك الوقت ولم يكن فيها لغيره مطمع .

ولتروا كيف كان الأدب في تلك الأيام اسمعكم شيئا من نثره ونظمه ، قال بعد كلام طويل على هذا الطراز :

« وقد جادت القريحة بخريدة بين أترابها فريدة، وها هي تزف اليك لتسلم بالنيابة عني عليك ، فافتح لها باب البستان ، وافرش لها القصر والايوان واجعلها في بيت الضيافة ، ثم أكس الماشطة والقهرمانة » .

وهو سجع كانوا يرقصون له طربا على ما يتخيلون من فصاحته وأحكامه لضعف اللغة والاسلوب في ذلك الزمن ، ولم يكونوا يرون فيه ما نراه الآن من التفكك والركاكة، أما خريدته الفريدة فمنها قوله :

لم يبق في الأقوام من   شخص معين أو معير
فكأنني وكأنهم   ضيف على باب الفقير
حولي ألوف نوم   منعوا منامي بالشخير

ولا ريب في أن (الشخير) خير من هذا الشعر ومقام قائله محفوظ لأنه أصل صالح لشجرة الأدب المباركة .

أما أزجال عبد الله نديم فكانت غاية في الرقة والانسجام، لولا اقحامه قليلا من الالفاظ الفصيحة في اللغة العامية ، ومن بدائعه أنه ناظر جماعة من طائفة (الادباتية) وهم شحاذون كانوا يسألون الناس الصدقات بالزجل، فقال واحد منهم لرفيقه :

أنا الاديب الادباطي   ألم عيش تحت بطاطي
جاتك رصاصة خباطي   تعلمك شرب الدخان

فقال الآخر للاول :

أنا أديب أأدب منك   ألم عيش أكتر منك
جاتك رصاصة في خنك   جعيدي دون جربوع عريان

والتفت الى عبد الله النديم ومن معه وقال :

انعم بقرشك يا جندي   الا واكسنا أمال يا أفندي
إلا أنا وحياتك عندي   بقى لي شهرين طول جيعان

فقال عبد الله نديم ارتجالا :

أما الفلوس أنا مديشي   وأنت تقولي ما أمشيشي
يطلع على حشيشي   أقوم أملص لك لودان

والمناظرة طويلة نشرها في مجلة الاستاذ وليس هذا مقامها وفي الذي نقلناه منها الدليل على رقته وسرعة بديهته وما كان لمجلته من الحظوة عند الجمهور

سيداقى سادقى

أما الادب المحض الخالص من العامية الذى يكاد يكون سالما من اللحن فبدأ عهده بجريدة مصباح الشرق الاسبوعية التى أنشأها شيخ أدباء عصره، ابراهيم بك المويلحى ، ولا أظن ان فيكم من لم يسمع به ، واعتقادى انكم تريدون شيئا من كلامه الذى كان يهز الاعطاف وتخفق عنده القلوب؛ ولعل هنا من أدركه وقرأ له أو تتلمذ عليه وكان من المعجبين به

أنشأ ابراهيم بك المويلحى جريدة مصباح الشرق وقتئذ فكانت معرضا لأدب كبار الادباء ومدرسة لمريدى الادب ومجالا لقرائح السياسيين المعدودين فى الفصحاء فبلغ من شأنه أن المجيدين من الكتاب كانوا يتمنون أن يروه فى الطريق أو يسلموا عليه فى المجامع إن لم يسعدهم الحظ بالاخذ عنه أو الجلوس اليه ، وكان مصباح الشرق بأسلوبه وحسن ديباجته فى نظر القوم تحفة يقتنونها ويقتطفون منها ما يزينون به الاحاديث والمراسلات ، ولكننا اذا رجعنا اليه الآن، بعد أن بلغ الادب مبلغه الحاضر، لم نجده كما كان يجده معاصروه، ولا أدل على استمرار التطور والارتقاء من أن ننقل عنه خير ما كتب، قال فى استقبال إحدى السنين :

« هل العام الجديد ونون النصر فى جبينه ، والراية العثمانية فى يمينه ، فطلع الهلال على فروق (يعنى استامبول) وفروق أسعد منازل الهلال ، وأشرف مطالع الابهة والجلال ، والخليفة أيده الله فى مواكبها ، شمس كواكبها ، شمس قدسية الاشراق ، على الآفاق تنبعث منها حياة الاسلام ، انبعاث الأشعة على الأعلام .

ولما انصرف العام الى اخوته من أعوام الهجرة المحمدية وتلا عليها ماجرى فيه من الحسنات وبدائع المحسنات ، أضيف الى صف أعوام الخلفاء ذوى الهمم العلية والايادى البيضاء، ثم حل آخره العام الجديد مشرق الطلعة مبارك النقيبة على جلالة أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين جعله الله عليه عاما سعيد الليالى والأيام، وقفاه بأمثاله من الاعوام، لسعادة الاسلام »

أفترون أن مثل هذا يحسن أن ينشر فى احدى صحفنا الآن ؟ أنا أقول: لا ، ولا أراه الا كانشاء طلبة المدارس ، غير انى لا أجحد إنى كنت أراه عظيما فى زمنه، كما كان يراه غيرى من شبان ذلك الزمن، ولا أنكر أنى تعلمت منه كيف أقرأ وكيف اكتب ، ولولا أثره وأثر أمثاله فى نفسى ماعرفت سبيل الكلام، فله فضل هدايتنا جميعا إلى أول الطريق .

وأما الصحافة الهزلية بعد « الاستاذ » فسارت فى الطريق الذى رسمه لها عبدالله

نديم ، وارتقت من حيث الصناعة ولكنها انغمست فى اقذار الهجاء الشنيع وبذاءة الألفاظ ولم يسلم من ذلك القبح الا - الأرغول - فقد نزهه الشيخ محمد النجار عما يشينه من تلك السفاهة اللهم الا ألفاظا أصابته بالعدوى ، وحسب الفتى أن تعد معايبه ، ولا سيما الرجل الذى يعيش بين أولئك السفهاء من أصحاب الصحف الأسبوعية التى كانت تنهش الاعراض وتستخلص الخبز الذى تأكله من الوحول .

وليس لدينا ما يقال عن الارغول الا ما قلناه عن الاستاذ ، فقد اقتفى أثره وقلده ولم يأت بعده بجديد مع أنه جاء بعده بنحو سبع سنين .

ومن أزجال النجار فى أرغوله قوله فى الهزل :

وقفت مع خالى على عود خلال ... واصطدت بالنشاب حمارة حرون
حملتها نملة رشيدى يلك ... من تقلها تكسر لها جوز قرون
بصيت لقيت فى القرن ملوة فريك ... فلفلتهم طلعوا زويلى وكنون
وكل ده يطلع وده فى الغسيل ... وده مقدر من قديم الأزل

أفيعجبكم هذا ؟ ؟

سيداتى سادتى : أخذت الصحافة الاسبوعية فى الارتقاء بحمارة منيتى والخلاعة ثم الشجاعة ثم السيف والمسامير ، ولكنها ارتقت فى كتابتها وتدهورت فى اخلاقها إلى أسفل مكان ، ولكل صحيفة من هؤلاء الصحف تاريخ يخجل منه ابليس لانها كانت تعيش بالطعن على الكبراء والخوض فى الاعراض ولولا هذا لكانت هذه الصحف الملعونة مفخرة من مفاخر الأدب القومى ، ولم يكن فى أصحابها كاتب الا محمد افندى توفيق صاحب حمارة منيتى ، فقد كان أديبا يكتب وينظم الشعر والزجل باسلوب يضحك الثكلى والآخرون أميون كان يكتب لهم كتاب يستترون وراءهم فلا يعرفهم الجمهور أذكر منهم الأدباء : محمد امام العبد ومحمود جاد وخليل نظير وواحد صاحبنا اتندم بعد كده وربنا تاب عليه .

ظهرت حمارة منيتى سنة ١٨٩٨ فجأة فكانت ترفس هذا وتعض هذا وتنهق فى وجه هذا ، ولم يسلم الاستاذ محمد عبده من شرها ، وراجت رواجا لم تبلغ اليه صحيفة غيرها حتى لقد وصل ما يباع منها فى الأسواق الى أكثر من أربعين الف نسخة مع قلة عدد المتعلمين إذ ذاك .

وكانت الكتابة فى الصحف قد بلغت مبلغا وسطا بين القديم الغث والجديد الطيب ، وساعدهم ارتقاء الحس وسلامة الذوق على الافتنان وابتكار المفاجآت ، وما نسميه بالمفارقات ، فكان الناس يتلقون أقذاعهم فى الهجاء متفكهين لا مستنكرين ، ومن مفارقات الحمارة قول صاحبها فى مطلع قصيدة خلط فيها بين العامى والفصيح :

أمن تذكر جيعان لذى لقم فتحت خشما ترينا زفة العجم

وقال فى شكوى الازمة المالية :

هو المش فالحس يا فتى إنه سهل ولا تستمع من أبغضوه فهم هبل

ويظن كثيرون أن هذا الضرب من الشعر ميسور لكل محاول فيأتون بسخف ممل مضجر وهم يهزلون فيكونون كالندابة فى المهرجان أو المقهقة فى المأتم ولا يعلمون أنه أصعب ضروب الشعر وأبعدها ممن لم تصف نفسه ولم يبلغ من درس اللغة الفصحى إلى مكانة الفحول لان أول شروطه المحافظة على الاعراب والتزام قواعد الصرف حتى فى الالفاظ البلدية. ومن هذا الاحتراز حذف تنوين زعلان ـ فى قول الآخر :

أطل من الشباك زعلان يشخط غزال رآه العاشقون فعيطوا

وقوله وهو غير صاحب الحمارة:

الحب أخرج مقلتى بصباعه وأذاب قلبى باللهيب بتاعه

سار البجور الى بلاد أحبتى يا ليتنى متعلق بذراعه

غير أن صاحب حمارة منيتى كان يلحن أحيانا فيفسد شعره الجميل ويكدر صفو خياله البديع ومفارقاته الباهرة على حين أنه كان عارفا بالفصيح متفوقا فيه كما تشهد له مقالاته فى السياسة والاجتماع .

والاطلاع على ـ حمارة منيتى ـ يرينا ما وصل اليه هذا الرجل من التمكن من لغة العامة والقدرة على محاكاة رجال الطبقة السفلى ونساء الرعاع واللواتى يقال لهن شراشيح. واليكم نادرة مشهورة صاغها فى ذلك القالب العجيب قال :

مرة كان واحد حكيم يتفسح مع واحد سكرى فى الازبكية فقضلوا سهرانين للساعة ٢ بعد نصف الليل وبعدها روح كل منهم على بيته فصاحبنا السكرى لما روح ودخل الأوضة التقاها ضلمه قام يدور على الكبريت فوق البوريه وكان التقى قزازة حبر قام افتكر أنها قزازة خمرة قام هفه الغرام راح قايمها على حنكه عشان يكمل بها خيبته وزى اللى كان مستحلف لها فضل يقبع منها لما استرفاها صافى ولا كان فى بطنه سبع دواوين بيبيضوا فى ميزانية السنة الجديدة .

فنهايته بعد ماشاف مزاجه مع قزازة الحبر ولع النور وبيبص فى المراية وكان التقى حنكه ملحوس زى اللى كان متمين فى لحس مصبغة والا خد له هضر على بقه فى شوية وحله والأكيدة قام صحى الولية جماعته وكانت بتبص فى خلقته التقت بقه حشمة زى اللى كان بيبوس فى جارية غطيس والا كان يبلع فى جزمة واحد براسمى بدقنه والا كان بيحك بقه فى كبوت عربية . قامت قالت له ديهده يامسخمط

يامدهول على عينك يوه ان شاء الله تتخبل وتنحاس وتداس يابعيد دا سخام ايه
دا ياختى . هو السكر يعمل كده . . . ياحوستى . ياحوستى مدعوق السكر على
اللى بيسكروه . يوهات لك لباس واحنا بايتين من غير عشا والا هات لك
بدال الخزه دى صابونه كنت غسلت بها حنكك اللى عامل زى طيز العنكبوت
والا حوش واسكن لك فى أودة زى الناس بدال الحاصل ده اللى تخش فيه
الكتشينة بجنب . والا احلق وانت عامل زى كبش اسماعيل بدقنك دى اللى شابت
على نجاسة وبقت زى رغاوى البوظة والا هات لك شوية ششم حطهم فى عنيك
اللى صبحوا من كتر العيا اللى بتشربه زى تكريعة الفجل ولا بقتش تعرف تشوف
بهم عشرة راكبين على جمل . بق كده هو كل ساعة سكر . سكر وكل مايجى لك
كام نص من سمسرة والامن غيره تروح تقدفهم للشيطان الرجيم وتخلينا طول
النهار قاعدين نمص فى صوابعنا زى اللى بيرعوا الكلاب بالنص لا قرنين بامية
نقمعهم ولاحتتين لحمة نفسرهم لك على عنيك ولاحاجة زى الناس اللى خلقها ربنا ..
هوأنت ياترى فاهم انك متجوز مره أستك لاتاكل ولاتشرب . وكل ما تيجى تقول
يمكن ربنا يهديه تقوم انت تلغمط راس الحمارة وانت اللى جاى لى بحنكك ملحوس
ماحد عارف ان كان منعاص طين ولا مجروح وكابسه لك الحكيم بقصرمل والا
ايه ماتقول لى . . يكونش حد كفاك على دقنك فى مستوقد والا يكونش الميرى
قابلك فى السكة نمرك بوحله على بقك والا ايه بس . اياك مرافق معزه ومعلماك
بجالوس طين أحسن تتوه . بق كل ليله سكر كده موش تعقل بق وتتقرع وانت
مناخيرك سوست من كتر الفجر وبسلامته ضرس العقل طلع لك فى ركبك اهو
وبق حالك تلف وانت لا بتختشى ولاحاجه وداير عامل لى كده زى غز الجيزة
اللى يبقوا جعانين ويفرشحوا ع البحر ، قام قال لها روحى ياولية وانت
عند قولك . والله ان جت سليمة ياام عبد الملاك وسلمت من الشوية الحبر
اللى شربتهم دول ولا متش لابطل السكر وأبق وادفيس فنجرى فى بيتى ولا
تبقيش عارفه الخير داخل عليكى منين قامت قالت له حبر ايه وسخام ايه اللى
شربته . . . مهبول والا ايه يبقى ما لقيتش غير الحبر تشربه أيوه اشرب
لك حاجة تشبعك وأنت بايت من غير عشا والا شوية بلا فى جتتك تسند قلبك
وأنت عمال تطوح كده زى اللى بيخنقوا القمر ما تقدم كده تشوف لك نصيبه على
عمرك تطلع بها البلاوى اللى فى حنكك قبل مايقفش فيك واحد عرضحالجى ويقول
ذا شرب الشوية الحبر اللى عمالين نرقص وندعى لهم ، يعنى النشان ياأخى فرحان
به قوى وقاعد مزقطط كده زى اللى بيحنس العفريت فصاحبنا ما صدق خد
الكلمتين دول فى عضمه وراح يجرى على الحكيم قام قال له اعمل معروف يادكتور

شوف لى دوا أحسن شربت حبر وخايف لايكون يموت. قام رد عليه الحكيم وقال الحق كل لك فرخين ورق نشاف قبل الحبر مايسرى فى جتتك .

وكان ألخاش الحارة فى السبب والقذف بالبذاءة المنكرة نكبة على الادب القومى فقد قلدها كتاب الصحف الاسبوعية فى قبح المذهب وخالفها بعضهم فى طريقة الكتابة فجاءوا باساليب جديدة منها النكت التى كانت تنشر فى الشجاعة والسيف من بعدها وهما لاحمد عباس وقد كان لايحسن القراءة والكتابة ولكنه كان شعلة ذكاء له بديهة حاضرة وروح من أخف الأرواح وله نوادر ظريفة تذكر منها أنه جلس وأصحابا له أمام مشرب قهوة يتحدثون فجاء شحاذ كبير السن بيده دف ينقر عليه ويغنى بصوت منكر « سهران ما بنام ، سهران ماينام . . . . » فانفلق أحمد عباس من الضجر وصاح فى وجهه « ماتروح تنام يلعن أبوك واحنا مالنا »

وأنا لا أتحرج من أن أصف ذلك الرجل بأنه أديب فقد كان دقيق الملاحظة نقادا بارعا لاينشر فى جريدته الا الجيد من الفصيح والعامى ويعرف مواقع الرصانة والركاكة بذوقه السليم فكانت جريدته آية فى الابداع ولاعيب فيها الا ماأشرت اليه من نهش الاعراض والتهجم على الناس بمثل قول جريدة السيف فى أحد الباشوات وهو غنى لم يكن يحسن هندامه ويتهم بأنه وسخ الثياب بخيل لايأكل من الادام الا مايطهى بالزيت:

انغاظ خدام فلان باشا من سيده فدس له السمن فى الطعام

ترمى الحتة العجينة فى جيب فلان باشا اليمين وتطلعها من جيبه الشمال لقمة قاضى

يجلس فلان باشا على الكرسى وهو يرشح وتحته ماجور أخضر

رأى بعضهم فلان باشا ماشى فى الشمس وطربوشه يطشطش

وكان التاجر الكبير يوسف الجمال أو أحمد الجمال سمينا متناهيا فى السمن فقال فيه :

نادى الجمال أحد العربجية فقال له العربجى : اركب قبل ما البهايم تشوفك

لما الجمال يحب يفصل بدلة الترزى يجيب له مهندس من مصلحة المساحة

رأى بعضهم الجمال لافف على رقبته بدل الياقة سير وابور

وكان أحد الاعيان متهما بالمبالغة المعروفة بالفشر فقال فيه:

يدعى فلان ان فى بيته بساط مرسوم عليه جنينه والاولاد يقطفوا منها البرتقان ويأكلوه

يدعى فلان ان فى مطبخ منزله سكة حديد يسافر بها الطباخ بين الحلل وبعضها

يدعى فلان انه حدف طوبه لفوق ولانزلتش الا بعد ثلاثة أيام

وكانت الصحف الاسبوعية فى تلك الايام تحاول أن تكون كالشجاعة والسيف فتسخف سخفا تشمئز منه النفوس، فلا يقام يقام لها وزن ، فتختفى بعد ظهورها بأسابيع ولم تكن الصحف الاسبوعية كلها للهزل فى تلك الايام، فقد ظهرت مع الشجاعة والسيف

صحف أخر منذ ثلاثين سنة وأصحابها فى حكم الامبين، وكان يكتبها لهم رجل عجيب يدعى الشيخ الشربتلى رأيته رأى العين يجلس فى بعض مشارب القهوة بالعتبة الخضراء ويكتب (الجريدة) كلها فى ساعتين وهى أربع صفحات من القطع الكبير وقد حاولت أن أعرف سبب وجود تلك الصحف فلم أستطع لأنى لم أقدر على فهم ما كان الشربتلى يكتبه ولا أظنه كان يفهم ما يكتب ولعله كان يكتب لاولاد الجن بلغة العفاريت

سيداتى سادتى : فى مذهب داروين ان أصل الانسان قرد ، وان القرد ارتقى مع الزمن حتى صار حيوانا انقرض بعد أن تحول بالارتقاء الى رجل، ولم تبق من ذلك الحيوان بقية فسمى الحلقة المفقودة ، وقد أخطأ داروين فى زعمه انقراض تلك الحلقة ولو عاش الى سنة ١٩٠٠ لعلم أن تلك الحلقة موجودة بوجود أصحاب تلك الصحف الاسبوعية ، لانهم كانوا وسطا بين الانسان والحيوان ومما اذكره عنهم ان اثنين منهم اختارانى حكما فى اللغة العربية وقد اختلفا فى هل الصواب فطاحل ولاحطافل فقلت لافطاحل ولا حطافل والصحيح طفاحل فراحا سعيدين بهذا التصحيح المعكوس ولو كانت الصحافة الاسبوعية وقفا على أولئك الجهال لقلنا عليها يارحمن يارحيم ولكن حلقات سلسلة التطور الصحفى الاسبوعى ابتدأت بالاستاذ فمصباح الشرق لحمارة منيتى فالشجاعة فالسيف وجاء بعد ذلك التطهر من ارجاس المطاعن الشخصية والاقذاع فتوليت كتابة جريدة السيف حوالى سنه ١٩١٤ فجعلتها صحيفة سياسة وأدب وحولت دفة الهجوم عن الاشخاص الى ناحية الحكومة والمحتلين وأنصارهم من الجماعات والرجال السياسيين كما يذكر كثيرون من الذين يشرفوننى الآن بسماع هذه الكلمة فراج السيف حتى طبع منه أربعون الف نسخة فى الاسبوع فعلم الأدباء أن تنزه الصحافة الأسبوعية عن السفاسف يحببها إلى الجمهور فطهروها وظهرت الصحف الشريفة تباعا إلى الآن .

ومعاذ الله ان ادعى انى أول من طهر الصحافة الاسبوعية من الادران ، فقد سبقنى عبد الله نديم وابراهيم بك المويلحى والشيخ محمد النجار أصحاب الاستاذ ومصباح الشرق والارغول وأستاذاى الكبيران محمد مسعود وحافظ بك عوض فقد أنشأ المجلة خيال الظل سنة ١٩٠٦ ، ان صحت ذاكرتى، ولكننى أغفلت الكلام عنها وعن جريدة السياسة المصورة لأنهما لم تعيشا طويلا لأسباب غير الكساد فقد كان تا رائجتين كل الرواج واستقبلهما القراء أحسن استقبال ولو قدر لهما طول البقاء لكانتا هما السابقتان فى سبيل الصحف المصورة ، لانهما أقدم الصحف التى ابتدعت التصوير وعنهما أخذ الكشكول ومجلات دار الهلال وروز اليوسف وآخر ساعة وأنتم تعرفون الباق .

وقد أكون ناسيا بعض الصحف التى لها أثر فى هذا التطور وجل من لا ينسى فلا يحقد على من نسيته من أصحاب هذا الفضل .

سيداتى ، سادتى : - سمعت كثيرا ان الصحافة اليومية أجدر من الصحافة الأسبوعية بالاجلال والاكبار ، وان الكتاب المشتركين فى اصدار الصحف اليومية أرفع منزلة من كتاب الصحف الأسبوعية ، وليس هذا بصحيح ، فان كائنا من كان يستطيع أن يكتب فى الصحف اليومية اذا كان على قسط من المعرفة ، وليس يستطيع الكتابة فى الصحيفة الاسبوعية الا الأديب المتمكن من اللغة ، الجيد الأسلوب الواسع الاطلاع ، الخبير بالحوادث ، والأخلاق والطباع .

وأقول الصحيفة الأسبوعية وليس فى حسابى شىء من الصحف السرية التى نسمع بها ولا نراها أو التى لا نسمع بها ولا يعرف وجودها أحد غير ادارة المطبوعات ، فان هذه فى حكم العدم ، وليس وجودها دليلا على ان لها كتابا الا اذا كانت الكتابة بعد اهدى مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق الزائدة اليكم الى غير ذلك وإذا سألتم عنا فلله الحمد صحتنا جيدة ، ولكن الصحيفة الاسبوعية التى لها قراء كثيرون وكلمة مسموعة ومقام محمود هى التى أقول ان كتابها من فطاحل الأدباء ، ولا غرو ، فانهم يستميلون اليها القراء بعلمهم وفضلهم لا بالانباء البرقية ولا بالاخبار المزوقة ، وما من كاتب فى صحيفة اسبوعية منتشرة الا له قدرة على التحرير فى أكبر الصحف اليومية وأعظمها شأنا وليس كاتب تلك الصحيفة اليومية الكبرى بقادر على الصحافة الاسبوعية الا اذا كان من الأدباء العارفين باللغة والمنطق والنثر والنظم معرفة اجادة واحسان .

ثم ان كتاب الجد من الكثرة بحيث يخطئهم الاحصاء وليس فى البلد من مجيدى الكتابة الهزلية الا نفر من عظماء أهل الادب ، واذكر لكم الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشرى والاستاذ فكرى أباظه والاستاذ محمد التابعى فهل فى مصر كتاب هزليون غير هؤلاء ؟ كل واحد من هؤلاء يستطيع أن يكون رئيسا لتحرير أعظم الصحف اليومية ويبهر القراء بكتابته الهزلية وليس كاتب جدى فى جريدة كبرى أو مجلة عالية القدر يدعى أنه قادر على الكتابة فى أصغر الصحف الهزلية .

وليس هذا انتقاصا لزملائنا اليوميين فان مقامهم مشهور وفضلهم غير منكور وكل ما أريد بهذا الاستدراك أن أدفع ما يتهمنا به الجهلاء بصناعتنا .

وهذا هو الاستاذ انطون الجميل والاستاذ حافظ عوض من كبار الأدباء ولو لا انصرافهما الى الصحافة اليومية لكانا من خير الكتاب الهزليين بما لهما من العلم والادب ، حسبى ذكرهما دليلا على حسن النية فى هذا البيان ، وأسعد الله مساءكم .

خاتمة

هكذا حقق حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أمنيته الصادقة فى ترقية الصحافة ، تلك الأمنية التى شغلت ذهنه منذ حداثته ، فجعلته رئيسا لجمعية « الهلال والنجمة » بالمدرسة الخديوية ، وظهر مكنونها ، فأطلقت لسانه عام ١٩٢٢ فى جلسات اللجنة العامة لوضع الدستور ، بالدفاع عن حرية الصحافة ، وضمان الدستور لها ، والرغبة الحارة فى النهوض بها ، فلقد تناولت اللجنة وضع قواعد الدستور ، وكادت تنتهى من عملها قبل النص على حرية الصحافة ، فقام مقامه الرفيع ، ودافع عن الصحافة وحريتها ، مقررا وجوب النص فى صلب الدستور على حرية الصحافة ، وكان هذا الدفاع شاقا طويلا ، لأن الكثير من أعضاء اللجنة لم يكونوا مؤمنين بما يدعو اليه ، ولكنه والى تحقيق فكرته الى أن ظفر بتقرير حرية الصحافة ، ونص فى الدستور على أن : « الصحافة حرة فى حدود القانون . . . . » . فجزاه الله عن الصحافة والصحفيين خير الجزاء .

وتخليدا للجهود الموفقة ـ فى سبيل الصحافة ـ التى بذلها مقامه الرفيع فى جلسات اللجنة العامة لوضع الدستور ، رأيت أن أثبت هنا مواقفه الكريمة فى مناقشات اللجنة .

جاء بمحضر الجلسة التاسعة عشرة المنعقدة فى يوم الثلاثاء ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢ ما يأتى :

ثم تليت المادة (١٤) وهذا نصها :

« حرية الرأى مضمونة ، فلكل انسان الحق فى التعبير بحرية عن فكره ، سواء بالكلام أو بالكتابة ، وبطريق الصحف أو التصوير ، بشروط أن يراعى حدود القانون »

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك ـ كلمة « بشرط أن تراعى حدود القانون » تجعل هذه المادة فى حكم العدم ، فأقترح إبدالها بكلمة « بشرط أن تراعى حدود القوانين العامة » لأننا لو حددنا حرية الصحافة فقد هدمنا بأيدينا كل ما نحاول تشييده من قواعد الحرية .

حضرة على ماهر بك ـ أرى تقرير النص الآتى ، بحيث تصاغ له مادة جديدة ، وهو : « حرية الصحافة مضمونة فلا يجوز وضعها تحت

الرقابة ولا تقييدها بامتياز ، والمسئولية المترتبة على اساءة استعمال هذه الحرية يحددها القانون .

الحرية الصحافية هى المظهر الأول لسائر أنواع الحريات الأخرى، وإنما أريد من اثبات هذا النص انه لا يمكن ، ولا للبرلمان وخصوصا فى الأحوال العادية، وضع الصحافة تحت أية مراقبة ، ولا أن يكون للسلطة الادارية الحق فى منع أحد من اصدار صحيفة .

أرى أن يكون هذا الحق ثابتا مطلقا من كل قيد، فاذا أساء أحد استعماله بأى نوع من أنواع الاساءة ، ففى القانون العادى غنى وكفاية

حضرة محمد على بك — أرى أنه لايجوز لكل شخص أن يصدر صحيفة .

حضرة على ماهر بك ـ إذا أردتم اشتراط صفات خاصة فى الصحافى فبينوها ، كأن لايكون محكوما عليه بما يخل بالشرف ونحو ذلك ، ولكن لاتفسحوا المجال لتحكم الادارة .

وانى مع موافقتى على أصل المادة المعروضة أقترح اضافة مادة جديدة بالنص الذى ذكرته .

فضيلة الشيخ محمد بخيت — أقترح أن يضاف إلى حرية الصحافة حرية التأليف

حضرة محمود أبو النصر بك — هذا يدخل فى حرية الكتابة .

حضرة عبد العزيز فهمى بك — لقد أجلت الفكر طويلا فى هذه المسألة ، وكان مما عرض لى وضع النص الآتى : «ولايجوز فى أى حال أن يقيد القانون هذا الحق فى ذاته » ، وهذا النص واف بما يرمى اليه حضرة عبد اللطيف المكباتى بك .

وكان عرض لى كذلك المبدأ الآتى : «لاحاجة إلى تصريح سابق من أى سلطة كانت لاخراج أى نشرة من أى نوع يكون ، ولايجوز اقتضاء أية ضمانة من مؤلف النشرة أو مديرها أو ملتزم طبعها أو طابعها ، والمراقبة والانذارات الادارية للنشرات المطبوعة ممنوعة » .

ترددت فى تقرير هذين المبدأين بين رأيين مختلفين، وهما: هل يجب أن نكون أحراراً فى صحافتنا حرية مطلقة لايحدها أى اعتبار ، أم الواجب أن نأخذها بقيود خاصة ضمانا لجريانها فى أنفع الطرق وأمثلها لمصلحة البلاد .

والسؤال هو : هل نضع فى يد البرلمان حق تقييد الصحافة بقيود وأخذها بشروط

خاصة بحيث يستطاع منع السبابين ونبشة الأعراض مثلا من معالجة مهنة الصحافة ، وبحيث لانسمح لكاتب بالاخلال بالنظام أو مخالفة الآداب العامة ؟

أم أن نطلق الحرية الصحافية اطلاقا تاما ، والحرية نفسها كفيلة بتنظيم نفسها وتطورها مع الزمن إلى الأصلح الأنفع ، فلا يجد السباب المعتدى من يقبل على قراءة جريدته ، فهو بين أن يستقيم وبين أن يترك المهنة بتاتا، وأى الرأيين أجدى علينا وأنفع فى ظروفنا ؟ وإنى أميل الآن للرأى الثانى وهو اطلاق الحرية للصحافة.

ولقد عرضت على حضراتكم ما بدا لى من وجوه الرأى فى هذه المسألة ، ولكم أن تقرروا ما ترون .

حضرة محمد على بك — أوافق على ابقاء المادة (١٤) على أصلها ، والموضوع انما ينحصر فى النقطة الآتية:

هل يعطى للبرلمان الحق فى سن القوانين اللازمة للصحافة تأمينا للنظام وصونا للأعراض أم لا ؟

حضرة على ماهر بك ـ هذا تكفل به قانون العقوبات ، والذى أريده ألا يكون للبرلمان ، وخصوصا فى الأحوال العادية ، الحق فى تقرير قوانين تبيح للحكومة مراقبة الصحف أو عدم الترخيص باصدارها .

سعادة قطاوى باشا ـ لماذا نضعف ثقتنا بالبرلمان إلى هذا الحد ، ان البرلمان من جهة أخرى لايعسر عليه أن يقرر اعلان الأحكام العرفية ، وحينئذ يستطيع القبض على ناصية الصحافة وتعطيل حريتها .

معالى الرئيس ـ يؤخذ الرأى أولا على ابقاء المادة ١٤ أو تعديلها كما اقترح حضرة المكباتى بك .

فتقرر بأغلبية الآراء الموافقة عليها من غير تعديل .

معالى الرئيس ـ اذن يؤخذ الرأى على المادة الجديدة التى اقترح وضعها حضرة على ماهر بك .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك ـ ان من أعظم الخطر على البلاد أن يسمح لكل انسان بأن يتصدى للصحافة ويجلس فى مجلس الارشاد العام .

حضرة توفيق دوس بك ـ نعم هذا خطر شديد .

حضرة على ماهر بك ـ أسلفت أنه لامانع من تقييد هذا الحق ، كأن ينص على أنه لايجوز مزاولة الصحافة للاشخاص المحكوم عليهم بأحكام تخل بشرفهم .

حضرة عبد العزيز فهمى بك ـ النص الذى اقترحه حضرة على ماهر بك يتضمن أمرين : أولهما ان كل انسان له الحق فى مزاولة مهنة الصحافة بدون تصريح ، والثانى أنه لايمكن اصدار قانون يجعل الجرائد تحت مراقبة أو عقوبة ادارية . فالنص الذى عرضه لا يجىء مباشرة مع النص الذى وافقتم عليه ، وعلى ذلك ينبغى تعديله كما يأتى : « لاحاجة إلى تصريح سابق من أى سلطة كانت . . الخ »

حضرة على ماهر بك ـ انى أقبل ذلك وأترك للهيئة اختيار أحد النصين .

معالى الرئيس ـ تؤخذ الآراء .

فتقرر بالأغلبية رفض كلا الاقتراحين .

ثم تليت المادة (١٥) وهذا نصها :

« لايسوغ فرض أى قيد على أى شخص متمتع بالرعوية المصرية فى حرية استعماله لأية لغة فى معاملاته الخصوصية أو التجارية أو فى الدين أو فى الصحف أو فى المطبوعات من أى نوع كانت أو فى الاجتماعات العمومية » .

فتقررت الموافقة عليها بالاجماع .

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الرابعة والعشرين المنعقدة فى يوم الاثنين ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٢ مايأتى :

معالى الرئيس ـ هل تسمحون بعرض الاقتراحات ؟

حضرة على ماهر بك ـ لقد تليت المبادىء الخاصة بحقوق الأفراد مرة واحدة ، فأرى أن تتلى مرة ثانية ، فانى أريد أن أتكلم عن حرية الصحافة المتعلقة بالمادة (١٤) من تلك المبادىء . . . . .

حرية الصحافة قانونا معناها حرية اصدار الصحف ، لأن حرية الرأى والكتابة قد سبق لنا تقريرها ، وحرية اصدار الصحف لاتكون الا إذا لم توضع قيود وعقبات فى سبيلها، وأهم القيود الرقابة والرخص . وليس معنى منع الرقابة ألا تحاكم الجرائد على ما تكتب . كلا . انى معكم فى أنه يجوز للبرلمان فى ظروف خاصة أن يزيد ان شاء فى الجرائم

الصحافية ، لأنى لا أرضى الفوضى أبدا ، لكن هذا يقع بعد صدور الصحف . أما ما أتكلم الآن عنه فرقابة الصحف قبل صدورها ، وهذه هى الرقابة التى قررت الدساتير منعها ، فليس يصح أن تعرض صحيفة قبل نشرها على هيئة ادارية للتصريح بنشر شىء وتحريم نشر شىء آخر فيها ، هذا لا يجوز مطلقا فى الأزمنة العادية ، ولهذا تقرر مبدأ عدم الرقابة فى بروسيا العسكرية وحتى فى تركيا . وكما أننا لا نريد الفوضى ، فنحن لا نريد الاستبداد . فأرجو أن تقرروا أن الرقابة على الصحف قبل نشرها ممنوعة .

سعادة حافظ حسن باشا ـ الرقابة على الصحف غير موجودة حتى فى قانون المطبوعات .

حضرة على ماهر بك ـ انما أطلب تقرير حرية موجودة الآن فعلا ، لأن الرقابة على الصحف غير موجودة الآن بحكم القوانين المصرية .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك ـ حضرة على ماهر بك يريد منع الرقابة على الصحف قبل اصدارها ، وهو يريد منع ال « Censor » ، ولكن للبرلمان أن يضع فى قانون الصحف من الأحكام ماشاء غير هذا .

حضرة على ماهر بك ـ أريد أن تنشر الصحف بدون تقديم لرقيب ، وهذا واقع اليوم بالفعل .

حضرة توفيق دوس بك ـ وهذا مسلم به من الجميع .

حضرة محمود أبو النصر بك ـ لكن الرقابة موجودة فى الأحكام العرفية .

حضرة على ماهر بك ـ فى وقت الأحكام العرفية تتعطل أحكام الدستور وتحرم البلاد من حريات كثيرة .

حضرة توفيق دوس بك ـ وتقريرنا منع الرقابة على الصحف قبل اصدارها انما نريد به أن يكون فى الأيام العادية .

فتقررت الموافقة على ذلك .

حضرة على ماهر بك ـ النقطة الثانية أن لكل فرد حق اصدار الصحف بلا حاجة إلى ترخيص خاص، متى توفرت فيه الصفات التي يقررها القانون، حتى لا تتحكم الادارة فى العطاء والمنع، ولا تميز بين الأشخاص الذين يتقدمون لها ماداموا حائزين للصفات التي اشترطها القانون .

حضرة توفيق دوس بك ـ أرى أن لا نقيد البرلمان فيما يضعه من القوانين للصحف، فقد يجوز أن يعطى للادارة هذا الحق .

حضرة على ماهر بك ـ انما نريد أن نحول دون استبداد الادارة ومتى كان الطالب حائزا للشروط المطلوبة قانونا وجب أن يرخص له باصدار صحيفة

حضرة توفيق دوس بك ـ يجوز ان يقرر البرلمان شروطا أخرى غير الشروط الشخصية .

حضرة على ماهر بك ـ نريد أن نمنع البرلمان من هذا

حضرة زكريا نامق بك ـ البرلمان هو الذى يمنع الادارة من الاستبداد فى اعطاء الرخص .

حضرة محمد على بك ـ يرى زكريا بك ان القانون إذا أعطى للحكومة هذا الحق فالبرلمان يراقبها فى تنفيذه تنفيذا عادلا . ويرى حضرة على ماهر بك عدم ترك التصرف باعطاء الرخص وعدم اعطائها للحكومة . وإننى أؤيد حضرة على ماهر بك فقد يكون طالب الرخصة من حزب الأقلية ، فترفض الحكومة اعطاء الرخصة، والحكومة دائما من حزب الأكثرية تجد من حزبها مؤيدا لها فى عملها وإذ ذاك تستبد الأكثرية بالأقلية استبدادا يمنعها من أن تنشر آراءها .

حضرة على ماهر بك ـ اضرب مثلا يوضح فكرتى : اشترط للدخول فى مدرسة الحقوق أن يكون الطالب حائزا للبكالوريا وأن يكون سنه كذا فلا يصح منعه بعد ذلك من دراسة الحقوق، مثل هذا هو ما أطلبه للصحافة .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك ـ فى أول عهد الدستور يدخل الأمة دخلاء كثيرون ، فسيكون يومئذ مصريون حقيقيون يصدرون الصحف لخدمة الأمة، ومصريون بالاسم يدخلون فى الصحافة لخدمة سياسة أجنبية ، فلا محل لشل يد البرلمان عن أن تمتد لمنع مثل هذا الأذى عن البلاد .

حضرة على ماهر بك - إن هذا التفريق بين مصرى ومصرى هدم لما سبق تقريره من أن المصريين متساوون فى الحقوق والواجبات ، فان كان الضرر بالمصلحة العامة هو ما تخشى ، فأمامك طريقان : طريق العقوبة فى الأحوال العادية وطريق اعلان الاحكام العرفية اذا استفحل الخطر

حضرة على المنزلاوى بك - أرجو حضرة على ماهر بك أن يضع اقتراحه فى صيغة نص ويتلوه علينا .

حضرة على ماهر بك - الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل مصرى حق اصدار الصحف مادام حائزا للشروط التى يقررها القانون .

حضرة محمود أبو النصر بك — إذن لاخلاف بينك وبين حضرة مكباتى بك

حضرة زكريا نامق بك - هذا مفهوم المادة ١٤ .

حضرة على ماهر بك - المادة ١٤ لم تتعرض مطلقا لحرية اصدار الصحف ، على أننا ما دمنا متفقين على المبدأ فلنقرره وندع الأمر للتحرير ، فان كان هناك محل لهذا النص بعينه أثبت ، وإن أغنت النصوص الأخرى عنه لم تكن حاجة للاثبات .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك - أنا متفق مع حضرة على ماهر بك إذا هو استبدل (الشروط التى يقررها القانون) بعبارة (فى الحدود التى يقررها القانون) .

حضرة على ماهر بك - هذا قد يسمح للبرلمان أن يضع قانونا يجعل للحكومة حق الترخيص بالصحف وعدم الترخيص بها

حضرة محمد على بك - عبارة (الشروط التى يقررها القانون) انما تقصد فيها صفات شخصية فالحكم فى وجود هذه الصفات وعدم وجودها هو القانون . أما عبارة (فى حدود القانون) فقد تسمح بوضع قانون يجيز للحكومة اعطاء التصريح أو عدم اعطائه

سعادة حافظ حسن باشا - لقد قررنا أنه لا رقابة إلا فى وقت الاحكام العرفية ولم يكن عندنا قط رقابة بحكم القانون . أما مسألة التصريح باصدار الصحف عند توفر شروط خاصة فلى عليه اعتراض ، ذلك أن الادارة كثيرا ما ترى أناسا تتوفر فيهم جميع الصفات القانونية ولكنهم على جانب عظيم من الانحطاط الخلقى ، فالشخص الدنىء الاخلاق ، وإن توفرت فيه الصفات القانونية ، يخشى منه على الاخلاق العامة ،

وهذا أمر يجب ترك تقديره لجهة من جهات الحكومة. للمحلات العمومية والترخيص بها شروط. فاذا فرضنا أن حصل خلاف بين صاحب المحل والحكومة ترى الرجل غالبا يفتح المحل بدون رخصة وفى هذه الحالة يكون الحكم للقضاء يدلى كل من الطرفين أمامه بحجته وهو صاحب القول الفصل فى الموضوع، وما دام ذلك فعندنا ضمانان: أولهما نظر البرلمان فيما إذا كان هناك محل الرخصة أم لا. والثانى مراقبة القضاء، وذلك خير من ترك الأمر فوضى فيدخل فى الصحافة كل من أراد، ولذلك أرى أن يكون النص: (لكل مصرى حق اصدار صحيفة فى حدود القانون)

معالى الرئيس - رأى حضرة على ماهر بك أن لكل مصرى حق اصدار الصحف ما دام حاصلا على الشروط التى يقررها القانون بلا حاجة إلى ترخيص خاص، ورأى سعادة حافظ باشا أن نترك للبرلمان وضع شروط اصدار الصحف وقد يشترط القانون الذى يضعه البرلمان أخذ رخصة وقد لا يشترط.

حضرة توفيق دوس بك - أما حضرة على ماهر بك فلا يرى بحال من الأحوال استصدار رخصة.

حضرة على ماهر بك - النص الذى وضعته لا يحرم البرلمان من كل أنواع المراقبة لتوطيد الأمن وحماية الآداب، فللبرلمان أن يقرر ما شاء فى حدود النظام العام

هناك فى بلاد أخرى ضمانات للصحفيين، كاشتراط المحلفين فى محاكمتهم، حتى فى الجنح، وأنا لم أقترح هذا تاركا للبرلمان أمر النظر فيه، وهناك حظر دفع التأمين ولم أقترح أنا حظره. ثم ان الضمان ضد مانخشاه سهل. فيمكن النص فى القانون الذى يصدره البرلمان على أنه لا يتولى الصحافة غير الاكفاء، ويمكن تشديد العقوبة عند المساس بالآداب العامة، وهذا أفضل أثرا من الترخيص والرقابة، فقد رأينا تحت حكم قانون المطبوعات ان الجرائد التى تعتدى على الآداب لم تمس بسوء، مع أن البرلمان له أن يمنع ذوى الاخلاق الفاسدة من احتراف الصحافة

حضرة محمود أبو النصر بك - تؤخذ الآراء على النصين.

معالى الرئيس - نص حضرة ماهر بك هو الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل مصرى حق اصدار الصحف مادام حائزا للشروط التى يقررها القانون، فهل تأخذ الهيئة به أو تأخذ بالنص الثانى ؟

تقرر الأخذ بالنص الثانى وهو «الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل مصرى حق اصدار الصحف فى الحدود التى يقررها القانون»، على تكون أن مادة ١٤ مكررة

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الرابعة والثلاثين المنعقدة فى يوم الجمعة ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢ ما يأتي :

ثم تليت المادة الرابعة عشرة ونصها :

« الصحافة حرة فى حدود القانون والرقابة على الصحف قبل نشرها محظورة »

حضرة على ماهر بك ألاحظ أن لجنة التحرير انقصت شيئا مما تقرر فى اللجنة العامة، وهو النص على أن لكل مصرى حق اصدار الصحف، فاذا أريد حذف ذلك فأقترح أن يكون النص (حرية الصحافة مكفولة)

حضرة عبد الحميد بدوى بك ـ رؤى أن بين المادتين ١٣ و١٤ بعض التداخل، فالأولى قررت حرية الاعراب عن الرأى بكل الطرق ومنها الكتابة فلم يبق لحرية الصحافة معنى سوى ابداء الرأى على صورة مخصوصة وهى اصدار الصحف وهذا المعنى هو الذى يؤديه صدر المادة ١٤، فذكر عبارة ان لكل مصرى حق اصدار الصحف . . . الخ بعد ذلك تكرار لامسوغ له .

فوافقت الهيئة بالاجماع على بقاء المادة على حالها .

ثم تليت المادة الخامسة عشرة ونصها :

« لا يسوغ تقييد حرية مصرى فى استعماله أية لغة أراد فى المعاملات الخاصة أو التجارية أو فى الامور الدينية أو فى الصحف أو المطبوعات أيا كان نوعها أو الاجتماعات العامة »

حضرة على ماهر بك ـ اقترح حذف كلمة (مصرى) من المادة فيقال (لا يسوغ تقييد حرية استعمال أية لغة الخ) اذ المفهوم ان الدستور موضوع للمصريين

فضيلة الشيخ بخيت ـ وأنا أقترح حذف عبارة (أو فى الأمور الدينية) حتى لا تباح قراءة القرآن بغير اللغة العربية .

معالى الرئيس ـ يؤخذ الرأى .
فتقرر بالأغلبية بقاء المادة على حالها .

* * *

وجاء بمحضر الجلسة التاسعة والثلاثين المنعقدة فى يوم الخميس ٥ اكتوبر سنة ١٩٢٢ مايأتى :

حضرة على ماهر بك ـ أريد أن أتكلم عن المادة الرابعة عشرة من باب حقوق المصريين وواجباتهم الخاصة بالصحافة ، ونصها هو :(الصحافة حرة فى حدود القانون ، والرقابة على الصحف قبل نشرها محظورة)

تكلمنا عن هذا النص كثيراً ودولة رشدى باشا أبلغنا أمس أن له ملاحظات على هذه المادة ويود أن يبلغها للجنة وهى ادخال تعديلين على النص وزيادة فقرة عليه

أما التعديل الأول فهو زيادة كلمة (العام) بعد عبارة ـ فى حدود القانون ـ حتى لاتكون الصحافة مقيدة فى حريتها الا بالقانون العام

التعديل الثانى هو حذف عبارة (قبل نشرها) ليكون النص:(والرقابة على الصحف محظورة) أى بصفة عامة .

أما الفقرة التى يريد اضافتها فهى:(ان الصحف لايجوز أن تكون محلا لعقوبات ادارية)

معالى طلعت باشا ـ الاضافة الأخيرة لالزوم لها اكتفاء باضافة كلمة (العام) لأن هذا النص يمنع جهات الادارة من التعرض للصحافة بأى عمل كان .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك ـ إننا الآن فى حالة انتقال،وأول واجب علينا هو تربية الشعور العام على المبادىء الصحيحة ونشر الآراء السليمة . وحالنا قابل للتطرف،وأول ما يقبل التطرف هو الصحافة، ومع الأسف أقرر ان كثيرا من الصحف لايعمل للمصلحة العامة بل يسير وراء آراء أو أغراض خاصة،لذلك أرى أن يترك للبرلمان الحرية التامة لوضع الأنظمة التى يرى وضعها للصحافة .

لقد مرت ايطاليا بتجارب عديدة تشبه مانمر ومانتظر أن نمر به ، وقد وضعت انفسها دساتير تقرب من العشرين، وقد جاء فى دستورها الأخير نص حكيم يتعلق

بالصحافة أرجو أن نتخذه نبراسا لنا فى وضع نص مثله فى دستورنا، وهذا هو نص المادة فى الدستور الايطالى :

(الصحف حرة ولكن للبرلمان ان يقيد التطرف فيها) .

نرى الآن الكثير من صحفنا لا يتبع الطريق القويم، وأخشى أن يزداد ذلك، فأرجو أن يترك البرلمان حرا ليمكنه وضع العلاج الذى يكون ضروريا لحالة البلاد، وذلك بأن نضع فى دستورنا نصاً شبيها بنص الدستور الايطالى .

حضرة الياس عوض بك - المادة بنصها الحالى فيها الضمان الكافى

حضرة عبد العزيز فهمى بك - النص الحالى هو النص الذى أدخل على الدستور التركى فى سنة ١٩٠٩ أى عقب الثورة التركية، ومع ذلك فلا أعارض فى التوسع فى حرية الصحافة، فقد كان لى نص عرضته فيما مضى أوسع من كل هذا .

ولكنى أعارض فى زيادة كلمة (العام) فى أول المادة لانه لا يمكن أن يحجر على البرلمان وضع قانون خاص للصحافة .

حضرة على ماهر بك - المراد هو منع تسلط الادارة على الصحف بأى طريقة من الطرق ، فلا يباح للادارة انذار الصحف أو اوقفاها .

حضرة عبد العزيز فهمى بك - نحن متفقون على منع جهة الادارة من ارسال انذارات إلى الصحف أو وقفها بغير حكم قضائى . وسأتفق مع حضرة على ماهر بك على وضع الصيغة المطلوبة

موافقة عامة على ذلك وأن يعرض النص غداً فى أول الجلسة

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الأربعين المنعقدة فى يوم الجمعة ٦ اكتوبر سنة ١٩٢٢ ما يأتى :

حضرة عبد العزيز فهمي بك - قررتم فى الجلسة الماضية تعديل نص المادة ١٤ من باب حقوق المصريين الخاصة بحرية الصحافة فأقترح عليكم النص الآتى :

« الصحافة حرة فى حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة وانذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الادارى محظور كذلك »

موافقة عامة .

الأدب في مائة يوم

شهد الأدب فى عهد وزارة على ماهر باشا فترة ذهبية ، لم يشهدها من قبل ، وبعث فيه مقامه الرفيع من عناصر النشاط والحياة ما عهد له به من قبل .

كان عهد وزارة مقامه الرفيع موسم الأدب ، وعهد الانتاج الفكرى المنظم ، وقد مضى عهد الوزارة ، ولكن بقيت مآثرها فى الأدب والسياسة والاجتماع خالدة لاتفنى .

طلعت الصحف على الناس يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٣٦ بمشروع عجيب ، لم يكن أحد يحلم به ، أو يفكر فيه ، وهو مشروع « المباراة الصحفية الأدبية » ، ولم يكد المشروع يذاع ، حتى صار حديث القوم ، والشغل الشاغل للأدباء والمصلحين والصحافيين ، وغمرت البلاد يومئذ موجة من النشاط الأدبى الفذ ، فأقبل الجميع يحيون المشروع ، وصاحب المشروع ، ويباركون هذه الحركة التى خلقها على ماهر باشا ، لاحياء الأدب الشعبى ، وتوجيه جهود الأكفاء من أبناء الشعب إلى الانتاج المثمر المنظم ، وانصرف الى المباراة عدد هائل من الأدباء والمفكرين ، يعالجون هذه النواحى الاجتماعية الحيوية ، التى أثارها رئيس الوزراء ، وأثار فيهم الاهتمام بها ، وانصرف اثنان وأربعون رجلا (١) من قادة الفكر والعلم والأدب فى مصر إلى دراسة مواضيع المباراة ، ونقدها ، والحكم عليها ، فسجلت هذه الحركة الحية أزهى عصور الأدب فى عصر النهضة ، وفيما قبله من عصور .

---

(١) حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة رؤساء وأعضاء لجان التحكيم

وما ظنك بنحو ألف وخمسمائة كاتب وأديب يتوفرون على دراسة أحد عشر موضوعاً حيويا فى الأدب والفن والعلم والسياسة والاجتماع ؟

ما ظنك بهذا العدد الهائل ينصرف إلى الانتاج المثمر ، فيخرج إلى البلاد خلاصة أفكاره وتجاربه فيما يهمها من الشؤون ؟

ما ظنك بهذا العدد الضخم من الأدباء والعلماء يعالجون مشاكل الأسرة والفلاح والبطالة ، والنواحى التى تهم مصر من الأزهر الشريف والدستور والبوليس والتربية الوطنية، ثم اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال ؟

لقد شاء حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أن ينتفع بأكبر عدد ممكن من أكفاء الشعب ، فى معالجة ما يهم الشعب من مسائل وأمور ، وأن يستغل أكبر ما يمكن استغلاله من الكفايات للصالح العام ، وأن يمنح الفرصة للأدباء المغمورين والمعروفين للانتفاع بخدمتهم ومواهبهم .

وكانت هذه الحركة المباركة الناجحة باعثا على توجيه الفكر إلى تعميم المباريات .

فمن آثارها اقتراح سعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا اقامة مباريات سنوية منتظمة (١)، فى الأدب والشعر والاجتماع والتاريخ والسياسة

---

(١) قدم هذا الاقتراح فى ٨ يوليه سنة ١٩٣٨ ونصه :

« حضرة صاحب العزة مدير إدارة المطبوعات

دفعت المسابقات الأدبية فى الموضوعات التى أقامتها الوزارة السابقة إلى تقدم كثيرين بالبحث وتقليب الآراء والافكار المختلفة فى هذه الموضوعات مما كان له أثر صالح يدعو فى نظرنا الحكومة القائمة إلى تقدير فكرة المسابقة على صورة مطردة فى كل سنة. على أن ضيق الوقت الذى حدد للمسابقة الماضية مع اتساع مدى كل

موضوع من موضوعاتها قد أدى بالكثيرين إلى تناول هذه الموضوعات تناولا سريعا أدنى فى نوعه إلى البحث الصحفى اليومى منه إلى البحث الفنى أو العلمى الدقيق

وقد رأت اللجنة التى تشرفت برياستها، والتى هى إحدى اللجان التى ألفت للفصل فى هذه المسابقات، أن تتقدم إلى الحكومة، نظرا لما ظهر بوجه عام من فائدة الدعوة إلى المسابقة، ومن نتائجها الصالحة، وحرصا على أن تؤتى هذه الدعوة خير ثمراتها، رأت أن تتقدم برجاء استمرار هذه المسابقة لتكون دورية سنوية حافزة لبذل الجهد بصورة متصلة يطمئن معها كل باحث لتناول بحوثه تناولا فنيا لاتجنى السرعة عليه، ويتسنى معها أن تكون الثمرات أكبر قيمة وأعظم أثرا فى الحياة الفكرية العامة فلا تقتصر على بحث وجيز فى موضوع من الموضوعات بل تكون كتابا فى هذا الموضوع .

لهذا تتقدم هذه اللجنة بأن تقترح :

أولا ـ تقرير خمس جوائز سنوية قيمة كل منها ٢٥٠ جنيها مصريا .

ثانيا ـ أن تقتصر أربع من هذه الجوائز على المتقدمين من المصريين وأن تكون الجائزة الخامسة للذين يتقدمون لنوالها من أبناء البلاد التى تتكلم العربية .

ثالثا ـ أن تعطى واحدة من أربع من تلك الجوائز للمصرى الذى يؤلف كتابا يستحقها فى واحد من الموضوعات الآتية :

(١) الادب .
(٢) الشعر .
(٣) الاجتماع أو التاريخ أو السياسة .
(٤) تبسيط العلوم .

وأن تعطى الجائزة الخامسة لصاحب الكتاب الذى يستحقها من أبناء العربية جميعا فى أى من هذه الموضوعات .

رابعا ـ تقدم هذه الكتب مطبوعة سنويا فى موعد تعينه الحكومة قبل أن تجتمع لجان التحكيم بشهرين على الأقل، وذلك لتشترك الصحافة وليشترك النقاد والجمهور فى ابداء الرأى فى هذه الكتب قبل نظر اللجان إياها .

ومن آثارها أيضا مانشهده اليوم من نشاط وزارة المعارف فى شحذا لهمم، وتشجيع الانتاج الأدبى، بمبارياتها المعروفة.

ولقد كانت نية حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا متجهة إلى جمع مواضيع المباراة ودراستها دراسة يكون من ورائها الانتفاع بما فيها من تجارب وآراء. لكن توالى الحوادث السياسية عطلت هذه الرغبة الكريمة النافعة، حتى شاء الله تعالى أن يوفقنى إلى بعثها (١) من جديد، فى هذا العهد المبارك الميمون: عهد مولانا حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم الصالح المفدى المحبوب نصير الأدب والأدباء «فاروق» الأول حفظه الله تعالى ذخرا لمصر والمصريين.

أغسطس سنة ١٩٣٨ — كمال مرسى كامل

ولم تجعل اللجنة أول قصدها من تقدير قيمة هذه الجوائز الفائدة المادية التى تعود على المؤلفين، فهى تقدر أن طبع كتاب صالح طبعا متقنا قد يستنفد هذه الجائزة، وإنما قصدت - على المعاونة على طبع الكتاب - إلى الأثر المعنوى الذى يترتب على منح الجائزة سواء فى نفس المؤلف أو عند الجمهور.

وإنى أرجو من عزتكم التفضل بعرض هذا الاقتراح على دولة رئيس الحكومة ووزير الداخلية، وأملى أن يستحق عنايته ورعايته.

وتفضلوا عزتكم بقبول فائق الاحترام»

(١) نشرت رسالة الفائز بالجائزة الأولى فى كل موضوع، وملخصا لكل من رسائل الآخرين.

المباراة الصحفية الأدبية
بيانات من ادارة المطبوعات
(١)

لما كان من أعز أماني الوزارة أن ترى في أقرب فرصة متاحة نهضتنا الصحفية تمضي قدما لاتلوى على شيء ، متجهة نحو الغاية الثقافية التجديدية التي يرومها كل مقدر لأهل هذه الصناعة الشريفة ، وأن تساهم من قبلها مع العاملين من رجالاتها في مساجلة الأقلام ومباراة اصحاب البيان ، وان تعمل بقدر المستطاع على تمحيص الآراء بين ذوى المواهب والكفايات ، وأن تعرض على بساط البحث والدرس الموضوعات الاصلاحية الثقافية العامة ، فانها ترى لزاما عليها نحو الصحافة والصحفيين ، والكاتبين والباحثين أن تخصص من ناحيتها جوائز للمجيدين والمحسنين ، تنشيطا للاقلام ، وانارة للافهام ، وإثارة للحماس العلمي ، وانهاضا للبحث الأدبي ، واطلاقا للعنان العقلي ، وزيادة في الانتاج الثقافي ، وتوخيا للاصلاح الاجتماعي .

لذلك يسر الوزارة أن تذيع بين الناطقين بالضاد : من كتابنا وأدبائنا ، أنها قد قررت جوائز تمنح للفائزين في الموضوعات العشرة الآتية :

(١) رسالة الازهر في القرن العشرين .

(٢) اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال .

(٣) أثر الحافز الشخصي في تطور الاصلاح الاجتماعي والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام

(٤) البطالة ووسائل علاجها والتعليم الاقليمي وأثره في علاج البطالة .

(٥) التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الامة .

(٦) عدة النجاح لرجل القرن العشرين .

(٧) تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكون الوطني المستنير .

(٨) ترقية الفلاح اجتماعيا . (٩) استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام .

(١٠) وضع نشيد وطني قومي .

وقد تقرر للفائز الأول في كل من الموضوعات المتقدمة مائة جنيه ، وللفائز الثاني خمسون جنيها ، ولكل من الثالث والرابع خمسة وعشرون جنيها .

ويمكن لحضرات الكاتبين نشر مايعن لهم في الموضوعات المتقدمة إما في الصحف السيارة أو غيرها من المجلات العامة على أن يرسلوا صورة ما يكتبونه إلى إدارة المطبوعات .

أما مدة هذه المباراة فقد تحدد لها خمسة عشر يوما تنتهي في ٥ ابريل سنة ١٩٣٦

وستعلن الوزارة قريبا عن هيئة التحكيم فى كل موضوع من هذه الموضوعات .

١٩ مارس سنة ١٩٣٦

(٢)

الحاقا لمشروع حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية الأدبية تتشرف ادارة المطبوعات بأن تذيع على حضرات الصحفيين والكاتبين بأن اختيار دولته قد وقع على حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة الآتية أسماؤهم بعد رؤساء للجان التحكيم كل فى الموضوع الذى يخصه وترك لكل من حضراتهم حرية اختيار زملائه أعضاء لجنته . وستذيع الادارة قريبا أسماء الجميع ، كما أنها ستذيع ما قد يتراءى لهذه اللجان من توجيهات وارشادات وقواعد وأسس .

وقد تفضل دولة الوزير فأمر بامتداد مدة تقديم الموضوعات الى أمد نهايته ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ فى غير تحديد لحجم ما يكتب وفى مطلق الحرية للكاتب فيما يريد ابداءه من آراء ومقترحات وأن التفضيل يكون للرسالة العملية النتائج وليس ثمت من حاجة الى التطويل فيما هو ظاهر جلى وأن العبرة كل العبرة فى حسن التصوير ودقته والالمام الصحيح بشتى نواحى الموضوع العملية الانتاجية ، كما أن دولته قد أشار بترك الحرية المطلقة لحضرات المتقدمين من الصحفيين والكاتبين فى أن يرجئوا نشر رسائلهم الى ما بعد ظهور نتائج المباراة أو أن ينشروها من الآن فيما يختارون من صحف ومجلات . كذلك أمر دولته أن تطبع الرسائل الفائزة فى كتاب خاص رغبة فى اذاعتها والاستفادة من وجاهتها ونشرا للثقافة وحسن الافادة ، وأن يذاع منها من محطة الاذاعة الحكومية اللاسلكية ما تشير به لجان التحكيم ، تعميما للفائدة بأوسع ما يكون

وترجو ادارة المطبوعات ، رغبة منها فى عدم اضاعة الوقت ، أن يتكرم حضرات الراغبين فى دخول هذه المباراة بارسال خمس صور مما يكتبون فى الموضوع الذى يختارونه إلى حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة رؤساء اللجان ، كل فيما يخصه ، وهم حضرات :

الموضوع الاول : رسالة الأزهر فى القرن العشرين .

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الشريف والمعاهد الدينية

الموضوع الثانى : اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

رئيس لجنة التحكيم : سعادة الاستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

الموضوع الثالث : أثر الحائز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام .

رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير مكرم عبيد نقيب المحامين

الموضوع الرابع : البطالة ووسائل علاجها ، والتعليم الاقليمى وأثره فى علاج البطالة

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية .

الموضوع الخامس : التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الامة .

رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير محمود فهمى النقراشى

الموضوع السادس : عدة النجاح لرجل القرن العشرين

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا

الموضوع السابع : تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير .

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب العزة الدكتور بهى الدين بركات بك

الموضوع الثامن : ترقية الفلاح اجتماعيا .

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا

الموضوع التاسع : استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة على الشمسى باشا

الموضوع العاشر : وضع نشيد وطنى قومى

رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير الدكتور أحمد ماهر

٢٣ مارس سنة ١٩٣٦

(٣)

الحاقا لمشروع حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية الأدبية وموضوعاتها العشرة السابق اذاعتها .

تتشرف ادارة المطبوعات بأن تذيع أيضا أن دولته قد أمر باضافة الموضوع الآتى ليكون ضمن موضوعات المباراة المتقدمة ، وهو :

سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون . البوليس ـ وهو من حراس القانون ـ صديق للشعب ، ووجوب مساعدة الشعب له فى أداء واجباته » .

وستذيع الادارة قريبا أسماء حضرات رئيس واعضاء لجنة التحكيم فى هذا الموضوع الذين سيتفضلون بقبول المساهمة فى هذه الخدمة الثقافية العامة .

٢٦ مارس سنة ١٩٣٦

لجان التحكيم

الموضوع الاول

رسالة الازهر فى القرن العشرين

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

٢ - معالى الاستاذ عبد العزيز فهمى باشا (٣) فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم (٤) معالى الاستاذ مصطفى عبد الرازق بك (٥) حضرة الاستاذ امين الخولى - أعضاء

الموضوع الثانى

اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - سعادة الاستاذ أحمد لطفى السيد باشا

٢ - سعادة الاستاذ جعفر ولى باشا (٣) سعادة الاستاذ الدكتور بهى الدين بركات باشا (٤) حضرة الاستاذ طه حسين بك (٥) معالى الاستاذ مصطفى عبدالرازق بك - اعضاء

الموضوع الثالث

أثر الحافز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العلمية لتوجيهه للخير العام .

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - سعادة الاستاذ مكرم عبيد باشا

٢ - معالى الدكتور أحمد ماهر (٣) حضرة الدكتور على مشرفة (٤) حضرة الاستاذ عبد الوهاب عبدالرازق (٥) حضرة الاستاذ محمد صبرى أبو علم - أعضاء

الموضوع الرابع

البطالة ووسائل علاجها ، والتعليم الاقليمى وأثره فى علاج البطالة .

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - سعادة الاستاذ أحمد عبد الوهاب باشا

٢ - سعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا (٣) حضرة الدكتور فؤاد سلطان بك (٤) معالى الدكتور أحمد ماهر (٥) حضرة هنرى نوس بك - أعضاء

الموضوع الخامس

التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الامة

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - معالى الاستاذ الكبير محمود فهمى النقراشى باشا

٢ - حضرة الاستاذ الدكتور طه حسين بك (٣) حضرة الاستاذ أحمد أمين (٤) حضرة الاستاذ ابراهيم عبد الهادى (٥) حضرة الاستاذ أحمد حسن الزيات - أعضاء

الموضوع السادس

عدة النجاح لرجل القرن العشرين

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - سعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا

٢ - معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا (٣) سعادة الأستاذ محمد محمود خليل بك (٤) حضرة الأستاذ خليل مطران بك (٥) معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك - أعضاء

الموضوع السابع

تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - سعادة الأستاذ الدكتور بهى الدين بركات باشا

٢ - سعادة الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا (٣) سعادة الأستاذ يونس صالح باشا (٤) حضرة الأستاذ محمود حسن بك (٥) حضرة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى بك - أعضاء

الموضوع الثامن

ترقية الفلاح اجتماعيا

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - حضرة صاحب السعادة محمود عبد الرازق باشا

٢ - حضرة صاحب السعادة جعفر ولى باشا (٣) حضرة صاحب السعادة سيد خشبه باشا (٤) حضرة صاحب العزة طراف علي بك (٥) حضرة صاحب العزة علام محمد بك - أعضاء

الموضوع التاسع

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - حضرة صاحب السعادة علي الشمسى باشا

٢ - حضرة الدكتور درية فهمى (٣) حضرة الأستاذ الدكتور طه حسين بك (٤) معالى الأستاذ الدكتور محمد حسين هيكل باشا (٥) معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك - أعضاء

الموضوع العاشر

وضع نشيد وطنى قومى

لجنة التحكيم

١ - الرئيس - معالى الدكتور أحمد ماهر

٢ ـ سعادة الأستاذ مكرم عبيد باشا (٣) سعادة الأستاذ عبد القادر حمزة باشا (٤) حضرة الأستاذ خليل مطران بك (٥) حضرة الأستاذ محمد عبد الوهاب ـ أعضاء

الموضوع الحادي عشر

سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون والبوليس ـ وهو من حراس القانون ـ صديق للشعب ووجوب مساعدة الشعب له في إداء واجباته .

لجنة التحكيم

١ ـ الرئيس ـ حضرة صاحب السعادة محمد لبيب عطية باشا

٢ ـ حضرة صاحب السعادة عبد السلام الشاذلى باشا (٣) حضرة صاحب العزة سيد مصطفى بك (٤) حضرة الأستاذ أمين سامى حسونه (٥) حضرة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى بك ـ أعضاء

أول ابريل سنة ١٩٣٦

تقارير لجان التحكيم

(١)

الموضوع الأول

رسالة الأزهر فى القرن العشرين

قررت اللجنة أن هذه المباراة ليست رياضة فنية للاقلام ، يقصد منها الى زيادة الثروة الكلامية ، بل هى إن اتخذت من الأدب وصفا ، فانما تعنى منه ما يتصل بالحيـــاة ، ويقوم فيه الكتاب مقام قادة الفكر ورواد المستقبل .

وموضوعات المسابقة انما هى مشاكل اجتماعية ، تمس أسس الحياة المصرية ، ليتهيأ لكل ذى خبرة أكسبه البحث الاجتماعى ، والتوافر الشخصى على بعض هذه الشؤون أن يدلى فيها بالرأى ، ويهدى المشورة لأولى الشأن ، فتكون الشورى فى الاصلاح يستعان فيها بخبرة الخبير ، ولو كان من غير رجال الحكم ، بل لو كان من المغمورين .

***

ومن هنا رأت اللجنة أن موضوع رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، انما يقوم على النظر الدقيق فى تلك التركة التى خلفتها عشرة قرون ، موصولة السبب بحياة مصر الاجتماعية : سياسية،وخلقية ، وفقهية ، وغيرها ، وحياة مصر الدينية : اعتقادية ، وعبادية ، وتشريعية ، وحياة مصر العلمية ، سواء فى ذلك علوم الدين أو علوم الدنيا، ثم لها مثل هذه الصلة بالعالم

الاسلامى ، فالكاتب الاجتماعى المتحدث عن رسالة الأزهر انما يعرض فيها لنواح ثلاث :

١ — اجتماعية عامة .

٢ — دينية — اجتماعية خاصة .

٣ - علمية .

ولكل ناحية تفاصيلها التى كونت اللجنة فيها رأيها .

***

وبعد ما استوى للجنة هذا الرأى قدرت ما لديها من مقالات ،فآثرت، بعد التحرى،أن تعدل توزيع الجوائز ، ولما رأته من مقاربة المثل المرجو ، وما لاحظته من ذهاب بعض الكتاب الى جهات فى البحث متكاملة،ينتفع بكل مقال منها فى جهة ، فأقرت النتيجة التالية :

١ — الاستاذ أحمد خاكى المدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية
جائزة مقدارها ٨٠ جنيها

٢ — الاستاذ عبد العزيز عبد الحق مدرس التاريخ بمعهد الزقازيق
جائزة مقدارها ٤٠ جنيها

٣ — الاستاذ أحمد توفيق عياد شارع الشيخ عبد الله رقم ٢٤ — عابدين مصر
جائزة مقدارها ٢٠ جنيها

٤ — الأستاذ مصطفى صادق الرافعى - طنطا
جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٥ ــ الأستاذ الشيخ عبد الله عفيفى المحرر العربى بديوان جلالة الملك

جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٦ ــ الأستاذ محمد الههياوى بشارع الجامع الاسماعيلى رقم ٢٦ بالقاهرة

جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٧ ــ الأستاذ الشيخ محمد عرفه مدرس بكلية اللغة العربية

جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ — شيخ الجامع الأزهر

(محمد مصطفى المراغى)

(١)

رسالة الاستاذ احمد خاكى

(١) فى أصول الاسلام

يتصل تاريخ الأزهر إتصالا وثيقا بالحركات الفكرية التى قامت في مصر منذ السنة التى أنشىء فيها . ويتمثل فيه من ناحية أخرى مبادىء الاسلام وما كان لها من سلطان فى أيام العز والمنعة ، وجدير بنا إذ نقرب الأزهر ورسالته فى القرن العشرين أن نجيل النظر فى تلك المبادىء فنراها صحيحة صريحة تحت النور الذى تمليه علينا مطالب الناس وحاجاتهم في العصر الحاضر . ولا نرى خيرا من أن نلق بنظرة عجلى على الأصول الأولى التى ارتكن عليها الاسلام فى تنظيم الجماعة الاسلامية . فقد كان لهـــذه أثر عميق فى نظم الأمم المسلمة : أثر طبعها بطابع الاسلام الخاص وصحبها على طول العصور التى ازدهت فيها الخلافة ، وما يزال يتخلف بعضه الآن فى أسس الدول التى كونها الاسلام .

حينما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كان العرب قبائل متنافرة متدابرة . وما حانت وفاته حتى كان هؤلاء أمة واحدة لها نظام يشمل الناس جميعا . هـذا التأليف بين قلوب العرب كان آية الاسلام الكبرى . وقد نزل القرآن بأحكام تنظم هذه الجماعة . وكان الاقتناع بجلال هـذه النظم شيئا يتصل اتصالا وثيقا بالايمان . وحاط أحكام الاسلام منذ المبدأ شىء من القداسة التى استمدت من آيات الدين الحكيم . بل لقد كان الملك السياسى دائما يجمع فى صعيد واحد كلا السياسة والدين . فكانت الخلافة علي طول عصورها تتشح بوشاح الدين بما كان لها من تقاليد تنشأت من تاريخها الطويل . ونزلت من أصلها حينما جمع النبي العرب كافة تحت راية القرآن . ولم يفرق الاسلام حينما بدأت تلك الجماعة بين ما نحسبه الآن من شئون الدين وما نخاله من شئون الدنيا . بل جمع بين هذه وتلك . والزكاة التى هى إحدى قواعد الأسلام الخمس كانت تشريعا أتى به التنزيل . والزكاة عند

المشرع الحديث قاعدة من قواعد النظام الدنيوى . فالى جانب العقائد التى ثبتها الاسلام فى قلوب المسلمين تنزل بشرائع . ووصل ما بين هذه العقائد وتلك الشرائع . وكان أساس كل ذلك هو السعى لخير الجماعة . ولا يمكن أن تسيطر الشريعة إلا إذا كان لها أساس من الايمان .

ولما تكونت الجماعة الأولى فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت سابقة من سوابق الاسلام ، وكانت تلك العقائد وهذه الشرائع هى القوائم التى قامت عليها المجتمعات المسلمة فيما بعد . وللمسلمين بعد ذلك تاريخ طويل حافل بنظم استمدت من أصول الدولة فى الاسلام . وقد كان الدين فى تاريخ هذه المجتمعات دائما محور التقدم . بل لم يكن المسلمون يفرقون بين سلطان الاسلام السياسى والاجتماعى ، وبين سلطـــانه الدينى . وقد كانت مصر إحدى دول الاسلام التى تمثلت فيهـــا هذه النظم .

والأزهر معهد دينى كانت رسالته دائما رسالة الاسلام وقد اتصل بحركات الفكر التى قامت بمصر . ولن نستطيع أن نقدر رسالة الأزهر فى القرن العشرين حتى نتبين إلى أى مـدى تغلغل أثر الأزهر فى الحياة المصرية فى القرن الماضى . وجدير بكل رسالة فكرية أن تقوم في أساسها علي التقاليد التى صحبت المعهد الذى أنتجها . بل خليق بها أن تسير مع تقاليد البلد التى تنشأ فيها . علي أننا سوف نكتفى بالتاريخ الحديث دون تاريخ الألف سنة التى مرت على الأزهر

(٢) الأزهر وزعامة الفكر

حينما خطا نابليون أرض مصر فى سنة ١٧٩٨ كان يقدر ذلك الشعور الدينى العميق حق قدره . وكان يرى أن مصر لا تنال إلا بالاستمالة والاسترضاء . وما هو إلا أن قضى زمنا وجيزا حتى تبين أن علماء الأزهر هم قادة الشعب . وأنه لن يستقيم له أمر حتى يستطيع أن يرضى هؤلاء . ولقد كان نابليون يقدر هـذا الوزن السياسى للدين الاسلامى ، حتى لقد قيل إنه كان يضع القرآن الكريم جنبا إلى جنب مع كتب السياسة . وقد أدرك أن التفكير السياسى والاجتماعى عند المسلمين المصريين يصدر عن كتابهم الكريم . فكان عليه بعد ذلك أن يسترضى

علماء الأزهر حتى يسلس له قياد الأمة بأسرها . وقد حفزته هذه الفكرة إلى أن يضرب علي النغمة الدينية طول مقامه بمصر حتى لقد أوشك أن يدعى أنه مسلم وأن الفرنسيين كلهم مسلمون . وحتى لقد قال حينما ولى الأمر فى فرنسا إنه كان مسلما فى مصر وكاثوليكيا فى فرنسا لخير الشعب . ويصوره بعض المؤرخين جالسا إلى علماء الأزهر يبادلهم الحديث والرأى فى عقائد الاسلام وشرائعه ، ويذهب آخرون إلى أن قانونه قد تلون بألوان من الشرع الشريف .

وقد كان للأزهر سابقة خلال الفترة التى لبثها نابليون فى مصر : سابقة أولته الزعامة الدينية والاجتماعية والسياسية فى وقت معا . ذلك بأن الحاكم الفرنسى ضم « ديوانا » يمثل المصريين كى يستعين به علي حكومته . وكان قوام هذا الديوان شيوخ الأزهر . وقد كان فى إنشائه إشراك «ولو صورى» للمستنيرين من أبناء الأزهر فى حكومة مصر . وليس يذهب بنا الغلو إلى الحد الذى نخال أن مثل ذلك كان حكما دستوريا صحيحا . وإنما نرى فيه اعترافا ضمنيا بما كان لسلطة الأزهريين على العامة وبما كان للظروف المحيطة من قوة اضطرت نابليون — وهو أبعد الحكام عن التفكير في الحكومة الدستورية — أن يلجأ إلى معونة هؤلاء . وفى الحق لقد كان هذا انتصارا أدبيا بليغا للأزهر وبداية حسنة لو لقيت رعاية لأنتجت نتاجا طيبا .

فرغما عن أنه لم يقم فى أذهان العامة لا دستور ولا شبه دستور إلا أن الخاصة من المصريين قد انتهوا إلى أن آراءهم جديرة بالتقدير والاحترام . ووسط الزوابع السياسية التى تلت عصر نابليون وسبقت ولاية محمد على قام الأزهريون يثبتون حق الشعب ويؤيدون ما يذهبون إليه بنصوص من الدين الحنيف . ولقد كان للسيد عمر مكرم نقيب الأشراف حينئذ المكانة الأولى بين ممثلى الشعب . وكان الشعب غاضبا على خورشيد باشا راغبا فى تولية محمد على . وفى تاريخ الجبرتى نقاش بين السيد عمر مكرم وبين عمر بك أحد أنصار خورشيد باشا . فقد كان عمر بك يذكره بالآية الكريمة : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . فلم يكن من السيد عمر إلا أن قال : « أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل » . ألسنا نحس فى ذلك الرد وحده تلك القوة الوليدة التى شعر بها زعماء الأزهر ؟ وألسنا نستطيع أن ندرك حصافة محمد على حينما اجتذب هؤلاء الشيوخ

إلى جانبه فتغلب على القوى التى كانت تنافسه؟ وسلطان هؤلاء الأزهريين هو الذى ظاهره على المماليك، وهو الذى أرغم الخليفة على أن يعترف بولايته. كانت هذه إذن سابقة للأزهر أعلت من مكانه فظل زعيما للجماعة المصرية بعد ذلك.

وما برح الأزهر يساير الحركة الفكرية في مصر حتى تمخض فى أواخر القرن التاسع عشر عن حركة شاملة من حركات الاصلاح توجهت ضد العناصر الدخيلة التى مشت بالسوء فى أمم الشرق. وقد رفع لواء هذه الحركة جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده.

ولعل خير ما يذكر من أيادى الاستاذ الامام أنه خرج الى فلاسفة الغرب يرد الحجة بالحجة ويقرع البرهان بالبرهان. ولم يكن الجدل الذى نشب بينه وبين هانوتو الا ناحية من الصراع الفكرى بين الشرق والغرب، وكان المؤرخ الفرنسى يفتعل الذرائع والمبررات التى تحلل ما اقترفته السياسة المادية التى استحلت لنفسها كل ما تحرمه الشرائع والقوانين. ولم يكن الامام المصرى فى ردوده الا مدافعا عن أصول الاسلام الأولى يلحق البينة بالبينة ويميز بين ما هو من صلب الدين وما هو دخيل على الدين.

على أن ذلك الكفاح الذى تولاه الأستاذ الامام والذى خلق بعد ذلك مدرسة بأسرها من مدارس الفكر لم يزل حتى أصاب ساعدا قويا فى أفراد من المتخرجين فى الازهر ثاروا على حكومة الدخلاء. واتصلوا بالجيش آملين أن يحققوا بعض مثلهم العليا: فكانت الثورة التى اتصلت باسم عرابى باشا. وقد جنح التفكير الأزهرى فى هذه المرة إلى ثورة عسكرية لم تكن موفقة، لانها لم تكن من طبقة الأزهر. وعرابى نفسه كان أزهريا لكنه لم يكن بالازهرى الرشيد. وقد جمعت هذه الثورة العسكرية إلى العناصر الواهية التى أنهكتها كثيراً من العناصر السامية التى خلفت فى مصر أثراً بليغا. وكانت رغما عما انتابها من وهن نهضة قومية ما زالت تنمو حتى كانت شاملة بعد الحرب الكبرى. ولسنا ننسى أن الأزهر كان محطا لركاب هذه النهضة.

(٣) تقاليد الأزهر

تلك صفحة من تاريخ الأزهر كان حقيقا بنا أن نعرضها قبل أن نقرر الرسالة

التى يلتزم بها فى القرن العشرين، ونرجو أن نكون موفقين فى أن نستخلص منها تقاليد وسوابق تحدد العلاقة بين الأزهر كمعهد دينى، وبين المصريين كجماعة وأمة. فالأزهر كان مركزا للزعامة فى أوائل القرن التاسع عشر، وقد ظل مصدرا للزعماء حتى بداية القرن العشرين. وقد ظهرت قوة الأزهر فى الحالات التى احتكت بها مصر بالدخلاء الأجانب: ظهرت تلك القوة امام الفرنسيين بزعامة السيد عمر مكرم. ثم انتظمت فى جسم الأمة حتى وضحت مرة أخرى بزعامة الشيخ محمد عبده. وكانت موجهة فى هذه المرة الى الذين بسطوا أقلامهم فى الدين من الفلاسفة والمؤرخين الاجانب. ثم كان لها بعد ذلك وجه قومى بقيادة عرابى وانتهى سلميا شاملا بزعامة زغلول. وقد حاولت الحركة الأولى أن تتخلص من دخلاء الشركس وحاولت الثانية أن تستقل عن كل أجنبى.

كيف استطاع معهد واحد أن يقود أمة باسرها خلال قرن كانت فيه مسرحا للطمع الأجنبى؟ وكيف أمكن له أن يصمد لعدوان الاجانب؟ ثم أى قوى هذه التى واتت الازهر حتى وقف رابضا أمام الأغرار والمتفيهقين من كتاب الغرب؟ إننا نرى أن تلك القوة ماكانت إلا قوة الاسلام نفسه. وهذه الحركات التى دبت فيها الحياة فى مصر أول القرن التاسع عشر ما كانت الا بقية صالحة من تلك الحياة التى سرت فى أمم الاسلام. وما اتبعت مصر الازهر إلا لأن الشعور الدينى فيها كان قد ائتلف بالشعور القومى. ولولا تلك الثقافة الدينية التى نشرها الأزهر ما فكر المصريون فى المقاومة، ولا املوا فى التقدم

« والمصريون قوم دينيون » .قال « هيرودوتس » ذلك حينما تحدث عن أسلافهم الأوائل. وقال عنهم مثل ذلك « ستان لين پول » حينما عاش بينهم فى أوائل القرن التاسع عشر. وقد كان الدين فى مصر القديمة مصدرا للتقدم المادى وكان الاسلام هو القوة الدافعة فى أمم الاسلام بل لقد كان روح التقدم نفسه. وما بلغت أمم الاسلام ما بلغت من شأو إلا حينما تألفت القلوب حول الدين. فنحن إذن كمصريين نضم حماسة دينية بين جوانحنا تكاد تكون غريزية فينا — وقد ورثنا كمسلمين تلك القوى الحية التى حركت الجماهير وارتقت درجات بالعالم الانسانى. وقد كان الأزهر موطن هذه القوى الحية وفيه إذن تتمثل عدتنا

وعتادنا، إذ نفكر فى التقدم وإذ يحدونا الامل إلى الحياة الراضية المطمئنة .

لقد رأينا كيف كان الازهر مصدرا للزعامة والكفاح . وقد رأينا كيف استعان الفكر المصرى فى كفاحه السياسى والدينى والاجتماعى بسلطان الأزهر، فقضى على المبادىء الخربة التى تربصت بالشرق الدوائر . وقد تزعم شيوخ الأزهر المصريين، لأن هؤلاء كانوا يستوحونهم الشعور الدينى وكان يتمثل فى خلقهم وارشادهم تلك القوى الحية التى نماها الاسلام وقواها . فان نحن أردنا أن نضرب بسهم في سبيل التقدم وجب علينا أن نرجع إلى أصول الاسلام الأولى فنحي تراثه . وتلك الرجعة إلى ديننا الحنيف هى من رسالة الأزهر لحمتها وسداها . وجدير بالأزهر إذا أراد إحياء لذلك المجد الأثيل أن يعود سيرته الاولى من حيث الكفاح والزعامة وأن تتمثل فيه كل المثل العليا التى بسطنا القليل منها فيما تقدم . وبذلك يستطيع أن يلهم الناس دينهم خالصا نقيا . بل خليق به بعد ذلك — إذا أراد أن يكون فى الرأس — أن يتصل اتصالا وثيقا بالحركات الاجتماعية التى تدب بين المصريين . وقد بينا كيف كانت رسالة الأزهر دائما مزدوجة: فهى دينية من ناحية وهى اجتماعية من ناحية أخرى . ذلك بان الاسلام كما أسلفنا دين يجمع بين العقائد والشرائع ، يسعى لخير الجماعة فى شتى الصور ويؤلف بين خلق الفرد خاصة وبين الامة بوجه عام

لقد كان اهتمام الأزهر بالحركات الاجتماعية فى مصر وحدبه عليها أساسا لزعامته التى ظل الجميع يعترفون بها حتى أواخر القرن التاسع عشر . وفى اليوم الذى يعتزل الأزهر فيه الحياة العامة يضحى بكثير من سلطانه الذى كفله الدين نفسه ، والذى عنى له المصريون خلال الاحداث التى اكتظ بها تاريخهم الطويل الحافل . ويعتزل الازهر الحياة العامة إذا هو اطمأن إلى القيود التى تعوق التقدم، فان ذلك لا يتفق مع روح الاسلام نفسه . ومصر — ككل جزء من أجزاء الارض — ما زالت تنشد الايمان والخير والحرية . لكن المصريين إذ يتشبثون بتلك المبادىء يتلفتون ذات اليمين وذات اليسار يريدون أن يجدوا ملجأ يطمئنون اليه ويعتصمون به ، ونحن المصريين نربأ بنفوسنا أن نجنح إلى مبادىء الغرب فنتخذ من حضارته وحدها نبراسا . ونحن نشفق أن يطوح الهوى بالمصريين فيقصى جلتهم

عما يمليه عليهم الدين وما تجود لهم به تقاليد الاسلام . والأزهر فى القيام بذلك محط الآمال ومطمح الانظار . فهو الذى سوف يعيدنا إلى حظـيرة الدين وهو الذى سوف يبعث الطمأنينة والرضى إلى نفوسنا الجزوعة الملوعة . وهو الذى سوف يلائم بين مبادىء الاسلام السامية وبين مقتضيات العصر الحاضر . فاذا هو ساهم فى حياة مصر العامة استعاد تلك الزعامة الروحية التى صاحبته زمنا غير وجيز ، وكسب ثقة الجماهير التى توشك أن تتزعزع .

(٤) التقدم المادى والتقدم الروحى

لقد كان تقدم المصريين فى السنوات العشرين الماضية أسرع بكثير من تقدم الازهر . فنى كل ناحية من نواحى الحياة تولدت قوة تدفع بالمصرى إلى الامام . فى الصناعة قام « بنك مصر » وشركاته بعبء فادح . وفى الزراعة أدت الجمعية الزراعية الملكية واجبا خطيرا . وفى العلوم أنشئت الجامعة المصرية فكان انشاؤها مبدأ لعصر زاهر ، وقد دفعتنا كل تلك المنشآت فى طريق التقدم المادى ، ونخشى أن تكون قد وهنت العلاقة بين الازهر وبين الناس حتى أصبح يزور عنه الكثير ، ويحسب الكثير شططا انه عائق للتقدم . ولكن رسالة الازهر يجب أن تدوى فى آذان أولئك وهؤلاء ، فان التقدم المادى إذا لم يصحبه التقدم الروحى انتهى إلى ما هو شر من التأخر . وقد بينا أن طبيعة الأزهر وتاريخه كان كلاهما عاملين من عوامل التقدم فى مصر . وقد وضحنا أن الدين نفسه ينظر إلى الأمام ويرغب فيما هو خـير وأبقى .

لجدير بالأزهر إذن أن يساهم فى كل نواحى الحياة المصرية . وأن يكون ـ كما كان فى القرن التاسع عشر ـ قوة دافعة تستمد من قوة الدين . والحق إن زعامة الأزهر لنواحى النشاط فى مصر سوف تنتج خيراً شاملا . ذلك لأن التقدم المادى ينتهى دائما بكفاح يخلو من المثل الأعلى . و كل كفاح يخلو من المثل العليا يؤدى حتما إلى الفناء ، كالنار تأكل نفسها . وقد تقنعنا نظرة عجلى الى تاريخ أوربا بكل ذلك ، فقد تناست ممالكها في نزاعها بعضها مع البعض كل المثل العليا التى جاء بها دينها . وهى لا تزال تتناساها الى اليوم فى نزاعهـا مع القارات الاخرى

ونحن نشفق أن يؤدى بنا التقدم المادى إلى ما وصلت اليه أوروبا ونضن بانفسنا ونحن أمة أن يكافح بعضنا بعضا وأن نذوق ألوان العذاب فى سبيل المادة . ونحن نشفق على الدولة وما يحيط بها من سلطان أن تتحيفها مبادىء الهدم وأن تأخذ منها معاول الفناء . ونحن نخشى - إن نحن تقدمنا ماديا ولم نعن بمبادىء الروح - أن نجد أنفسنا وقد انقلبنا أعداء وقد كنا بنعمة الله اخوانا . وقد وقع كل ذلك لممالك قبلنا . وما أظن إلا أن الروسيا أقرب مثل يواتينا فى معرض حديثنا . وسوف نعود إلى تفصيل ذلك فيما بعـــد ، وقد حوى الاسلام فى أصوله مبادىء التقدم نفسها ، فعلى الأزهر أن يحى تلك الأصول . نحن نرجو أن تقوم حركة واسعة بقيادة الأزهر تنفخ فى الحكومة والدولة والمجتمع روح الاسلام .

(٥) روح الاسلام والتقدم

وأى مبدأ ذلك الذى يسرى في أصول ديننا وفي تاريخه الطويل ؟ نحس باننا فى حاجة إلى تبيان تلك الروح التى سوف نتكلم عنها خلال حديثنا . لو استطعنا أن نضم أصول الدين فى كلمة أو كلمتين لقلنا إنه يتمثل فى التأليف والانسجام . ذلك بأن للافراد والجماعات رغبات وأطماعا تملي عليهم مذاهبهم التى يقومون دونها مجاهدين . واذا نحن استعرضنا أمامنا تاريخ البشر رأينا كل عصر من عصوره يمتاز بمذهب من تلك المذاهب . بدأت أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد بمبدأ حرية الفرد ، وقامت روما تدعو الى النظام بما يتطلبه من شدة وعنف ، ثم جاءت العصور الوسطى فكانت الوحدة فى الدين غاية الفرد والجماعة ، ولما تصرمت هذه وجاء عصر النهضة قامت الممالك تنصب علي رءوسها ملوكا ، فضم الملك سلطة الشعب بين يديه . وحينما انقلبت الشعوب علي الملوك قامت الثورات بما مجدت من حقوق الشعب . ولم نزل حتى رأينا مبدأ القوميات يعلو فى الافق السياسى . وما زال مبدأ القوميات شغل الدولة الشاغل لاننا لم نصل بعد إلى تحقيق المذهب العالمى . وإنما نرجو أن يتحقق . وكل هـــذه المذاهب قامت للظروف التاريخية التى أحاطت بكل مملكة من الممالك ، ولكنهـــا كانت نتيجة لاطماع الأفراد ولعقلية الجماعات .

على انه قد ولد كل مبدأ من المبادىء وهو يحمل فى صميمه عوامل فنائه ، ولقد كان الاثينيون يشيدون بذكر الحرية حينما حوت أثينا أكثر من مائة الف من الرقيق . وقد انتهت الحرية الاثينية إلى نوع من الاباحية المدمرة . وانقلب النظام الرومانى إلى ظلم ، وانتجت وحدة الدين فى العصور الوسطى تلك الهوة السحيقة بين الشرق والغرب ، وانتهت بالحروب الصليبية بين الاسلام والمسيحية ، واعتقد الناس إبان النهضة أن سلطة الملوك وهبت لهم من عندالله فاعتسف الملوك فى حكوماتهم . وانتجت الثورة المذاهب الديمقراطية التى حط من قدرها عقل الجماعة . أما القومية فما زالت حتى أصبحت معتدية جائرة حتى في عصرنا الحاضر وقد خلف كل مذهب من هذه أصولا ما زال لها وزن فى الشرائع والقوانين ولكن التمادى في الاخذ بكل مذهب على حدة والاسراف فى الاقتناع به والنفور إلى الذود عنه . كل ذلك كان لعلة فى انقلابه

ان التوفيق بين خير ما تخلف من كل تلك المبادىء من شأن المشرع المقنن . لكن المشرع لايستطيع أكثر من أن يثبت قانونا . ولا يكون القانون جديرا باسمه ان لم يلق الطاعة من جانب الناس ، وما دامت الطاعة لاتنشأ في نفس الانسان إلا بالاقتناع فهى إذن صفة نكتسبها من الدين . وعلى ذلك فوظيفة الدين هى التأليف بين خير تلك المذاهب وأنبل منتجاتها . وإذا أثبت التاريخ ان الأفراط كان أساس تدهور المبادىء مهما كانت نبيلة فجدير بنا أن نعتدل فى الأخذ بها . ونحسب ان الأسلام بما حوى من أحكام ضمين بأن يتألف كل تلك المذاهب على ألا ينتقص أحدها من الآخر . وقد كفل الأسلام الحرية بما رفع من مقام الانسان ، والنظام بما أتى من أحكام الشرع . وجعل طاعة الله ورسوله وأولى الأمر واجبات نقوم بها ونحن راضون . وبذل النصح لأولى الأمر بأن يترفقوا بالناس . ثم انه قد جعل الناس كلهم اخوة فكان خير الناس عند الله اتقاهم ، فضمن بذلك حق العامة أمام الخاصة كل هذا أتى به الاسلام ونزله مبادىء دستورية يستطيع الفقهاء ان يلائموا بينها في بيئاتهم . وبذلك كفل للانسان أن يتقدم دائما . ولسنا نرى تقدما أرشد من هذا الذى يقوم على مثل هذه المبادىء . على ان التوفيق بينها أجمعين كان دائما أس التقدم عند دول الاسلام

يقول النفسيون ان الانسان لايبلغ حـــدا من الكمال إلا إذا وازن بين القوى والملكات التى يكسبها وقد ذهب إلى ذلك افلاطون ،وقال مثل ذلك قوم آخرون قبل ان يدرس علم النفس . لكن التوازن بين قوى الانسان وملكاته أصبح حقيقة علمية فى العصر الحديث . وينشأ كثير من أنواع الجنون إذا اختل هذا التوازن . بل نحسب ان الانسجام محبب إلى النفس من الوجهة الجمالية . وقد حاول كثير من الفلاسفة - وقد كانوا موفقين - ان يبحثوا فى مثل هذا التوازن فى المجتمع . ويحدث جنون الفرد إذا هو أفرط فى الأخذ بفكرة من الأفكار أو خيال من خيالاته . وهكذا يحدث جنون الجماعة إذا هى أخذت بمبدأ واحد تمادت فيه - مهما كان هذا المبدأ سليما - وما أظن الا ان الاسلام كفيل بأن يؤلف بين كل تلك المبادىء فيرسل الانسجام فيها ارسالا .

(٦) رسالة الأزهر الى العامة

ولكن ماهى الوسائل التى يتخذها الأزهر حتى يبذل للجماهير الدين خالصا ، وحتى يقرب بين أبنائه وبين الجماعة فى مصر . إن أول مايعنينا فى هذا السبيل هو القضاء على البدع والضلالات التى سرت إلى الدين وتسربلت بسرباله ثم شاعت بين العامة حتى غم عليهم فاختلط الخبيث بالطيب والحق بالباطل . ولقد أساء كل ذلك إلى الدين أكثر من أى شىء آخر . وما نحسب أننا فى حاجة إلى تعداد تلك الترهات . فى جنائز العامة وفى أفراحهم ، وفي صحتهم وفى مرضهم ، وفى كل ناحية من حياتهم المعاشية عادات ورثوا بعضها عن أسلافهم الأوائل وعقائد أقحمها الجهلاء إقحاما في جسم الدين . ويحسب العامة كل هذه من الدين ويدبر الخاصة عن الدين لأنهم يحسبون أنها كل الدين . فنحن نرى لزاما على الأزهر والمتخرجين فيه أن يجودوا بالوعظ والأرشاد لأولئك وهؤلاء ، فيردوا العامة إلى الصواب ويوجهوا الخاصة وجهات التقدم التى أسلفنا الحديث عنها .

على أن الوعظ فى مصر يجب أن يتخذ وسائل عامة تكون أكثر شيوعا مما نعلمه الآن منها . وتقوم الدعاوة فى العصر الحديث على وسائل شتى أنتجها العلم . ولعل الصحف والراديو والسينما هى خير تلك الوسائل وأوسعها ذيوعا . والأزهر

إذا أراد أن يدعو الناس عامة إلى مبادىء الدين الحنيف لخليق به أن يتخذ من هذه الوسائل الثلاث وسائط بينه وبين الجماهير . هذا إلى أن مثل هذه يمكن أن يأخذ هو بجماعها بين يديه فيكون هو المشرف على تحرير صحافته ويكون هو المشرف كذلك على محاضرات الدين التى تلقى على متن الأثير وعلى قصص الأخلاق التى تشعها الشاشة البيضاء . فيندس نور الدين فى الأركان المظلمة التى تنمو فيها الجرائم والشرور .

وينقاد العامة فى مصر الآن إلى نوع من الزعماء الدينيين لانخال الكثرة منهم إلا مرتزقة يستغلون أوهام العامة ويعيشون بخيالهم الساذج : قوم اختلقوا لأنفسهم أسماء وتفرقوا شيعا وطوائف ، ينصب القوى منهم نفسه رأسا على الباقين فيتخذونه وليا من دون الله ، ويتبرك الأطفال والعجزة بأطراف ثيابه ويشرب المرضى ماء وضوئه سائغا !! ويضرب الكثير من هؤلاء فى القرى والدساكر يتخذون لهم شيعة قد تربو بعض أحيان على الآلاف وتأتمر العامة بأوامرهم وتنتهى بنواهيهم . والكثير من هؤلاء بقية غير صالحة من الدراويش الأتراك الذين استغلوا الغرائز الدنيا عند الانسان ووصلوها بالدين . فهم يقومون بحركات شبيهة بالرقص وهم يوقعون على المزمار والأرغول وهم يصعدون الآهات والأنات ذاكرين اسم الله، والله منهم براء .

تلك هى الزعامات الدينية التى تغلغلت بين العمال والمزارعين . فاذا استطاع الأزهر أن ينظمها كان فى ذلك الخير كل الخير . فما لهذا تنزل الاسلام ! والعقائد إذا قامت على تلك النواحى الضعيفة من حياة الانسان كانت مزعزعة تعصف بها ريح الشك . ونحسب أن تنظيم هذه الزعامات الدينية لايقع إلا إذا استطاع الأزهر أن يوحدها جميعا وأن يضرب بقوة على أيدى هؤلاء . ولا نظن أن الحكومة تقصر عن مظاهرة الأزهر فى مثل هذا الاصلاح . لجدير بسلطة التشريع أن تكفل للأزهريين المستنيرين أن يكونوا هم وحدهم الوعاظ والمرشدين . فتحول بذلك دون المرتزقة ممن يستغلون أحلام العامة ، وتقضى على تلك البدع التى رانت على أفئدة قوم ونفرت قلوب آخرين .

(٧) الأزهر وحرية الرأى

أما الوسيلة الثانية التى نراها كفيلة بأن ترهف الشعور الدينى فى المجتمع المصرى فهى حرية الرأى . وقد أصبحت الحرية مبدأ على قدمه يحكم الشرائع ويملي العدل والحق علي القضاة والمشرعين . وقد كفل الاسلام حرية الفكر وهو مايزال فى مهده الأول وقد نزلت سورة كريمة فى ذلك فقد جاء فى الذكر الحكيم : « بسم الله الرحمن الرحيم . قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ماتعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ماعبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين » ، وبذلك اختط الاسلام نهجاً واضحاً لحرية العقيدة . بل إن تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم صفحة من الجهاد فى سبيل تلك الحرية . ولولا ذلك لمااستطاع أن يحطم تلك الأغلال التى وجد العرب آباءهم يتقيدون بها طوعاً . ولقد قدر الاسلام تلك الحرية تقديراً فى حياة النبى نفسه حتى لقد أمر الله المسلمين بالقتال فى سبيل الذود عنها إذا اعتدى عليها المعتدون . وقد كانت هذه الفكرة السامية عن الحرية هى التى شدت أزر النبي وثبتت جنانه فى كفاحه مع قريش . وهى بعد ذلك التى نشرت دعوة الاسلام إلى سائر الأقطار وكفلت للمغلوبين حرية العقيدة .

بل لقد كان للحرية الفكرية سابقة سايرت نشأة العلوم فى الاسلام . ولن ينمو العلم ولن يزدهر حتى يغرس فى جو صالح من الحرية . وكذلك فتحت تلك الحرية للمسلمين باب الاجتهاد . فقام الأئمة ينتجون تلك الثقافة الفقهية الذاخرة ، التى يفيض بها كتب الشرع . وقد امتازت هذه الحرية الفكرية منذ المبدأ بأنها كانت تخلو من الحقد والضغينة . وقد جاء فى القرآن الكريم : « ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » . وكذلك تسامت الحرية حتى انضمت إلى أصول الدين الأولى وعاشت المذاهب في جنحها جنبا إلى جنب : كلها وجهات نظر شتى تستمد أصولها من القرآن والسنة . ولم تنقلب هذه المذاهب شراً إلا حينما أفسدتها أطماع السياسة والحرب . فكانت ذرائع للشحناء والبغضاء واستغل بذلك الدين فى غير ماوضع له .

والعالم اليوم يقدر حرية العلم لأنه يراها شعبة من الحرية السياسية التى كفلها

القانون فى حدوده . فنحن إذ نأخذ بحرية الفكر نرجع إلى أصل من أصول الاسلام ونساير عنصراً هاما من عناصر القانون فى العصر الحديث . هذا إلى أن الأزهر فى تاريخه الطويل سار فى دراسته على طريقة كانت كفيلة بأن تشجع الاجتهاد وأن تحوط حرية العقيدة بسياج من الجلال . وقد أتى على الأزهر حين من الدهر كان طلاب العلم يجلسون فيه إلى شيوخهم فى حلقات ينتقلون من الواحدة إلى الأخرى فى غير تقيد بالمظاهر . وكان الأزهريون شيوخاً وطلاباً مولعين بالنقاش والمحاجة ،وكانت مناقشاتهم -على ما كان يعتورها بعض أحيان من لجاج - تمتاز بالدقة التى نتجت عن المنطق المدرسى القديم . ويبشر بمثل هذه الطريقة المربون فى العصر الحديث فى أوروبا. ويذهب الكثير منهم (مثل برتراند رسل) إلى أن الوسيلة المثلى للتربية الجامعية يجب أن تضمن للطلاب الحرية فى المناقشة ابتغاء الحق . ويصبح التعليم بغير ذلك شكلياً محضاً يفرض على الطالب فرضا من غير أن يرى فى نفسه رغبة ولا ميلا إليه . وإذن لخليق بالأزهر أن يأخذ بفكرة الحلقات مهذبة ويجعلها قوام الدرس فى مختلف طبقاته . فيكون البحث الشخصى هو معيار التقدم في دروس الدين ويفتح بذلك باب الاجتهاد على مصراعيه،فتحيا تقاليد الاسلام التى تنشأ عليها والتى اتبعها فى عصوره الاولى .

إن شر ما يشوب التعليم الجامعى فى العصر الحديث نقيصتان : أولاهما شكلية التعليم وثانيتهما عدم الدقة . ولسنا نرى علاجا لهما إلا فى الأخذ بحرية الفكر ، فاذا كانت وسيلة هذه الحرية تقليداً من تقاليد الأزهر فأحر بنا أن نتبعه حتى يصبح قاعدة لها سلطان على سائر المعاهد . بل حرى ألا يعنى الأزهريون عناية خاصة بتلك النظم المفتعلة التى يفتننا بهرجها . ونرجو أن لاتكون إجازات الدراسة غايات ليسعى إليها الأزهريون لأن هذه قد أماتت الذكاء فى المعاهد الأخرى وهى التى خلقت الشكلية التى قد برم بها كتاب الغرب . هذا إلى أن الحوار كفيل بأن يقيد الانسان بحدود تلزمه الدقة فى البحث والتحرى عن كل ما يقول وكل مايخطر له .

وخليق بالأزهر بعد ذلك ألا يتهيب سلطان العلم . وخليق بتلك الحرية الفكرية التى ندعو إليها أن تشمل العلم كما تشمل الدين . وقديما رمى الازهريون بالتعصب لأنهم أعرضوا عن منتجات العلم ولأنهم نزلوا عن أبسط أصوله فى

دراساتهم . فاذا ساهم الازهر مع المعاهد الأخرى فى البحث العلمى ساير ناحية جليلة من نواحى التقدم في مصر وكسب ثقة المجتمع الذى يعيش فيه . وما أحسب أننا فى حاجة إلى التدليل على أثر العلوم فى الدولة الحديثة . فنحن نعيش فى عصر يحكم العلم فيه أقل حاجاتنا وأجلها . ونحن فى غدونا ورواحنا ، وفى حركتنا وسكوننا ، نرتطم بنظم حاكها العلم . فى الاقتصاد نتقيد بالقواعد والقوانين التى يمليها علينا الماليون والخبراء . وفى التشريع نخضع لما يثبته العلماء المشرعون . وفى الادب نخشى سطوة النقاد والنفسيين ـ وقل مثل ذلك فى أدق شئون الحياة : فى المصنع والحقل والطريق والمنزل والبر والبحر ـ فالازهر إذن سوف يشجع ذلك البحث العلمى الذى لا نستغنى عنه . ومثل تلك البحوث تساعدنا على معاشنا ، ولا نظن الشارع يحرمها . وقديما كان التقدم العلمى ثمرة من ثمرات الاسلام ، وحسبنا دليلا على ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال : « تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله قربة » .

على أن الازهر من ناحية أخرى يجب أن يقف دائما بين العلم والدين فهو عامل مخفف يلائم بينهما . ذلك بأن العلم إذا اشتط أنتج نتيجة باهظة . والدولة إذا قامت على أسس علمية من غير أن تعنى بعواطف الانسان كان مصيرها الفوضى . إن تنظيم الدولة علمياً لايستقيم إلا إذا لقيت طاعة من جانب الحكومة والطاعة شيء يمت بسبب وثيق إلى العاطفة والوجدان . وتهذيب العاطفة والوجدان شيء يختص بالدين . وإذن فالدولة لايمكن أن تكون دولة إلا إذا استطاعت أن ترضى النواحى الدينية فى نفس الانسان كما ترضى نواحيه العلمية والعقلية . والدين إذن لازم للعلم لزوم العلم لنا . والأزهر إذا تزعم المصريين فى حلبة العلم استطاع أن يدرأ عنهم مثل ذلك الاشتطاط العلمى الذى يجحد الاصول الأولى للنفس الانسانية . ولن يستطيع أن يقوم بذلك حتى يفرق بين عناصر العلم فيميز بين الحميد والكريه . ويشجع العناصر التى تتمشى مع أصول الدين ويقضى على العناصر الخبيثة التى تؤول إلى الفناء .

تلك عندنا إذن رسالة الأزهر فى مصر . نرجو أن نكون قد بسطناها في إيجاز ، وإذا نحن ألقينا نظرة عجلى على ماقدمنا تخيلنا الأزهر وهو يحاول أن يبشر

بالاسلام . وأن يسير بالناس إلى الأمام دائما : يحفزهم الدين الحنيف وأصوله الأولى التى أسهبنا فى الكلام عنها . فهو يحاول أن يخلق حالة من التوازن بين أنواع النشاط فى مصر ،وقدأسلفنا أن هذا هو أساس التقدم فى الاسلام . فعلى الأزهر أن يختط طريقا وسطا بين حدى التفريط والافراط وأن يوفق بين التعصب وحرية الفكر وأن يلائم بين النظام والحرية وبين العلم والدين وبين القديم والحديث . هذا وعليه أن يؤلف بين قلوب العامة والخاصة . ونحسب أن هذه الحالة من توازن الأفكار والقوى هى الحالة المثلية التى يرجوها المشرعون والفلاسفة . ومانظن أن دستوراً أفلح إلا بهذا التوازن الذى يتألف الأضداد ويكافىء بينها . وهذا التكافؤ وحده هو الذى يضمن لنا تقدما مطردا فى مختلف غايات الحياة . ومانحسب أن أمة أفرطت فى الأخذ بمبدأ واحد إلا كان مصيرها الفوضى . وقديماً أساءت الحرية إلى أثينا حتى انقلبت شراً مستطيراً - وكذلك قل عن النظام فى روما وعن التعصب في العصور الوسطى وعن الارستقراطية فى فرنسا قبل الثورة وعن العلم في العصر الحديث . وأمة تستطيع أن توازن بين كل تلك القوى جديربها أن تبلغ حداً من الكمال . ويمتاز الدستور الانجليزى بشىء من ذلك التكافؤ صحبه منذ أقدم العصور وكان هو السر فى نمائه . فليت الأزهر يخلق عندنا مثل تلك الحالة من التوازن فيسكن إليها الأفراد والجماعات ويجدون فيها كلا الهدى والرضى !!

لو أن الأزهر قام بكل تلك الاعباء التى فصلنا لوصل مابينه وبين المجتمع المصرى ولأصبح كما كان مركزاً لحركة فكرية سامية . ومانخال إلا أنه سوف يجمع حول الدين مدرسة من مدارس الفكر تلاحى عنه وتقوم دونه . ويتحلل بذلك من ذلك الطابع الشكلى الذى يكاد يجعله معهداً من معاهد الحكومة . وقد رأينا أن مثل هذه المدرسةسوف تشمل العامة والخاصة على السواء . ومثل ذلك يخلق مبادىء تسيطر على نفوس الناس وتجمتع فيها المثل العليا فى الاسلام وليس هذا إلا سبيل التقدم .

على أن الأزهر إذا استطاع أن ينشيء في مصر مدرسة مثل هذه من مدارس الفكر تقود المستنيرين إلى مثل الاسلام العليا وإذا استطاع أن يغذى المصريين بما تهفو نفوسهم إليه من الهدى والرضى، فان عليه أن ينثنى إلى العالم بأجمعه فيرسل فى أنحائه تلك المبادىء ساطعة ناصعة ليهتدى بهديها أولئك المتشككة من أهل الغرب ويجد فيها الكافة منهم تلك الطمأنينة التى مازال ينشدها الجميع. قد يكون هذا العبء ثقيلا وقد ينوء به معهد واحد ولكننا نضرب بنظراتنا فى المستقبل البعيد فنرى أن الغرب ما زال فى حاجة إلى الشرق. وقد كان الشرق دائماً مبعث الدين واليقين وما نظن إلا أنه سوف يؤدى هذه الرســالة مرة أخرى، وقد تنزل الاسلام للناس كافة فعلى الأزهر إذن أن ينشر رسالته بينهم أجمعين وأن يجاهد فى سبيل ذلك في فى نهضته هذه كما جاهد مرات خلال تاريخه الطويل

ويقف العالم اليوم فى مفترق من الطرق يكاد الشك يتحيف اليقين والباطل يزهق الحق، ففى أوروبا اليوم مذاهب تكاد تأتى علي الأخضر واليابس مما أنتجته الحضارة، والعالم مشبع بمذاهب تلاحى عنها جماعات كل منها تسرف فيما تذهب إليه وقد يعلو بعض تلك المــذاهب فى قوم حتى تبلغ حد المثل الاعلى وقد تنحط هى نفسها عند آخرين حتى يكون ذكرها وحده إثما وعدوانا. علي ان هذا التمادى ان هو إلا نتيجة من نتائج الحضارة التى اتصلت بنهضة أوروبا الصناعية منذ القرن التاسع عشر فأصبح العالم كله يعج بالتفكير فى المادة دون الروح ويتلفت المصلحون فى أوروبا اليوم فلا يجدون خلاصا مما هم فيه إلا باعتناق دين جديد ينتج حالة من التوازن يطمئن لها الجميع. وما نظن الا أن الاسلام سوف يكون له أثر عميق فى نفوس الغربيين ونظمهم لو أنه نال حظا من الدعاوة بحيث يقنعهم بمبادئه ويبذل لهم من أصوله وينير لهم الطريق نحو مثله الاعلى

لقد حاولت المسيحية أن تنفذ إلى قلوب أهل الغرب، لكن المسيحية نفسها نبذته خلال النزاعات التى قامت فى سبيل المادة. والأمم التى كان يبشر بالحب والسلام قسيسوها فى كنائسهم لم يكن يتورع أفرادها عن أن يقترفوا أدنأ الآثام في سبيل

استعباد الآلاف من الأمم الأخرى . وكانت مصالح الأفراد الخاصة تمـــلى على المستعمرين سـياستهم فقد كان يملك هؤلاء سـندات الشركات وأسهمها فكانوا يحبذون الحرب ويشجعون الفتح . وقد تناست تلك الأمم المسيحية تعاليم المسيحية وأصبحت أصول الدين الأولى ستارا للسعى وراء المادة وانقلبت آية الوطنية إلى ماهو شر من الوحشية . وعبثا حاول المصلحون أن يربطوا العالم بأجمعه برباط دينى مقدس فقد أخفقت تلك المحاولات

فى سـنة ١٨١٤ قام الاسكندر الأول امبراطور الروسيا يضع حلفا مقدسا تخضع الأمم لنصوصه . وكان العالم قد أنهكته حروب نابليون وكان يريد الجميع ان يتشبثوا ببقية باقية من الحياة الروحية التى كادت تذهب هباء . لكن الحلف المقدس الذى تواضعت عليه الأمم المسيحية ولد ميتاً . وقد قال عنه لورد كاسلريه ممثل انجلترة وهو يسخر إنه خليط من اللغو والتصوف . وعلى ذلك فلم تكن أوروبا جادة فى الأخذ بمبادىء الدين . بل لقد كان النفاق يتجلى فى السنة بعد السنة حتى ابتكرت معاهد ترجع بالانسان إلى أصول الدين وتبرر في نفس الوقت كل الجرائم التى اجترحت ضد الدين .وما عصبة الأمم فى يومنا هذا إلا مثلا من أمثلة هذه المعاهد

لقد كان فشل الحلف المقدس فشلا للمسيحية نفسها فقد ذهب السياسيون بعد ذلك إلى الحد الأقصى من التعسف والاشتطاط . وقام «دارون» يفصل نظرياته فاتخذ السياسيون منها مبررا إذ بشروا بالحرب والخديعة قائلين ان البقاء للأصلح وإن الحرب نفسها ماهى إلا صورة للكفاح الذى يقع بين عناصر الطبيعة فى سبيل البقاء . وانقاد الناس وراء تلك النظريات انقياد الأعمى . وكانت النتيجة فشلا ذريعا لمبادىء التعاون والسلام

ولكن أوروبا نفسها دفعت الثمن باهظا لكل ما أسلفنا. فلقد أصبحت مرجلا تغلي فيه المبادىء والثورات . وكأنما تلفتت لتجد نفسها بعد الحرب العظمى على كف عفريت لاتستقر على حال.وهذا الكفاح الذى سلم به السياسيون والفلاسفة قد امتد حتى أصبح اليوم شديدا بين الطبقات أولا وبين الأمم ثانيا . وانتج هذان النوعان من الكفاح الشيوعية بما تحتويه من جحود صريح للدين والقومية الهدامة

بما جاءت به من نكران لمبادىء التعاون الدولى . وقد أصبحت الشيوعية نفسها الآن دينا يعرقل المسيحية ويكاد يضعضعها فى بلادها . وأصبح قبر لينين مقدساً يحج إليه العامة من كل صوب فى الروسيا بل لقد أصبحت الدولة فى بلاد كايطاليا وألمانيا معبودة من دون الله ، وفى سبيل تلك التقاليد القومية العنيفة اضطهدت المسيحية وحلت محلها الفاشية والنازية .

وقد كان الكفاح فى سبيل المادة هو الأساس لكل ما وصل اليه الفرد والدولة من انكار الدين . وقد جر انكار الدين فى ذيوله انكاراً لكل ما أتى به من مثل عليا . وحسبنا ان نستعيد هنا ما قاله الزعيم غاندى فى ذلك وهو من أشد الناس انتصارا للمبادىء الروحية السامية ومن أحدهم نقمة علي كل مايتصل بالمادة: «لا تمثل أوروبا اليوم روح الله ولا روح المسيحية وإنما تمثل روح الشيطان . وانما يفلح الشيطان أكثر مايفلح حينما تلوك شفتاه اسم الله . ان أوروبا اليوم مسيحية بالاسم لا إله عندها إلا إله المال . . . »

« ولقد أبانت الحرب الأخيرة فى أجلى صورة هذه الطبيعة الشيطانية التى تمس الحضارة المسيطرة علي أوروبا . فباسم الفضيلة قد استباح الغالبون كل قاعدة من قواعد الخلق العام . وباسم الفضيلة أيضا لم يتورع هؤلاء من أن يجترحوا أسفل الكذبات . علي أن الباعث على كل اثم من تلك الآثام لم يكن لا الدين ولا الروح وإنما كانت المادة فى أبشع صورها » .

ولم يكن غاندى وحده من الساخطين على تلك المادية التى استباحت الدين وإنما شعر بذلك المصلحون الأوروبيون أنفسهم فبشروا بنهضة في المسيحية تحاول تنصير أوروبا من جديد . ولكن لم تتعد اصلاحاتهم حد المظاهر والصور وكانت العلاجات التى ابتكروها لا تكاد تنفذ إلى خبيئة النفس . ونحن لا نؤمن مع تاجور شاعر الهند بذلك العلاج الذى يفرض على الناس فرضا بل نحن نؤمن بالآية الكريمة « لا يغير الله مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فيجب ان تتغير عقلية الأوروبيين وإحساسهم حتى يطمئنوا إلى عقيدة جديدة تؤمن بتلك العلاقات التى يلزمنا المجتمع اياهـا ويجب ان يخلص الأيمان من كل العلاقات التى تحط من معنويته فى نفس المؤمن . وقد كان شر مازعزعه فى قلوب الأوروبيين انه اتصل

اتصالا وثيقا بحياتهم المادية فأصبح ذريعة يتخذونها فى جهادهم المادى . خذ مثلا مبدأ الرحمة الذى نزل به المسيح عليه السلام . ان الأوروبيين يؤمنون بالرحمة فيما يختص بالضعفاء منهم والمعوزين . لكنهم فى مواجهة الشعوب الشرقية انقلبت الرحمة فى نظرهم الى الضد منها . فقد حسبت الجماهير المفتونة ان فتح البلاد المتأخرة واستغلال أرضها هو نفسه إحدى نواحي الرحمة . ولسنا ننسى ان سياسيين من الأنجليز ادعوا مثل ذلك عن مصر حينما ذهبوا إلى ان مصر وانجلترا قد ارتبطتا برباط من عند الله وأن ماوصله الله لايستطيع ان يفصمه البشر

(٩) الأزهر والدعاوة العالمية

ماهى رسالة الأزهر والظروف المادية محيطة بنا كما ترى ؟ان على الأزهر أولا أن يضع نفسه درعا بين الأسلام وبين مثل تلك المبادىء الخربة التى أدت بأوروبا إلى هذا الجحود . وقد أسلفنا الكلام عن الوسائل التى يمكن بها أن يغرس العقيدة الدينية فى نفوس الناس بمصر وإذا نحن أفلحنا فى ذلك فسوف تتكسر موجات المادية من غير أن تحدث سوءا فى عقائدنا . ونحن نرى ذلك فى أمم الأسلام فى العصر الحديث . فأما عن الشيوعية فقد فشلت فشلا تاما حيث كان الأسلام : لا لأن الحكومات نفسها قد صدتها بل لأن الشيوعية والأسلام ضدان لايأتلفان . ولأن فى أمم الأسلام بقية من التوازن الذى حفظ العامة عن أن ينفسوا على ذوى اليسار منهم وارتق بذوى اليسار عن أن ينقموا على ذوى المتربة ،بل ونحن نرى أن مبادىء القومية العنيفة التى تتمثل فى المانيا وايطاليا لاتستقيم مع روح الاسلام . وقد امتاز الاسلام منذ اللحظة التى تنزل فيها بتلك النظرة العالية التى حببته الى قلوب الناس كافة

ثم ان على الأزهر ان يغير من عقائد هؤلاء القوم مثل مايغيرها بالمصريين أنفسهم ولقد أعرض هؤلاء عن الاسلام لأنهم لم يعرفوه وتطير بعضهم به للدعاوة السيئة التى أطلقت ألسنة الكتاب منهم عن جهالة . وفى كتابات رينان وهانوتو يرى المسلم كيف تقلب الحقائق وكيف تمسخ حوادث التاريخ . ولم يكن هانوتو يحسب المسلمين إلا دراويش كسالى يتكئون على الأرائك ويملون على الخلفاء الأتراك رغباتهم . وقليل من الغربيين الآن من لايعتقد ان المسلمين لايعبدون محمدا !

وكثير منهم قــرأ ألف ليلة وليله ولم يقرأ القرآن! ويحسب هؤلاء ان المسلم لازال يقتنى بيتا تملؤه الجوارى . ويذكر كاتب هذه السطور سيدة كانت تلقى شيئا عن الاسلام فى مؤتمر دينى فى أدنبره سنة ١٩٣٣ فألقت على السامعين أشنع مايتصوره العقل من التهم التى وجهتها ضد الاسلام. فزعمت بأن الأقباط فى مصر يعيشون فى بيوت تحت الأرض خوفا من جور المسلمين وانهم يشمون الصليب على أيديهم حتى يتعرفهم أهلوهم اذا فتك بهم المسلمون فى الطريق العام . بل لقد كان يذهب بعقولنا حينما كانت السيدة تتحدث عن ذلك في صراحة الواثق . ولم يشك فى كلامها أحد حتى قام البعض من المصريين السامعين يدحض كلامها

فلنضرب المثل لهؤلاء بأن يكون المجتمع المصرى مثلا عاليا من أمثلة النظام. فاذا استطاع الأزهر ان يخلق حوله مدرسة من مدارس الفكر يحول المصريين إلى شعب مؤمن خير كان ذلك رداً بليغا على تلك المقالات الشائنة التى يلوكها هؤلاء إفكا وبهتانا . وليس أحسن من المثل فى الاقناع . فلو أردنا أن نهدى أهل الغرب إلى الدين الحنيف فخير ان نبدأ بأنفسنا فننظم الجماعة فى مصر حسب أصوله. ثم نثنى على العالم بعد ذلك فنقنعه بجلال هذه النظم . ونستخدم فى سبيل هذا الاقناع وسائل الدعاوة المختلفة التى ابتكرها العلم الحديث

وقد أسلفنا ان الصحافة أولى هذه الوسائل لحرى بالأزهر ان يذيع الدين بين الناس بمختلف لغاتهم وأن يكون صلة بين الاسلام وبين كل صقع من الأصقاع فى الشرق والغرب . وليبدأ بالشرق أول مايبدأ حتى يستطيع ان يوحد جهوده ليغزو الغرب بعد ذلك فيذعن القليل أو الكثير ممن تولوا عن مبادىء الدين. نحن نؤمن أشد الايمان بأن الشرق سوف يمد يده مرة ثانية يحاول ان ينقذ الغرب من الحمأة التى يتردى فيها . ونحن نؤمن بأن الدين الجديد الذى يفتقده أهل الغرب إنما هو روح الاسلام : تلك الروح التى تأخذ من كل مبدأ بخير مافيه ثم تختط طريقا وسطا غير مفرطة ولا مسرفة

ان اختلاف النظم والمذاهب في قيمتها لدى الأفراد والجماعات كان السبب الأساسى فى حالة القلق التى ضربت بجرانها على العالم الغربى - فالاشتراكيون يرون ان قيمة الحياة فى النظام الاشتراكى والقوميون يرون ألا قيمة للحياة نفسها إذا

لم تشد بلادهم على كل بلد عداها وقل مثل ذلك في الديمقراطيين والفرديين وعباد العلم وعباد الثورة. ولكن سوف يطمئن أولئك وهؤلاء الى مذهب واحد يؤلف بينهم ولا نرى ذلك المذهب إلا الدين نفسه . والاسلام قيمة هذا التأليف الذى يوحد بين الجماعات . وقد قام بذلك العبء فى التاريخ الماضى فهل يستطيع الأزهر أن يحمل هذا العبء فى التاريخ الحديث ؟

(٢)
ملخص رسالة

الاستاذ عبد العزيز عبد الحق

تحدث عن ماضى الأزهر وتقاليده ، والأطوار التى مر بها ، وحالة المسلمين في الوقت الحاضر من حيث حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتطرق الى ذكر النزعات الفكرية والخلقية وغيرها التى تسود العالم بتأثير انتشار ثقافة الغرب وحضارته ، ثم أشار إلى حياة الأزهر فى نشر الفقه الشيعى فى العهد الفاطمى وكيف اتخذه الفاطميون مركزاً لدعايتهم الدينية ، وانتهى من هذا الى أن الأز... ... ن القيام بدعاية اسلامية فى العالم ، وأن رسالته فى القرن العشرين إحياء تراث ا... ... الاسلامية . والتوفيق بين الثقافة الاسلامية وما جد من التقدم العالمى فى النواحى المختلفة منذ العصور الوسطى حتى القرن العشرين لأوربا ، والعمل على الدعاية للاسلام فى مصر والعالم الاسلامى وغيره وعرض الاسلام عرضاً صحيحاً لأوربا ، والدفاع عنه بترجمة المؤلفات القيمة التى يضعها المستشرقون والمقالات التى تنشر بالمجلات الدورية الخاصة بالاسلام والتى تطبع بأوربا ، ثم الاستفادة من هذه الأبحاث والرد على ما بها من شبه ومطاعن ، وإيجاد ثقافة قومية متجانسة، ثقافة مصرية إسلامية تقوى من وحدة الأمة وتماسكها

(٣)
ملخص رسالة

الاستاذ أحمد توفيق عياد

استعرض تاريخ الأزهر منذ إنشائه فى أيام المعز لدين الله الفاطمى لنشر

الدعوة الفاطمية ثم اتخاذه وجهة جديدة في غايته بعد انتهاء الفاطميين . وتوفر علمائه - بمختلف مذاهبهم - على الحرية في البحث وعدم التعرض المعتقدات . والعمل على نشر اللغة العربية وتوطيدها وشد أزرها وتدعيم أسس الديانة الاسلامية ووقوفها تسند الاسلام بكل ما انبعثت فيها من المجهودات العقلية والروحية، ومواجهة الديانة المسيحية التي كانت تعمل ولا زالت تعمل على اغتيال الاسلام وطرده من مصر لتعود الديانة القديمة إلى أصلها ، وتيسير نظام التعليم فيه ، وتخريج المدرسين والعلماء الذين يتولون إرشاد الناس وهدايتهم

ثم أشار إلى الأطوار التي مر بها الأزهر ، وانحطاط درجة الاشتغال بالعلوم الاسلامية وانصراف علمائه إلى وضع الشروح والتفاسير على ما بين أيديهم من مؤلفات ومصنفات علماء المتقدمين ، ثم انصرافهم إلى المناقشات اللفظية التي لا تؤدى إلى نتيجة عملية لها اتصال بالحياة أو بالعالم الخارجي

وانتهى من هذا إلى أن رسالة الازهر في القرن العشرين إحياء تعاليم « أهل التجلي والكشف » الذين يتزعمهم حجة الاسلام الامام الغزالى ، ثم إحياء تعاليم أهل الوحدة « الذين يتزعمهم الفيلسوف الديني « ابن العربي » ، ثم اتصال علماء المسلمين بغيرهم اتصالا علمياً وذلك بتعرف اللغات الحية التي يكثر فيها الانتاج العلمي والتي يتناول بها العلماء مسائل الاسلام ومسائل اللغة العربية ، وأن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات ، فانها تساعد على معرفة الأسلوب الحديث في التأليف والتفكير وطريقة عرض المسائل على أنظار المتعلمين ، وبذلك يستطيع أن يبعث ماضى مصر الاسلامية من جديد وأن يجعل من الدعوة الاسلامية دعوة إنسانية عامة ، ويؤدى واجبه الحق في المحافظة على الدين الاسلامى الحنيف وصيانته من ألسنة السوء ومساعدته على التطور والارتقاء

(٤)

ملخص رسالة

المرحوم الاستاذ مصطفى صادق الرافعى

تحدث عن الازهر ومثله فى الثبات والقدم بالهرم ، وجعل من كل عالم من علمائه حجرا معنويا قام عليه بناء الأزهر ، كما قام الهرم على أحجاره المادية ، ثم

استرسل فقرر ما يأتى !

رسالة الأزهر أن يحـــدد عمل النبوة فى الشعب ، وأن ينق عمل التاريخ فى الكتب ، وأن يبطل عمل الوثنية في العادات ، وأن يعطى الأمة دينها الواضح السمح الميسر وقانونها العلمى الذى فيه سعادتها وقوتها . ولا وسيلة إلى ذلك الا أن يكون الأزهر جريئا في قيادة الحركة الروحية الاسلامية ، جريئا فى عمله لهذه القيادة ، آخذا بأسباب هذا العمل ، ملحا فى طلب هذه الاسباب ، مصرا على هذا الطلب . وكل هذا يكون عبثا إن لم يكن رجال الأزهر وطلبته أمثلة من الأمثلة القوية فى الدين والخلق والصلابة لتبدأ الحالة النفسية فيهم، فانها إن بدأت لا تقف ، والمثل الاعلى حاكم بطبيعته على الانسان ، مطاع بحكمه فيها محبوب بطاعتها له . والمادة المطهرة للدين والأخلاق لا تجدها الأمة الا فى الازهر ، فعلى الأزهر أن يثبت أن فيه تلك المادة لاظهار عملها لا بالصاق الورقة المكتوب فيها الاسم على الزجاجة ، ومن ثم يكون واجب الأزهر أن يطلب الاشراف على التعليم الاسلامى فى المدارس ، وأن يدفع الحركة الدينية دفعا بوسائل مختلفة ، أولها : أن يحمل وزارة المعارف على اقامة فرض الصلاة في جميع مدارسها ، من مدرسة حرية الفكر . . . فنازلا ، والأمة الاسلامية كلها تشد رأى الأزهر فى هذا . واذا نحن استخرجنا التفسير العملى لهذه الآية الكريمة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » دلتنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل . فما الحكمة هنا الا السياسة الاجتماعية فى العمل ، وليست الموعظـــة الحسنة الا الطريقة النفسية فى الدعوة .

العلماء ورثة الأنبياء ، وليس النبي من الأنبياء الا تاريخ شدائد ومحن ومجاهدة فى هداية الناس ؛ ومراغمة للوجـود الفاسد ، ومكابدة التصحيح للحالة النفسية للأمة ، فهذا كله هو الذى يورث عن الأنبياء ، لا العلم وتعليمه فقط

وإذا قامت رسالة الأزهر على هذه الحقائق وأصبح وجوده هو المعنى المتمم للحكومة ، المعاون لها فى ضبط الحياة النفسية للشعب وحياطتها وأمنها ورفاهتها واستقرارها ـ اتجهت طبيعته الى اداء رسالته الكبرى للقرن العشرين ، وهذه الرسالة هى بث الدعوة الاسلامية فى أوربا وأمريكا واليابان بلغات هـذه الأمم فى ألسنة أزهرية مرهفة مصقولة لها بيان الأدب ودقة العلم واحاطة الفلاسفة والهام الشعر

وبصيرة الحكمة وقدرة السياسة ، ولا ينسجم له ذلك الا بفتح باب الاجتهاد وتنقية التاريخ الفقهى وتهذيب الروح الاسلامى والسمو به عن المعانى الكلامية الجدلية السخيفة ، واستخراج أسرار القرآن الكريم ، واستفاضة الأزهر على العالم العربى بكتبه ودعاته ومبعوثيه من حاملى علمه ورسل الهامه.

(٥)

ملخص رسالة

الاستاذ عبد الله عفيفى بك

استهل رسالته بالنعى على أن مالية الأزهر الحاضرة لا تفى بما يتطلبه الأزهر فى رسالته الحديثة من جهد وذيوع ، ولهذا رأى أنه واجب على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يساهموا فى إعانة الأزهر إعانة مالية ليبلغ غايته من أداء الرسالة الاسلامية ،لأن المسلمين جميعا يعلمون أن الأزهر تراثهم الدينى ومنهلهم الروحى، وأن مصر لا تستأثر به عنهم ولا تغلق بابه دونهم ،لأنه ما من بلد من بلادهم إلا وللأزهر عليه يد بادية الأثر واضحة الخبر ، فاذا آمنوا بعد ذلك بأن الأزهر عنوان الوحدة الفكرية الاسلامية وأنه سيكون بحول الله وقوته عنوان الوحدة الروحية العالمية، فقد بذلوا له كل شيء ونزلوا له عن كل شيء، واستشهد على ذلك بأن جميع الرسالات الدينية فى بقاع الأرض إنما تقوم بأموال الأشياع والنصراء فى كل مكان ، وإذن يجب أن تساهم حكومات الاسلام فى العالم وأمارات الاسلام في الهند وجماعات الاسلام وأفراده فى كل مكان،فى رفع دعائم الأزهر العظيم وإعلاء شأنه وتمكينه من إذاعة كلمته وإبلاغ رسالته ، وهؤلاء إن فعلوا لا يبذلون براً ولا صدقة لكنها ضريبة مقدسة يؤدونها له لقاء ما يؤديه لهم وللاسلام من أعظم العون وأصدق الجهاد ، وهم بما يؤدون من هذه الضريبة إنما يشترون الكثير باليسير والجوهر الخالد بالعرض الزائل ، وفى تقديم هذه الضريبة إقرار لنفوذ الأزهر على العالم الاسلامى وتمكين له من أداء أمانته وتبليغ آيته

ثم قال : ولا يرتاب أحد فى أن للأزهر وحده الفضل كله فى صيانة هيكل الدين الاسلامى وهيكل اللغة العربية صيانة كان لها الأثر الأول فيما هما فيه الآن من نمو وسمو ، وفيما يبقيان من سيادة وسلطان وقوة واستمكان

وقد جعل لرسالة الأزهر ثلاث وسائل وثلاث غايات : جعل الوسيلة الأولى وجوب تحرير علوم الاسلام وآداب الاسلام وفلسفة الاسلام بأسلوب سافر مجلو يشرح صدور الناس للدراسة الاسلامية العاليـــة ، مما يتفق مع مزاياه فى السماحة والوضوح ، وكمال العقل وسلامة الفطرة ، ويرى من حق الأزهر أن يحرر الأدب العربى كما وجب عليه أن يحرر الدين الاسلامى ، وأن يقومه ويجلوه للناس رائعاً قوياً سائغاً مصقولا كأدب الرعيل الأول من أعلام الاسلام ، ومن أوجب الواجبات علي الأزهر فى القرن العشرين أن يكون له طراز خاص فى الأسلوب الدينى والأسلوب الأدبى ، كما كان لكل عصر طراز خاص فى هذين الأسلوبين

ويرى فى الوسيلة الثانية أن على الأزهر تيسير مصادر الدين لغير العرب من العالمين ، وهى وسيلة على خطورتها لا بد منها ، ليؤدى الأزهر أمانته ، ولاسيما وقد تأهب بالعمل علي ترجمة القرآن الكريم ، فما عمل بعد جمع القرآن أفضل من اذاعته بين الأمم القوية ، وهى الخليقة لقوتها وفتوتها وعلمها واستنارتها أن تعمل بروحه وأن تسعى الى غايته وأن تريد به ما يريده الله منه ، وليست ترجمة القرآن الكريم هى كل ما نريده من تيسير الاسلام لغير العرب في العالمين ، بل أن الذى نريده ويريده الاسلام أن تنشر الثقافة الاسلامية كلها باللغات الأجنبية صافية جلية نقية ، فان عامة الغربيين وأكثر خاصتهم لا يؤمنون بأن للاسلام أصولا راسخة ، وشريعة واضحة ، وطريقة بينة ، وثقافة عالية ، وأدبا رائعا ، وروحا قويا كريما

وجعل الوسيلة الثالثة خاصة بتكوين الأزهرى الصالح لتأدية الرسالة ، وأراد به الأزهرى الفدائى الذى يهب روحه ونفسه ، ومعناه وحسه ، وتفكيره وتدبيره ، وتصريفه وتقديره ، وجهده وقوته ، وعلانيته وسريرته ، لله رب العالمين ، علي ألا يلتحق الطالب بالكليات حتى يقسم يمين الفداء ، وذلك بأن يعطى الله عهده وموثقه أن يرصد له روحه ، وأن يديمه نفسه ، وأن يفنى فى سبيله مآربه ومطالبه ، وأن يضع حجرا في بناء الألفة والوحدة بين المسلمين ، وبذلك يشعر بعظم أمانته ، وسمو رسالته ، ونفاسة قيمته .

وكذلك يجب العمل على تكوين الأزهرية الصالحة لتأدية الرسالة ، وأن يكون لها في الأزهر حلقة خاصة للتلقى والافادة ، بل يجب أن ينشأ للنساء معهد دينى خاص

لتخريجهن ، فما وجد الدين قلبا أرق من قلب المرأة ، وسريرة أشف من سريرتها .

وأما الغايات الثلاث ، فهي : بث روح الدين في المسلمين ، وتوحيد الأواصر المذهبية والأدبية بينهم ، واذاعة دين الله في العالمين .

(٦)
ملخص رسالة

الاستاذ محمد الههياوى

تحدث عما كان عليه الأزهر فى ماضيه المضطرب بين الأخذ بعلوم الدنيا والدين ، وبين الوقوف عند علوم الدين وحدها، ومر فى كلامه بالفترات التى اعتورت الأزهر وشيوخه من حظر ما هو مباح ، وتحريم ما ليس بالمحرم من علوم الفلسفة والرياضيات والعلوم العقلية وما اليها ، واكتفائه فى بعض أدهاره على دروس الحديث والتفسير وعلم الكلام وتقسيمها على الأزمنة فى اليوم والليلة، وأبان أن رسالة الأزهر إنما هى رسالة إلى الانسانية قاطبة لا يحله منها ولا يحط عنه تكاليفها ما تعاوره من التقصير فى تحصيل وسائلها حينا والفتور عن تبليغها حينا آخر

ثم قال : فنحن لا نجد للأزهر رسالة مفلحة الا أن يتزود له كفاية الزاد من لب العلم وصفاء جوهره، ولا نحسبها بالغة أمرها الا أن يبرأ الأزهر الى نفسه من القنوع بالقشر المتبدل والعرض الزائل ، بل ليس بهذا وحده تتأتى ضمانة الفلاح ، فلا بد للعلم من حارسه ، ولا بد لحارس العلم من وعاء يحويه ومكان لايجتويه ، حارس العلم فيما نعتقد هو الخلق الفاضل فى مكانه من النفس المطمئنة وعند وعائه من القلب السليم ، واذن ففى القلوب الواعية والصدور الرحبة مستقر العلم ، وطريق العلم الى هذا المستقر عقول الناس وملكاتهم ، فاذا لم تعتد العقول بعدتها من صحة الفهم ونفوذ الادراك لم يكن الذى تعيه علما ولكنه يكون اذا طاب مذاقه مدخلا من مداخل العلم ، واذا لم تترب الملكات فى معاناة البحث وبالتمرس فى حل العقد واستنباع الزلال العذب بتفليق الحجارة عنه حتى يصبح مرانها على ذلك طبعا لها وعادة فيها لم يكن الذى تبلغه من الفهم قدرة على الفهم ولكنه يكون، اذا احسن الظن، سببا من أسباب القدرة ، فان مضى الأزهر بأبنائه في سبيل العلم وتربية الملكات ثم

وقف بهم دون هذه الغاية فقد عق نفسه وأنكر أمسه . ورمى الدين والعلم بأشباه العلماء فقالوا فى الدين والعلم بهواهم فضلوا وأضلوا ·

وعلى الأزهر بعد ذلك حق الوفاء لماضيه ، والبر بسلفه ، وللأمة عليه حق أوجب من هذا الحق ، وكلا هذين الحقين متوقف على بقاء الصلة بين الأول والآخر، ولا بقاء لهذه الصلة إلا أن يحسن الآخر فهم الأول

ويرى أن وسائل تمكين الأزهر من حسن القيام بأداء رسالته تجمل فيما يلى :
أخذ الطالب ـ عند التحاقه بالأزهر ـ بالرفق والأناة ، فلايلق اليه ما لايقوى عقله على فهمه ، ومتى تفتح ذهنه واستوى استعداده حسن إذن نقله إلى شيء من معقدات الكتب وعوائص المسائل لتتربى فيه ملكة الفهم والتمحيص ، على ألا يستغرقوا به فى ذلك أطول الزمن . ولا يصلح ابن الأزهر لأداء رسالة الأزهر ما لم يكن قادراً على الابانة بقلمه والافصاح بلسانه ، فيجب ألا تقوم اللغة العربية فى الأزهر قيام العلم الجاف الخشن المحبوس على قواعد النحو والصرف أو المحصور فى علوم البلاغة ، بل يجب أن تقوم هذه اللغة بين الأزهريين مقاما يكشف لهم عن أسرارها ويسقيهم العذب السائغ من بلاغتها وسحر أسلوبها ، وأمثل السبل إلى ذلك أن تدرس اللغة وفقهها وأدبها وتاريخها درس تذوق واستشعار ،لادرس حفظ واستظهار . وليس من التهجم أن يقال إن الناس أصبحوا لا يفهمون كتاب الله فى هذا الزمن حق فهمه ، فليس بين يدى طالب الفهم من كتب التفسير مايعين على هذه الغاية الواجبة . فلابد إذن أن تتوفر للأزهر حاجتان ،ليس أعلق منها برسالته المنتظرة ، إحداها تفسير القرآن الكريم تفسيراً يقطع الشك فى أن كتاب الله جاء سابقاً ثم جاء العلم وجاءت العقول آخر الزمن تدب على طريقه دبيب النمل ، ويقرر اليقين بأن لكتاب الله فضل السبق إلى غاية ما وصل اليه العلم ونهاية ما بلغته طاقة العقول . والثانية تتناول حقائق العلم بالدرس ومتابعة سيره فيما لا يزال ناصباً له ومجتهداً فيه ، فليس إلا بهذا الدرس وهذه المتابعة يفهم الأزهر كتاب الله حق فهمه فيؤدى رسالته حق أدائها

(٧)
ملخص رسالة

الاستاذ الشيخ محمد عرفه

تحدث عن أن الأزهر معقد آمال المسلمين من ممالك الاسلام القريبة والبعيدة ومحط رجائهم ، وهو من العالم الاسلامى كالقلب من الجسد ، وهو ليس للمصريين وحدهم بل لأمم الاسلام جميعاً ، فمن قتله فكأنما قتل أمم الاسلام جميعاً ، ومن أحياه فكأنما أحيا الناس جميعاً ، منزلة بوأه إياها ماض مجيد وعشرة قرون قضاها يجاهد فى سبيل العلم والفضيلة والدين

فرسالة الأزهر فى القرن العشرين هى فهم الدين الاسلامى وتفهيم المسلمين إياه على وجهه الصحيح وتنقيته من الزوائد والشوب وتصفيته من الكدر ، ليعود حلواً جناه وعذبا مشربه ، وبذلك يتمكن من أن يقوم بما يأتى :

ا ــ إحياء أمم الشرق باحياء الأخلاق فيها ، وذلك باحياء الدين وعمارة نفوسهم باليقين

إصلاح الأسر الاسلامية بتنظيم الزواج والطلاق فيها ، وجعل رباط الزوجية متيناً جداً أمتن مما هو عليه الآن

جـ ــ صياغة المعاملات الاسلامية على وجه يتفق مع النظريات الاقتصادية ولا يخالف روح الدين

د ــ صبغ الروح الاسلامية بالصبغة الاستقلالية باعتناق العقيدة التى تجعل المرء حراً مختاراً مسئولا عن كل ما يعمل بقدر ما أعطى من حرية واختيار

هـ ــ بعث العقول من مراقدها وإنهاض قوى الانتاج العقلي من سباتها وإجلال العقل الانسانى واحلاله منزلته العليا فى الوجود التى ليس بعدها منزلة ، والتى جلعت الدين يتحاكم اليه فيما شجر من خلاف بينه وبين الناس ، والتى جعلت من مبادىء الاسلام أن يؤول النقل إذا تعارض مع العقل

و ــ ربط حديث الأمة بقديمها ، فيحافظ على اللغة العربية وعلى علوم الأوائل ويعرضها على الجيل الحاضر فى معرض حسن جذاب يشوق إلى قراءتها والتمتع بها .

(٢)

الموضوع الثانى

اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

حضرة المحترم مدير المطبوعات

أتشرف باخبار حضرتكم بأن لجنة المباراة فى موضوع اللغة والدين والعادات،رأت بالاجماع منح ثلاث جوائز قدر كل منها ٢٥ جنيها فقط لكل من حضرات الأساتذة احمد وفيق ، زكى مبارك ، يوسف محمد .

وأرسل مع هذا الموضوعات التى وقع عليها الاختيار ، وبقية الموضوعات وتفضلوا بقبول تحيتى واحترامى ؟

٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦

مدير

الجامعة المصرية

« احمد لطفى السيد »

(١)

رسالة المرحوم الاستاذ احمد وفيق

كلمة اجمالية

موضوع « اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال » موضوع قديم . ولكنه يبقى جديداً ما بقيت القوة والضعف والمطامع والشهوات من ناحية، والوطن والقومية من ناحية أخرى .

ان اللغة والدين والعادات عناصر جوهرية بين عناصر الوطن والقومية ، والاستقلال صفة للوطن والقومية ، فاذا استمرت عناصر الوطن أو القومية قوية أو ضعفت أو انحلت ، استقامت الصفة أو وهنت أو زالت تبعاً للأحوال ، ولذلك قيل إن هذه العناصر من مقومات الاستقلال .

ولما كان الأمر كذلك فقد وجب أن نبدأ بتعريف الوطن لانه أساس القومية، حتى نستخلص من هذا التعريف نتيجة نستبين منها أن اللغة والدين والعادات عناصر بين تلك التى يتكون منها الوطن ، ولا معدى عن عدها من مقومات الاستقلال باعتباره صفة لكائن هى عناصره ، فاذا تم ذلك ننتقل الى معنى القومية ، ومن ثم نتم الكلام عن كل من اللغة والدين والعادات كمقومات الاستقلال .

الوطن

الوطن نوعان : وطن مادى ، وآخر روحى ، فما هو تعريف كل منهما ؟

الوطن المادى

يقول «فاجيه» فى تعريف الوطن المادى إنه « ارتباط الانسان بذلك الجزء من الأرض الذى ولد فيه وله صلات به أحكم وأوثق من تلك التى تربطه بغيره من أجزاء العالم . فالوطن مبدئيا وأصليا هو حب المعلوم ، والقلق على المجهول ، إنه حب الأفق الذى تستشرفه العيون عادة ، وتتألم له النفوس كلما تغير ، وتجزع عليه كلما تبدل . »

وعندنا أن الوطن هو ذلك الجزء من الأرض الذى يحدث مع الزمن تفاعله فى النفس والجسم بانبساطه وارتفاعه أو انخفاضه ، بنباته وحيوانه ومائه وجوه بطبيعة ذراته وألوانها، فلا يكون هذا الحدث إلا سحراً فى العيون ، وتسلطا على الاحساس ، وسيادة تتملك العاطفة ، وتحكما فى الوجدان، ولحاصلاته الغذائية جاذبية فى البطون تصلب معها الارادة أو تلين ، ولمائه انعاش يشد الأعصاب أو يرخيها ، ولسمائه انعكاس على النفس يكسبها الصحو أو الاكفهرار ، ويطبعها بطابع المرح والطرب أو السآمة والملل ، ولهوائه نشوة تذهله عن الواجب أو تستحثه على التوثب نحوه ، ولشمسه لفحة تغرى بالكسل أو تستثير العزائم ، وللغته رنين خاص فى الآذان يستفز النفس ويحلق بها فى آفاق خاصة . ولمعتقداته تسلط على الأفئدة يستهويها ويدفعها إلى السير فى اتجاه خاص ، ولعاداته سلطان على القانون والنظام والمعتقدات فيكون منها الخلق الذى يقتاد الانسان فى وجهات معينة ، فيتولد عن كل ذلك علاقة متينة بين الانسان ووطنه لا انفصام لها إلا بالموت ، أو بالغيبة المنقطعة التى تبيح تكوين حلقة جديدة من الخلق تقوى على ارخاء ذلك الرباط ثم حله ، وهذه العلاقة هى الوطنية التى تحن دائما إلى الوطن ، وتغرى بالبذل فى سبيله ، والرثاء لحاله ، إن أعيت الوطنى الحيل وحالت الظروف دون البذل والتضحية فى سبيل إنقاذه .

لقد كان الرجل فيما مضى لا يشعر بالطمأنينة إلا فى قريته أو على مقربة من قريته ، ذلك بأن في هذه القرية الأقربين والاصهار والحلفاء والانصار والأصدقاء . أما خارجا عنها فلا يجد غير الأعداء الألداء ، فاذا ما ارتاد النواحى الواقعة على بعد من القرية أو على مقربة منها ، ثم عاد فاض اغتباطاً ، وتدفق بشراً بلقاء تلك الأكوام المكدسة من الوقود الجاف فوق الأسطح، والتمتع برؤية الجاموس والبقر فى أما كنها القذرة ذلك بأن فى هذه المناظر معنى التقاليد والعادات التى لا مناص من العثور على أثرها مهما تطورت المدنية ، لأنها العنصر الجوهرى الذى تقوم عليه كل وطنية .

هذا هو الوطن الصغير فى القرية أو فى الخط أو الحى ، أما الوطن الكبير فما هو إلا الاطار الذى يحيط بالوطن الصغير ، فتصور أنك عائد إلى الوطن من سياحة طويلة وأنك تشرف على شاطىء بلادك ، وأن السفينة تكاد تلق مرساها، فأى شعور يدب

فى أعماقك ، وأى عاطفة تهتاج حناياك ، وأى حنو تحسه يتدفق من الأعماق وينسلك فى شرايينك وأوردتك تياراً كهربائياً يغزو الفؤاد ويحلق فى جو غير جو الساحل ؟ هو جو الحقل ، وجو المنزل العائلى ، فلا ترى على الشاطىء الاسكندرى كوم الدكة ورأس التين والرمل ، أولا تنظر على شاطىء بور سعيد تمثال « دلسبس » ورصيف الميناء ، والكازينو ، وحى العرب ، ولا تبصر هنا أو هناك البحارة وبوليس الميناء أو عمال الجمارك أو الحمالين ، إنما تنظر الساقية والبقرة ورجل « المقاتة » أو المنزل أو القصر ، وتبصر الأشقاء مقبلين على باب الدار لتحيتك، والأب والأم مهرولين لتقبيلك . وترى الابن ممسكا بعنقك ملتفاً بأقدامه حول ساقك ، والقبلات الحارة تنطبع على وجنتيك ، وأمه من خلفه تحاول عبثاً أن تحمل الابن على أن يقسط في التدليل على حبه ، وألا يسرف فى شغفه بوالده حتى لا يطفىء تحمسها لرؤياه ، وقصارى القول إنك ترى مدينتك أو قريتك أو حيك بدارك وأسرتك فى « فلم » يدور على الشاطىء بدلا من حقيقة الشاطىء

إن فكرة الوطن إن لم تكن غريزة فى بادىء الرأى فهى فكرة يثبتها فى النفس جميع العوامل التى يمكن أن توقظ فكرة المصلحة المشتركة ، أو الحياة المشتركة على الأقل ، فهل إذا أنت حضرت عيداً أقيم تكريماً للظافرين باستقلال بلد ما ، أو حضرت حفلة من الحفلات القومية التى تقام بمناسبة فتح أو ظفر ، أو عملت فى الحقول مع هؤلاء الذين يجنون القطن على نغمات الأناشيد الشعبية اللذيذة ،ألا يبعث بعض ذلك وكل ذلك فى نفسك القوة على التفكير فى أن هناك أسرة أكبر من الأسرة العادية ، وأن هناك إخاء أوسع من الاخاء العائلى ؟ بل هل لايستحثك هذا الموقف على أن تكاشف نفسك بأن هناك شيئاً إن لم يكن أقرب اليك من بنيك بامتيازه على الأجنبى المريب ، أو العدو المرهوب،فمن خاصيته أن يلبس الجميع ثياباً ذائعة يمكن لأى إنسان أن يعرفها بسيماها التى تكسبك عطفاً ورفقاً وإنسانية ؟ هذا الشىء هو الوطن الأصيل ، الوطن المادى ، ولذلك ننتقل إلى الكلام عن الوطن الروحى

فى الوطن الروحى

يتكون الوطن الروحى من اختلاط الوطن المادى بالذكريات والتقاليد ، ولما

كانت الذكريات والتقاليد فى معنى المقبرة ، فان المقابر قد صارت العنصر الجوهرى الأساسى لتكوين الوطن ، وفى هذا المعنى قال لامارتين: « إن جسد الأوطان من رفات الأموات » .

فالوطنية إذن هى المعنى المتقدم على أن تكون اتحاداً بين أرواح الموتى وأرواح الأحياء ، وفى هذا الاتحاد الروحى يدخل إحساس قائم على وحدة الدم ، وآخر قائم على وحدة التربية ، وفاق وحدة التفكير والفكرة ، ووحدة العواطف المتعاقبة المتوالية ، يضاف إلى كل ذلك وحدة إحساس الاعتراف بالجميل ، فاذا قلت آباؤنا الذين بنوا مجد مصر ، وآباؤنا الذين شيدوا القناطر الخيرية ، وآباؤنا الذين بنوا الجامع الأزهر ..الخ، هل تدرى على التحقيق آباء من هؤلاء الذين بنوا هذه المفاخر ؟ لا وإنما تكون هنا الوحدات التى ذكرناها ماثلة فى هذا الجهل الذى هو أقوى عامل من عوامل الوطنية ، مادمت لا تستطيع أن تفرق بين ذكريات والدك وذكريات والد جدك ، وفى ذلك أيضاً ما يدعو إلى التضامن فى الذكريات وفى تقديسها ، وفي الاقرار بالجميل ، وفى هذا التضامن معنى الوطنية الصادقة التى لا تعرف التخصيص وإنما تعرف التعميم إجتنابا للفشل والانقسام .

فمن مقام الذكريات ، حتى ذلك المكان القدسى الذى يرقد فيه الأسلاف ، يتولد فى مخيلة الانسان ذلك الشعاع الوضاء الرحيم العطوف ، الذى يحمل أمل الحاضر إلى أرواح لم تتجسد مادة ، لا تزال فى عالم الوضاحة والنور ، أرواح الخلف .

ففى وسط هذه المرحلة القائمة بين الذكرى والقبر ، يقف المرء ليقول لنفسه : لأقدس هؤلاء الذين مهدوا لى هذا المكان من العالم ، ولأقدس جميع الذين مهدوا لنا هذا المكان من العالم ، لأن من سيتولد عنى ، ومن سيتولد عنا سيلقون واجب التقديس هذا نحونا ، ولذلك حق على أن أحبهم مقدما ، لأنى أشعر من الآن بهذا الحب الذى يقضى بالدفاع عما أقدس من أرض وذكرى .

ولا مشاحة فى أن هذا الحب مفض إلى تضامن آخر غير تضامن الحاضر مع الغابر ، وهذا التضامن الجديد هو تضامن الحاضر مع المستقبل ، تضامن ما هو كائن مع ما سيكون ، أى الاشفاق على الوطن فى الحال والمستقبل وصيانته من الاعداء .

ولذلك نرى أن نضيف إلى كلمة الامارتين كلمة نيتشه : « هناك سنكون

أحراراً وهناك سيكون الوطن » . وإذا أنت أردت أن تسمع كلمة لامارتين مندمجة في كلمة نيتشه فاصغ إلى قول جوريس : « يربطك بهذه الارض كل ما تقدمك وكل ما تأخر عنك ، ما أنشأك وما تنشئه ، الماضى والمستقبل ، جمود المقابر وزلزلة المهاد » .

نقد الفكرة

إن حب البلد الذى ولدنا فيه والتضامن الذى يشعر به الكائنون مع من كانوا من جهة ومع من سيكونون من جهة أخرى يكفيان لوجود وطنيه كاملة حية أبدية .

كان « فولتير » الكاتب العظيم الذى لا ينكر فضله على النهوض بالانسانية وإشباعها بروح الحرية السياسية ، رجلا من بين رجال عصره الذين امتازوا بالتجرد من هذا الشعور حتى لقد بلغت به السخرية من الوطنيين أن قال : « أريد من الناس أن يتفضلوا على بأن يحيطونى علما بمكان وطن ابراهيم ؟ » مع أنه لا نزاع فى أن وطن ابراهيم كان قبيلته . لا نزاع فى أنه كان آباءه وإخوته وأبنائه وأحفاده ومواطنيه الذين تعلق بهم وهام بحبهم من غير شك .

لقد أصر « فولتير » على التمسك بفكرته ، ولم يطاوعه عقله الكبير فى أن يتصور الوطن الذى يمكن أن يكون ليهودى ، حتى لقد تساءل فى تهكم « هل يهودى » من مدينة « كوامبر » يكون وطنه كوامبر ؟ ألا إنه لا يجد هناك إلا مضطهديه وإلا مطارديه ، أم هل وطنه بيت المقدس ؟ لقد طرأ سمع هذا اليهودى صوت غامض يقول له : إن أسلافه قد سكنوا فيما مضى هذه الارض المخصبة البلقع تحيط بها صحراء جرداء كريهة بسط الأتراك سيادتهم عليها وعلى هذه المدينة الصغيرة التى لا تجديهم فتيلا . فبيت المقدس ليست وطنه . وليس لهذا اليهودى أى وطن فى العالم . ولا يملك شبر أرض فيه » ولقد تساءل « اميل فاجيه » امام هـذا القول عن حكمة الاشاعة التى تداولتها الألسن وتناقلتها الأجيال ، ودارت حول أن اليهودى أشد الشعوب وطنية وأمتنهم تعلقا بكل ما هو يهودى . فما كان منه إلا أن أجاب بأن علة ذلك أن الوطن هو التقليد ، والوطنيـة هى التضامن فى

تقديس التقليد . فوطن ذلك اليهودى ليس « كوامبر » ولا بيت المقدس . وإنما هو « اسرائيل » . فالأمر الذى يخرج إلى الوجود وطنية صحيحة ، وينمى قوتها الرهيبة . هو أنها ليست مرتبطة ضرورة بمكان . وإنما في مقدورها أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـ نس . والارتباط بالجنس وحده قوة كاسحة لا تقاوم .

ولم يكتف « فولتير » بما تقدم . بل زاد عليه : « إن كلمة الوطن تكون كلمة لائقة بالاغريق وجيلة الواقع فى مخه عندما يجهل بتاتا أن قد وجـــد فى بلاده رجل يدعى « ملتياد » أو آخر يسمى « أجيزيلاس » . ولا يعلم إلا أنه عبد الانكشارى . عبد الأغا . عبد الباشا . عبد الوزير . عبد الباد شاه الذى نسميه التركى الأعظم فى باريس » . ففولتير يلهو بالمصائب إذ يجرد هؤلاء الشعوب الذين أقاموا أسطع برهان على أنهم رسل الوطنية من وطنهم وينتزع الذكريات من هؤلاء الشعوب الذين استمدوا وطنيتهم من ذكرياتهم دون سواها فما غامرت اليونان بحياتها لتكون أمة إلا لأنها وثقت بأنها سلالة أمثال « ملتياد » وأضراب « أجيزيلاس » كما برهن « فاجيه » على ذلك .

وتمادى « فولتير » واسترسل يقول : « وهل يجرؤ القساوسة أيضا على أن يقولوا إن لهم وطنا ؟ يقولون إن لهم وطنــا فى السماء . فيا لسعادتهم ! أما أنا فيكفينى أن لا أجد لهم وطنا في الارض . » .

ولكن « فاجيه » يرى فى الوطن السماوى اشتقاقا من الوطن الأرضى . فضلا عن أن فى الوطن السماوى مظهراً من أجل وأجلى مظاهر الاحساس الوطنى . إذ يتضح منه أن وطن القسيس هو نظامه الذى يتعلق به أو نقابته التى يرتبط بها ارتباطاً وثيقا يحاكى فى قوته قوة ارتباط اليهودى باسرائيل . واليونانى ببلاد الاغريق .

فالوطن هو إذن كما يقول فاجيه : « تعاقب الناس فى حظيرة نظام اجتماعى يعيش بالذكريات والتقاليد والاخلاص لهذه الذكريات والتقاليد . فالقسيس هو إذن مثال الوطنى الذى أنشأ بنفسه وطناً لنفسه . وإذا خرج معنى هذا الوطن عن المعنى الصحيح للأوطان فانه وطن على أية حال . ووطن قوى جداً ، وحى للنهاية » .

أما وقد عرفنا الوطن على أنه صلة تربط الانسان بالجزء الذى يعيش فيه من العالم . وتحمله على تقديسه والذود عنه إذا ما اعتدى عليه معتدحتى يستأثر بالسعادة

فيه حرا من القيود المذلة ، فقد وجب أن نعرف قوام هذه الصلة ونناقشها في دائرة اللغة والدين والعادات

اللغـة

اللغة عامل أساسي في تكوين الوطن والوطنية ، بل لقد رأى البعض انها أهم عامل من عوامل تكوين الوطن والوطنية ، مادام معنى ذلك هو تعاقب الناس في حظيرة نظام اجتماعي يعيش بالذكريات والتقاليد والاخلاص لهذه الذكريات والتقاليد، وإلا فكيف يفهم الخلف ذكريات السلف والتقاليد ، وكيف يخاص لهذه الذكريات والتقاليد على ممر الأيام إن لم تكن هناك أداة واحدة لوحدة الفهم ووحدة المشاعر ووحدة الاحساسات ، ونريد بها اللغة

ولكن في العالم حالات تحول دون الاغراق في تقدير اللغة على أنها أهم عامل من عوامل تكوين الوطن والوطنية . فأهالي الولايات المتحدة الذين يرجع أصلهم إلى جنسيات مختلفة تتكلم لغات متعددة ولهجات متباينة تجعلنا نقف هنيهة للتفكير في قيمة اللغة من ناحية تدخلها في تكوين الوطن والوطنية ، لا سيما إذا راعينا أن أهالي الولايات المتحدة رغم تعدد لغاتهم ولهجاتهم قد أمسوا مضرب الأمثال بوطنيتهم بسبب تاريخهم الذي فاض بطولة وتدفق فروسية جعلتهم به يعتزون، والأمم يباهون ، حتى صار كل فرد منهم « واشنطون » لفرط تمسكه بهذا التاريخ الرائع الخلاب . وإذا كان قد ترتب على هذا التاريخ أثره الجليل في النفوس فان هذه الوطنية العميقة المتأصلة قد غزاها ونماها ما لهذه البلاد في العالم من مكانة أبلغ بسحر عزتها وأنفتها من سحر العزة والأنفة مضافا إلى ما فيها من نظم يعدون الانتساب اليها قوام الشرف العالمي والكرامة الانسانية

إن كل ذلك قد جعل جوهر الوطنية الأمريكية يشع نوراً وضاء يرسم أمام الأمريكي أينما حل وأينما سار آية الخلود والمجد « نحن أكبر جمهورية عرفها العالم بشقيه الجديد والقديم » فوحدة اللغة ليست إذن ضرورة لقوم كهؤلاء ولكن هذا الرأي على شيء من المغالاة أيضاً ، لأن الباعث الصحيح على هذه الوطنية هو أن غالبية سكان الولايات المتحدة من الجنس الانجلوسكوني ، أما الأقلية فهي من أجناس متعددة ، هي أقليات تافهة بالنسبة للأغلبية . وأخلاقها ليست بالمتانة

والصلابة التي يمتاز بها الخلق الانجلوسكسوني ، ولذلك فهي تلتزم الخضوع لما يرسمه هذا الجنس من أوامر ونواه

وكذلك الشأن بالنسبة لسويسرا . فهي تتكلم ثلاث لغات ، ومع ذلك فانها أشد شعوب الأرض استمساكا بوطنيتها ووحدتها التي تألفت من ذكرياتها التاريخية ، وتعلقها بدستور سياسي وافق على العمل به جميع الأحزاب التي تألفت منها هذه الأمة . وهنا يجب أن نقول إن هذا التماسك البادي على الوحدة السويسرية يرجع إلى اعتبارات سياسية . وإن تعدد اللغات في سويسرا لا يمكن أن ينتقص من قدر اللغة على اعتبارها من العناصر الجوهرية في تكوين الوطنية

ولكن اللغة رغماً من كل ذلك لا تزال وستبقى رابطة قومية لا انفصام لها ولا تضعضع لقوتها . أفهل من عامل أقدر على أن يجعل الانسان أجنبياً عنك كالصعوبة في فهم كلامه والتفاهم معه ؟ وهل لا يحس الانسان تلك الهوة العميقة المفزعة التي تفصل بينه وبين محدثه إذا هو عالج التفاهم معه دون أن يقوى على ذلك ؟ وما هو المعنى الذي تريده تلك السيدة الأجنبية التي تزوجت وطنياً حباً وعاشرته عشر سنوات أو يزيد عند ما تعلن بعد فوات هذا الوقت الطويل أن التعارف اللغوي الذي يرفع التكليف بينها وبين زوجها لم يتم ؟ أليس معناه أن الفارق في اللغة فارق بين تعانق الارواح وتشابكها وتشاكلها واندماجها ؟ وما هي روح الوطن إن لم تكن تعانق أرواح الوطنيين وتشابكها وتشاكلها واندماجها في سبيل الدفاع عن استقلال البلاد بمختلف طرق الدفاع ؟

ثم ألا رأيت الى اللغة وكيف تبتلع طرائق التفكير وتحملها من جيل الى جيل حتى تفرض على الاجيال المستقبلة طرائق تفكير الاجيال البائدة ؟ إن اللغة هي إذن قالب تسن فيه الافكار ، وأرحام تصب فيها وسائط الكلام ، وشارات ابداء الاحساس ، وعلامات التعبير عن الحركات والسكنات والايماء ، فالطفل الذي تعلم كلمة يرث فكرة تقليدية ، فماذا عسى يكون الحال مثلا لو أن وجود كلمة « السيادة » أو « المملكة » قد انعدم في اللغة العربية أو أنه جاء بلغة أجنبية ؟ أما كان نتيجة هذا النقص أن يقل عدد جنود الحق وسلطان الامة فلا يتسع مجاله إلا أمام الشياطين الذين تسول لهم أنفسهم هضم الحقوق وسلب النفوذ واغتصاب السلطان ، فلا يقوى ابليس إلا على أن يوسوس في صدور الناس ليزين لهم حب

الخضوع ، والولوع بالخنوع ؟ فوجود الكلمة أوجد الفكرة ، ووجود الفكرة تأصل فى النفوس ورسخ بمرور الزمن حتى استعصى اجتثاثها . لان الكلمة فرضت الفكرة ، والفكرة التى تتطلب أن تكون شيئاً قد تحولت الى مادة بتحقيقها

وما دام الأمر كذلك فان التضامن الصحيح ، ذلك الذى يمثل فى تلك الصلات التى تربط الأحياء بالاموات على الأقل هو من مميزات اللغة التى تخلقه بدورها وتصونه وتحافظ عليه وتطيل في أجله وتخلده . ألا ترى الى اللغة وكيف كانت وحدتها أحد الاسباب التى استبقت حياة ايطاليا وحفظتها من التمزيق والتوزيع بين الغالبين ؟

لقد اجترأ أحد الساسة على أن يشهر بايطاليا باعثة الفنون والعلوم الى حد أن وصفها بأنها تعبير جغرافى، ولكن هذا السياسى لم يصب كبد الحقيقة. فقد طاش سهمه وتبدد حلمه . اذ برهن الزمن علي أنها كانت أكثر من اصطلاح جغرافى بما أنها عاشت وسط الزعازع والاهوال وبددت طبقات ظلمات الاستبداد وهى الآن فى أجواز الصحو وحدة تعمل وتجد في سبيل استرداد العظمة الرومانية القديمة . وكل ذلك راجع إلى وحدة اللغة أساس وحدة التفاهم الانسانى المشتقة من وحدة الله .

وكذلك كان خطب اليونانيين ، فمن الأسباب التى دعت إلى الاحتفاظ بكيانهم انهم لم ينسوا لغتهم ، ولما كانت اليونان لم تنس لغتها لأن لها فى بطون التاريخ ذكريات لا تعد ولا تحصى ، فان واقعة التخاطب بهذه اللغة نشطت مدفوعة بالذكريات التى أجرت فيها دم الشباب وخلدتها .

فاللغة القومية إن لم تكن روح الأمة فهى على الأقل مجرى ذكائها واحساسها، مثلها كمثل المؤلف وانشائه، طريق تسير فيه للفكرة ، لا الفكرة ذاتها . ومن هذا نعلم أن اللغة سلاح المغلوب فى غزو غالبه وإخضاع قاهره .

إن الفاتح مرغم عادة على أن يتعلم لغة للبلاد التى يغزوها ، حتى يتم تفاهمه مع أهلها ويستمعوا إلى أوامره ونواهيه ، ولكن تكلمه هذه اللغة يطبعه بطابع تفكيرها وعاداتها . واذا نحن أردنا أن نفهم مدى هذا الطابع وجب علينا أن نقف على مقياس القوة الانسانية فى الشعوب ، بل مقياس قوة طبائع الشعوب . ولنعرف ذلك يجدر بنا أن نعلم أن هناك حالتين ، فاما أن يوطن الفاتح نفسه على

أن يكره المغلوبين على أن يتعلموا لغته ، وإما ان يرغم نفسه على التكلم بلغتهم ، وفى الحالة الأولى يكون الفاتح غازيا بمعنى الكلمة، أى منشئاً ومكوناً ومصوراً وملوناً ، وهذا مستحيل فى العصر الحاضر . وفى الحالة الثانية لا يكون الفاتح إلا ظافراً فى يومه مغلوباً فى غده ، لأنه ينشىء نفسه ويكونها ويصورها ويلونها من جديد ، اللهم إلا إذا جعل من عماله سياحا متنقلين . وهـــذا ما زعزع سياسته ويمكن البلاد المفتوحة من أن تزلزل أقدامه يوماً بعد يوم حتى تقتلعها .

نستطيع أن نعرف الشعوب ذوى الشكيمة والبأس من قوة تمسكها بلغتها وشدة تعلقها بها ، بحيث لا تمر بها لحظة إلا وتعمل الفكرة في الرقى بها،حتى إذاهم تركوها فانها لا تتركهم ، لان هناك اندماجا تاما بمعناه الصحيح ، لا إندماج لغة في أفراد وانما إندماج أفراد فى لغة ، اندماج زائل فى خالد ، فاللغة تعجن الشعوب ثم تصبهم فى القالب الوطنى الذى لا يشبهه قالب آخر .

وإذا نحن أدرنا التاريخ على أعيننا علمنا أن الفترة الزمنية التى يقوى فيها أى شعب ويسعد حالا هى نفسها التى يشمخ فيها بأنفه اعجابا وتيها بلغته . ولذلك نراه يسهر على صيانتها فى غيرة ، ويطارد كل من يحاول العبث بها أو اتضاع قدرها، رغبة منه في أن تكون لغة نقية طاهرة جميلة موسيقية جذابة . وهذا هو الواقع فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا الخ . وما كان قديماً فى أثينا وروما وبلاد العرب والأندلس والعراق والشام الذين لم يستنكروا تضامنهم مع الماضى والمستقبل ، ولم يحاولوا القضاء على الذكريات والتقاليد والعادات الوطنية أو الروح الوطنية والوطن . فحافظوا على كرامة الاحياء وأراحوا فى القبور الآباء .

ولهـذا الاعتبار عدوا النحاة وطنيين ، بل عدوهم حماة الوطن ، فمن استحق تقدير اللغة استحق تقدير الوطن ، واذا نحن أقمنا وزنا لهذا الاعتبار فان فى الأرياف اعتباراً آخر لا يقل أهمية عن ذلك ، لأن فى هذه النواحى من الوطن نحاة لا يقبلون إلا أن يتكلموا بلهجات أقاليمهم ويمجون تكلم غيرها من اللهجات ، ما دامت أجنبية عن مقاطعتهم وما دام آ باؤهم لم ينطقوا بها من قبل ، ولا غرابة ، فان اللهجة لغة هى طرف اللسان أو الملازمة ، وفى ذلك معنى الدوام ، والدوام من صفات الوطن ، فتمسك هؤلاء النحاة الريفيون بلهجاتهم تمسك ببقاء أطراف ألسنتهم أى تمسك بالدوام ، ومن ثم تمسك بالوطن والوطنية ، ولذلك كان من الطبيعى أن يختفى حب

هذا فى حب ذاك . وأن يكون واسطة لدوام الوطن والاستقلال .

وقصارى القول : « إنّ اللغة هى التقليد ، هى اللباس بل هى أكثر من لباس ، هى القالب ، بل هى أكثر من قالب ، هى قلب التقليد ، انها تهبه كل توقيعاته ، وكل هزاته التى تنفذ الى الروح وتعود منه ذهابا وإيابا حتى ينتهى الأمر بها الى أن تشكل الروح الذى تلهمه فى الشكل الذى تريد ، وما دامت هى التقليد فهى خلق ، والخلق القومى أساس الاستقلال، ومن الواجب العناية والاستمساك بها واحدة لا تعدد لها فى وطن مع العمل دائما على جعلها متلائمة وحاجات الوطن العلمية والفنية والأدبية والصناعية والتجارية عن طريق تنظيم المجمع اللغوى على أحدث طراز ممكن ومده بالمال الكافى لسد حاجاته وإطلاق يده فى تحقيق كل ما ينهض بالخلق القومى والاحساس الوطنى . ومتى تبين ذلك فقد وجب أن ننتقل إلى الكلام عن عنصر الدين

الدين

الدين عقيدة عامة تربط الوطنى بالوطنى برباط معنوى قوى يتناهى أمره إلى أن يكون تضامنا محكما بين الجماعة عند ما يمر عليه الزمن الضرورى لأن يكون خلقا قوميا .

الدين مجموعة فضائل تلوح للعين المجردة وكأنها نظام سياسى الغرض منه إيجاد وحدة فكرية سامية . والخلق القومى لوحة تضمنت فضائل الشعب ونقائصه وحسن حظه وسوء طالعه ، ونجاحه وفشله ودهورة مصيره ، وكل ذلك أثر من آثار النظم مجتمعة ، والنظم أثر من آثار العادات والمعتقدات، وهذه بدورها أثر من آثار الخلق، لأن الأسباب والنتائج فى عالم الاجتماع والسياسة تتضامن في العمل، فالأخلاق تنتج النظم التى تتألف منها الأخلاق بدورها ، فاذا انقضت عدة قرون اندمج كل منها فى الآخر وأصبحا كلا لا يتجزأ بحيث لا ترى النظم إلا الأخلاق محسوسة مرئية ثابتة مستمرة . ولكن من الواجب ألا ننسى أن النظم ليست إلا سببا خارجيا يؤيده سبب داخلى هو الخلق الذى ينتقل بالوراثة . ومن أجل هذا رأى كثير من الفلاسفة أن الدين عنصر من عناصر الوطنية ، ودعامة من دعائم الاستقلال .

لقد قامت الجماعات فى بادىء الرأى على قاعدة المصلحة المشتركة ، ولكن الدين جاء بعد ذلك فمكن لأواصر الألفة بين أعضاء الجماعة ، وضاعف روابط الاجتماع

وزادها توثقا وإحكاما ، إذكان من النادر ألا نرى سلطان الدين قد اقترن بسلطان السياسة وازدوجا حتى جب سلطان الدين سلطان السياسة إلى حد يتفاوت باختلاف وتباين الأحوال ، بحيث صرنا نرى حق الشعوب الأولية حقاً مقدساً فى بداية الأمر ، وهذه القداسة كانت نتيجة لازمة ، اما بسبب المصدر ، وهو الأب ، وإما بسبب قداسة الزعماء اللذين نيط بهم أن يحلوا محل الأب فى تكييف السلطان ، وأن يعملوا على احترام الوساطة بين أعضاء الجماعة وبين المعبودات ، أو بسبب اجتماع الناحيتين فى شخص واحد أو شخصية واحدة ، ولهذا كان الرئيس دائما شخصية دينية ، أو كانت حكومته على الاقل تحتمى خلف ستار دينى يجعلها أكثر احتراما في أعين رعاياها . ولهذا رأينا اليونان الاقدمين قد عجزوا عن التفرقة بين فكرة الجماعة السياسية وفكرة الجماعة الدينية ، ولكن الدين كان رابطة اجتماعية لها اهميتها الخاصة فى نظرهم .

لقد كان الدين فى اليونان القديمة رابطة اجتماعية بسبب طبيعته القومية أو بسبب طبيعته المحلية بمعنى أصح ، وهى طبيعة ساعدت مساعدة جليلة الشأن فى تكوين أفخاذ القبيلة وبطونها وعشائرها ، ثم القبيلة ذاتها ، ولما تم ذلك عاونت هذه الطبيعة فى تكوين المدينة ، ولذلك فان الدولة والدين لم يشتبكا قتال أو نضال كما وقع في أوروبا ، بل على العكس قد رأينا هناك فكرتى الدين والوطن مترادفين تقريبا ، ولكل منهما نفس القوة ونفس الذيوع والانتشار ، حتى لقد وجد الفرد أن من المتعذر عليه أن يجد لنفسه دستوراً وحقوقا خارج حدود المدينة وميادين آلهته .

ولقد كتب « رينان » يقول بصدد دين أثينا : « كان دين أثينا هو نفس أثينا ومؤسسيها وقوانينها وعاداتها وعرفها ، فهو دين لم يكن بحاجة إلى قواعد جامدة ، إنه اذن كان دين الدولة بكل مافى الكلمة من قوة ، بحيث لا يكون الفرد أثينيا اذا هو لم يقم هذه الشعائر ، فالدين كان اذن عبادة « الاكروبول » مشخصا ، والحلف بمذبح « أجلور » ، لم يكن له معنى غير القسم بالموت فى سبيل الوطن » (راجع رينان — ما هى الامة ص ٢٢) . واذن فلا عجب ولا استغراب اذا علمنا أن « ارسطو » قد اعتبر الوظائف الدينية تكليفا مدنيا فى مرتبة منصب القضاء ومن البديهى أن هذا الشعور الدينى القومى ، بل من البديهى أن عبادة الوطن

بهذه الطريقة كانت تضفى على الدولة قوة دونها أى قوة ادبية اخرى ، ولذلك كانت الفكرة الدينية الروح الملهم والمنظم والحافز على رد غارة المغيرين على الوطن عند الاقدمين ، حتى لقد اعتبرت عند العصريين من مقومات الاستقلال .

ولكن اذا كان الدين من مقومات الاستقلال باعتباره عنصراً من عناصر الخلق والوطنية إلا أنه قد يكون في بعض الاحيان عنصراً ضارا تبعا لوحدة الدين أو تعدده فى دولة .

لقد كان الدين واحدا في أثينا ، و كان مرتبطا باصوله ومبادئه ارتباطا وثيقا ولذلك قويت الوطنية ، وقويت حمية الدفاع عن الوطن ، وعجز الاثينيون عن التفرقة بين حب أثينا وحب الاله « اتينيه » ، ودمجوا الاله فى المدينة ، والمدينة فى الاله ، وأحبوهما جملة ، وأسموها اسما واحدا ، وهكذا صار الدين وطنا ، والوطن دينا ، ولم ترفى أثينا حرية دينية لان معنى هذه الحرية كان الحرية نحو الوطن وإحلال الحرية محل الوطن ، وهذا هو الانتقاض على الوطن أو الثورة ضده ، وفى هذه السبيل حق القتل أو النفى على الفلاسفة امثال «أناجزاجور» و«سقراط» و«أرسطو» لان الوطن والدين شيء واحد ، وهادم الدين هادم الوطن ، فالدين إن لم يكن واجهة الوطن فى أعين الشعوب فهو قلبه .

وهكذا كان الحال فى أثينا ، ولكنه لم يكن كذلك فى جميع بلاد اليونان القديمة، ذلك بان كان لكل مدينة - أى دولة - من مدن اليونان القديمة آلهة خاصة لحمايتها ، والالهة الذين كانوا يحمون كل مدينة كانوا ينفضون أيديهم من الدفاع عن المدن المجاورة ، فكانت النتيجة أن كل وطنى يخرج بعيداً عن حدود أرضه القومية يفقد مزية الانتفاع بحقوقه ، ويمسى أعزل من وسائل رد عادية اللصوص عنه ، فيعجز عن دفع المظالم ووقف سوء المعاملة، الا اذا كان هناك اتفاقية تغاير ذلك

إن هذا النظام الذى قام فى بلاد اليونان على قاعدة الخلط بين العدالة والدين كان نظاما قصير النظر جداً ، لان أعماله ومهامه لم تتخط حدود المدينة ، ولذلك فان الاستعانة بالآلهة لم تتوافر الا داخل هذه الحدود ، ولم يكن فى وسع وطنيي مدينة أن يستظلوا برعاية آلهة مدينة اخرى ، بيد أن هناك ماهو أغرب مما تقدم، فعندما تعلن الحرب بين مدينتين تدخل الآلهة فى هـــذا النضال ، وتشتبك فى المعمعان ، وتصبح أعداء . وهكذا قاتل آلهة تروادة آلهة اليونان، فانتهى الامر باحقاد الجنود

وعداوات الدول الى أن ادعمتها الاحقاد والعدوات الدينية واذلتها . فاذا كان الدين قد قوى كل مدينة فى اليونان القديمة ، فانه قد حال دون خروج كل مدينة من حظيرتها الضيقة ، وإذن يكون الدين الخرافى عائقاً قوياً فى سبيل الاتحاد العام ، وعقبة كأداء أمام أى اتحاد استقلالى ، أو أى وحدة فى صورة دولة قوية كبيرة تتكون عن طريق ادماج المدن الصغيرة بعضها فى البعض الآخر

ومع ذلك فان الرقى المطرد الذى طرأ على الفكرة الدينية اليونانية قد أدخل مع الزمن شيئاً من المرونة على العقيدة الدينية المحلية ، فبعض العقائد وبعض المعبودات أصبحت شائعة شيوعا تناول كثيراً من المدن ، ان لم يكن تناول اليونان كلها ، إذ تكونت اتحادات دينية وذهب بعض الفلاسفة إلى حد الدعاية لمعبود واحد

ولقد اتعظ الرومان بموقف مدن اليونان وآلهتها ، ولذلك رأينا روما تنجح فى أن تتخذ آلهة المدن التى فتحتها آلهة لها . أو فى أن تبيح لهذه المدن أن تتخذ لنفسها آلهة من بين آلهة روما . فكانت النتيجة أن آزرها مدد استخلصته من قوة السياسة المرنة المتسامحة ، وسرعان ما تناست كل مدينة آلهتها ومعبودتها ، وبخاصة في اليونان . وإذا لم تكن المدن تناست معبوداتها وآلهتها ، فانها قد أنزلتها على الأقل منزلة ثانوية وعبدت الاله « روما » والاله « قيصر » فكان هذا الأمر مبدأ وحدة وتماسك جزيل النفع ، جليل القدر ، علقت عليه حكومة روما أهمية جوهرية

على أنه إذا كان اندماج الدولة فى الدين قد تغير فى مظهره قليلا فانه قد تم حتى أصبح من المتعذر أن نجد في الخارج تبعية رسمية مطلقة تحاكى تبعية روما للآلهة ، ولذلك فان الشعائر العامة تميزت عن الشعائر الخاصة تماما ، وهذه شعائر ما كانت الدولة تعيرها أى اهتمام ، على عكس الشعائر العامة ، فان الدولة قد قست بسببها فى معاملة الوطنيين والشعوب إذ جعلت الاشتراك فى الحفلات الدينية الرسمية فرضا يدل أداؤه على أنه مظهر ولاء للايمان ذاته ، أما النكول عن أداء ذلك الفرض فقد اعتبره الرومان موقفاً عدائياً ضد الوطن

فابن روما القديمة لم يعرف التفرقة بين حب الوطن وحب الدين ، ولذلك أحبهما كتلة واحدة لا انفصام لوحدة عناصرها ، ولا تمييز بين ذراتها ؛ وإذن فانه قد أحب أمته الالهية وآلهته القومية

فاذا قام فى الوطن أديان متعددة ، فانك ترى والحالة هذه أن الوطن الدينى لا يتأخر عن الاعتداء على الوطن القومى ، لأن الدين وطن ، والحرية الدينية ما هى

إلا أن يؤثر بعض الأهالى إحساسهم الدينى على إحساسهم القومى ، وينسوا وطنهم القومى نسيانا تاما فى سبيل العمل على نصرة وطنهم الدينى . ولو أن هؤلاء الفلاسفة جعلوا حب الوطن من الايمان ، ولم يجعلوا الايمان من حب الوطن ، وتمسكوا بذلك لما قامت حرب أهلية ولألقى الوطن الدينى الاصغر سلاحه أمام الوطن الدينى الاكبر ، ولتحصن الوطن القومى فى أحضان الوطن الدينى الاكبر . ولما رأينا كاثوليكى فرنسا فى القرن السادس عشر يستنجد بالاسبانى ليحارب البروتستنتى الذى كان يستنجد بالألمانى لمحاربة الكاثوليكى . إن كلا الفريقين كان له وطن كالآثينى أو الرومانى أو المسلم فى بدء عهود الاسلام الزاهرة . غير أن هذا الأخير كان يحب وطنين مختلفين ولكنه جعل الوطن الدينى أعم . على نقيض الآثينى والرومانى فقد كان لكل منهما وطنان وانما مندمجان فى بعضهما ومكونان وطنا واحداً . ولهذا الاعتبار أكره الفرنسى على أن يختار بين الحبين ويميز بين الوطنين ويستنجد بالعدوين .

فالدين فى نظر الغربى على حسب الظروف : إما أن يكون عاملا من عوامل الوطنية كما كان الشأن فى صدر الاسلام ، أو عاملا من عوامل الانحلال كما كان الأمر في عهد الشيعة والسنيين الذين اختلفوا كما اختلف البروتستنت والانجليكان الخ مع الكاثوليك فأدى هذا الخلاف إلى تمزيق الوطن ، أو كما كانت الحال فى مصر فى بداية أيام غورست حيث كادت نار التعصب تلتهم مصر ، ولكن قدر الله وكشفت الدسيسة وحبطت فى مكمنها بعد أن سلط الحكماء المضخات على النار قبل أن تندلع في الأحطاب الجافة . وهذا مايفسر لنا رأى «منتسكيو» ذلك الحكيم الفرنسى الذى دعا إلى مقاومة دين يحاول الدخول فى الدولة لمنافسة دينها العام، ثم نادى بالتسامح إذا ماتم أمر دخوله فى الدولة . فمنتسكيو كان رومانيا يدعو إلى التمسك بالدين الواحد قبل أن يزاحمه دين آخر ، علي اعتباره أداة خلاص من عدو الوطن ولأن وجود دينين معناه حرب أهلية ، حرب الوطن الدينى مع الوطن القومى ، ولكن منتسكيو كان مع ذلك الرجل المشايع للحرية عند ما تسامح مع الدين الأجنبي بعد دخوله واستقراره حتى يعوق الهجرة التى تترتب على اضطهاد الأديان ويحول دون تحويل القوة القومية إلى قوة معادية للوطن تستلزم تدخل الأجنبي حتى لا تنتقل عدوى الثورات إلى بلاده .

ولكن أفكار رجال الدين تغيرت على مجرى الدهر . وشايعت فكرة الحرية حتى لقد قامت النضالات خلال القرون الوسطى في سبيل فصل السلطة المدنية عن السلطة الروحية ، وسمعنا كاليفان يقول خلال القرن السادس عشر : « لا يمكن مطلقا أن يدرك الملوك وغيرهم من كبار الحكام سلطانهم فوق الأرض باستخدام الخبث والشر الذائعين بين الناس »

« ولقد نظم الله بوليس هذا العالم » . فكل امارات العالم كصورة وسراب من مملكة سيدنا المسيح . » . « ومن يجهل أن هذا النظام قد أمر الله به ؟ ان كل شيء فى هذا العالم تقتاده قدرة الله وتحكمه . ولقد احتفظ المولى سبحانه وتعالى بحقه فى العناية الخاصة بهذا النظام ، نظام الممالك والامارات والدول والملوك ومديرى العدل ، وكل هذه الأعمال أعمال الله التى تستطيع أن تلحظ فيها وجود الخالق ومجده » . و « من شأن هذا أن يزيد فى حبنا لبوليس هذه الدنيا ، وبذلك قام الدليل على طيبة ربنا وحبه الأبوى »

ولكن كاليفان لم يكن له عزم فى سبيل مطالبة السلطة بتطبيق القانون الطبيعى وهو قانون يتفق ونظام الطبيعة الذى خلقه الله .

ان نظام الطبيعة هو أساس الجماعة الانسانية . ولا قيام لأى شيء بدونه ، لا قيام للانسانية ولا للجماعة بغيره ، « فالقانون الأدبى ليس شيئا آخر غير الدليل علي وجود القانون الطبيعى والاقتناع ، انه القانون الذى نقشه الله فوق نفوس الناس أجمعين »

ان القانون الطبيعى خالد ، مصون ، لا ينهدم ، « فاذا سن أى مشروع فى قالب الفضيلة ما تأمله الطبيعة رذيلة ، أو اجترأ ظالم غشوم مختال على أن يحاول ذلك فلا مناص من أن يتجلى النور ويسطع ويستظهر إذا هو توارى لحظة »

وخلاصة هذا القانون الطبيعى نجدها فى الوصايا العشر لسيدنا موسى ، وهى : « يوجد قانون طبيعى ، ويقوم هذا القانون على أمتن أساس يمكن أن يوجد ، وهو الواجب الطبيعى للانسان ، وفى الواقع إن الواجب والحق يؤلفان دائما وجهى مدالية ، لذلك كانت فريضة عبادة الله أول واجب علي الانسان تمخض فولد أول حق جاء مصدر جميع الحقوق » . ولقد تأسس على اعلان حق العقيدة فكرة حق الانسان العام الذى استوجب اعتراف المشرع به ، ومن هنا نتبين الأصل الدينى دون الأصل السياسى لفكرة الحقوق الفردية الطبيعية المقدسة التى لا يطرأ عليها

أى تغيير أو أى تحوير . ومتى كان القانون الطبيعى الذى اشتقه كاليفان من الدين يقوم على الواجب الطبيعى للانسان فقد حق القول بان الدين من مقومات الاستقلال ما دام يحض على اداء الواجب الطبيعى وهو الدفاع عن الحرية والاستقلال .

على أن الدين لم يكن من مقومات الاستقلال فى الداخل بل كان أيضا من مقومات الاستقلال فى الخارج ، واذا أنت راجعت كتاب « اسمان » الموسم باسم « نظرية التدخل الدولى عند بعض الكتاب الفرنسيين فى القرن السادس عشر » وجدت هذا المؤلف يقول فى صفحة ٢٤٣ وما بعدها بصدد كتاب « دوبليسى مورنيه » ـ الانتقام من الظلمة ـ : « لقد دعا دوبليسى مورنيه الامراء الاجانب لمساعدة بروتستنت فرنسا ووبخهم على جمودهم ، ذلك بان الواجب يقضى عليهم بالتدخل ، فلماذا يتدخلون ؟

« يتدخلون أولا لان كنائس الاصلاح الدينى رغم تعدد مذاهبها هى كنيسة الله الحقيقية : بل إنها المسيحية ذاتها ، انها الكثلكة نفسها ، فالامير مرغم على أن يمتشق الحسام عند الحاجة ليدافع عن كنيسة بلاده الى جانب دفاعه عن الكنيسة العامة أيضا ، ومتى كان الامر كذلك فقد وجب عليه أن يدافع عن أعضاء هذه الكنيسة الخاضعين لامراء آخرين . »

« ويتدخلون ثانيا لأن جميع المسيحيين البرتستنت اخوان بما أنهم ابناء اب سماوى واحد ، يجب عليهم أن يتعاونوا وأن يتبادلوا الدفاع بالساعد والعضد على اعتبارهم اخوانا . »

إن فى هذا المبدأ انبثاق فكرة اخاء انسانى تخطى حدود المدن والممالك ، ولكن هل الظلم حالة من أحوال التدخل المشروع ؟ لقد قرر الكاتب البرتستنتى ان الواجب يقضى على الأمراء والشعوب الأجنبية ان تتدخل للدفاع عن رعايا أمير ظالم . حتى وان كان الظلم سياسيا شأنهم فى ذلك شأن من يدافع عن المضطهدين فى سبيل الدين .

وبحكم استمرار هذه العادة اصبح التدخل فى سبيل نصرة الشعوب المسيحية المضطهدين وتحقيق استقلالهم مشروعا ، ولكن هذا العطف الدينى ليس من أسباب التدخل إلا فى دائرة ضيقة

فالدين اذن من مقومات الاستقلال داخليا وخارجيا ، ولذلك يجدر بنا العناية

به والعمل على بث فضائله وصيانة وحدته على اعتباره دينا عاما والتسامح مع باقى الاديان واطلاق الحرية لمعتنقيها ،واذا انت راجعت معاهدات الصلح ولاسيما معاهدة سان ، جرمان آن لى ، وجدت نصوصاً كثيرة خاصة بهذا التسامح وعلى الخصوص ما كان منها متعلقا بتشيكوسلوفاكيا . ويجدر بنا بعد ذلك أن ننتقل إلى الكلام عن العادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

العادات

العادة قاعدة تحكم مظهر الانسان . فهى أساس القانون باعتباره قاعدة تحكم مظاهر الحياة الاجتماعية . فالعادة هى قانون طبيعى غير مسنون ، تنتقل من فرد إلى فرد بحكم قانون الوراثة إلى أن تتأصل فى النفس وتكتسب اتساعا وعمقا فى كتلة الجماعة فترغم المشرع على أن يسنها قانونا وضعيا ، أو تبق خلقا عاما قوميا لا يجرأ المشرع على تضييق دائرة سلطانه ، واذا هو حاول ذلك كان نصيبه الفشل و كتب لأثر قوانينه العفاء حتى وإن بقيت مسطورة

ألا رأيت حكم العادة التى استحالت خلقـــا فى الرجل الفرنسى ؟ اننا نرى الرجل الفرنسى الذى يعيش فى هذا العصر هو نفس الرجل الفرنسى الغولى الذى عاش أيام « يوليوس قيصر » فاذا نحن راجعنا « سترابون » و « ديودور الصقلي » وجدنا مميزات الخلق الفرنسى فى التعلق بالاسلحة والشغف بكل ما يلمع ، وخفة الروح ، والطيش الشديد ، والزهو البليغ ، والمكر والخداع وذلاقة اللسان ، وسهولة الاغترار بالعبارات الخلابة ، أما اذا نحن رجعنا إلى مذكرات «يوليوس قيصر » فاننا نعثر على آراء وأفكار خاصة بالشعب الفرنسى تكاد تكون بنت اليوم ، فقد قال قيصر : « فاض أهل الغول بحب الثورات ، فالاخبار الكاذبة تثير عواطفهم وتقودهم إلى اقرار أعمال هامة لا يلبثون أن يعضوا بنان الندم عليها ، أما الفشل فيلق إلى روعهم الخور ، وينهك عزيمتهم ، فبنسبة اسراعهم إلى الشروع فى الحرب التى لا مسوغ لها تسودهم الرخاوة ساعة الكارثة ، ويذهب عنهم كل نشاط وهمة ، ويخمد فيهم كل مجهود وعزمه » (راجع الجزء الرابع من مذكرات قيصر ص ١٣٥ وسترابون جزء ٤ ص ٤ وديودور الصقلي جزء ٥)

أما إذا أنت أردت أن تبحث عن المثل العجيب للخلق القومى الذى قام أساسه

على العادة فامامك صفحات التاريخ الاغريق القديم فهناك تجد كيف كانت حال أهل بيزنطه .

لقد قال « أمبير «Ampére بصدد من هـــذا « ان جوهر الخلق الاغريق لم يتغير على ممر الايام ، وتقلبات الازمان فهو هو بفضائله ونقائصه حتى الآن » .

ومعنى هذا أن أثر العادة فى الاغريق الاول لم يتبدل ، وانه انتقل بطريق الوراثة كما هو. ولماعثر « بوكفيل »فى المورة عن نماذج آبيل(Abel)و «فيدياس»Phidias لاحظ بعد فحصها أن الخاصيات الجوهرية للعادات تنتقل أيضا بانتقال الخلق إلى ظاهر الصناعات فالارقاذيون (أهل Arcadie) يعيشون حتى الآن عيشة الرعاة ، لان فكرة الحياة بهـــذه الطريقة لاتزال حية فى أعمـاقهم تعمل في نفوسهم عمل «الدينامو» المحرك ، أما جيرانهم أهل اسبرطة فانهم لايزالون مولعين بشهوة العراك والقتال ، فياضين بالغيظ والحقد والحفيظة والصخب ، أما البيزنطيون فانهـم قد احتفظوا باللغة والتقاليد والعادات والمهارة التى لم تعتز بأية قوة ،ولذلك فان هذه المهارة تنقلب مكراً سيئا ، أما حب جمال اللغة والمناقشـات الرائعة فقـد صارت اللغو البيزنطى أو الثرثرة والسفسطة البيزنطية ، وأما المرونة اليونانية فقد استحالت كياسة خاتلة ، فيونانى اليوم هو يونانى عصر « بيريكليس » ولـكنه جف وأمسى هشـا ، ذلك بأن « الاجناس تتغير كلما تقدمت فى السن ، وهذا التغير إما أن ينطوى علي صلاح أو فساد ، ولـكن معدن الأجناس لايبلي ، وتذدت تحفظ بطبيعتها أذ وى ، وتحمل دائما فى الاعماق علاماتها المميزة،ومادامت الاجناس تحتفظ بطبيعتها ، فانها تحتفظ بفكرتها وعاداتها وعرفها ونظمها السياسية والدينية .

كذلك نرى بالاختبار والملاحظة أن سلالة سكان الجبال أو شواطىء البحار أو فرسان الصحارى يميلون إلى سكنى الجبال وشواطىء البحار أو ينزعون إلى الفروسية . وإذن تكون العادات من مقومات الاستقلال إذا انطوت على فضيلة الحرية والاستقلال وتأصلت فى النفس وانتقلت بالوراثة عن طريق الدم الاصيل دون اختلاط الانساب ، ذلك بان اختلاط الدم مما يغير الخلق القومى، وبالتالى مما يغير عناصر هذا الخلق ومن بينها العادات والعرف والنظم . فاذا ماتدهور الخلق باختلاط الدم تدهورت هذه العناصر ، أى تدهورت فكرة الدولة التى لاتخرج عن أنها فكرة نظام ، والعكس بالعكس تماما .

علي أن هناك عاملا آخر من عوامل الاحتفاظ بالعادات القومية، وهو الحرص على الوسط الذى نمت فيه العادات القائمة على فضيلتى الحرية والاستقلال . أو خلق وسط يساعد علي ذلك ، أو وسط يرق بالعادات النبيلة .

ان البيئة تؤثر فى الجسم والنفس تأثيرا عميقا ، إذ هى تشكلها في صورة خاصة على مجرى الزمن ، وهى صورة تجىء بمثابة تغييرات مضمونة البقاء ، إذا تهيأت للفرد ظروف ملائمة للتطبع بها ، فاذا تمكنت هذه الظروف من أن توجد فى النفس هذه التغييرات ، استطاعت هذه التغييرات أن تتسلسل ، ذلك بان سلطان الوراثة محافظ بطبيعته ، وهو يرمى دائما الى أن ينقل إلى الخلف طبيعة السلف كلها ، سواء أكانت رقيا الى الامام ، أم تدهورا طبيعيا أم فكريا أم جثمانيا أم عقليا . . . الخ

فكيف نحافظ علي أقوم العادات وكيف تنميها ؟ ان أهم عامل من عوامل الاحتفاظ بهذه العادات وتنميتها بعد الكف عن اختلاط الدم الضعيف والعمل على اختلاط الانساب القوية هو خلق وسط ملائم لانمائها ، وأول وسيلة لذلك هى معرفة تاريخ الوطن لان تاريخ الوطن هو الوطن .

تاريخ الوطن هو الوطن

يتكون الوطن من تاريخ البلد مضافا الى الأرض والعادات والتقاليد . ولقد قال « إميل فاجيه » بحق « إن الوطن هو تاريخ الوطن، واذا لم يكن المؤرخ وطنيا فانه مع ذلك يبذر الوطنيين » . وقال الشاعر أو بينيه « رفات الشهداء بذور كريمة » . وكذلك ذكريات السلف التى دونت فى بطون الكتب التاريخية هى بذور كريمة تنبت فى البلد الطيب نباتا طيبا ولا تنبت فى الخبيث نكدا ، فرجل اليوم مشدود إلى أسلافه بوثائق محكمة العرى ماثلة فيما يقوم به وهو متأثر بما وقع علي عينية من مرئيات ومشاهدات وأعمال تجمعت فى لوحة وضاءة تهديه إلى اقتفاء أثر السلف وتقصى خطاهم .

ولقد يكون فى الامكان الاعتراض على هذا الرأى بما ارتكب السلف من جرائم وما احتقب من مثالب ونقائص ومعائب ومخازى لاتحمل على حبهم ولا يجمل معها التعلق بهم ، ولكننا نسمع هنا وحى الكرامة والهام العزة، ولانحس وخز

الاهانة ، وحز الجريرة ، لان ذلك الوحي وهذا الالهام يشرفان دائما على خطة الانسان. ومهما تخطاهما فانهما دائما أقوياء للحيلولة دون أن تنكشف الحقيقة التاريخية فتخجل بنورها نور الوطنية. فاذا ما أدت الكرامة والعزة واجبها كان التـــاريخ حصانة الوطنية وشاحذها ومستثيرها ومضرم نارها باستمرار لا تعرف معه آوار ولا انطفاء..

أفأنت تعلم أنك لا تذكر عن والدك الا محاسنه وفضائله مهما كانت علاقاتك به وصلاتك. فلم ذلك ؟ لأنه والدك ، ولأن احساس التضامن بينك وبينه يمحو من تلقاء نفسه جميع عوامل الاساءة .

وكذلك الحال بالنسبة للتـــاريخ . فاننا نرى فيه محاسن السلف ومســاوءهم ولكننا لا نتحدث الا عن الفضائل ولا نذكر الا محاسن الموتى اذا ما كان الأمر خاصا بالذكرى .

« أما المساوىء فاننا نتلمس لها المعاذير اذا لم نشأ أن ننكرها ، وقد نسندها الى فعل الزمن ونفوذه ، ناسين أن الزمن ليس منـا ، ولا نحن منه ، مع أنه مجموعة الناس الذين عاشوا فترة معينة ، ولكن ما الحيلة وهذا هو مجرى الأمور ولا مناص معه من أن نلق على المجاز تبعة السيئات التى ارتكبها أسلافنا وان لا نعول إلا على ما قدمت أيديهم من حسنات . وبهذه الطريقة يقر التاريخ فى أعماقنا على أنه عقيدة دينية مقدسة نحملها شعارا لأجدادنا ، « فاحساس تضامننا مع آبائنا هو الذى يجنح بنا على غير روية ولا تبصر الى ألا نرى فيهم غير الجوانب الطيبة والنواحى الجميلة وألا نبصر فيهم من هذه النواحى الا ما يضاعف احساس تضامننا معهم ؛ فالمسألة اذن فعل ورد فعل ككل حدث »

« فالتاريخ اذن اكبر محدث للوطنيين ، وكل شعب يغزو شعبا آخر لا بد له من أن يجعل همـه الاكبر منصرفا الى اداء أقدس واجب عليه نحو نفسه ، وهو منع المغلوب من أن يتعلم تاريخ بلاده ، واضطهاد المؤرخين واعجازهم عن الاضرار به او شرائهم بثمن أغلى مما يساوون أو أرخص مما تقدر به قيمة النفوس الكريمة

وليس المؤرخ هو ذلك الرجل المكب على تمحيص الوثائق واستقراء الوقائع وتحليل الاحداث لاستخلاص الحقائق من تحت أنقـاض الزمن ، ليس هـذا هو

الاختصاصي فحسب وانما هو أيضا ذلك الزعيم أو ذلك السياسي أو ذلك الصحفي الذي يصب الحوادث في قوالبها، ويسن الاعمال في صورها دون تشويه أو تزييف أو تمويه، خالصة نقية كالطبيعة في سيرها.

هذا أمر المؤرخين باختلاف أنواعهم، أما الفلاسفة الذين يعترضون على الوطن والوطنية ويعادون فكرتهما فمن الواجب أن لا يكونوا مؤرخين حتى وان كانوا قساة غلاظ القلب، لانهم يمقتون التاريخ ويصبون عليه اللعنة، واذا هم لم يقدموا على أن يلعنوه فانهم يلعنون على الاقل تاريخ الوقائع الحربية، والمجازر البشرية ويتزلفون الى المؤرخين بأن لايضعوا الا تاريخ المدنية، وأن يمحوا من كتب التاريخ التي تدرس للاطفال كل ما هو سيرة حربية ، لانهم فلاسفة سطحيون لم ينزلوا الى أي عمق من أعماق الفلسفة التي لاتجرى الا وراء الكشف عن الحقائق الخالصة، ولذلك فهم لايدركون أن تاريخ الفتوحات والانتصارات ودوى المدفع واشراق قنابله في جوف الاجواء، وبريق الحراب ولمعان السيوف يفرغ الوطنية على قلوب الرجال والأطفال سواء بسواء كالتاريخ ذاته وما يعمله بذاته ولذاته، كما أنهم لايفهمون أن تاريخ عظماء الرجال يخلق العزة الوطنية والانفة القومية مهما كانوا، وان هاتين الفضيلتين يمكنان الايدى الوطنية من القبض على أقطع سلاح في اللحظة التي يرون فيها الوطن الذي يعتزون به مهاجما في شرفه، مهددا في طمأنينته وسلامته.

ان فلاسفة من هذه الفصيلة يرون بلا شك أن الواجب يقضي عليهم باضطهاد التاريخ ونفيه من حظيرة العلم حتى لاتبق إلا الجغرافية مجردة من معالم الحدود والتخوم، ولكن مما لانزاع فيه أنهم لن يصلوا الى غايتهم والأرض دائرة حول الشمس، وستبق مهمة المؤرخين قائمة على بذر البذور الوطنية وان كانوا مؤرخين حربيين حتى تستمر العادات القومية في سبيل النماء، عاملة على تكوين الخلق القومي تكوينا استقلاليا لايتزعزع امام الكوارث ولا توئسه المدلهمات

ولكن العادات الحربية ليست وحدها هي العادات التي تصلح مقوما للاستقلال، بل هناك التعود على درس الفنون والآداب وتحصيل العلم باستمرار.

الفنون والآداب

الفنون والآداب جزء من التقاليد والعادات والذكريات، ولهذا الاعتبار يتحتم أن تكون الفنون والآداب من العوامل المنشئة للوطنية، ولكن الواجب يقضي علينا أن نفرق بين الفنون والفنانين، فالفنون هي الوطنية أما الفنانون فلا، وبعبارة أصح، أن الفنون جانب من الوطنية أقوى مما عليه الفنانون أنفسهم، ألا ترى إلى الطفل عندما يبلغ السن التي يستطيع معها أن يكون الانسان وطنياً لا يفكر في أن يستحق تقدير الوطن بالفنون ولا في أن يخدمه بها، وانما يفكر في أن يخدم الوطن ويستحق تقديره بالانخراط في سلك الجندية أو الالتحاق بالسلك السياسي، بعكس فنان المستقبل فانه لا يفكر إلا في فنه الذي أصبح وطنه دون سواه من الأوطان، أما الفنانون الذين أتقنوا حرفة الفن فان فكرة الوطن لا تستفزهم إلى عمق بعيد، إذ لم تقم هذه الحرفة ولم ترصد على أن تكون مكامن الوطنية.

إن هذا الرأي هو من الآراء التي يمكن أن نضيفها الى حساب الأدباء أيضا، فأنتم تعلمون أن «فكتور هوجو» كان وطنياً متطرفا. أما «لامارتين» فانه كان تارة يعرف الوطن على النحو الذي أبنا، وطوراً يقول: «ان الامم كلمة فخمة ضخمة تجمل بها الأقوال، ويعبر بها الناس بدلا من كلمة بربرية، ويقولونها تفاديا من أن يصارحوا العالم بأن لا وطن إلاّ للانانية والحقد، فوطن الرجل هو البلد الذي يحيش فيه ذكاؤه، ومواطنه هو كل من يفكر مثله»

وهناك الشاعر «الفريد ده موسيه» ألا تراه تارة يقول نهر الرين الالماني، وطوراً يقول: «تسألونني عما اذا كنت أحب وطني؟ نعم وأحب اسبانيا حباً قويا وتركيا أيضاً». ودعك من «هنري هين» و «نيتشه» فانهما قد أعربا عن العداوة الشديدة المستمرة نحو بلادهما.

ويقول اميل فاجيه: «ان السبب في ذلك هو أن الفنان العظيم أو ذلك الذي يريد أن يكون فناناً عظيما يشعر في الواقع بأنه جزء من عالم يمتد إلى ماوراء حدود بلاده، إنه يحس أن له وطنا يسمى المدنية، فان كان اسمه «لامارتين» مثلا فهو لا يستطيع إلا في صعوبة منع نفسه من التفكير في أنه أقرب الى «جوته» منه الى الصانع المحدود الفكر والذكاء الذي يقيم بجواره ويعجز عن أن يفهم «لامارتين» وفي أغلب الأحيان يكون هذا الفنان موضع تقدير في البلاد الأجنبية منه في بلاده

كما كان شأن «هنرى هين» و «نيتشه». وإذن فقد وجب عليه أن يكون متحلياً بفضيلة خاصة حتى لاتتوتر علاقاته مع أهل وطنه إن لم تنقطع،

ولكن مهما كانت فكرة هؤلاء العظماء من ناحية الوطن، ومهما كانت علاقاتهم به فانهم فى طليعة العاملين على تكوين الوطنية والوطن، وصيانتهما واستمرارهما وخلودهما، فمن عظمة أعمالهم وعزتها يستمدالخلف عظمته وعزته، ومن أعمالهم يمكن تلقيح الأجيال المستقبلة بحب البلاد وشحذ هذا الحب واضرام ناره.

نعم إن الفنانين والأدباء من العاملين على خلق الوطن. فلقد كانت أغلبية شعراء ايطاليا وفنانيها فى القرن الرابع عشر والخامس عشر بعيدين عن أن يفكروا فى وحدة إيطاليا. ولكن إيطاليا كانت فى أعماقهم وحدة قوية. ولا مناص من أن تأتى اللحظة التى يجب على الشعب أن يعرف فيها قيمته من الوجهة السياسية مادام ان هذا الشعب قد وجد واشتهر في العالم أنه شعب آداب وفنون، ومن أقدم الشعوب مدنية ومجداً، وإذا كان عهد إحياء العلوم والفنون قد حمل فى أعماقه فكرة بعث إيطاليا لأنها كانت ربة الفن والشعر. فان العهد المصرى الحاضر يحمل بين جنباته بعث مصر على أنها كانت المدنية وكانت النور وكانت العلوم والفنون قبل أن يعلم البشر شيئا من كل ذلك.

العلم

أما العلم والعلماء فشأنهما شأن الفن والادب والفنانين والادباء. وإذا أنت استثنيت مخترعى الآلات الحربية الجهنمية استطعت أن تقول بأن لا أثر لذلك العالم الذى يتابع البحث، ويتابع البحث وراء اكتشاف وهو يفكر فى الوطن، فالعالم فى هذا الموقف لا يفكر إلا في اكتشافه أو اختراعه. فهو إذن لا يفكر إلا فى العلم دائما. وقد يفكر فى المجد قليلا. وحبذا لو استمر الامر على ذلك، لان من مصلحة الوطن، ومن الواجب، أن يكون البحث العلمى نزيها. وأن يكون العالم ولوعا بعلمه. ساميا بعمله عن المنافع. فاذا توافر هذا الشرط يمكنه أن يبحث عن كل شىء أو عن أى شىء. قل أو جل. مما يلوح أنه يدعو للبحث

في تشوق وتوقد حتى إذا ما أدركه أطفأ ظمأه اليه، دون أن يبحث عن أشياء قريبة المنال، مدرة للارباح وفاق الآمال.

لقد تم الكشف عن نظرية الملاحة قبل تطبيقها بألف سنة. وإذن يكون العلماء قد بحثوا عنها لذاتها لا لنتيجتها. لأن العالم يقول دائما وهو يبحث: «النتيجة تأتى فيما بعد علي الراجح جدا وقد لا تأتى أبداً. وهذا أمر لا نعبأ به مطلقا لأن المعلومات جميلة بذاتها».

فمهما كان العالم وطنيا فانه لا يفكر أثناء اختباراته فى مصلحة بلاده ولايعنيه وطنه الا قليلا جــداً. بل هذا نادر جداً كما كان شأن «باستور»، ولكن على الرغم من ذلك فان العلماء كالنحاة والادباء والفنانين ممن يخلقون الوطن، فاذا سمعت فرنسيا يقول أنا فرنسى كان تفكيره متجها ومنصرفا الى أنه مواطن «برتيلو» و «باستور» بقدر ما هو منصرف الى أنه مواطن «فكتور هوجو» و«كورنى» بل ربما يكون تفكيره منصرفا الى العلماء أكثر من انصرافه الى الادباء، لان العالم اذا لم تفض خطواته الى نتائج عملية بالتعيين فقد يحصل أن يدرك نتائج يذهل بها الناس ويثير عاطفة الاقرار بالجميل إثارة عميقة قد لا يحدثها عمل أدبى جليل القدر.

لقد أذاعت احدى الصحف الفرنسية فى القرن الماضى مسابقة عن العشرة الاول بين عظماء فرنسا في القرن التاسع عشر، فكان «باستور» هو الاول بتفوق عظيم على الثانى أما «شاتوبريان» فانه جاء فيما بعد بمراحل.

ولقد أدهش ذلك الواقفين على أسرار الحياة الفرنسية فى ذلك القرن، ولكن الجمهور قد اعتمد على الذوق السليم عند ما حكم باستبعاد الشهداء اجتنابا للزراية بهم اذا ما أحلهم مرتبة قد لا تكون متفقة ومنزلتهم.

وإذن فمهما كان الأمر فان العلماء من العوامل التى لا تزال قوية فعالة فى خلق الوطنية وتدعيمها، فعظماء الفنانين وكبار العلماء يساعدون هذه المساعدة المنتجة الفعالة فى عمل لايتحمسون للتعلق به وقد لا يفكرون فيه أحيانا. ولعمرك أن هذا الموقف من جانب هؤلاء الفنانين والعلماء لمن أغرب النقط فى علاقات الجمهور بخيار الرجال وأولى الرأى.

اننا نرى بوجه عام ، ومع التحفظ الضرورى فى مثل هذا المقام ، أن أولى الرأى وخلاصة الاذهان لا يشعرون بانفسهم وسط الجماهير ، على نقيض الناس، لانهم لا يرون جذوعهم ممتدة متغلغلة فى الجماهير ويحسبون أنهم بمعزل عنهم .

أما الجماهير فليس لهم فكرة واضحة عن النظام الارستوقراطى الذى تريد الطبيعة أن يكون عليه النوع الانسانى ، فهم لا يقولون أن النوع الانسانى يعيش من أجل البعض كما أنهم لا يتصورون أن العلماء هم الذين انتزعوا الانسانية من بين أنياب الطيور الجارحة وعلموها كيف تتغذى بالخبز وامدوها بالمساكن الخ . ولا يقولون ان الفلاسفة هم الذين وهبوا الانسانية قواعد الحياة الصحيحة العادلة ولا يدركون أن الفنانين هم الذين سلحوها باقوى عـــدة لمقاتلة أخطر الكوارث وأشدها فتكا . وهى كارثة الملل التى تصيبنا بين آونة وأخرى . ولا يعلمون أن هذا هو النظام الارستوقراطى الطبيعى الذى لا مناص من وجوده ولا بد من خلودة . وإذا ما حاولت الانسانية أن تنقذ نفسها منه كان لا معدى لها عن أن تتردى فى هاوية عميقة القرار .

إن الجماهير لا يقولون كل ذلك، ولا يعلمونه ، ولا يفهمونه ولا يدركونه، ولكنهم يحسونه بطريقة غامضة ، فهم يفتتنون بالقوة ويعجبون بها كأنها من عوامل السحر التى تذهلهم وتغنيهم بقوتها عن عقولهم ، وتراهم يقدسون المحسنين للانسانية وبخاصة إذا كانوا من أبناء الأمة التى ينتسبون اليها ، ويميلون فى نوع من النشوة الى من يرون أنهم منقذو البشرية ، وبخاصة اذا حملوا أسماءهم وعاشوا فوق أرضهم وتحت سمائهم وتكلموا لغتهم ، ومتوا اليهم بعادات وأوهام واحساسات تكونت منها أخلاقهم

والخلاصة أن رابطة الفن والعلم قوية جداً . حتى لقد رأينا وجوته، ذات مرة يقف أمام كاتدرائية ستراسبورج صائحا : ان هذا ليس هو الفن المعمارى الغوطى، ألا إن هذه تسمية لا معنى لها، ولكن هو الفن المعمارى الالمانى . الفن الذى اخترعه الالمان ، ومن الواجب أن نسميه دائما : الفن المعمارى الالمانى .... فى هذا العمل الفنى قد وجد أجدادنا خيرة الوطنية . ، والجماهير تحذو هذا الحذو ، ولذلك

فانهم يشعرون بان الاعمال الجليلة التى خلقها الآباء تراثا لهم ليست الا الرابطة المتينة التى تربطهم بالوطن فى غير انفصام .

على أنه اذا كانت العلوم والفنون والآداب جزء من العادات والذكريات التى تدعو العناية بها الى خلق وسط يحافظ علي أنبل العادات المعتبرة من مقومات الاستقلال فان هناك عادات أخرى اذا عنى بها أدت إلى تربية تزيد الخلق القومى نماء ورقيا، وبالتالى أدت الى أن تكون العادات من مقومات الاستقلال حقا . ونريد بها عادات الاعياد والذكريات القومية ذات الأثر العميق في التربية الاستقلالية .

الاعياد العامة

والتربية الاستقلالية

إن الاعياد العامة من أسباب تربية النفوس على المبادىء المؤدية بالاخلاق الى أن تقوم علي أسس قويمة خالدة مقدسة ، توحى للرجل ذلك الاحترام الدينى نحو الرجل وتلهمه الشعور بالواجب كفالة للرفاهية الاجتماعية ، وتعيذه من شر الفساد وتوجه التربية العامة فى سبيل يطبع الرجال بأجل السجايا وأفضل المناقب التى تتفق ونبل مقاصد الأمة ، وتتلاءم وشرف مبادئها ، وتنطبق وسمو المصير الذى ترمى الى تحقيقه .

إن الضرورة العامة تتطلب توجيه التربية فى هذه السبيل ، لان الغرض من التربية أن تكون شائعة بين الجميع حتى لايتكون أفراد وانما يكون وطنيون

ان للوطن وحده الحق فى أن يربى أبناءه ، وهو لايستطيع أن يعهد بهذه الوديعة الى الكبرياء العائلى .ولا لأوهام الخاصة . لانفي الكبرياء . وفىالاوهام الغذاء الضرورى لنماء الاستقراطية . كما فيها وسائل محدودة لتربية تبعية معينة وخضوع محدود . كلاهما يؤدى الى انكماش الروح وتضاؤل النفس بسبب العزلة ومن ثم الى انهدام المساواة مع أسس النظام الاجتماعى .

ولدرء هذه الاخطار يجب أن نفكر فى اقامة الاعياد العامة ، لان نظام هذه الاعياد جزء جوهرى من التربية العامة .

ان اجتماع الخلائق يقضى حتما الى اصلاح أحوالهم . فالانسان قدجبل بطبيعته على أن يعمل كل مايحمل الناس على الاعجاب به،مهما كان دميما فظا . ولا يمكن أن يكون موضع اعجاب الا اذا هو فرض على النـاس احترامه . فاذا أنت جعلت أسباب الاجتماع أدبية وسياسية استطاع حب الاعمال الشريفة أن ينفذ الى النفس مقترنا بالغبطة والسرور والمرح . ولا جدال فى أن كل هذا من مستلزمات الاجتماعات العامة

ان الانسان أعظم شيء فى الوجود . وأبهى منظر من المناظر . فكيف بك إذا رأيت منظر شعب كبير ضخم ؟

لقد تكلموا في حماسة فياضة عن أعياد اليونان القومية . مع أن موضوعها لم يكن قط غير مباريات تسطع فيها قوة الاجسام . وتلمع فيها المهارة . واذا اتسع مجالها خطرت فيها عبقريات الشعراء . وترددت فى جوانبها فصاحة الخطباء البلغاء غير أن فوق هذا وذاك كنت تجد فى هذه الاعياد بلاد الاغريق نفسها . ولذلك كان المنظر أكبر من مناظر اللعب واللهو . فالنظارة كانوا يمثلون الشعب الذى غلب أسيا وظفر بطغاتها . بعد إذ رفعته الفضائل أحيانا فوق مستوى الانسانية بينما عظماء الرجال الذين أنقذوا الوطن نخلدهم الوطن كانوا كالشموس فوق هامات الجموع .

لقد كان الاباء فى هـذه الاعياد يوجهون أنظـار أبنائهم الى « ميلتياد » و « أرستيد » و « ايامينونداس » و « تيمبليون»الذين كان حضورهم هناك درسا حيا فى الوفاء للوطن . والولاء للكرامة ، والاكبار من الشهامة . والحرص على العدل . وإنصاف الوطنية .

فهل لا يسهل علي الشعب مرح كالشعب المصرى أن يجعل الغاية من احتفالات كهذه أبعد وأسمى شأنا ؟ الا أن نظاما جديا لأعياد وطنية لما يوجد بلاريب أماكن أدعى الى توثيق عرى الأخاء واستعادة النشاط وتجديد دم الشباب .

ليكن لنا أعياد عامة وأخرى خاصة . ولترم جميعهـا الى غرض واحـد ، هو التوفيق بين المشاعر العامة التى هى فى الحقيقة روعـة الانسانية ،وزينتها وبهاؤها، ومصدر حماسة الحريات الشعبية ، وواسطة حب الوطن ، واحترام القوانين .

ولتكن ميادينها حلبات تنصب فيها اللعنة على ذكريات الظالمين ، ولنقم فيها باداء جزية الشكر والاعتراف بالجميل لذكريات حماة الحرية النوادين عن الانسانية ، ولتستمد هذه الاعياد قوتها من الحوادث الخالدة فى تاريخنا ومن الشئون العامة التى يقدسها القلب البشرى ويعزها ، ولتمثل فى هذه الأعياد جميع خصال الطبيعة وفضائلها ، ولنفتحها بدعاء المنتقم الجبــــار أن يرفع الغشاوة عن الاعين ويهدى الضالين الى الكرامة وحقيقتها ، ومعنى الشرف وصحته .

فلنختر اذن من شئوننا العامة أعياداً .

ولنخلع على واحد منها اسم الحرية حتى يكون لنا منه اسمى وأجمل أعيادنا . وهو عيد ابنة الطبيعة ومصدر السعادة والرفاهة والهناء ، تلك الابنة التى سادت سيادة شرعية فازلتها الجريمة عن عرشها ، . وخلعتها ملكها ، وجردها العدو من امبراطوريتها ولكنها ستشاطر بهـذا العيد ذكرى ضحايا هى وزميلتها المساواة المقدسة فتستمدان من هذه الذكرى قوة وفتوة وشبابا

ولا يغرب عن البال أن الواجب يقضى بان يقـوم الى جانب هـذا العيد عيد آخر نحتفل فيه بالانسانية ، الانسانية التى دنست ، وبالاقدام ديست . وسيكون يوما مذكوراً مشكوراً ذلك الذى نحيى فيه عيد النوع الانسانى . انه سيكون الاحتفال الاخوى المقدس الذى يقام تمجيداً لانتصار الشعوب على أعداء الوجود البشرى . وتدعى اليه الاسرة العالمية كى تحتفل بيوم الدفاع عن الشرف والحقوق التى لا تسقط بالتقادم .

ثم لنحتفل بذكرى العظماء ، إلى أى شعب انتسبوا ،وفي أى عهــدظهروا . ما دامت بطولتهم قد انحصرت فى انقاذ أوطانهم من نير العتاةالمستبدين، واقتصر عدلهم على أن يقيم صرح الحرية بقوانينهم الحكيمة، ولنذكر فى هذا العيد ضحايانا الذين راحوا فداء الوطن، نعم اننا لن ننسى من جاهد فى سبيل انقاذ الوطن! ومن يستطيع أن ينسى أبطال الوطن ؟ إن مصر مدينة لهم بيقظتها ، والشرق مدين لهم بنهضته ، ولن يتأخر العـالم الشرقى عن أن يحتفل بذكراهم ، ويشيد بآرائهم التى نتمتع اليوم بأثارها ، وننعم بثمراتهـا ، فكم من وقائع بطولة اختلطت بسلسلة الاعمال المجيدة التى تمت فى سبيل الحرية والتحرير . كم من اسم جدير بأن يدون

فى سجل التاريخ الذهبي قد بقى غارقا فى غيابات الجهل وظلمات النسيان، فيا أيتها الأرواح المجهولة المقدسة، إذا عازتك الشهرة فلن يفوتك اقرارنا لك بالجميل في حنو ورحمة.

فليروع الظالمون، ولتزلزل أقدام اعداء الحرية، إذا ما جاء ذلك اليوم الذى يحج فيه المصريون إلى قبور شهدائهم الصادقين فى استشهادهم، وضحاياهم المخلصين فى تضحيتهم، كى يقسموا يمين الطاعة لسيرتهم، والولاء لخططهم. والبر بما قطعوا على أنفسهم من عهود حالت المنية دون استكمالها، أو وعود قضى الموت بالتفرقة بينهم وبين انجازها.

ان التاريخ شاهد عدل على أن جميع الفضائل تتسابق إلى أن تتزعم أعيادنا. فليكن لمصر اذن عيد مجدها، مجد الذين حرروا العالم أو أناروه أو عززوه وعذروه وعزوه، لا مجد الذين اجتاحوه واضطهدوه وأذلوه، مجد الذين كانوا بعد الوطن موضع تقديس القلوب الطاهرة الكريمة والأرواح الزكية السايمة.

ولكن علينا قبل أن نقيم جميع هذه الاعياد أن نحتفل بعيد أجل من كل هذه الاعياد أثراً وأبعد منها وقعاً، وأشد استفزازاً، وأقوى استنهاضاً، وهو عيد المصائب والشدائد!

أن العبيد يعبدون الثروة والجاه والسلطان من دون الله، أما نحن فاننا نريد أن نكرم المصيبة، تلك القوة التى لا تستطيع الانسانية أن تقصيها عن حظيرتها حتى لتراها تعزبها فى احترام وتوقير، وتسليها فى احتشام وتكبير.

فيامن جمعت فيما مضى، ولا زلت تجمعين بين الابطال والحكماء، يا من أحكمت فيما مضى ولا زلت تحكمين الصلة بين الأصدقاء، ولم يعرف عنك الاشرار الذين وثقت الجريمة صلاتهم إلا انك سراب خداع يؤثر بأكاذيبه، ويغرر بسحره، انك ستكونين موضع التكريم لتستردين فى مصر عظمتك وسلطانك، فسلطان المصائب سر نهوض الشعوب، وعظمة الكوارث معنى جلال الوجود. بل وسنقيم لك هيكلا فى كل صدر، ومذبحا فى كل نحر، ومعبداً فى كل قلب، لتكونى إلى الروح أقرب، والى مكمن تردد الانفاس أدنى وانجب.

ولماذا لا نكرم إلى جانب المصائب الحب الطاهر الكريم، حب الاسرة

وحب الوطن وحب الدستور ؟ ان عيداً كهذا لهو عيد عظيم ، ففيه ترى المدافعين عن الوطن الذين امتازوا بجراحهم ، وفازوا بأسمه البطولة فى جهادهم .

انه عيد سيضم الشيوخ الوقورين ، الذين ستطمئن قلوبهم للتمهيد لسعادة مستقبل أبنائهم واحفادهم . وتتعزى بذلك نفوسهم عن طول حياة تقضوها تحت نير الاستبداد داخل السجون الذهبية !

انه عيد سيشهده هؤلاء الابناء تلاميذ الوطن الناعمين الذين ستنموا مدار كهم وتفتل سواعدهم وتترعرع أجسادهم حتى يكونوا لمجد الوطن عدته ، واداة جنى ثماره !

وسيكون فى هذا العيد سيداتنا اللواتى حمل ازواجهن وأبناؤهن أسلاب النصر على أكتافهم ، بقايا من الاغلال والاصفاد ، وركام من الذل والاستعباد .

فيا أيتها السيدات المصريات اعززن الحرية التى يشتريها أبناؤكم وأزواجكم بثمن غال : جهود قوامها الأنفس والأموال والثمرات ، واستخدمن نفوذ كن فى تدعيم سلطان فضائل مصر الحرة المستقلة .

يا أيتها المصريات ! انكن جديرات باحترام العالم وولائه وأمانته ، فأى شيء تنازعن فيه أهل اسبرطا وقد أنجبتن أبطالا شداداً جعلتن منهم خداما للوطن أشداء يربطهم به وثاق لا ينقطع إلا أن يكونوا فداءه وفداء حريته واستقلاله . فيزداد هذا الوثاق إحكاما ونماء .

ألا إن الويل لمن يحاول اطفاء هذا الحماس السامى . أو اخماد غريزة الفضيلة التى تدفع إلى تحقيق أنبل الأعمال ببث النظريات الموئسة ، والمبادىء الفاسدة الخذولة ، وما على الرجال إلا أن يعملوا لنصرة الفضائل والحقائق ، عليهم أن يسكتوا الأصوات التى ارتفعت فى صخب عربيد متشردجاهل لنشر الظلام، وتسويد أشأم خضوع على عزة الأنام ، وأعلاء شأن الشر على مستوى الخير ، وإلا فماذا نكون إذا لم نؤت الشجاعة الكافية لمجابهة الباطل وهدمه والنهوض بالحق ورفع علمه . ان الأجيال المستقبلة لن تظن ان مخلصى اليوم كانوا موضع مقاومة صادقة ، أو سخرية جدية ، أوتهم مشينة صحيحة . ولكنهم سيوقنون بان الباطل قد ران على قلب العصابات التى حالفت الزمن والفكرة على تشتيت

جند الوطن ، وإبادة وقتهم حتى جعلت هذه العصابات تتهم المخلصين بالاعتدال والجبن لأنهم ذكروا الناس بسر الخلود وحكمة البقاء فى عالم الأحياء وعالم الأموات .

ان الخلف إذ ما اطلع على هذا السر ووثق به يستطيع أن يقضى بأنا لم نرجع بالعقل البشرى قروناً الى الوراء ، وانما سيعتقد اعتقاداً جازما بأننا قطعنا به مراحل الى الامام ، وأشواطاً فى مجال الرقى على نقيض هؤلاء الجبابرة الذين جعلوا طوال حياتهم العقيمة يشحذون خناجرهم الدنسة ليغمدوها في صدور الضعف ، ثمنا للشرك بالوطن وما الشرك بالوطن الا من الشرك بالله .

ان جميع السفهاء قد جعلوا وسيجعلون كل من دافع عن حق بلاده فى اخلاص ونبل هدفا لسخطهم ومقتهم . فلا عجب اذن ولا دهش اذا تحالف جميع أعداء الوطنية علي أن يعدوا السم للخدام الابرار . ولكن الواجب يقضى على هؤلاء بانقاذ الوطن قبل أن يتجرعوا هذه الكأس . فالسفينة التى تقل حظ الامم لايقوى الغرق على ابتلاعها ، انها تسير فى رعاية الشعوب ولن يبلغ كبرياء العواصف منها الا أن يحنى الهام أمام مقدمها احتراما للشعب . وتمجيداً لمجهوده

فليقف جميع الوطنيين اذن فى موقف العدالة هادئين مطمئنين ، لاتزعزعهم الحوادث ، ولا تفل قواهم هجمات الكوارث ، وليثابروا على اشعال نور التبصر وليدأبوا علي ايقاظ شعلة الضمير العام ، وليزمجروا فوق رؤوس المجرمين قاذفين صواعق الغضب على جميع صنوف الاعداء المتراصين . وليدلونى بعدئذ على ذلك الذى يجرأ على أن يرفع صوته لينال من جلال الشعب الهضيم فى أشخاص رجاله العاملين المخلصين بعد اذ تستحيل هذه العادات النبيلة خلقا يحفز الشعب الى المعالى مواطن الشرف والكرامة .

واذا سار شعر فى سبيل اخضاع النصر له فعليه أن يطمر النقيصة فى أكفان الفناء . لأن أعداءه ، انما هم فسدة الأخلاق ، ضعفاء النفوس . أما أصدقاء الوطن فهم الاتقياء الصالحون كرام النفوس الذين يقدرون الأخلاق الى الحد الذى تقف عنده المعانى الصحيحة لهذه الكلمات . فتحطيم هيكل الاستبداد ضئيل الأهمية اذا قيس بما يجب نحو حمل أعداء الوطن على احترام خلق الشعب . وعبثاً نحاول

اعلان العالم أننا نقدس الحرية ونجل الاستقلال، اذا استمرت الشرور تمزق احشاء الوطن . ولنحذر بنوع خاص نشوة النجاح الابتدائى . ولنكن صاعقة فى أيام الشدائد والمحن ، متواضعين ساعة النصر والظفر ، ولنثبت دعائم السلام والرخاء فيما بيننا بالحكمة وتحكيم الضمير ، فهذا هو الغرض الصحيح من أعمالنا التى تتبعنا اتمامها وفاق الاسس التى وضعها شهداؤنا ، فكانت هى الرسالة القائمة على بطولتهم الصادقة التى اكتنفتها الصعاب من كل ناحية وأحدقت بها الأخطار من كل صوب

اننا نستطيع أن نؤدى شيئا من كل ذلك اذا اقتدينا بالشهداء الصالحين الاتقياء فلنحزم اذن أمرنا ولنسر على بركة الله ولنجعل من عيد ذكرياتهم عادة ترسخ فى أعماقنا وتصبح مع الزمن خلقا يهيء لنا وسطا محافظا على الرقى ودوام استمرار شعلة الوطنية متقدة حتى تبق العادة من مقومات الاستقلال

***

لقد رأينا أن الفنون والآداب والعلوم والذكريات من العادات التى تخلق وسطا طيبا لنماء الخلق القومى ورقيه فى اتجاه يحفظ الاستقلال والحرية من عبث أعداء الدولة بها ، واذن فهذه العادات هى مما يحاربها أعداء الوطن حتى يتسلطوا عليه ويخضعوه ، ولذلك حق علينا أن نعرف مهمة عدو الوطن تماما .

مهمة عدو الوطن

ان المستبد لا يجد أمامه من سبيل لاقتلاع فكرة الوطن واستئصال جذوع الاستقلال من نفوس أية أمة الا أن يمحو علومها وآدابها وفنونها وتاريخها وذكرياتها وآثارها ومؤرخيها ان استطاع الى ذلك سبيلا ، حتى لايبق بعد ذلك من عناصر الوطن ومقومات الاستقلال الا الأرض التى لايقوى علي ابادتها مهما عتا وتجبر ، غير أن خطر الأرض وحدها لا يكون عظيما لأنها لا تثير فى النفوس غير الاحساس الوقتى الذى يلهمه الوطن الصغير ، احساس القرية أو الاقاليم على الاكثر .

ان مهمة القضاء على الوطن والوطنية بابادة جميع العناصر المكونة لها هى مهمة

شاقة ، ولكن المتفق عليه أن يكفي لمحق الوطنية ابادة عامل واحد من تلك العوامل كعامل اللغة مثلا .

فلو أن عدو الوطن تمكن من اقناع الشعب بأن الأفضل ألا يكون المتعلمون إلا آلات حكومية ، وان زيادة عدد المتعلمين يضر بالبلاد ضررا بليغا حيث يخرجهم عن مصيرهم الطبيعي ويجعل منهم أداة اجرام وبغي ، ولو أنه تمكن من أن يقنع الشعب بأن التفوق العلمي مناقض للديموقراطية وخطر عليها ، أو لو أنه توصل على الخصوص لأن يقنع الشعب بأن الرجال الغابرين كانوا قد دهوروا احساسهم الديني ، أو أنهم كانوا جميعا بلهاء سخفاء لا فن لهم ولا أدب عندهم إلا ما استعاروه من اللغات الأخرى دون أن يكون لهذه الآداب صلة بالوطن أو قوة تصلب بها عودها أو حياة تدفعها في سبيل النماء ، لتقطعت الصلة بيننا وبين الوطن ، ولا حمرت وجوهنا خجـــلا عند ذكر آبائنا عوضا عن أن نفاخر بهم وبالانتساب اليهم والعمل على احياء ذكراهم والعناية بآثارهم ، ولكفى ذلك لجعل الشعب أهلا لان يغزوه شعب آخر بدافع هذه المشاعر المنحطة التي تطفيء العزمات وتبيد الارادات ، وتسحق القوات ، اذا قدر ولم تنتهب الشعوب ذلك الشعب المنحط وتوزعه أسلابا باردة فيما بينها .

وطني رغم الصعاب
والشـــدائد

ان هذه الوطنية التي تتألف من الذكريات والتقاليد والرغبة في أن تمر التقاليد منا الى من يلينا ويأتي في خطانا هي التي تمكن لحب الوطن في الاعماق حتى وان كنا لا نحبه . أفهل سمعت في هذه الأيام ذلك المصري الذي كان يفكر ويحس معا عندما قال : « انى لا أحب مصر ، وكيف أستطيع أن أحبها وهي تأبى العمل بأفكاري المنقذة لها ، وتحتقر كل ما لدى من مشاعر ، وتزدرى كل ذكرياتي المقدسة وذكرياتها المقدسة ، وتسيء الى تاريخي المقدس والى تاريخها المقدس ، وتطفيء سطوع مجدي الابلج ، وسطوع مجدها الابلج ؟ كيف أستطيع أن أحبها وهي تمقتني؟ انني أرتد أن أسمو بتهذيب ذكائي وتدريب عقلي بالعلوم والمعارف والكد والجد

فى سبيل التخلق بخلق يرتفع عن المستوى المادى ، ولهذا السبب أراها تبغضنى، كأنها آلت على نفسها أن تزاول مهنة أخص خصائصها احتقار كل تفوق، وكل علو وكل سمو ، وأبرز ميولها كراهية كل من يرمى إلى أن يكون فوق المتوسط، وكيف أستطيع أن أحبها أيضا ، وهى لاتحب نفسها، وتتنازل عن وجودها وتهدم كيانها ، وتحطم هيكلها أو تتخلص من حياتها ، وتسحق كرامتها بأقدامها ، ولاتريد أن تتمسك بالبقاء كما يجب أن يكون بان تحتفظ بالخلود الذى رسمته لها الطبيعة واستنه لها أبناؤها الاقدمون ، بل تريد أن تكون شيئا آخر غير مصر التى عرفها التاريخ وعرفتها التقاليد وعرفها الدين واللغة والفن والعلم ، إذ تريد أن تكون خارجة عن الانسانية وعلى الانسانية ؟

ان الوطنية ياأخى فى بلد لا وطنية له، وحب الوطن الذى لايشعر بأنه وطن ولا يريد أن يستمسك بأن يكون وطنا لهو تناقض . ومع ذلك فانى أحب هذا الوطن وأرتبط به ارتباطاً وثيقاً ، وان نفسى لتحدثنى بأن أمزقها إذا هى حاولت أن تتجنس بجنسية غير الجنسية المصرية أو أرغمت على ذلك ، فلم هذا ؟ ذلك بأن مصر ، مصر القديمة المترامية الاطراف فى بطون التاريخ ، وفى جوف ماقبل التاريخ، مصر هذه المتغلغلة فى الوجود بمدنيتها ومجدها وفتوحاتها وعزتها وشممها وعبوديتها وذلها واصفادها ، شأن كل أمة عريقة ، مصر هذه التى أفخر بها وأرفع الرأس عالياً اذا ماذكر اسمها ، قد استقرت فى أعماق بقضها وقضيضها ونفيت فى انسجتى دمها ولحمها وروحها ، وربطنى بها رباط الامومة والبنوة وجعلتنى أحمل اسمها ، وأتكلم لغتها وأدوس أرضها فى احترام واكبار ، وأرفع فوق الرؤوس علمها رمز حضارتها ونيلها وخصبها وزرعها وسلامها وطمأنينتها. فاذا أنا استنكفت أن أكون مواطنا لزيد أو اشمأزت نفسى من أن أقف زميلا لعبيد، إلا أنى أشعر بالسعادة والراحة والهناء والاطمئنان الى أطيب مصير إذا مامر بخاطرى أنى مواطن شهدائها الاكرمين الاعزاء .

لهذا يكون الانسان وطنياً رغم العوائق التى تحول دون تحقيق فكرته الصحيحة الصادقة ماجمع بينه وبين الوطن وحدة اللغة والدين والعادات . مقومات الاستقلال ودعائمه .

أما وقد اتممنا بحث اللغة والدين والعادات على اعتبارها عناصر الوطن والوطنية، وبالتالى من مقومات الاستقلال، فيجدر بنا أن ننتقل الى بحثها على انها من عناصر القومية حتى نجدها كذلك.

القومية

ليس المراد هنا بالقومية ذلك المبدأ القانونى المعروف باسم الجنسية. وانما المراد هو كون المنبت ومحل الاقامة وعادات الحياة والعقلية الاجتماعية عامة مشتركة. وهذا ماوضعه « منشيني » فى صيغة صحيحة لأول مرة فى محاضرته الشهيرة التى القاها في « تورينو » سنة ١٨٥٣.

لقد رأى « منشيني » استاذ القانون الدولى سنة ١٨٥٣ ووزير الخارجية الايطالية فيما بعد، وجوب تكوين الدولة على أساس طبيعى هو الأمة، أو القومية اذا أردنا أن نتحرى الدقة فى التعبير، ومن المعلوم أن ماتمتاز به القومية هو توافق الدين واللغة والجنس، وما الجنس الا طبائع تألفت من عادات.

ان هذا التعبير ينطبق على ايطاليا تمام الانطباق، حيث اللغة والدين والجنس تتعاون تعاونا عظيما علي تكوين الوحدة. ولكن كيف نعول علي هذا المقياس الثلاثى اذا نحن لاحظنا أن بعض الدول ممن أوتوا ضميرا سياسيا عميقا، واستقلالا لاتشوبه شائبه، كسويسرا مثلا، قد تكونت دولة مع أن اختلاف الدين وتشعب اللغة وتباين الأجناس لم يحل دون هذا التكوين، بل دون هذه الوحدة الفعلية الصحيحة التى لا يتطرق اليها تفكك ولا تتسرب اليها زعزعة؟

اذن يجب أن نذهب بعيداً بالمعنى الذى قصد اليه « منشيني ». فاذا كان هذا السياسى الفيلسوف قد رأى القومية حيث تكون وحدة اللغة والدين والجنس فذلك يرجع إلى أنه كان يعلم تمام العلم أن قيام هذه الوحدة الثلاثية لا يكون إذن اجتماعا لذاته، ولذاته وحدها، وانما هو اجتماع للتدليل الخارجى على اتحاد المشاعر.

لقد جاءت نظرية القوميات في القرن التاسع عشر لتحل محل مبدأ الاعتداء على السيادات وهدم كيان استقلال الدول تحت ضغط مطامع الأقوياء الذين

وضعوا نظرية التدخل

لقد خلع العصر الذى تلا سقوط نابليون على الدول العظمى صفة تقرير مصائر الدول الصغيرة والتدخل فى شئون غيرها من الدول، وهذه فكرة قد شعرت الدول الصغيرة بثقلها، حتى بعد أن عفت آثار نظرية المشروعية. ونعنى بها فكرة جماعة الدول الأوروبية Le Concert Européen التى خلقتها نظرية القوميات

لاحظ «ده مارتنس» فى كتابه «القانون الدولى» أن «مدام ده ستال» هى التى وضعت صيغة نظرية القوميات لأول مرة، إذ رأت أن من الواجب أن تنطوى كل دولة على شعب ولغة وعادات وعرف، ولكن حوادث سنة ١٨١٥ التى افتأتت فى كثير من الأحوال، وبطرق عديدة، على الأساس القومى عند كثير من الشعوب، لم تقو على محو فكرة القومية التى ولدت خلال الثورة الفرنسية؛ بل إن هذه الفكرة التى قامت الى جانب الجهود التى بذلت فى سبيل وضع الدساتير، والاعتراف بسيادة الشعب، كانت عاملا من العوامل التى عاونت على هدم نظرية المشروعية فى أوروبا، غير أن مبدأ القومية لم يحتل مكانة مبدأ المشروعية فى الميدان السياسى إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، رغماً من نفوذه فى الحوادث السياسية التى وقعت فى النصف الأول من القرن المذكور، فهذا المبدأ الذى وصل الى الذروة قد عرف أن يكون له السبق على كل المبادىء السياسية بفضل ما اكتسبه من حول وقوة وسلطان فى جميع أنحاء أوروبا عن طريق اضرام الحماسة في نفوس الشعب جميعا، حتى لقد رأينا نابليون الثالث يلقى على عاتق نفسه رسالة خاصة بالتعاون فى سبيل نصرة هذا المبدأ واعلانه كوكبا هادياً للسياسة الدولية ومرشداً تتقصى الأمم الحية خطـــاه.

لقد نجحت نظرية القومية فى اليونان وبلجيكا، ثم أشعلت البلقان، ثم انطلقت قذائف حروب القومية في المجر وإيطاليا والمانيا.

كان بناء أوروبا علي قاعدة من مبدأ القومية غرضاً من الأغراض التى رمت اليها سياسة نابليون الثالث. فقد رأى أن تحقيق التوازن، وبالتالى قيام سلام دائم لايمكن أن يتم إلا إذا تحقق تناسق الدول وفاق مبدأ القومية. (راجع الفكرة النابوليونية من أعمال نابليون الثالث جزء أول طبعة سنة ١٨٥٩ ص١٤٥ وغيرها)

بدأت فكرة القومية حياتها بالتحليق فى الفراغ ، ولكنها صارت في منتصف القرن التاسع عشر صدى الروح العام الذى ساد ذلك الحين ، ولقد مثل هذه الفكرة في فرنسا كل من « لامارتين » و « تيير » و « جيزو » ، ولقد بلغت هذه الفكرة الذروة فى سنة ١٨٤٨ ، ولذلك فان الفرصة سنحت لها كى تحتل مكانة مبدأ المشروعية .

ولكن مهما بالغ الناس فى سحر الخطة التى رسمت لقيام سلام دائم ، ووضع دستور عالمى عن طريق استظهار مبدأ القوميات ، فان تحقيق هذا الحلم لم يكن بالأمر اليسير التحقيق فى زمن قصير . لذلك فان السلاح قد استخدم ضرورة لتعزيز هذه الفكرة . وهذا مادعا الفقهاء إلى بحث مشروعية الحرب التى تعلن فى سبيل تحقيق أمان قومية من ناحية القانون الدولى . وتناهى بحث بعضهم الى الرد سلباً ، كما هو الشأن فيما يتعلق بموضوع التوازن . ولكن « لوران » Laurent قد قرر من قبل ضمن كتابه « تاريخ القانون الدولى طبعة سنة ١٨٦٥ جزء ١٠ ص ٣٣ » : « القوميات مبدأ سلام » . فرد عليه البعض : « القوميات مبدأ حرب » .

على أن الموقف كان لابد من أن يتغير إذا استطاع الساسة أن يفهموا فكرة القومية بمعنى اسمى من ذلك الذى فهموه حتى اليوم ، فهم لم يكشفوا لنا فى وضوح عن عناصر الأمة ولم يدلوا لنا بما انطوت عليه هذه العناصر بحال لا يأتيه الغموض من أية ناحية ، ولاهم أبانوا لنا أين تبدأ فكرة القومية ولا أين تنتهى ، ولاهم عرفوا لنا الأمة ، ولا قالوا لنا ماهى القومية ، ولقد كتبوا كثيرا فى هذا الصدد ، ولكن التوفيق لم يكن رائدهم عند البحث والتطبيق ولا عند التعريف والشرح والتعليق

ومع ذلك فلا بأس هنا من أن نردد بعض أقوال المؤلفين الكبار بصدد من مبدأ القومية ، لقد قال « ده مارتنس » (فى كتابه « حق الشعوب » طبعة سنة ١٨٨٢ جزء أول ص ١٤٧) وهو يسخر من هذه الفكرة : « لقد شادوا بهذا المبدأ ومجدوه خلال القرن التاسع عشر على أنه القاعدة الأكثر انطباقا على العقل فيما يتعلق بتسوية الخلافات المتوقعة بين الدول ، واقامة نظام يكفل لكل شعب نمواهادئا ، وقصارى القول انهم نظروا اليه كالدواء العالمى الشافي من جميع الامراض الجثمانية والروحية ، والاداة التى يؤدى استخدامها للقضاء على جميع الخلافات الدولية ،

ولقد أبان (مارتنس) كيف فرق أنصار فكرة القومية بين الدولة القومية (L'Etat National)والدولة المكونة من شعوب مختلفة اتحدت تاريخاً ، ثم قال هذا الفقيه : «رغماً من كل تقديرنا الفكرة القومية ، وعطفنا عليها ، فاننا لا نستطيع ان نفهم كيف يتسنى للشكل الخارجي القوي الذي يخلع على الدول أن يكون ضمانا للنظام والحق والقانون في ميدان الشئون الدولية . ولكن ليس في الوسع أن ننكر أن قيام مبدأ القومية يؤدي الى تعديل أصلي في الخريطة السياسية الأوروبية وفي الحروب التي تنشب بين الشعوب ،

ويرى « لوران » ان الدولة هي «عادة مجموعة تألفت فجأة من الأفراد الذين جمعتهم على الراجح القوة المتحكمة دون الارادة الاختيارية ، ولقد سعت الانسانية في أن تستعيض عن هذه الدول الذين جاءوا نتيجة الاكراه أو التسويات الاكراهية بدول أخرى أساسها العنصر الطبيعي المسمى بالقومية » ولكن فكرة « لوران » هي الأخرى استبدادية بطبيعتها ، ولا أصل لها من الصحة إلا بالنسبة لبعض الدول، وإلا فالى أي مصير كانت تؤدي فكرة القومية لو أن الانسانية سلمت بها إن لم تؤد إلى عهد حروب دفاعا عن الاستقلال ؟

ولكن فقهاء إيطاليا تناولوا مع ذلك هذه الفكرة بالبحث والتمحيص ، واتخذوا منها أساساً لبناء الدول الحديثة « فمنشيني » على الخصوص ، قد أعلن كما تقدم أن القومية أساس القانون الدولي . وقد أعلن ذلك لا سيما في كتابه الجليل الشأن الذي أسماه « في القومية على أنها أساس القانون الدولي طبعة ١٨٥٢ » وترى هذه النظرية أن رقي القانون الدولي يقوم على هذا الاساس ، لانها تعتبر الأمة وحدة القانون الدولي دون الدولة ، أما « بييرانتوني » فيرى أن مبدأ القومية ليس مبدأ القانون الدولي فحسب ، وانما هو أيضاً الاساس الضروري والشرط الذي لا مناص منه لتوزيع الشعوب فوق الارض توزيعاً سلمياً . (راجع تاريخ دراسة القانون الدولي ص ٢٧٧). ولكن « بولمرنك » Von Bulmering قد رد عليه بقوله: «ان من القوميات ما يعادي بعضه البعض . فكما كان هناك حروبات دينية فيما مضى فمن الجائز أن تقوم حروبات قومية

أشد تعصباً . إذ الدين ليس اليوم هو المبدا الهادى كما كان الامر فى العهد الغابر وانما القومية هى التى أصبحت هذا المرشد ، ولكنها مبدأ لا يهدى إلى السلم وانما إلى الحرب . » ثم قال : « إن تكوين الوحدة الايطالية لم يكن بحاجة مطلقاً إلى تحوير القانون الدولى جميعاً واقامته على قاعدة من مبدأ القومية » (راجع ص ٦٤ من كتاب « فون بولمرنك »)

ولقد قال الفقيه « رونكالى » Roncali فى مقدمة ترجمة كتاب « بيرانتونى » : لقد أراد المؤلفون الايطاليون برفعهم مبدأ القومية الى مستوى مبدأ من مبادىء القانون الدولى أن يدللوا على أن المجهود الذى بذله الايطاليون فى سبيل تكوين وحدتهم كان مجهوداً قانونياً بذاته ، كأن أمراً كهذا بحاجة إلى التدليل على قانونيته .

ولكن « فون بولمرنك » يرى أن فى الوسع أن نرفع نظرية القوميـــة إلى مستوى مبدأ قانونى إلى حد ما، كما هو الحال بالنسبة لمبدأ التوازن ومبدأ المشروعية اللذين طبقا على العلاقات الدولية . ولكن مهما كان شأن مبدأ القومية فى ميدان تطور القانون الدولى ، فانه مبدأ سياسى وسيبقى كذلك ولن يجوز الاعتراف به كمبدأ من مبادىء القانون الدولى ، ولكننا لسنا الآن فى سنة ١٨٥٠ أو سنة ١٨٦٠ حيث كان المؤلفون الدوليون يرفعون عاليا أعلامهم وقد سطرت فوقها آية مبدأ القومية ، إذ لدينا اليوم مبادىء جديدة قد اعتنقها العالم رغماً من القيمة العظيمة التى اعترف بها للجهود القومية فى تقويم الاستقلال متى كان خلق الأمة قائما على عادات قويمة متينة .

إن أعظم أمنية تجيش اليوم فى الصدور هى بلا شك إيلاء كل قومية حقوقها، ولقد انعقدت أخيراً مؤتمرات عديدة لتسوية مشاكل القوميات التى حظيت بعضها بحلول عادلة ، ولكن أكثر هذه المشاكل لا يزال حيث كان من التعقيد ، بعيداً عن الحل النهائى ، ولذلك فليس من الجائز أن نسلم بأن نظرية القومية من المبادىء القانونية، رغم أنها من أسباب استقلال الامم .

ومع ذلك فمن الواجب أن نتساءل هنا عن ماهية الأمة .

لقد أجاب المسيو « ارنست رينان » فى كتابه « خطب ومحاضرات على هذا التساؤل بقوله : ليس الانسان ملكا للغته أو جنسه ، ولكنه ملك نفسه ، ذلك بأنه كائن حر ، إنه كائن أدبي ، وحق الاهالى فى تقرير مصيرهم هو الحل الوحيد الذى تحلم به الحكماء لحل المشاكل الراهنة.فالأمة فى رأينا هى روح ، هى عقل.هى أسرة روحية تجيء نتيجة ذكريات الماضى وتضحياته ، وضروب مجده ، وتكون أحيانا نتيجة الأحزان والآلام المشتركة ،كما تجيء نتيجة الرغبة فى الاستمرار في الحياة جماعة خلال الحاضر ، فما تتكون الامة منه ليس أن تتكلم نفس اللغـــة الواحدة ولا هو أن تكون تابعة لفريق من جنس واحد ، ولكن ما تتكون منه الامة هو أن يكون مجموعها قد قام بعظائم الأمور فى الماضى ، وتكونت فيه إرادة القيام بمثلها فى المستقبل . إن الأمة مبدأ روحى يترتب على ما فى التاريخ من تعقيدات وأزمات واضطرابات » . فانت تلاحظ في هذا القول ان أساس الامة هو العادة .

ولقد كتب « ردسلوب » Redslob فى كتابه السابق الذكر ص ٢٤٥ يقول كذلك : « إن مايصنع الأمة كتلة واحدة هو احساس الجماعة ،فعنصر الاتحاد هو الاعتقاد بان جماعة من الناس قد دعيت لتعمل ، في ظل قانون واحد ، على تحقيق غرض اسمى واحد ، لمدينة واحدة . فالامة هى اتحادواحد قائم على اختيارحر فهى لم ترتبط إذن باسباب محسوسة ولذلك فان اللغة والجنس ليسا من العناصر المكونة للامة . لان الأمة لاتتكون من جميع الصفات الطبيعية ، اذ فى الوسع أن توجد دون هذه الصفات ، ولكن طبيعتها الجوهرية هى النفس ، فهى تنطوى إذن على شيء روحى — ولكنها تأخذ شكلا محسوسا بارادة الحياة والعمل المشترك ، أما القومية فليست قرابة ، وانما هى ازدواج ، أنها ليست حالة واقعة وانما عمل» ومادامت النفس هى الطبيعة الجوهرية لتكوين الأمة والعادة أساس صياغة النفس فى قالبها ، فتكون العادة مقوم استقلال الأمة

ثم دلل « رودسلوب » على أن سويسرا الخليط من اللغات هى اتم وأكمل طراز

للامة لأن احساس الجماعة هو العنصر الوحيد المكون للاتحاد، ولكن مادام الاحساس هو العنصر الوحيد المكون للاتحاد أو ما دامت الأمة مبدأ روحيا يترتب على مافى التاريخ من تعقيدات وازمات واضطرابات فان توثق عناصر القومية أو عناصر الوطن والوطنية الماثلة فى اللغة والدين والعادات يكون أدعى إلى تماسك الوحدة أو تماسك المبدأ الروحى، وأبق على الحرية والاستقلال.

الخلاصة

فالخلاصة هى أن اللغة والدين والعادات من مقومات الاستقلال ولذلك حقت العناية بها جميعا على الأوجه التى فصلناها للرقى بالخلق الفردى حتى نرقى بالخلق القومى الذى لايتم الا بالرقى باللغة والعادات والعناية بفضائل الدين على نمط يتلاءم ومقتضيات العصر الحاضر؟

ملخص رسالة

الدكتور زكي مبارك

بدأ بحثه بتحليل لكل ناحية من هذه النواحي الثلاث التي تناولها الموضوع وهي :

اللغة ، وهي مظهر من مظاهر الأناقة والدقة في الافصاح

الدين ، وهو صورة العقيدة التي يحيا بها الناس

والعادات ، وهي مظاهر لما تأصل في النفس من كرائم الشيم والخلال .

ويرى ، أن اللغة في ذاتها شخصية استقلالية ، فالذي يعبر بلغته يشعر بالقوة وتنطبع نفسه على حب الكرامة والاستقلال . ومن ثم كان سلطاننا في العالم سلطانا ضعيفا ، فقد يجيء الأجنبي إلى مصر ثم تمضي عليه الشهور والأعوام بدون أن تقهره الظروف على تعلم اللغة العربية ،ومن أمراض الشخصية الاستقلالية في مصر ما نشهده في المصالح والدواوين من كتابة أسماء الغرف والحجرات بلغة دخيلة تشعرنا دائما بأن لنا في الوطن شركاء

واقترح وجوب اصطناع اللغة العربية وحدها في التعليم فان هذا يخلق فينا قوى جديدة ويعالج فقرنا في الترجمة والتأليف . وإلا فكيف ندعي شرف الاستقلال وليس عندنا معجم واحد يسجل تطور اللغة في العصر الحديث ، ولا مكتبة طبية أو علية بلغتنا ، وليس عندنا كتاب في القانون خلت صفحة من صفحاته من سطرين أو ثلاثة بلغة أجنبية ، ولا يستطيع أي رجل من علمائنا أن يكتفي في أي بحث بالمصادر العربية ؟ كيف ندعي هذا الشرف ولغتنا منسية في معاهدنا ومدارسنا ومكاتبنا ؟ ويقترح كذلك وجوب تقديم رسائل الدبلوم والدكتوراه باللغة القومية بعد أن تصبح أداة تفاهم بين مختلف الطبقات وإصلاح رسمها منعا للبس وأن تهتم الحكومة بالتكوين الأدبي للجمهور بتكوين لجنة خاصة تختار من الكتب ما يجب أن يقتنيه الموظفون وتوزعه عليهم بالاجبار . وأن تحذف درس تاريخ الأدب في المدارس الثانوية لأنه جهد ضائع ، ثم يقرب الشبان إلى فهم عصرهم بدراسة الحركة الوطنية وتطوراتها والأدب العصري ورجاله ومشاكله .

« وهكذا لن تكون اللغة من مقومات الاستقلال إلا حين تسود فى وطنها سيادة قاهرة فتسيطر على العقول والمشاعر والاذواق ويقوى أدبها فيشغل الناس بدرس قلوبهم وأهوائهم وأخلاقهم » .

وتكلم عن الدين، ففرق بين الدين المزيف الذى تحاربه الأمم الناهضة، وبين الدين الصحيح الذى يحمى من الزيغ والافك والبهتان والذى هو عماد من عمد الأمن والسلام والفضيلة والاستقلال لأنه يصحح ضمير الفرد ويبنى الامم .

والدين الذى يصون الاستقلال هو الدين الذى يوحى إليك بأن تكون عون أخيك وتحمى عرضه وماله، هو الدين السمح الكريم الذى تغنى به الرسل والانبياء والذى يحث على التضامن ويعصم من الشقاق ويحمى الأمة من فوضى اختلاف المذاهب وتعدد الفرق الدينية، ومن الحزم أن تسارع الحكومة إلى حراسة الاهلين من انقسامات الصوفية فان التصوف أصبح سببا من أسباب الشقاء فتتخير دعاة الصوفية من أهل النزاهة والاخلاص، وكذلك يجب معرفة السبيل إلى المساجد حيث يتصافح الناس عقب الصلاة، فيجعل الأزهر ملتقى لأقطاب البلاد فى أيام الاعياد مثلا أو يجعل يوم التشريفات الملكية موسما أغر تلتقى فيه القلوب والاهواء ويتنادى فيه الناس باسم الحق والدين، ويستطيع الأزهر أن يضاعف جهده فى خدمة اللغة والدين باذاعة مطبوعات دينية مختارة رخيصة، ويفكر في استرجاع سلطانه الذى ضاع باتجاه طلبته نحو المصالح والدواوين .

وانتقل الى الحديث عن العادات التى تعد سمة شخصية لانها تميز الأمم وتدل على حيوية الشعوب، وهى لن تكون من مقومات الاستقلال إلا إذا كانت صوالح، والا اذا تأصلت وأصبحت رعايتها قانونا قوميا يشعر الناس بحيويتهم الذاتية .

وهو يوصى بالرجعة الى التحية الاسلامية وبدون تعارف، وبالامتزاج الأخوى فى أيام المواسم والاعياد لان البطاقة الصماء لاقيمة لها، وإقامة حفلات السمر فى المنازل. والحرص على التقاليد يعد بابا من الحرص على التراث القومى لان التقاليد الصوالح ليست إلا ثمرات لجهود المصلحين فى مختلف الأجيال وهى فى الوقت نفسه سناد حيوى فى صيانة المجتمع .

ويجب أن نجاهد فى سبيل التقريب بين الجامعتين الازهرية والمصرية بالدعوة الى سعة الصدور ومرونة العقل وحسم الخلاف بين هذين الجيلين اللذين يعيشان فى بلد واحد ويصبغان العادات والتقاليد صبغات مختلفات الألوان ويخلقان الشغب والقلق فى كثير من الطبقات ويردان الأمة الى جيشين يصطرعان .

(٣)

ملخص رسالة

الاستاذ يوسف محمد

مهد للبحث بمقدمة عن الجماعة والتعاون ، وأثر التجانس النسبي في حفظ استقلال الجماعات ، وانتقل إلى الحديث عن عوامل الوحدة والتماسك والتجانس وهي الدين ، واللغة، والعادات .

وتناول في حديثه عن الدين العاطفة الدينية بالتحليل الواسع العميق ، وشرح مهمتها الاجتماعية في تقوية العواطف بالمشاركة ، وخلق الحماسة والشجاعة وحماية الفضيلة والأخلاق الصالحة .

واقترح ، لتقوية الروح الدينية ، الاهتمام بالتربية الدينية في المدرسة والمنزل والمجتمع ، بغرس الفضائل في نفوس الناشئين ، حينا بالتلقين وحينا بالإيحاء والقدوة، وتقريب المسائل الدينية إلى الأذهان بأساليب سهلة سائغة، وتبصير الناس بمحاسنها، وإحياء الذكريات التاريخية الرائعة ، وتقديس العادات الدينية السليمة، والاقلال من حياة الترف والميل إلى البساطة .

وتحدث عن اللغة فقال إنها توقظ الشعور القوي وتوجد الوحدة والتناسق في الأفكار والمشاعر ، وتربط بين الأفراد . وللغة وجود خاص وحقيقة قائمة بذاتها ، فهي موجودة قبل الفرد وباقية بعده، واقترح للنهوض باللغة العربية :

١ - تحسين طريقة التدريس بالعناية بالمطالعة والاكثار منها .
٢ - التدقيق على جميع المدرسين بعدم التكلم في دروسهم إلا بلغة عربية صحيحة .
٣ - التخفيف من وطأة اللغات الأجنبية .
٤ - ضبط جميع كتب الدراسة في جميع مراحل التعليم .
٥ - نشر الأدب القصصي وعمل مسابقات بين الكتاب .
٦ - إذاعة عبارات صحيحة للأخطاء الشائعة .
٧ - اهتمام الدواوين والمصالح باللغة العربية في أعمالها ومكاتبها .
٨ - الاهتمام بلغة التمثيل والسينما ومحو العامية منها جهد المستطاع .
٩ - التخفيف من حدة الاندفاع في التقليد والتجديد الأدبي .
١٠ - إحياء كنوز الأدب القديم .

١١ - وضع قواميس وافية سهلة التداول .

ورأى ان العادات تورث نوعا من الألفة بين القلوب باحداث شيء من التشابه ونوع من التضاد بالقياس إلى الجماعات الغربية . وفى هذا التضاد مناعة إضافية من الاندماج فى الجماعات الغربية .

وتحدث عن الفرق بين العادات (والاتيكيت) وعن غارة المدنية الغربية علينا وانصرافنا إليها .

ثم رأى أن كل عادة دخيلة أو أصيلة لاتسيء إلى دين ولا تأباها الفضيلة ولا تشين الكرامة القومية ولا تعمل على محو ذاتية الأمة ، محمودة يجب الحرص عليها ومن الاثم هدمها بدافع الأهواء ، وأن محاربة العادات السيئة يكون باظهار مساوئها وجعلها موضع التهكم والسخرية ، وبنشر التعليم والثقافة فى البيت والشارع والمدرسة .

(٣)

الموضوع الثالث

أثر الحافز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام

اجتمعت لجنة التحكيم فى المباراة الصحفية الأدبية الخاصة بموضوع « أثر الحافز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام » فى يوم ١٠ يونيه سنة ١٩٣٦ برياسة معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا وعضوية حضرات الأساتذة محمد صبرى أبو علم والدكتور على مصطفى مشرفة وعبد الوهاب عبد الرازق ، فنظرت فى البحوث المقدمة اليها ، وقررت :

١ - منح الجائزة الأولى وقدرها مائة جنيه للاستاذ عباس حافظ الموظف بوزارة الداخلية .

٢ - منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيها للأديب جميل خانكى أفندى

٣ - « « الثالثة وقدرها خمسة وعشرون جنيها للآنسة زينب الحكيم

٤ - « « الرابعة « « « « للأستاذ حسن مظهر

(١)

رســالة

الأستاذ عباس حافظ

تمهيـــد

وقفت ملياً حيال عنوان هذا الموضوع والتعبير الذى صب فيه.ولا أكتمكم الحق أنى ظللت فى معناه حائراً ، ولبثت فى تأويل مراده مطيل التفكير ، وهذه أول مرة أخافنى فيها موضوع من عنوانه ، فاعترفت به ، والمصارحة بالحق خير من كتمانه .

قام فى خاطرى أن أعدل عنه إلى سواه ، فان المباراة متعددة النواحى منوعة الموضوعات ، ولكنى وجدت العزة تراجعنى وكبرياء الأدب تمسك بى ، وقضاء فترة من الوقت فى معـالجة فهم المراد منه ، مؤلم أن يضيع هباء ، ويذهب بين الحيرة والحياء

لقد خلص لى من تفكيرى فى هذا الموضوع رأيان : أحدهما أن المراد هو مبلغ الحافز الذى يختلج فى صدر الشخص من تكوينه واستعداده فيدفع به إلى فكرة أو صناعة أو سبيل معينة . وأثر هذه الحوافز المعتملة فى نفوس الاشخاص فى ترقية المجتمع وكيف تشجع هذه الدوافع وتتعهدها بالتغذية والتزكية والتنمية ، لكى تتجه نحو المصلحة العامة وخير البلاد .

وأما الرأى الثانى فى مراد هذا البحث ومعناه ، فذلك هو مبلغ أثر الشخصيات القوية فى توجيه الاصلاحات الاجتماعية.فان نجاح أى اصلاح هو على قدر الحافز المختلج فى نفس المصلح . والوسائل العملية لجعله يتجه نحو الخير ولا يعرج ناحية الشر ، كشأن الطغاة والجبابرة والمستبدين

وأنا متناول كلا الرأيين بالشرح والبيان . . .

(١) الحافز الشخصى ـ وتعريفه :

ينشأ كثير من الناس من المولد والصبا وهم يحسون فى أعماقهم نزوعاً خاصاً نحو جهة معينة من جهات هذه الحياة وكلما تقدمت أسنانهم، نما هذا الاحساس فيهم واشتد اختلاجه فى صدورهم ، وبدت مظاهره فى حركاتهم وسكناتهم ، وراح يستولى على

أكثر مشاعرهم ، فهو عليهم غالب ، ومن طباعهم متمكن وفى مسلكهم ظاهر ، بل انه ليبدو فى علاقاتهم بلداتهم وأصحابهم فى مراتع اللعب ، ومستبق الحداثة ، وملاعب الطفولة ، تتحدث عنه حياتهم المدرسية فى نوع الكتب التى يختارون قراءتها ، ومواد العلوم التى يميلون اليها ، وأوراق الامتحانات التى يتفوقون فيها مع تقصيرهم فى سواها ، وضروب الحصص التى يأتون لحاضرتها ، مع كراهيتهم ونفورهم من حصص أخرى يكادون يفرون من حضورها فراراً

وقد اصطلح الناس على تسمية هذه النوازع الناشئة من التكوين ، والجوانح البادئة من الحداثة وطراءة العمر ، وأول مطالع الشباب ، بالملكات والاستعدادات والميول الطبيعية ، وأحسب اطلاق كلمة « الحافز الشخصى » عليها تسمية أخرى تؤدى عين المراد ، واصطلاح على جاء به فى التعبير « الاجتهاد » ، وإن كان فيه بعض الغموض .

وقد شوهد فى دور الحداثة أطفال أوتوا حوافز شخصية حادة ، وأخرى هى فيهم برفق ، أوفى حدود الاعتدال ، وافذاذ نوادر منهم برزت لديهم باكرة لاقبل الاوان بل بغير أوان ، حتى لتبدو فرديتهم قوية ساطعة الضياء وهم ولدان ، ويتفتق استعدادهم الخاص بمجرد الاختبار والامتحان

الحافز الشخصى إذن هو هذه الفردية الممتازة البادية من النشأة ، المتحرقة على الظهور من الحداثة ، الدافعة بالطفل الى ناحية معينة من العلم أو الفن أو صناعة من الصناعات حتى ليتخذ أدواتها أو أشباه أدواتها من الصغر لعبا أو دميات ويجعل من ساعات لهوه ورياضته حصص تعليم وتمرين بغير معلم يهدى ولا مدرب يشرف غير « الالهام » المتمشى فى صدر الطفل وهو لا يدرى أنه (الالهام)

وفى تراجم النوابغ الذين بلغوا أوج الشهرة فى أجيالهم مشاهدات غرائب ، وبوادر فى منتهى العجب ، فمن نابغة كان فى طفولته يعزف على المزاهر والعيدان ولم يؤت يومئذ شيئا من فنون الانغام والالحان ، ومن آخر بدأ يقول الشعر فى العاشرة ، ونابغة من القواد العسكريين وكبار الابطال ، كان فى الحى وهو طفل ينظم صحبه فى الأطفال فرقا وجماعات لكر وفر وهجوم وكمين وغارات ، أو يصارع الولدان فى المدرسة ويبارز الاقران

وفى سير المخترعين والعلماء والنابهين الذين ملأوا سمع الدنيا دويا شواهد كثيرة على بداية الحافز الشخصى عندهم من الحداثة ، حتى لقد اصطنع « فورد » وهو فى المدرسة ، أو فى تلك السن الغضة التى يلهو فيها أترابه الاطفال ويملأون منافس

المعهد والبيت والشارع صياحا ويترا كضون فرحا وسذاجة ومزاحا، لقد اصطنع فورد فى تلك السن (مدرسا) صغيرا مثله لطحن الحنطة، ووقف يوما فى سواد الريف بقاطرة عتيقة بالية يتطلع الى أجزائها فى لهفة وعجب ثم اذا عاد إلى البيت، ذهب يكب على قطع من الحديد ، فما زال يعالجها حتى اصطنع منها قاطرة على مثال التى شاهدها فى سفره ، فكان ذلك هو بكور الحافز الذى قدر له أن يجعل من ذلك الصبى الصغير الصانع العظيم رب الملايين .

وقد رأى الناس أطفالا فى الحداثة هم أكبر من أسنانهم ، رأوهم فى رزانة ليست لامثالهم ، وفى وقار وكراهية للعب امتازوا بهما عن رفقائهم ، وقوة ارادة لا تثنى عما تطلب ، وشخصية بين الأقران تقتضى منهم الطاعة وتستوجب ، فعجبوا من أمرهم غاية العجب، حتى اذا شبوا عن الطوق وأدركوا شأو الرجولة ظهر السر المحجب ووقعت الزعامة لهم فى الناس والرياسة لهم فى الجيل والقيادة فى رأس الجماعات وحشود الأشياع والواثقين بهم والمؤمنين .

وفى الغرب اليوم اهتمام كبير بدراسة الحوافز الشخصية فى معاشرة الاطفال ، ومراقبة الملكات والاستعدادات فى دور الحداثة، حتى ليختبر علماؤهم والباحثون فى الطباع البشرية والملكات النوادر والنباغات البادهة من البكور هذه المعالم الخلقية فى الولدان ، لمعرفة مختلف ألوانها فيهم وملاحظة أفاعيلها وعوارضها فى نفوسهم ومبلغ نبوءاتها عن مصايرهم اذا ما عرجوا إلى الحياة العملية ونزلوا منها المعترك واحتواهم المستبق والمضمار والميدان .

وهم لذلك ينتخبون جماعات من الأولاد مختلفى مناحى الصفات والميول ومبالغ الزكانة والاجتهاد فيختبرونهم من حيث مسلك الفرد ازاء المجاميع ليعرفوا أى الفريقين المتحكم وأيهما المطيع وأى البنين أنزع الى الرياسة والتسلط على الآخرين .

وقد ظهر فى أحد هذه الاختبارات النفسية أن أفذاذا قلائل من الولدان فى عدد عديد قد أوتوا بالفطرة خواص ونزعات ، وميولا وصفات ، هى أدنى الاشياء إلى مزايا الزعامات، كالايجابية وقوة الارادة والجنوح الى الديمقراطية وشدة الحيوية وروح الصداقة والمودة وبوادر الحماسة والحمية والاشتراك مع الغير فى العاطفة والامانة واحترام الثقة والدأب والمثابرة، بينما غلبت على كثير من الاطفال نزعات الاستخفاف وقلة المبالاة والتهيب والانزواء والمراءاة بالمودة واصطناع العاطفة والمداجاة ، والأثرة والحماقة وسرعة المبادرة وكثرة التقلب والتردد والتحول

والاستضعاف أمام الظروف والمشاق والصعاب والافتقار الى الاعتداد بالذات ووهن الايمان وانعدام اليقين .

كيف يتولد الحافز الشخصي :

هذا هو السر الذي حاول العلم الشريف كشفه وأطال في البحث عنه وتعرفه، فقال العلماء: هو منزع يولد مع الطفل ناشئا بالوراثة من الآباء، وقال قوم من الخبراء بعلوم الحياة: بل هو أثر المحيط وفعل البيئة، وذهب غيرهم أخيرا الى أنه نشاط غير مألوف في بعض الغدد، على حين قال الروحانيون: بل هو مواهب من السماء وتباين عند الافراد في الفطر والطبائع وعناصر التكوين .

وفسره بعض أصحاب المذاهب فيه بأنه شذوذ عن القاعدة يعود إلى زيادة في بعض القوى عن المقادير الاعتيادية إزاء نقص في البعض الآخر حتى ليس بين العبقرية والجنون غير خطوة واحدة، كما رده آخرون الى فعل الظروف والفرص والسوانح والعوامل المهيئة والاماكن الصالحة، كفرق ما بين المدائن والحواضر وبين القرى وسواد الريف في نسبة النوابغ والممتازين والنابهين .

وبسبيل تفاوت الحوافز الشخصية في الافراد أشار العلماء إلى مختلف المؤثرات في إثارتها ومنوع المنشطات لكوامنها ، وعديد المنبهات لايقاظها من هجعتها ، فقالوا ان المحيط الراكد والبيئة الهامدة ، والوسط الآسن الجامد لا يساعد على ابراز هذا الحافز ولا يعين على ظهوره ، وقد تتنوع أسباب الركود وتختلف عوامله ، فيكون من أثر المناخ الضاغط المجهد ، أو النظام السياسي المرهق القاتل للملكات ، المحارب للنبوغ والاستعدادات أو الأحوال الاقتصادية التي تدفن المواهب وتئد الكفايات .

اللحظات الاخيرة ونقط الدوران :

وقد تأتي الحوافز الشخصية بالاكتساب، وتنبثق فجأة في النفوس انبثاق الشباب وتستوفي على المشاعر مفاجئة ، وتدب في الأذهاب طارئة ، وتستحوذ على الأذهان وتستأثر بكلية الوجدان في لحظات مباغتة لم تكن في الحسبان .

وكذلك ينبعث الحافز الشخصي في ظروف معينة تعرض للافراد ، ونقط دوران في حياتهم وسير أعمالهم ، تعطف بهم عما كانوا منطلقين اليه ، وتعدل بهم إلى طريق جديد لم يكونوا مفكرين فيه ، وقد يقع هذا بسبب حادث خطير ،

ومصاب كبير ، أوخطب يسير أو سبب من أهون الأسباب ، فيكون ذلك بداية طور جديد فى حياة الفرد أو منعطف عند نقطة دوران .

فقد حدثنا النوابغ فيما حدثونا به ان منهم من تغيرت حياته كل التغيير لانه كان ماضياً فى فرع ما من فروع الحياة ، فوقع فى يده فجأة فى يوم من الأيام كتاب لم يكن قرأه ، ومؤلف لم يكن يعلم من قبل به ، فلما أكب على قراءته ، استيقظ فى نفسه دافع جديد أثار ثائرته ، واستحوذ على عقله ومخيلته ، وحفزه إلى سبيل غير السبيل التى كان سائراً فيها ، وبعثه بعثاً جديداً لولاه لما كان النابغة الذى أجدى على الحياة ، والمصلح الذى ساق العصر إلى الاصلاح ، ومشى به إلى الرقى والنجاح ، وكان للانسانية عامة من المحسنين .

ولا ريب فى ان ذلك الكتاب الذى أيقظ مشاعر ذلك الفرد قد وقع لمئات من الشباب قبله أو بعده . ثم لم يحدث فى نفوسهم مع ذلك شيئا مما أحدث فى نفسه ، ووجدانه ، واستولد من همته وانبعاثه ويقينه وايمانه ، وماذلك الا لأن حياة أولئك الشباب لم تتصل بموضوع ذلك الكتاب ، لسبب من الأسباب ، ولم يكن فى منازعها واتجاهها وأحاسيسها منبعث اليه أو مستجاب ، فعجز عن أن يحدث فى نفوسهم ، ماأحدث فى شعور ذلك الفرد الخافق الوثاب ، فنجح هو بهذا الهادى العجيب الذى التقى به على الطريق .

وقد كان فى حياة « بوكر واشنطن » محرر الزنوج مايشبه هذا أو يماثله ، حتى لقد قال يحدثنا عن أثره فى نفسه وفعله :

« أتذكر أننى وأنا شاب نازح إلى ولاية فرجينيا رأيت يوماً شاباً أسود وسط جمع من أمثاله يقرأ فى صحيفة فاشتعل فى الحال فى أعماق نفسى لهيب الرغبة المتقدة فى تعلم القراءة ، حتى لقد حسبت يومئذ أننى لم أشعر من قبل فى حياتى بمثل ذلك السعير النفسى ضراماً واحتداماً » .

وليس من شك فى ان هذا الظمأ كان هادئا فى نفسه وانه ما كان ليشتد هذا الاشتداد الذى وصفه لولم يقع بصره على ذلك الفتى وهو يقرأ تلك الصحيفة ، فان هذا الحادث الصغير كان كافياً لكى يحدث نقطة دوران فى حياة شاب زنجى ويثير فيه الحافز الى العظمة والنبوغ وقيادة الجماهير

وقد يثير العطف أو الرفق أحيانا دافعا شخصيا فى صدر الشاب يدفع به فيما بعد الي سلوك طريق معين ، أو اعتناق مبدأ من المبادىء ، يضفى على شخصيته

ويتملك شعوره وحاسته ، فقد حدثنا الرئيس «مازاريك» كيف انتبه فى نفسه إحساس العطف والحنان وهو شاب فى ميعة الشباب على اليهود فكان حافزا قويا فى نفسه عند مابلغ شأن الرجال الى تأييدهم والاخذ بناصرهم، فقال كنا فى ذات يوم فى رحلة مدرسية الى بعض الجبال فلما حان وقت الظهيرة جلسنا حلقات لنأكل واذا بنا نحس ان تلميذا معنا من اليهود يدعى أرنولد فى الغياب لا أثر له فنهضت افتقده وعدوت فى البحث عنه حتى اهتديت اليه فاذا هو فى مخبأ جاث يصلى لله ، ومن ذلك الحين ظل مازاريك يحدب على اليهود ويعطف على قضيتهم حتى كاد هذا العطف فى السنين الاخيرة يكلفه الحياة .

وقد تولد فى « مازينى » أحد أبطال الحرية فى تاريخ ايطاليا الحافز الشخصى الذى جعل منه الزعيم المجاهد فى سبيل الحرية والاستقلال بسبب حادث عارض وصفه فيما بعد فقال « كنت فى حداثتى أسير فى ذات يوم مع والدتى وصديق لنا فى أحد شوارع جنوا فاذا برجل مديد القد أسود اللحية أشعث أغبر يدلف نحونا وفى عينه بريق يخطف ، وسعرة نفس تتلظى ، وعلى وجهه أثر حمية متقدة لن أنسى منظره آخر الحياة ، فبسط منديلا أمامنا وهو يقول فى كبرياء «جودوا لايطاليا المعذبة» ، وفى تلك اللحظة انبعث فى خاطرى الشعور بأن هناك ظلماً فى بلادى من الواجب محاربته ، وأن على أن أساهم بنصيبى فى مكافحته ، وانبعث ذلك الشعور فى نفسى قويا حفازاً لم يغادرنى من ذلك الحين».

وكم من أفراد رسموا من الشباب لحياتهم خططاً ، واعتزموا لمستقبلهم اعتزاماً معينا ، ولكن مالبثت عاطفة ما أن دبت إلى قلوبهم وتمشت فى جوانحهم ، فحفزتهم إلى تغيير ما رسموه والعدول عما اعتزموه . وكذلك فعل الحب بالفتاة «مارى اسكلودوسكا» فقد كانت طالبة فى الجامعة غفلا خلية دؤوبا على دراستها ، ولكن عاطفة الحب يومئذ سرت فى مشاعرها ، إذ التقت بالطالب «بيير كورى» وكان هذا يدرس الطبيعة والكيمياء ، متكتما فى الدرس ، متوفراً على العلم والتجربة يكره الاختلاط ، ولا يحب الضوضاء ، ولا يأنس إلى المجامع وصخب الندوات ، فتزوجا ، ولولا ذلك لمضت الفتاة فى غمار المجتمع ، واحتوتها لجج المحيط الانسانى الصاخب المتقاذف الانواء ، ولكنها بزواجها «بيير كورى» اندمجت فيه وأخذت عنه وتلاشت فى عمله ، ولو لم يقع لها ذلك اللقاء به فى رحاب الجامعة ، لما كانت «مدام كورى» كاشفة الراديوم المذكورة فى جموع الخالدين .

وقد تقع أزمات تحدث تغييراً كلياً في حياة الافراد، ولعل أبلغ مثال على أثر هذا العامل في احداث الدوافع الشخصية فاجعة الاعمى «لويس براي» في الحول الثالث من عمره فقد كان الطفل يوما يلعب في مصنع أبيه فعثر على مخرز فعبث به ولكنه قفز من كفه فأصاب احدى عينيه فذهب في الحال بضيائها وما لبث أن فقد عينه الاخرى بسبب انتقال الالتهاب اليها هي كذلك، ولكن العمى الكلي مع ذلك لم يتغلب عليه بل ألهمته المصيبة خواطر لم يكن يحسها من قبل وأوحت اليه بأفكار لم تكن في حسبانه فراح يحصر عقله وتفكيره في ابتداع حروف تعين العميان على القراءة، فما زال يجاهد ويدأب وينكمش في تجاربه حتى اخترع طريقة صالحة سميت من بعد باسمه (طريقة براي) فكانت الفاجعة حافزاً شخصياً خلدت اسمه في صفحات المبتكرين والمخترعين

وقد يعرض أحياناً لفرد يعيش في نعماء ويتقلب في سراء، ويحيا في « حجر الآلهة » كما يقول الغربيون، ما يحفزه إلى قلب حياته، وتغيير مجرى معيشته، وقد برز هذا كل البروز في حياة الفيلسوف « تولستوى » إذ كان لا يزال بعد طالبا في الكلية، وفيما هو عائد ذات ليلة من مرقص في صميم الشتاء، والزمهرير الشديد، والقر يبرأ الابدان، إذ رأى سائق مركبته — وكانت في انتظاره — قد جمد في مكانه من شدة البرد وقرته فتأثر غاية التأثر، ومضى وهو في المركبة عائدا إلى داره يسائل خاطره قائلا « لماذا ينعم هذا الذي ما أحسن يوماً في شيء ولا عمل صالحا، ولا أجدى على المجتمع، بكل المناعم والمزايا التي هو بها مستمتع، بينما هذا السائق وأمثاله من أبناء الشعب الذين يؤدون أشق الاعمال ويحملون المجتمع كله على ظهورهم : يعيشون جياعاً تطحنهم الفاقة ويبرأهم الزمهرير! » وقد أولد هذا الحافز الجديد حافزاً قويا في نفسه حمله على أن يتنازل عن فكرة الطلبات وخلق منه فيلسوفا جديداً، ونصيراً للفلاحين، ومتحدثاً باسم الجماهير، وذواداً عن حقوق الشعب في الحياة والوجود

وقد كان نبوغ المخترع العظيم « توماس أديسون » راجعا إلى تأثير حادث صغير عرض له وهو في دور الحداثة، فقد كان يشتغل ببيع الصحف في القطارات، ففي ذات مرة وهو يخترق القضبان الحديدية، بصر بطفل يلهو عن كثب، وقد أوشك أحد القطر أن يدهمه فألقى أديسون برزمة الصحف جانبا في مثل خطفة البرق وعدا

نحو الغلام فاحتمله قبيل أن تدهمه القاطرة ومضى به الى أبيه، وكان هذا ناظر المحطة فأراد أن يجزيه أجر ما أحسن اليه فأذن له بالجلوس فى كل يوم بضع ساعات بمكتب التلغراف ، ليتعلم هذا الفن على عماله، وكان ذلك الحادث هو الذى أولد فى نفسه الحافز القوى الوثاب الذى جعل منه على الدهر أكبر مخترع فى العصر الحديث ،

ويمتد بنا نفس البحث وتترامى حدود الكلام اذا نحن فصلنا الامثلة على تولد الحوافز تفصيلا . فحسبنا أن نجمع الى ما بينا جملة من البواعث نعرضها فى غير تمثيل.

فقد يكون المرض حافزا، وقد تكون الهزيمة الاولى فى مطالع الحياة العملية دافعة الى التغيير وتجديد القوى والعزمات، وقد تكون سرعة الملل من الحوافز التى تدفع بالانسان الى الاهتداء الى الامر الذى يرضيه أو الفن الذى يستريح اليه أو الصناعة التى يحسن فيها أعجب الاحسان .

وفى أحلام الشباب وتصورات الحداثة وأمانى الصبا أكبر الحوافز وأقوى الدوافع الى النبوغ واتيان العظائم والاجداء على الانسانية وإحداث أكبر الحسنات فى خدمة المجاميع .

أثر الحوافز الشخصية فى تطور الاصلاح الاجتماعى :

وقد بينا فيما أسلفنا من هذا البحث شواهد على تنوع الحوافز ومولداتها، فكانت هذه الشواهد ذاتها منطوية على نواحى ظهور آثار هذه الحوافز وميادينها كالاختراع والفلسفة والعلم ومختلف فروع الحياة كما هى فى المواهب النفسية التى ترتفع الى أمكنة الرياسات والزعامات وقيادة الشعوب ورسالات المعلمين والهداة والمصلحين

ان النهضات العامة هى وليدة الحوافز وثمرة هذه الدوافع التى تجيش فى صدور الأفراد ، بل قد تكون مجرد أخيلة فى بدايتها ثم تتحقق فى النهاية ، وقد تنشأ مترددة ثم تجد الشجاعة رويدا رويدا فتمشى بخطوات ثابتة الى الغاية التى تنشدها والغرض الذى جعلته هدفا والعمل على الحسن الذى تتوخاه لمصلحة المجموع

وقد كان للحوافز الشخصية أكبر الاثر فى ترقية مستوى الجماعات، بل ان بناء الامم هو من صنع هذه الحوافز وعملها ونشأة الحضارات عن وحيها وتوجيهها وفعالها، وأكثر القوانين وضروب الاصلاح ووجوه التحسين فى ميادين الصناعات والتجارة ومختلف المهن والحرف هى من نتاج الدوافع المتولدة فى الافراد غير الاعتياديين .

كل هذا الذى نشاهده فى حياتنا الحديثة كان مجرد أفكار وتصورات فى أدمغة الذين دأبوا وانكمشوا وأكبوا على التجارب والبحوث والدراسات حتى اهتدوا إلى وسائل تنفيذها ، فتلقاها الناس يومئذ مبهوتين .

لقد قهرت هذه الحوافز قوى الطبيعة وكشفت أسرارها ، وأحدثت علوماً جديدة ومخترعات طرائف ، وأقامت مؤسسات عظيمة ، وأنشأت صروحا عالية ودفعت بالجماعات الانسانية الى الامام ، وغيرت وجه الحياة ، ونقلت الأمم من طور إلى طور وحال إلى حال ، وبنت فأحسنت البنيان .

ان الذين دفعت بهم الحوافز الشخصية إلى العمل والدأب والاجادة والافتنان هم الذين رفعوا الجماعات فوق مستواها ، وهذبوا الحياة الاجتماعية أعجب التهذيب وان اكتشاف الكهرباء والمغناطيسية ومستحدثات الكيمياء وعلوم الطب والرياضة والفلك والعمارة والهندسة والبناء ، وكبار أساتذة الموسيقى والغناء ، وكل ما تزخر به الحياة الانسانية من آلات وأدوات ومخترعات وثقافات - كل أولئك للحافز الشخصى فيها أكبر الأثر وأعظم السلطان

ان الحياة قد أصبحت مطوقة من جميع جهاتها بمختلف الدوافع الفردية التى تجيش فى الصدور وتريد الاعلان عن ذاتها وقواها ، بما تحدثه من اصلاح وما تؤديه من رسالات ، وماتخرجه من جهود وثمار مختلفة الألوان .

بل لقد تقدمت الحوافز الشخصية بأصحابها قدما فى طريقهم إلى الحياة العليا التى ينشدونها : واستحداث الأحداث الكبار التى كانوا يبتغونها وكثيرا ماتم لهم ذلك على حساب نفوسهم . فذهبوا ضحايا وفديات للأمم . وقرابين من أجل الخير العام .

ان فضيلة الحافز الشخصى هى فى الهامه الشجاعة . وقبوله البذل . ونسيانه الانانية وتلاشيه فى الفكرة واستغراقه فى سبيل الغاية والغرض المنشود

ومالنا نذهب الى التعميم ، وفى نهضتنا الحديثة على أفاعيل الحافز الشخصى وعوامله وآثاره ونتائجه أحسن الأمثال ، فى عشرين سنة أو قرابتها ، استطعنا أن نحدث نهضة طيبة فى مجموعها ، وحركة اجتماعية مختلفة النواحى والضروب . يرجى مزيد الخير والتقدم لها اذا عرفنا كيف نتعهد هذه الحوافز ونرعى هذه الدوافع ونربى هذه الملكات

فى عشرين سنة أو نحوها تقدمنا سياسيا ، بفضل الحافز الشخصى ، الذى

دفع بسعد زغلول إلى قيادة أمته إلى الجهاد الوطنى فى سبيل الحرية والاستقلال، وهو الذى حفز صحبه والشباب النوابغ الأقوياء الذين التفوا حوله ، إلى السير معه والجهاد بجانبه ، والكفاح تحت رايته ، والدفاع عن حقوق الوطن وكرامته، فأحدثوا حركة وطنية رائعة جليلة غمرت الجيل وشملت الملايين

ومنذ نشأت هذه النهضة الوطنية ، قامت بجانبها التضحية ، وبرز أثر الدافع الشخصى فى مختلف نواحى الحياة . فغادر قوم مراكزهم . وطرح آخرون مناصبهم . مستجيبين لهذه الحوافز الشخصية التىأولدها الروح الوطنى الذى سرى فى جميع أنحاء البلاد . واشتمل على أرواح المتعلمين وغير المتعلمين

ومنذ قامت الحركة الوطنية عندنا تنوعت الحوافز الشخصية الملهمة للنفوس ، المذكية للحمية فى الصدور ، واختلفت الدوافع الذاتية وتكاثرت وتوزعت على جميع فروع الحياة ، فاذا بأفراد يبتدأون برؤوس أموال صغيرة فى ميدان التجارة ثم يدفعهم الحافز الشخصى تحت ظل الروح الوطنى المستكن فى النفوس ، الملهم الغيرة على الوطن ومجده ، وخدمة الوطن والاجداء عليه والبر به والاحسان اليه ، يدفعهم هذا الحافز الجياش الوثاب فى صدورهم ، الى البروز وتنمية مواردهم ، فلم يلبثوا غير بضع سنين حتى اشتهرت متاجرهم ونمت وازدهرت وكانوا النوابغ العصاميين .

لقد أولدت الحوافز الشخصية فى الواقع عصاميات كثيرة متعددة النواحى ، بارزة فى ميادين الاقتصاد والعلم والادارة والصناعة والسياسة ومختلف الأعمال

وكم من أفكار وآراء ومشروعات كانت فى بدايتها مجرد أحلام وعلالات ، ومحض امان وتصورات ، ثم احتشدت لها الحوافز الشخصية فى الصدور التى سرت فيها ، والجوانح التى تمشت فى نواحيها ، والعقول التى خطرت لها ، والأذهان التى حلمت بها ، وتعهدتها الحركة الوطنية المشرفة على كل شىء ، المشجعة لكل عمل صالح ، فاذا هى تخرج الى الوجود صغيرة فى بدايتها ، متواضعة فى نشأتها ، لتجد النجاح فى انتظارها ، واذ النجاح الباكر يذكى الحوافز الشخصية التى دفعت اليها ، فهى تربو وتزكو ، وتتوطد وتستمكن ويرتفع منها الصرح ويعلو بها البنيان

لقد ازدهرت الصناعة الوطنية بفضل هذه الدوافع ، ونمت المؤسسات الصناعية، واطردت النقابات والجمعيات الزراعية فى سبيل النجاح والنماء، وكثرت المؤسسات الخيرية ، وربت أعمال البر والخدمات الانسانية ، وأنشئت معاهد الفنون ،

وتعددت ألوان الثقافات ، وظهرت عجائب المواهب ونباغة النابغين

في مصر اليوم حياة جديدة من فضل هذه الحوافز وقواها ، ونهضة طيبة من سقياها ، ورعياها ، ولم تكن لتروح نامية ، وتسير بخطوات أكيدة قوية ، وتتقدم بشجاعة وجرأة عالية لولا قوة هذه الحوافز وماتثير فى النفوس من وقدة النشاط وسعير الحية ، وما تلهبه من روح العزم والتصميم وتكسبه من قوة الشجاعة والاقدام والمثابرة والاصرار على المسير ، والثبات والايمان بأن النجاح ميسور والجهود حتما بالغة الغرض المنشود

فى عشرين سنة أو تزيد استطعنا أن نحدث هذه النهضة العامة ، بفضل الروح الوطني الذى تعهده الناشئون فيه وبثه فى البلاد الزعماء السياسيون ، سعد وصحابته وخليفته وانصار مبادئه والمؤمنون برسالته الوطنية وعقيدته . بل فى هذه الفترة القصيرة بالنسبة لمقتضيات بناء الأمم وتكوين الشعوب واحداث الحركات العامة ، تيسر لنا أن نوجه هذه النهضة وان اعترضتنا الصعاب الشداد ، وواجهتنا مختلف القيود ، واعتورت طريقنا منوع المثبطات والمغريات بالرجوع إذ وجدت هذه النهضة خصوما لها فى كل ناحية ، واستهدفت لعوامل مقاومة سرأ وعلانية ، وظروف مضادة على الأيام متوالية ، وأعداء يكيدون لها كيدا ، ويبذلون فى سبيل تعطيلها وتعويقها أموالا وجهدا ، ويحشدون للقضاء عليها وسائل متعددة ويحاولون أخذ الطريق عليها بأية سبيل . . .

على رغم هذه العوامل المعاكسة استطعنا أن نقيم هذه النهضة العامة ، فماذا نحن مستطيعون إذا لم تغش الميدان هذه العوامل ، ولم يبق لها من وجود ، بل ماذا سيكون غدا من أمرنا ، وتولد الحوافز الشخصية فى نفوس شبابنا إذا نحن عرفنا كيف نتعهد هذه الحوافز بالعناية الواجبة لها ، ونرعى هذه الدوافع الذاتية حق عنايتها ونيسر لها جميع الوسائل إلى غايتها ، ونحسن توجيهها إلى النجاح ونرتاد لها مناجع التوفيق .

فى ظل الاستقلال التام ، والحرية الكاملة ، تتكاثر الدوافع الملهمة ، وتربو الحوافز الدافعة إلى الأمام ، وتستبق الملكات الرفيعة والمواهب الطبيعية إلى مختلف المضامير والآفاق والميادين .

الوسائل العملية لتوجيه الحوافز نحو المصلحة العامة :

لقد رأينا مما عرضنا من صور الحوافز الشخصية ان نوعاً فطريا أو موهوبا

منها تظهر بوادره من الحداثة وتطل مقدماته من نوافذ الصبا ، ويبدو من الطفولة حتى فى ملاعب الأطفال ومراتع الولدان ، فلهذا النوع من الحوافز ، وهو خيرها وأفضل صنوفها ، وأصلح ضروبها ، تبتغى العناية فى البيت ، ويجب التعهد لها والعمل على تنميتها فى دورها الباكر ، ومراحلها الأولى ومظاهرها المستبقة ؛ فلا يعترضها الآباء ولايحولون دون ظهورها ، فقد رأينا كثيراً منهم يغلبون رغباتهم فى سلوك أبنائهم فى ناحية معينة فى الصناعات أو الوظائف أو أساليب الرزق على استعدادات الأطفال أنفسهم ويحاربون هذه الحوافز من النشأة بقسوة أو يهملونها أشد الاهمال ، أو يعاقبون الاطفال عليها ، وينكلون بهم أعنف التنكيل فتتأود هذه الاستعدادات من الصغر وكانت فارغة لو تركت ناضجة على الأيام .

ليترك الآباء التدخل فى حوافز الاطفال وليعلموا أن تدخلهم لن يبلغ بأطفالهم الشأو الذى يحلمون به ، ولو بلغوه لما كانوا فيه النوابغ الصالحين ، لان كل رجل فى غير موضعه لايأتى بخير ، وكل استعداد معين يختنق من الطفولة يفسد الفرد ، ويرد عليه أسوأ مرد ، فى عهد الرجولة والحياة العملية ، وقد رأينا بالعكس آباء تركوا الحرية لبنيهم من النشأة وفق ملكاتهم وحسب استعدادهم ، ومسايرة لرغباتهم وحوافز خلجاتهم ، فكان من أولادهم فيما بعد نوابغ صالحون ، وأرباب مواهب بلغت بهم قمة النجاح .

وقد شهد عظماء كثيرون ونوابغ عدة فيما تحدثوا به إلى الانسانية عن نشأتهم بفضل آبائهم عليهم ، ورعايتهم لحوافزهم الشخصية من حداثتهم ، حتى لقد قال عظيم أمريكى فى بعض اعترافاته إذا كنت قد أحدثت شيئاً خليقاً بالذكر فى هذه الحياة فانى مدين به لابى ، فقد كان هو ملهمى ورائدى ، ومرشدى والنافخ فى حافزى النفسى حتى اهتديت إلى الطريق .

والذين تتبعوا أو قرأوا سيرة «غلادستون» أدركوا بلا ريب الأثر الكبير الذى أحدثه والده فى تكوين حياته ، وأعانته على اكتشاف طريقه ، ومع أن الرجل لم يكن سوى تاجر أو من أصحاب الأعمال ، إلا أنه ترك لولده سراح المدى وحرية النشأة ، ونوع الكتب التى يقرأ وصنوف الدراسة التى اختار لنفسه ، وراح يشجعه عليها تشجيعاً ويدفع به تنشيطا ودفعاً إلى الأمام .

وقد اعترف الرئيس «ويلسون» بأن والده هو الذى هيأ له السبيل الى ابراز مواهبه، واظهار استعداده من الشباب .

ولسنا ننسى كذلك أثر الأمهات فى تكوين ولدانهن وتنشيط حوافز أبنائهن، وقد رأينا المخترع «أديسون» يعترف بأن أمه كان لها الفضل فى ايقاظ دوافعه وكوامن مواهبه، كما شهدنا كثيراً من العظماء والنوابغ اعترفوا فى ذكريات صباهم بما كان لأمهاتهم عليهم من فضل فى هذه الناحية، أمثال كارنيجى وفردريك فرويل مؤسس فكرة رياض الأطفال «الكسندر جارتن» بل يكفى أن نذكر ما كان لوالدة «واشنطن» محرر أمريكا الخالد، من حسن الأثر فى اثارة حوافزه وعظيم الفضل فى نباغته ورياضته على الزعامة، وحفز سائر المواهب الرفيعة فيه، حتى بلغ أوج العظمة وذهب فى الخالدين .

وقد ينجلى الحافز الشخصى فى حركات الحدث ومخايله ونوع دراسته وميله إلى كتب معينة وظهور نجابته فى علوم بذاتها، داخل فرق الدرس فى معهد التعليم ورحاب الكلية، فلا يعود ينتفع بغير العلم الذى بدا ميله اليه وأقبل بكليته عليه، ولا ريب فى أن من واجب المدرسة أن تتعهد هذه الحوافز بالعناية، وترعاها بكل ما ينبغى لها من الاستنبات والازكاء والتربية، وهذا يقتضى فيما يقتضى تنظيم التخصص والتوسع فى هذا التنظيم واستكمال أبوابه وسد وجوه النقص فيه والتفكير فى سائر الوسائل التى تترقى بها الكلمات الخاصة، وتنمو بها قوة الحوافز الذاتية وتجد الطريق معبداً أمامها إلى حيث ترى المجال الوسيع والندحة المترامية .

ولسنا نشك فى أن نظام البعثات العلمية إلى الخارج لم يؤد كل ما كان منتظرا أن يؤديه من الفائدة العامة بل لقد انفقت أموال طائلة على بعثات من اجل دراسات معينة ثم عاد الطلاب بعد اتمامها فلم يدفع اليهم بالعمل المتفق مع دراستهم المساير لحوافزهم فاختنقت مواهبهم وضاعت المنفعة الاجتماعية التى كانت منشودة من ايفادهم بل لقد جرى بسبيل ذلك ما يستحق العجب ويثير السخرية فان شبابا تلقوا العلوم العسكرية فى كلية «أساندهرست» أو أكاديمية «وولوتش» الحربية فى انكلترا فلما عادوا لم يعهد اليهم بما يبرز فضل هذه الدراسات العالمية بل أصبح منهم الكتبة والمشتغلون بأعمال هى أبعد ما تكون من حوافزهم ودراستهم التى تخصصوا فيها وقضوا عدة السنين .

وفى خريجى البعثات العلمية من أمثال هذا الذى ذكرناه شواهد كثيرة تدل على أن هذه الناحية من الدراسة لم تؤد غايتها ولم تثمر ثمرتها ، ولم تتجه الحكومة بنتائجها نحو مقتضيات الصالح العام .

وقد رأينا بيننا نوابغ موهوبين فى الصناعات ومختلف العلوم الطبيعية كما عرف عن شعبنا الذكاء وسعة الخيال وخصوبة التفكير ، ثم لم نخرج بعد مخترعا واحد . ولم يبرز بيننا أحد من المبتدعين ولا نحسب ذلك راجعا الى تقصير النبوغ المصرى فى هذه الناحية وانما هو عائد الى قلة التشجيع بل الى انعدامه وفى المصانع الاهلية وغير الاهلية صناع أذكياء متفننون أو توا ملكات وحوافز شاردة لا تجد الهادى الذى يعطف بها الى الناحية المنتجة والسبيل القويم والميادين المثمرة ولو وجدته لكان من نباغاتها وأفانينها ضروب من الخير وألوان من الاحسان .

التشجيع المادى هو الذى يأخذ بأيدى المواهب النادرة ويبرز كوامن الاستعدادات ، فلو أن الحكومة عنيت بتقرير كبار الجوائز فى مختلف الصناعات وميادين الاعمال لاحدثت غورة صالحة فى حركة العلم ومجال النبوغ بل لا يكفى أن تتقدم الحكومة وحدها فى هذا السبيل وانما ينبغى أن يشترك الشعب معها ويعنى بذلك كبار أغنيائه لتكون لدينا جوائز على نسق جوائز نوبل وغيرها مما حفلت الحياة فى الغرب به وساهمت طبقات الأغنياء وشركات الصحف ومختلفات المعاهد فيه فان ملكة التقدير لاتزال تنقصنا وأساليب التشجيع والاحثاث والازكاء لاتزال فى البداءة لم تستوف نصيبها من العناية والاهتمام .

وفى البلاد كفايات ومواهب كامنة ، وحوافز دفاعة صالحة ، ولكن كثيراً منها يذبل وشيكا لقلة التعهد ، والافتقار إلى الرعاية ، وظمئه إلى الماء ، وحاجته إلى الغذاء وإيثار العجزة والاعتياديين بسبب شيوع الاحتساب والأخذ بالوساطة والاستماع إلى الازدلاف وملق المالقين .

ولكن فى ظل الديمقراطية الصحيحة وتحت الحكم النيابى المكتمل المزدهر ، وبنعمة الاستقلال ، وبقوة الدستور ، يتيسر الارتفاع بالمواهب ، وتنشيط الحوافز الذاتية ، واثارة هواجع الملكات ، واحلال العامل الصحيح فى الموضع الصحيح ، وتقدير الكفايات بما تستحق ، فان الديمقراطية هى النظام الأوحد الصالح لتنمية الملكات وتشجيع الكفايات والقضاء على عيوب النظام العتيق .

ولم نتعرض فى بحثنا هذا للحوافز الشخصية الشريرة ، والنوازع الذاتية السوأى ،

لأن المفروض من عنوان هذا الموضوع أن الحوافز الطيبة الخيرة هي المرادة به المطلوب قصر الحديث عليها ، ولكن ليس من شك فى أن الحوافز الشريرة التى تسوق بالافراد إلى الجريمة لاتزال قابلة للاصلاح ، وفى الامكان حملها على التوجه إلى الخير ، ورياضتها على الاستقامة فى طريق الصالح العام ، فان العقاب الذى يوقعه المجتمع على الجناة ينبغى أن يكون المراد منه اصلاحاً ، لاانتقاماً ، وعلاجاً لااهاجة للمرض ، وتمكيناً للعلة والداء .

ولقد توجهت عناية المصلحين الاجتماعيين أخيراً إلى دراسة أنظمة السجون حتى تعالج هذه الحوافز وتراض على الخير ، وقد رأينا أخيراً كيف فعل الحافز الشخصى بمتصاب فى السجن فقد خلق منه مثالا مجيداً تستحق دمياته وتماثيله الظهور فى المعرض العام .

هذا وجه من الكلام فى هذا البحث الدقيق ، فلنتقدم إلى وجه آخر منه ، فان الكلام يحفز الكلام .

حاجة العصر إلى الحوافز الشخصية :

فى كل ناحية من الدنيا اليوم ترتفع الصيحات منادية أين الحوافز الشخصية ، وفى كل فرع من فروع الحياة العصرية ، كثر الطلب اليوم على العوامل المحركة ، والقوات الدافعة والعناصر المشرفة السامية ، والبواعث النفسية القوية ، التى تلهم الناس الطاعة وترد اليهم الايمان بأنفسهم بعد إذوهن،وتوقد فيهم نار العزم بعد أن خبا وسكن،وتسوقهم الى الخير مطمئنين،وتهديهم الى المثل العليافينطلقون إليها وكأنهم فى موكب مهرجان غير منزوين من كثرة التكاليف ولا من ألم الحرمان، ويسيرون على هدى هذا الحافز الماثل لهم خفافا هزائين بالصعاب ، يحدوهم اليقين بالنجاح والايمان ، ويشد من نفوسهم المجهدة بسعة الحافز لهم وتشجيعه،وصوته النفاذ فى أرواحهم الى القرار المكين .

كم من أفكار طيبة وآراء سديدة محببة وكفايات جميلة زاهية الالوان تتزاحم على الجماعات وتتراقص أمام الاذهان وتبدو فاتنة ساحرة البيان، ثم لايزال الناس يتمثلونها فى سكرات الخيال،وينظرون اليها نظراتهم الى المحال،ويحسبون تنفيذها ضربا من ضروب الاحلام،ويعدونها من خالب الكلم أو من زخارف الأقوال، فاذا ماظهر الحافز الشخصى وراء فكرة منها مناديا اليها مستحثا الجماعات على الاقدام عليها ، توثبت النفوس واستحثت المشاعر، وتوقدت العزمات،وبدا المسير اليها ،

وأذن الرحيل وراح الناس ينطلقون نحوها وهم مؤمنون مقدما بأنهم بالغوها آخر الجهاد فى سبيل النضال .

لقد أصبحنا نعيش فى عصر الحوافز الشخصية، فان كل ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية تقتضيها وتبحث عنها وتلتمسها وتنتظر وصولها وترتقب ظهورها، وما ذلك إلا لأن الفرد قد أصبح يحيا ويتحرك ويعتمد فى حياته على المجهود المشترك، ويجد نفسه وسط مجاميع متعاونة وهيئات متآزرة، وما من ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية الا كان مجهود المجموع هو مظهرها الغالب وطابعها الظاهر وصفتها العامة، بل تعدت هذه الظاهرة أيضا الى الناحية الفرحة اللاهية من الحياة، فغمرت الأندية والمجامع الرياضية وفرق الالعاب واللاعبين .

وكل انسان يلتحق بجماعة يشعر عند التحاقه بشىء من الدهشة والجفوة والنفور، ويحس كأنه واغل عليها أو لا حاجة اليه، أو لا يدرى أين محله من الصورة، وفى أى موضع منها يليق به أن يكون ، وهذا يقتضى مجهوداً خاصا من جانب فرد فى الجماعة فى سبيل حمل القادم اليها على نفى هذا الشعور والتغلب على هذا الاحساس، وهذا المجهود فى توحيد مشاعر الجماعة وتوثيق روابط أفرادها لايتوانى الا بالدافع القوى والحافز الشخصى أو الفرد الذى يستطيع أن يتجه بها الى الغاية التى جمعتها من بداية المسير ودور التكوين .

الحافز الشخصى هو اذن القوة المشرفة على الجماعة لتتعاون وتتآزر فى سبيل تحقيق غاية معينة وتنفيذ غرض مشترك ، وهذه القوة المشرفة الموجهة الهادية هى الزعامة ، أو سلطان الزعماء على الجماعات فى سبيل تحقيق الخير العام ، ووحدة المقاصد والأغراض ، أو هى تلك القوة النفسية المؤثرة فى الروح ، الجامعة فى يدها لكل قواها ، وموارد نشاطها ومستودعات مواهبها ، الدافعة بها نحو غرض واحد وغاية عامة ، العاملة على أن يؤمن كل فرد بأن مصلحة الجماعة ينبغى أن تتقدم على مصلحته، وأن المثل الأعلى يقتضى اختفاء الأثرة ورياضة النفوس على الغيرية ، والاستعداد للبذل والتضحية ، والفديات والقرابين .

ان الجماعات انما تعمل ، وتتقدم وتربو وتزدهر بفضل اتحاد الجهود الفردية ، والانتفاع بالرغبة الصادقة المنبعثة من قلوب الآحاد الذين يؤلفونها ، واستخدام القوة الخفية المتولدة فى نفوس الافراد الذين يكونونها ، وهذا يقتضى أن يكون للجماعة روح معنوى دافع ملهم يجمع جهودهم كلها لتحقيق الغاية العامة ، كما ينبغى

أن يكون الزعيم هو الذى يخلق فى الجماعة هذا الروح ، ويبثه ، وينميه ، وبغير الزعامة الحائنة لايمكن أن يكون للروح المعنوى وجود حقيق .

وإذا صح أن النهضات العامة فى أغلب الأحيان هى ظل رجل واحد ، وثمر زارع مفرد ، فلا ينبغى أن ننسى أن نجاحها وفوزها ، وتوفيق هذا الزارع الأكبر ، والغارس المثمر ، هو أيضا فضل من حماسة الجماعة الطائعة له وغيرة الجماهير المتأثرة به ، وصدق انبعاث الناس على هداه ، وحرارة المشاعر التى زكاها فى النفوس ، والتى ناداها فوجدت فى البيئة والوسط ، جوع المستجيبين والملبين .

ان هذه الحماسة ليست فى الواقع وليدة الارشاد والتوجيه ، كما هى نتيجة دعوة عامة ، واستجماع لكل قوى الرغبة فى القيام بعمل صح الاعتقاد بخطره ، وتم الايمان بنفعه ، وحاجة العصر اليه ، هى التى يغذيها الزعيم ، ويتعهدها ويسقيها ، ويرعاها ، فتنشأ من ثم هذه الحماسة المتوقدة التى تشمل الجماعة ، وتدفع بها إلى السير على حسداء الأيمان واليقين .

ان عمل الحافز الشخصى أو مجهود الزعامة بحد فسيح ميادين ، ويشمل عديد وجوه ، فهو الذى يضع التصميمات ويرسم الخطط ويحدد السياسات ، ويعين المناحى والأساليب ، وهو الذى ينظم جهود الجماعات ، ويوزع النفوذ والمسئوليات ، ويراقب البوادىء والمقدمات والظاهرات ، ويشرف على الحركة الاجماعية والتقدم العام . كما هو يدرب الذين يلتفون حوله على حمل الاعباء والاضطلاع بالتبعات ، بل هو أخيراً الذى يبعث قوى الافراد جميعاً ويحفز كافة المواهب الكامنة ، والنباغات الهاجعة والمزايا المستكنة ويثير الكفايات ، لتشترك فى الغرض العام ، ويغمرها روح واحد وانسجام ، لأن هذا الانسجام هو خلق جديد فى ذاته لقوات جديدة ، تكون بمثابة احتياطى ومدخر ومستودع زاخر لاينفد منه المورد والمعين .

الحافز الشخصى هو الذى يرفع القوى العاملة فى الجماعة إلى مستوى سامق ، وهو الذى يرد الموافقة السلبية رضى ايجابيا ، ويحيل النفور رغبة والسكون حركة ، والبرودة اشتعالا ، والفتور حماسة ، وقلة المبالاة اقتناعا وايمانا ، والجمود عملا ، والخصومة مودة ، والعداوة مقلمة الاظفار ، بل ان أثر الحافز الشخصى هو أشبه شىء بفتح السيال الكهربائى الذى يحرك مختلف أجزاء الآلة الكهربائية وأجهزتها الدقائق ومركباتها المتعددة ، فتؤدى كلها وظائفها وتبرز طاقتها وتحدث حدثها المطلوب .

وليس من شك فى أن الافراد فى الجماعة انما يتحركون بالدوافع الجنسية، ويندفعون بالبواعث الروحية، فتنشأ من هذه الدوافع والبواعث قوة اضافية ومحركات جديدة، وتحشد قوات أخرى لم تكن فى التقدير من قبل والحسبان .

ماهى الزعامة أو الحافز الشخصى :

فى الرابع من شهر مارس سنة ١٩٢٢ عندما خطا فرانكلين ديلانو روزفلت الى الميكروفون ليلقى خطبته الافتتاحية كرئيس للولايات المتحدة ، كان يواجه بلدا غمرته الفوضى وهبطت روحه المعنوية ، وشاع الاضطراب فى محيطه ، وفيما كان صوته يرن واضحا وثيقا مطمئن النبرات متزن النغم ، وهو يقول إن أخوف شىء فى هذه الحياة هو الخوف نفسه ، وبينما كان يشرح للشعب معالم السياسة التى اعتزم تنفيذها، والخطة التى ينتوى العمل بها ، كان قلب الشعب خافقا وحماسه بالغة واستجابته سريعة وتلبيته مؤاتية مبادر، حتى لكأن عاطفة أمة بأسرها قد تغيرت خلقا جديدا فى ليلة واحدة، وما ذلك الا لأن الجماهير أدركت فى تلك اللحظة أن قد برز لها رجل قوى ببرنامج عملى حسن اذا تنفذ، محمود النتائج إذ تحقق، فلم يلبث هذا الادراك أن أوجد شجاعة جديدة وايمانا قويا طريفا يحفزها الى الاتجاه صوب الطريق الذى أشار اليه والاندفاع نحو السبيل الذى رسمه لمسير الملايين .

لقد شعر الناس يومئذ أن زعيما جديدا قد جلس الى الدفة ليتجه بالسفينة شطر ساحل الأمان ، بل لقد أحسوا يومئذ أن حافزا قويا قد برز لهم يدفع بهم إلى التقدم فى شجاعة وثقة واطمئنان، فماهى الزعامة إذن، أو ماهو الحافز الشخصى فى التعريف والتعيين ؟

الزعامة هى المقدرة على التأثير فى الجماعة البشرية ، لحملها على التعاون والتآفر فى سبيل تحقيق غاية ، تدرك هذه الجماعات أنها أصلح شىء لها ، ووفق أمانيها ، ورموز آمالها ، ومجموعة رغباتها ومطالبها فى الحياة ، وقد يكون هذا التعريف جديدا ، إذ قد شاهدت الدنيا قبل اليوم زعامات، وحوافز شخصية ، من غير هذا الطراز، ولا نزال نشاهد فى بعض البلاد أمثلة لاتندمج تحت هذا التعيين ، زعامات آمرة ناهية ، حاكمة طاغية ، حتى فى الخير واليه ، وحتى بالعنف والحمل عليه ، أى قد خلت من الشرط الأول الذى تتم به الزعامة الهادية ، ويستكمل به الحافز الشخصى القويم المستجاب له فى غير اصطناع ، الملبى فى غير غضاضة ولا كظيم ألم ، وهذا الشرط هو أن يقابل هذا الحافز رضوان الجماعة ، ويتلاقى عندها مع الانبعاث الصادق والطاعة، اذا أصبحت فكرة الزعامة ، أو الحافز الشخصى فى النظام الديموقراطى

والحياة والنيابية ، متركزة فى هذا المعنى بالذات ، قائمة على هاتين الدعامتين المتقابلتين، رضوان المقودين وتوجيه القادة والموجهين .

كيف يتوافر الحافز الشخصى ، أو كيف تظهر الزعامة :

تقوم الزعامة عند حاجة الشعب اليها ، ويظهر الحافز الشخصى فى الوقت الذى يتلفت الناس حولهم باحثين عنه ، ملتمسين معونته ، فقد رأينا روزفلت وكولدج يبرزان فى موضع الزعامة فى مواقف الخطر العام ، وساعات الفزع المنتشر ، وبمنتهى السرعة الواجبة لتلافيه والدافع الملح إلى معالجته ، لقد اقتضت الظروف زعامة منشئة ، بانية مصلحة فوجد الناس فى روزفلت مطالبها فارتضوه لها ، وكان الزمن معه فظهر ،والظروف السوانح مؤاتية فظهر ، وكانت رغبة الشعب بادية ، فتقدم ليملأ الفراغ ، ويحتل المكان .

وفى حياة غاندى ، وسعد زغلول ومصطفى النحاس يتمثل عنصر الظرفية الزمنية والمكانية ، هذا العنصر المناسب الملائم لتكوين الزعامات تلبية لمقتضى العصر . وحاجة الجيل ، ومطالب التوجيه ، والتهيئة والاعداد ، بل كانت السفينة بحاجة إلى الربان ، فاهتدت إلى القبطان .

وليس من ريب فى أن هناك أمثلة لزعماء متعددى الصيغ والشكول والالوان ، ولكن الواقع ان كل زعيم هو نتيجة اجتماع ظروف الزمن ومهيئات الموضع ، والمزايا النادرة فيه، والخواص الرائعة التى تصطفيه الجماهير من أجلها وتجتبيه ، وليست واحدة من هذا كافية لقيامها ، ولا وجودها كفيلا باظهارها . وانما لابد من التلازم فيها جميعاً والاقتران .

وهذا من شأنه أن يجعل القائد خادماً للمقودين . والزعيم مولى للشعب وعلى عهدهم الحريص الأمين ، أو هو المرشد الذى يهديهم إلى تأدية الغرض المطلوب ، وتحقيق الفكرة المرسومة ،وبلوغ الهدف المقصود ، ولعل الزعيم الفرنسى الذى رأى الجماعات التى تولى زعامتها وقيادتها تتخاذل وتتهاون دون بلوغ غرضها ، فقال ينبغى أن أتبعهم مادمت قائدهم ، كان على بعض الحق فى منطق عذره ، وعذر منطقه ، ولكن هناك بلاريب مواقف ومواطن تعتبر فيها المصارحة بهذا الشعور أو المكاشفة بهذا الأحساس من جانب الزعيم أو القائد خيانة لمبادئه السامية ، وتخليا عن مثله الأعلى ، واستخذاء أمام الصعاب ، ولكن يبقى مع ذلك الواقع

الذى لاشك فيه ، وهو أن تعويل الزعيم على المقودين فى سائر الأحوال التى يجدون فيها أنفسهم ، هوجانب من جوانب زعامته ، وناحية من نواحي قيادته ، فهو إذا كان حافزاً للجماهير ، فانما الجماهير هى كذلك بالأخلاص ، والمتابعة ، والطاعة والولاء ، حوافز له ، مهيئة مشجعة على المسير والثبات .

والحافز الشخصى هو أول ما ينبعث فى الزعيم ليدفع به الى احتلال المكان الذى أعدته المقادير له ، فانه ليحس فى أعماله دافعا الى الوثوب والتقدم ، ومتى اجتمعت قوة الشخصية فيه بقوة النفس الجياشة المتحفزة ، المعلنة عن ذاتها بسحرها الخفى ، وجلالها البادى ، مع توفر قوة العزم وصلابة التصميم على تأدية رسالة يؤمن بها كل الايمان ، والمجاهدة فى سبيل مثل عال يعتنقه أصدق الأعتناق ، فانه فى الساعة المنتظرة واللحظة الواجبة يقفز الى الموضع الخليق به ، ويومئذ يعرف الناس فيه الزعيم المفطور على الزعامة أو العظيم « المولود هكذا » كما يقولون .

ولكن ينبغى أن تفصل هذا الطراز من الزعماء والقادة المفرغين فى قوالب البطولة النفسية من طراز النابوليونيين ، والغزاة ، والطغاة ، والعسفة ، والجبابرة ، أو معاشرة الانانيين الذين استبدت الاثرة بكل شىء فيهم ، والذين أبرزوا نواحى كثيرة من نواحى الزعامة ولكنهم تراموا على النفوذ بالعدوان العسكرى ، والاستيلاء العرفى على السلطان ، واستضعاف الجماهير ، وانتهاز الفرص واقتناص السوانح ، ولكن أكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم انتهوا إلى فشل ساحق وكانت خواتيمهم أسوأ الخواتيم .

ولقد يريد هؤلاء الخير فى بداية أمرهم ويتوخون الصالح العام ، ولكن شهوة السلطان وظمأهم الى الطاعة عند الجماهير ومخافة ضياع الامر من أيديهم ينتهى بهم حتما الى الاثرة ذاتها التى دفعت بهم فيعطفون على الاحتفاظ بالسلطان مهما كلف ذلك من ثمن ، واقتضى من ضرائب وتكاليف جسام ، ولكن الجماهير لا تلبث فى النهاية أن تسائل نفسها هل نحن حقا نستمد من هذا البطل القوة الدافعة والعزة السامية التى كنا ننتظرها ، وهل هو حقا يخدم غرضنا ومصالحنا ولا يخدم أغراضه هو ومصالحه ويشبع شهوته ويرضى ذاته على حسابنا ، وأكثر ما يكون الجواب العملى على هذه النجوى الخافتة السارية فى خلجات نفوس الجماهير هو قيامها على هذا الطاغية واسقاطه من أوج مكانته ، بعد زوال الحلم الجميل الذى رفعه مكانا عاليا .

ومهما تكن الحوافز التى تدفع الجماهير الى السير وراء هذا النوع من الزعامة الآثرة الغاشمة ، فان الحركات التى تنشأ منها وتبدو فى بعض الاحيان بظاهر من الخير ، وأغشية

من الاحسان ، ليست سوى هزات وقتية لا تلبث أن تزول و تستيقظ الجماهير من سكرتها على حقيقة مؤلمة، و تعاود سيرتها الاولى فلا تسلم زمامها إلا فى حدود مشيئتها و رضاها، ليكون الزعيم الذى ترتضيه هو فى الواقع رمز أمانيها ، والفرد الذى تجتمع فيه إرادة الجميع .

ومن ثم كان الزعيم الذى تنتخبه الجماعة بمحض ارادتها، وتضع فيه كل ثقتها أنزع الى النجاح وأقرب الى التوفيق فى مهمته التى ألقى اليها كل قلبه وادخر لها كل جهده وأفنى فى سبيلها عصارة روحه، لأن أثره فى كل اصلاح بارز وحافزه عند الجماعات المخلصة الموالية الواثقة به شديد النفوذ قوى التوجيه بالغ السلطان .

وليس وسيلة عملية فى سبيل الرقابة على توجيهاته والاشرف على منازعه وحوافزه أوثق أثرا وأدق عملا وأنجح نفوذا من صيانة الروح الديموقراطية فى البيئة التى اختارته، والحرص على الهيكل النيابى المقدس الذى يؤدى كل فرد عنده فريضته، فان الديموقراطية فى الواقع حامية نفسها وفيها وسائل وقاية ذاتها. وقد يبدو ضرب من الاصلاح زاهى اللون مغريا بالرضوان ملهما السكون اليه. ولكنه يقتضى الاصطدام بالروح النيابى وهو قدس الدولة وسر منعتها ، أو الخروج على أحكام الدستور أو مجاوزة الاوضاع الديموقراطية ، ففى هذه الحالة لا ينبغى الاستجابة اليه تضحية بهذا جميعا من أجله ، فان بقاء الديموقراطية سليمة أسلم ، وقيام السياج منيعا أوفى وأمنع ، ولا يجدى إصلاح كهذا ، اذا كان فى قيامه هضم ناحية من أقدس نواحى الحياة .

الاصلاح الاجتماعى أثر الحافز الشخصى فيه :

[كل اصلاح ظهر فى الجماعة منذ أبعد حدود التاريخ انما قام و توطد بدافع قوى من حاجة العصر وقوة توجيه المصلح أو المفكر أو الزعيم الذى نادى به ودعا الناس اليه، وقد يختلف الناس فى أمر هذا الاصلاح لأول العهد به ويذهبون فى تقدير مدى نفعه مذاهب متباعدة ، فلا غناء إزاء هذا الاختلاف والتشعب عن أثر المصلح فى اقناع الجيل به و حماية فكرته من مقاومة العناصر الرجعية له وحمل المخالفين على الاقتناع بسداده وحكمته .

وكثيرا ما قام المصلحون بالدعوة إلى ضروب من الاصلاح الاجتماعى، فحوربوا فى جيلهم واصطلحت العوامل المناوئة على مقاومتهم ولكنهم بالحافز الشخصى والدافع النفسى القوى الملهم المقنع الآخذ بالنفوس، واستطاعوا فى النهاية أن يقيموا اصلاحهم على أمتن القواعد ويحموه من الفشل والاخفاق، ويطبعوه بطابع شخصيتهم البادهة،

ومجهودهم الجبار وكفاحهم المستميت .

ان التطور الطبيعى بطىء وئيد ، لانه لايجد الدافع القوى الذى يعجل به ، ولا يظفر بالحافز الشخصى الذى يسوقه سريعاً إلى الظهور ، ولكن الاصلاح الاجتماعى تتيسر فيه السرعة ويتواتى له العامل المذكى له ، والروح المتقد النافخ فيه ، والالهام المستمد من قوة الشخصية الفاتنة التى تتقدم إلى الناس به .

ولعل أقوى مثل على أثر الحافز الشخصى فى توجيه الاصلاح الاجتماعى وسرعة استكماله ، ووشيك سريانه ، واستفاضة شموله ، هو مارأت الدنيا أخيراً ، وهى مبهوتة عاجبة ، من أمر مصطفى كمال فى تركيا الحديثة فكأنما قد خلقها خلقاً جديداً فى بضعة أعوام ، وغمرها بروحه الحافزة ، فاندفعت فى أثره لاتلوى على شىء

وقد يكون فى اصلاح كهذا شىء كثير من العيوب ، وقد يكون فيه الفج والشاذ ، والعارض الوقتى والسطحى ، والخداع البراق ، ولكن الزمن وحده هو الكفيل بنخله وغربلته ونفى الشوائب عنه ، وتطهيره من العيوب ، وفى التنفيذ والتطبيق وسيلة الحكم على الصالح فيمكث فى الأرض ، ومعرفة غير الصالح والزبد فيذهب جفاء ، ولو أراد صانعه أن يسور عليه أشهق الأسوار ، ويحميه من التلف والانقراض والبوار ، فان قانون الحياة يأبى إلا أن ينفذ سلطانه ، وهو أن كل شىء لاصلاح له ، محكوم عليه بالفناء .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ جميل خانكى

عرف الحافز الشخصى بأنه فكرة فى قلب الانسان وعقله بلغت منه مبلغ الايمان والعقيدة تدفعه ، ان خيراً فخير وان شرا فشر ، إلى القيام بعمل من الأعمال يدر من ورائه - هو أو الجماعة - فائدة . وقد قدم لهذا التعريف بأن الافكار إذا اختمرت فى الرؤوس ونضجت وتملكت مشاعر القلب بعد العقل حتى أصبحت من المرء وحدة لاتتجزأ كانت هى الايمان الذى يدفعه إلى تأييد هذه الأفكار والدفاع عنها ، ويختلف المرء فى هذه المهمة قوة وضعفا ، فاذا كانت الفكرة عقيدة راسخة عنده أينعت وحان قطافها كان فى مناصرته لها لايبالى بكبيرة أو صغيرة مضحيا فى سبيلها بكل عزيز لديه .

وأثر الحافز يظهر فى الفرد كما يظهر فى الجماعة ، وفى تطور الاصلاح الاجتماعى؛ يظهر فى جميع مناحى الحياة : السياسية والمالية والتجارية والعلمية والأدبية والزراعية والخيرية .

فى الشؤون المالية ، دفع الحافز الشخصى جماعة من المصريين فأنشأوا (بنك مصر) فى وسط ٢٠ بنكا أجنبيا، برأس مال ٨٠٠٠٠ جنيه ، بينما البنوك الأخرى تزيد رؤوس أموالها على عشرات الملايين من الجنيهات ، وماهى الا فترة وجيزة من الزمان حتى أصبح رأس مال بنك مصر مليونا ، وأصبحت الودائع والأمانات والحسابات الدائنة الخاصة بالأفراد والهيئات الحرة والرسمية الموجودة لديه تزيد على ١٢ مليونا ، وأصبحت حساباته الجارية تزيد على ثمانية ملايين ، وتفرعت منه عدة شركات .

وفى الشؤون الزراعية دفع الحافز الشخصى بعض المصريين إلى تأسيس الجمعية الزراعية الملكية فى ابريل سنة ١٨٩٨ ، وهى الآن محط آمال الفلاحين والمزارعين.

والنقابة الزراعية العامة أثر من الحافز الشخصى ، ولقد خدمت الفلاحين والمزارعين أجل الخدمات .

وفى الشؤون العلمية والأدبية كانت انشاء الجامعة المصرية نواة صغيرة فى سنة ١٩٠٨ ، ثم أخذت فى التدرج سنة بعد سنة إلى أن صدر فى ١١ مارس سنة ١٩٢٥ المرسوم الملكى بانشاء الجامعة المصرية مكونة من كليات أربع : كلية العلوم وكلية الآداب وكلية الحقوق وكلية الطب ، ثم زادت عليها كليات الهندسة والزراعة والتجارة ، وأصبح عدد طلبتها الآن ٦٤٠٥ بعد أن كان لايزيد على بضعة عشرات .

وإن فرق الكشافة المصرية وليدة حافز الجماعة ، وهى تربى الناشئة تربية جسمانية وأدبية بتعويدهم الاعتماد على أنفسهم وبث روح الاقدام والاستقلال الذاتى .

وفى الشؤون الخيرية كان الحافز الدافع إلى انشاء المستشفيات والمؤسسات الخيرية .

وكان مشروع القرش وليد فكرة الشباب المصرى . وكان من نتائج حافز الشباب انشاء مصنع الطرابيش والصناعات الأخرى المتصلة بغزل الصوف .

وفى الشؤون السياسية دفع الحافز سعدا إلى المناداة بحرية مصر واستقلالها ، وكان سبباً فى وجود الأحزاب السياسية التى تسعى كلها لغاية سامية هى خير مصر .

وفى الشؤون العمرانية كان أثر الحافز تأسيس مدينة هليوبوليس ، وهى وليدة فكرة شخصين : البارون امبان وباغوص نوبار باشا .

والوسائل العملية لتوجيه الحافز الشخصى للخير العام هى :

١ - أن تسود البلاد حرية الرأى بأن يكفلها دستور الأمة وتحافظ عليها الحكومة القائمة ولا يمسها قضاء الحاكم .

٢ - انتشار العلم فى المدن والقرى ، والتعليم الالزامى هو الطريقة الفعالة لتثقيف صغار الناس .

٣ - تعويد الناس وتربيتهم تربية أخلاقية ، فالأخلاق قوام كل مجتمع ، وعماد كل نظام متين .

٤ - توسيع سلطة كبار الموظفين واختصاصاتهم وبث روح الاستقلال الذاتى فيهم .

٥ - افساح صدر الحكومة للمشروعات الفردية والتشجيع والمعاونة على القيام بها .

٦ - الدعاية ، وتكون بالخطابة فى الأندية والمجتمعات ، وبالكتابة فى الصحف والمجلات ونشر الكتب ، وشرط نجاحها ضمان حرية الخطابة والكتابة والاجتماع .

وتؤدى هذه الوسائل إلى إيجاد البيئة الصالحة التى ينبت فيها الحافز الشخصى نباتا طيباً ، ومتى تكونت هذه البيئة وجد الحافز أمامه طريقاً سهلا للعمل نحو الغاية المبتغاة .

(٣)

ملخص رسالة

حضرة الآنسة زينب الحكيم

استهلت بحثها بأن ضربت مثلا للحافز الغريزى فى النمل وما يدفعه اليه من العمل على الحياة وانشاء القرى الواقية له من العوامل الطبيعية .

ثم أخذت بعد ذلك فى تطبيق هذا المثل على الانسان وتكوين الحافز الشخصى فيه ليبلغ الدرجة المرجوة له من الرقى فى الحياة .

ثم نقلت عن السير برسيفال العالم الانجليزى مقارنة بين الأجنة الدنيا للحيوان والأجنة للانسان وكيفية نشأة الغرائز فى الجنين البشرى وتدرجها من البسيط إلى المركب بواسطة التقليد لأبويه طفلا وارتقائه فى ذلك بواسطة العلم والمعرفة .

وبعد أن وصفت غرائز من سمتهم الموهوبين أو العباقرة والشواذ، وحاجة كل صنف من هؤلاء الى العناية الخاصة بتربيتهم وتعليمهم وتوجيههم الى مايدعواليه استعدادهم الفطرى والتهذيبى - رأت أن الطريق الذى يفهم به الخير والشر انما هو العقل ، وبادراك حقيقتهما يستطيع الانسان أن يبتعد عن الشر وأن يبعده عن غيره ، وأن يتجه نحو الخير ويرشد غيره اليه ، ولهذا ترى أنها واجهت شيئين :

١ - توفير جزء من نشاطنا الذاتى على جلب الخير ودفع الشر .

٢ - ايجاد مجتمع صالح يقوى الحافز الشخصى ويفرق بين الخير والشر ،ومن ثم نصل إلى المثل الأعلى لترجيه الحافز الشخصى للخير العام .

ثم أشارت الى أن قيمة الحافز الشخصى الذى يصل بصاحبه إلى درجة العبقرية هى قيمة عظيمة ، وذكرت بعض العباقرة الذين دفعهم الحافز الشخصى إلى احداث انقلابات علمية واجتماعية وصناعية وانسانية ، وإلى أداء رسالتهم على الرغم من تعسف الظروف أو انصافها .

وقالت ان تاريخ التطور الاجتماعى يثبت ان الحضارة فى أية أمة لم تكن وقفا على تفوقها فى بعض مواهب جماعة من أفرادها فقط كالفنانين أو الأدباء مثلا ، بل ان الامة التى بلغت أعلى الدرجات فى الأدبيات مثلا انحطت فى العلوم والفنون الأخرى ، والتى ارتقت فى الصناعات والرياضيات انحطت فى الأخلاق . . . وأن جهود الافراد الطيبة فى كل ناحية يظهر أثرها فى الحياة العامة ، آتية بدافع حافزهم الشخصى ، لا من ضغط الحكومة ، ولا من لوم لائم أجنبى، فتجب المحافظة على هذه الجهود ورقابتها حتى لا تزعزع صاحبها التقلبات السياسية ولا النزعات من أى نوع .

ثم انتقلت إلى الوسائل العملية لتوجيه الحافز الشخصى للخير العام ، فرأت:

١ - افساح المجال لاظهار مرامى الحافز الشخصى ، وتشجيع أصحابه للوصول اليه ، ومساعدتهم قدر الاستطاعة

٢ - انشاء معامل للتجارب مؤقتا ، ومنشآت صناعية واقتصادية ، ونوادى الالعاب الرياضية .

٣ - اسناد الرياسة لمن يمكنه الاصلاح الفعال الأثر

٤ - العناية بتأسيس نواد كثيرة للهو البرىء ، ومنشآت لحماية القصر وضعيف الارادة والشواذ والفقراء من التشرد والتسول، وتنظيم حالات العمال ، والاكثار من المؤسسات الصحية ، واصلاح حال الفلاح بتحسين القرية ونشر الثقافة والتعليم .

٥ - تنظيم شؤون المرأة ، بدرس استعداداتها وتوجيهها إلى ماهى أكثر ميلا لجهته ، مع حفظ حقها فى الحياة الطبيعية الأخرى ، وانشاء مدارس خاصة بفن الأمومة وتكوين الأسرة للأمهات والآباء على السواء ، والعناية فى برامج التعليم بفن التمريض ، وبث روح الشفقة فى النفوس ، ودراسة العلوم الحديثة إلى جانب القديمة ، والدين والفقه ، وعلم النفس

٦ - ايجاد نظام للتخصص لانجاح تجارب دراسة الموهوبين والشواذ .

٧ - انشاء مكاتب للتعارف الدولى ، وتدبير الرحلات العلمية والاجتماعية .

٨ - العناية بانشاء مدارس أو فصول عالية للترجمة من لغات العالم الى اللغة العربية ومن العربية إلى تلك اللغات ، لتقترب الآراء والفكر بصورة صحيحة .

٩ - قطع دابر المحسوبية والرشوة والتواكل ، فيستقر العدل وتطمئن النفوس.

١٠ - ايجاد هيئة منظمة تشرف على تطور الاصلاح الاجتماعى ، وتراقب طغيان المدنيات ، وتحارب البدع والخرافات ، وتشير بما يجب أن يقام من المنشآت المختلفة .

وختمت بحثها بأنها قد استندت إلى النقط الثلاث الآتية، كخطة منظمة للانتفاع بأثر الحافز الشخصى وتوجيهه للخير العام ، لأن المسألة تحتاج إلى كثير من التحليل الشخصى ، ومطالب الروح والتجربة الشخصية والانتاج العملى والقدوة الطيبة ، وهذه هى النقط :

١ - قبول فلسفة الحياة أو المعيشة

٢ - طرق تعليم هذه الفلسفة

٣ - طرق انفاذ خطة الحفظ أو التعليم

(٤)

ملخص رسالة
الاستاذ حسن مظهر

مهد لبحثه بتعريف الحافز بأنه يتولد من صورة أو فكرة ، تؤثر فى الرأس وتتسلل الى النفس مستودع الحس ، فتبعث فيها وجدانا غايته الظفر بتحقيق الصورة أو الفكرة التى أطربت أو أثارت العقل ، فسهل عليها احداث هذا التأثير فى الميل ، وجمع القوى الحسية وتسخيرها لغايتها ، فتندفع هذه القوى راضية أو غير واعية ، سالكة طريقها الذى رسم لها .

والناس جميعا يعملون بقوة الحوافز ، ويولدونها وهم لايدركونها ، وهى تتجه بهم الى مااستهواهم أو أهاجهم ، بل الى ما أرادوه لانفسهم ، فتصنعهم بدورها كما صنعوها ، وتخلق ذاتيتهم ومستقبلهم ، وقد ترفعهم وترقى بهم إذا كانت أسبابها رفيعة راقية ، وتهوى بهم وتدمرهم اذا كانت حقيرة مؤذية ، ولايقف أمرها عليهم وحدهم ، وانما يتناول المجتمع معهم ، لأن وحدة الأمة فى ذاتية كل منهم ، ونهوضها من نهوضهم ، وفسادها من فسادهم .

والحوافز الشخصية ميول ، أو انفعالات ثائرة ، أو شهوات عمياء أو مبصرة ، اذا سارت تسلحت بأجهزة الروح ، واستعانت بقوى العزم والثبات والشجاعة وتكون منها فائدة إذا اتجهت الى الاصلاح والخير ، وتودى الى كارثة إذا قصدت نحو الفساد والشر .

نشأت الحوافز مع الانسان ، اذ كونتها عقليته ورغباته ، فبدت فى اندفاعه نحو حاجاته فى الوسط الذى كان يعيش فيه ، ثم تطورت معه بتطور شخصيته العقلية والاخلاقية ، تبعاً للبيئة وتقدم نظام الحياة ، وهى الآن كامنة فى أسرار تصرفاتنا ، وأثرها بارز فى حضارتنا ومعالم حياتنا ، وما وصلنا اليه من تقدم وعظمة وحرية .

وان كثيرا من النوابغ والعظماء كونتهم الحوافز المتولدة من الحب ، إذ تنبهوا بعقولهم إلى فكرة العمل والسعى ليصبحوا أهلا لمن أحبوا

وتتولد الحوافز الشخصية من التخيلات والانفعالات ، فيمكن توجيهها إلى

الخير والاصلاح بتحكم العقل والنفس فيها ، واذا كانت خارجة على الضمير والواجب حجزتها الارادة حتى لاتؤذى صاحبها وتؤذى غيره معه .

وتخلق العاهات العضوية ، أو الامراض الوراثية ، أو النقائص الخلقية - بسبب الوراثة أو عدم التعليم وسوء المصاحبة والمؤثرات الفاسدة - حوافز صالحة تبحث الشخص إلى معالجة النقص واخفائه أو تعويضه ، وقد تحدث هذه النقائص حوافز شريرة فى بعض النفوس التى يهيجها النقد ، فتندفع عمياء للثأر أو لاثبات القوة .

وتتولد الحوافز الشخصية فى الجماعات ، بسبب التحمس للفكرة التى تنقلب إلى غاية ، وهى تكون على أشدها وفى أفضل مظاهرها اذا كانت أداء الواجب للوطن .

والوسائل العملية لتوجيه الحوافز الشخصية للخير العام :

١ - الاهتمام بتعليم العقل ، فالعقول الجاهلة والضعيفة تستويها الخيالات ، والصور التافهة ، وتفتنها المظاهر الحقيرة وتؤثر فيها .

٢ - الاهتمام بالرياضة والفرق الكشفية لاصلاح الاجسام وللوقاية من العلل البدنية ، لتوليد روح الاخاء والنشاط والطاعة واحترام النظام والواجب ، وهى تضاد نزعات الشر .

٣ - مراعاة الوالدين للميول الطبيعية فى أبنائهم ، وتعهد الحوافز التى تحفز الاطفال والصبيان من صغرهم إلى حرف أو أعمال خاصة حتى ينبغوا فيها .

٤ - الاستعانة بفن المؤثرات لتربية النفس واضاءة الضمير وغرس الشعور بالواجب والعمل للخير

٥ - تشجيع الحركات الصناعية والتجارية ورجالها ماديا وأدبيا .

٦ - تشجيع رجال العلم والفكر .

٧ - تشجيع أبطال الرياضية والطيران

٨ - وضع طريقة للتربية الدينية لنقل أحكام الدين العظيم من الرءوس إلى النفوس ، فليس مثل الدين هاديا روحيا ، ووازعا عن الشرور والآثام ، وموطدا للحياة الاجتماعية وواقيا لها من الانحلال والفوضى .

٩ - الاهتمام بتشجيع الأطفال فى رياض الأطفال بالجوائز والثناء اذا تفوقوا فى الحرص على الفضائل كالصدق والأمانة ونحوهما .

١٠ - الاهتمام بابعاد الاطفال عن مصاحبة الاشرار ، لئلا تصيبهم العدوى بسرعة وهم صغار ، واشعارهم بالاستقلال حتى يحبوه لانفسهم ولغيرهم ،

والابتعاد عن ارهابهم لئلا يشبوا على الخوف والخنوع .

١١ - التشجيع على الزواج ، بتفضيل المتزوجين فى الاعمال ، حتى ينصرف الشبان عن اللهو واللذات وينجو المجتمع من أخطار العزوبة على الشبان والاخلاق

١٢ - تشجيع الزراعة ، باقامة المعارض للنهوض بها وبالمزارعين

١٣ - تشجيع العمل الحر بتوسيع ميدانه ١٤ - تشجيع كل عمل خيرى .

وان الجماهير لتتأثر بأفكار الزعماء والقادة ، وتنطبع فى نفوسهم خطبهم وكلامهم ونصائحهم ،فاذا تطوعوا بمال لمساعدة مشروع انسانى حفزوا الشعب إلى التطوع مثلهم ، وإذا ثبتوا فى جهادهم تأثرت الامم بهم ، وثبتت وراءهم مشدودة العزيز ، وإذا ضحوا أضرموا نار التضحية فى شعوبهم وحفزوهم إلى الاندفاع فى التضحية التى هى أشرف معانى البطولة .

(٤)

الموضوع الرابع

البطالة ووسائل علاجها

والتعليم الأقليمى وأثره فى علاج البطالة

حضرة صاحب العزة مدير ادارة المطبوعات

اجتمعت لجنة التحكيم فى الموضوع الرابع « البطالة ووسائل علاجها ، والتعليم الأقليمى وأثره فى علاج البطالة » من المباراة الصحفية الأدبية التى أتشرف برياستها .

وقد قررت - بعد بحث الموضوعات التى قدمت اليها على ضوء القواعد المبينة فى المذكرة المرافقة لهذا - أن تمنح حضرات : -

		ج
١ - الاستاذ محمد زكى عبد القادر	جائزة مقدارها	٧٠
٢ - الدكتور على عبد الواحد وافى	« «	٥٠
٣ - كل من الاستاذين حسنى الشنتناوى وعبدالحميد يونس	« «	٣٠
٤ - كل من الاستاذين محمد أبو المعاطى القديم والدكتور أحمد سويلم العمرى	« «	١٥
٥ - الاستاذ مصطفى فهمى	« «	١٠

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،

١٤ يوليه سنة ١٩٣٦ رئيس اللجنة

(احمد عبد الوهاب)

القواعد التى اتبعت فى اختيار المواضيع

نظرنا فى كل بحث من نواح ثلاث : الناحية النظرية والناحية العملية وناحية اللغة والأسلوب .

١ ـ قصدنا بالناحية النظرية الدراسة العلمية لأهم المظاهر لمشكلة البطالة ورد هذه المظاهر إلى أسبابها ومتابعة نتائجها دون التقيد بطريقة مدرسية للبحث ، ولم نتطلب فى هذه الدراسة أكثر من صحة التقدير ـ بقدر المستطاع ـ للوقائع الراهنة وسعة الاطلاع وسلامة المنطق فى البحث، وصواب التسلسل السببى لما أورده الباحث من دواعى البطالة أو لما ارتآه من أنواع علاجها .

ولما كانت هذه الناحية النظرية هى السبيل الذى يخلص منه الباحث إلى بيان أسباب البطالة، لم يكن بد من اعتبارها أساس الموضوع وتمييزها على غيرها من النواحى فى ترتيب الاهمية، إذ أنه بقدر نجاح الباحث فى تعرف أسباب البطالة تكون السهولة فى وصف العلاج الذى يلائمها ويقضى عليها

كما أنه لما كان الغرض الأصلى من بحث مشكلة البطالة هو تنظيم فرص العمل التى يستطيع فريق من ابناء الدولة استغلال مواهبه فيها والحصول على نصيبه من النتائج الأهلى عن طريقها كانت الصفة الغالبة لهذا الموضوع هى الصفة الاقتصادية، وهى التى يجب أن يفيها الكاتب حقها من البحث قبل غيرها من النواحى الأخرى التى وان كانت تمس الموضوع عن قرب أو عن بعد الا أنها لاتعدو ـ من ناحية درس مشكلة البطالة ـ أن تكون ظروفا ملابسة تتأثر بالعامل الاقتصادى أو تؤثر فيه . ومن ثم كان لزاماً على كل كاتب أن يلتزم حدود المبادىء الاقتصادية الاساسية فلا يتورط فيما يخرج به على تلك المبادىء عن استعراضه للوقائع أو فيما يأتى به من حلول .

٢ ـ اما من الناحية العملية فلم يغب عنا تشعب نواحى الموضوع وكثرة ما يمكن أن يقال فيه ، ولكن العبرة ليست فى كل ما يمكن أن يقال وانما بما يجوز أن يقال فى حدود نظام اجتماعى وسياسى مقرر للدولة وفى نطاق موارد للافراد أو للحكومة مع عدم اغفال الظروف التقليدية المحيطة بالفرد أو بالجماعة أو الآثار التى يمكن أن تترتب على الحلول المقترحة فى نواحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وفى هذا الصدد لايسعنا الا ابداء الأسف على ما لاحظناه فى معظم المواضيع

ان لم يكن كلبا من غياب أى بحث مقارن لمشكلة البطالة أو مقارنة الاجراءات التى اتخذت فى البلاد الأخرى مع ما يمكن اتخاذه منها فى مصر واحتمال نجاحه فيها من عدمه، وفى مثل هذا الغياب ماينم على قلة اطلاع أغلب المتقدمين فى المباراة على ما يجرى فى بلاد أخرى كانت أسبق من مصر شعوراً بوطأة البطالة وأكثر منها تجربة بوسائل مكافحتها ، وقد كان يكون لأغلب المتبارين فى هذه المقارنة مندوحة عن الاتيان بكثير من الاقتراحات التى اثبتت الحوادث فسادها أو التى أظهر البحث بعدها عن وقائع الحياة الاقتصادية السليمة .

٣ ـ ومن ناحية الاسلوب لم نتطلب أكثر من سلاسة الأسلوب وصحته والبعد عن التعقيد والغموض وتحديد مرامى الكلام بما يلائم التدقيق العلمى والتفكير الهادىء الذى يزن الأمور وزنها الصحيح .

(١)

رسالة الاستاذ محمد زكى عبد القادر

مقدمة وتقسيم:

تعتبر البطالة من أعقد مشاكل العصر الحديث ان لم تكن أعقدها جميعاً ، وهى اليوم تشغل المقام الأول فى تفكير الحكومات وعلماء الاقتصاد والاجتماع ، وهى كما يقول « بيفردج » لاتدع ناحية فى الحياة دون أن تتناولها بشرورها ، فهى مشكلة اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية ، وقد أشار إلى ذلك صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية فى الاجتماع الأول يوم السبت ٤ ابريل سنة ١٩٣٦ للجنة المشكلة برياسته لمعالجة مشكلة المتعلمين العاطلين، فوصفها بأنها «ذات أثر بليغ فى رفاهية البلاد سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية » ، وأشار إلى عمق شرورها وتأصل متاعبها، وطلب إلى حضرات أعضاء اللجنة أن يبحثوا عن سببها «وهل هو يرجع إلى عيب فى نظام التعليم أو فى برامج الدراسة أو فى كيفية توزيع الطلاب على شتى المهن أو فى اختيار موظفى الحكومة ومكافآتهم أو فى النظام الاجتماعى ذاته أو فى بعض أركانه » ، فالبطالة ليست مشكلة الصناعة وحدها ، وليست مسألة الاقتصاد وحده ، ولكنها مسألة الدولة الحديثة كلها .

قال مستر هارولد باتلر مدير مكتب العمل الدولى فى جنيف « ان طمأنينة الدولة فى الوقت الحاضر أصبحت لاتعتمد فقط على تحصين حدودها بل على قدرتها على أن تتيح لكل طبقات مواطنيها وسائل كافية ومناسبة للعيش(١) » وقال مستر والتر ربمان الناشر الامريكى المعروف «ان واجب الدولة فى كفالة مستوى مناسب من المعيشة لشعبها جوهرى مثل واجبها فى حماية الاستقلال الأهلى (٢) » ولم يعد هذان الكاتبان الصواب فيما قالاه ، فان واجبات الدولة الحديثة قد تطورت ، وهكذا لم تصبح البطالة مشكلة اقتصادية فحسب ولكنها أصبحت مشكلة سياسية . وقد شهدنا فى السنوات الأخيرة مضاعفات عديدة لهذه الظاهرة فان الانقلاب الروسى تقف وراءه البطالة . ويستطيع الباحث أن يجد بسهولة مثل هذه البطالة بالذات تقف وراء حركات التجديد فى ألمانيا على يد هتلر . وفى إيطاليا على يد موسولينى .

وليست البطالة شرا جديداً فى العالم بل لقد عرفت منذ أقدم العصور ، ولكنها كانت تتخذ صورة أخرى ترجع إلى طبيعة العصر وإيمان الناس وكيان الدولة نفسها لحين تحل الضائقة والمجاعة وتمحل الأرض يأخذ الناس هذه الشرور على أنها ارادة الله ومشيئة القدر وتلك قوى لامنجاة منها ولا دفع لها بغير التسليم والرضاء ، ومع ذلك فلم تكن البطالة بالصورة التى نعرفها اليوم موجودة فى العصور الأولى حين كانت الزراعة هى المعتمد الأول وحين كانت الطبيعة سخية جوادة والسكان قلائل وميادين الاستغلال واسعة ، أما اليوم فان الناس لا يأخذون البطالة شرا مسلماً به ولكنهم يرونها اضطرابا يجب أن يزول وداء يجب أن يعالج ، واليوم تضيق بالناس الموارد ، فالأراضى البكر قليلة ومصادر الثروة التى لم يستغل بعد ليست بالكثرة التى كانت بها منذ قرنين أو ثلاثة قرون ، يضاف إلى ذلك تزايد الناس دون انقطاع أو توقف وتعقد الصناعة واعتماد المصانع على مستهلكين فى أقاصى الأرض وتأثر الاستهلاك بشتى العوامل بين سياسية واجتماعية وقومية .

وحين كانت البطالة شرا غير منظور كانت النزعة الغالبة بين العلماء فى القرون

---

(١) تقريره الأخير الذى رفعه فى أواسط السنة الماضية لمؤتمر العمال الدولى .

(٢) The method of freedom سنة ١٩٣٤ ص ٣٥ .

الوسطى وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر نزعة طبيعية تقوم على حرية العمل Laissez - faire ، كان هذا مذهب الفيزيوكرات وهو المذهب الذى ساد أوربا ثلاثة قرون كاملة ولبث مسيطراً عليها حتى انتصف القرن السابع عشر ولبثت نزعة تمجيد الطبيعة والايمان بقدرتها على الملاءمة بين حاجات الناس المتباينة غالبة على كتابات آدم سميث مع تطور اقتضاه تخليص علم الاقتصاد من اخطاء الفيزيوكرات فهو يرى أن النظم الاقتصادية يجب أن تعمل وحدها دون تدخل الحكومة ، فحرية العمل وحرية المبادلة يجب أن تكفلا ، ومن رأيه أن السكان مثل البضائع سواء بسواء يتحددون بقانون العرض والطلب فحين يزيدون عن الحاجة تنخفض أجورهم وحينئذ يكفون عن الزواج والتناسل حتى تتم الموازنة بين العرض والطلب ، فمشكلة البطالة عند آدم سميث مشكلة تحلها الطبيعة وهو يقول ان الفرد فى سعيه وراء مصلحته الخاصة « تقوده يد خفية نحو فائدة المجموع ، وهكذا بينما يطيع هذه الرغبة التى غرسها الله فى نفسه يحقق أغراض الله الخيرة (١) »

ولكن مالثوس ، وهو من علماء المدرسة الكلاسيكية مثل آدم سميث ، لمح خطر تزايد السكان وعدم وفاء موارد الثروة بحاجتهم فدعا إلى الموازنة بينهما ، وهو يشبه السكان فى تزايدهم بالارنب الذى يجرى مسرعا بينما تزحف الثروة فى بطء كالسلحفاة ، فيجب أن نغرى الارنب بالبطء قليلا إلى أن تلحقه السلحفاة وإلا حلت الكارثة بالعالم

ونلمح مثل ايمان آدم سميث بالطبيعة ومقدرتها على تجنب الكوارث وتوفير المعاش للناس فى كتابات بعض العلماء الذين جاءوا بعده مثل كيرى Carey الامريكى وباستيا وجان بابتست ساى وسينيور

وكان منطقيا بالنسبة لهؤلاء العلماء ألا يفكروا كثيراً فى البطالة فهم مؤمنون أن النظم الاقتصادية إذا تركت دون تدخل من الدولة قادرة على أن تحقق السعادة للناس جميعاً ، لذلك ذهبت صيحة مالثوس Malthus غير مسموعة فى وسط الرخاء الذى صاحب الانقلاب الصناعى وأخذ بعض الكتاب مثل كيرى يهزأون به ويقولون « هاهم السكان قد تزايدوا ولكن الثروة زادت أضعاف أضعاف عددهم » ونسوا أن نظرية مالثوس قامت على فروض معينة لم تتحقق جميعها فى الانقلاب الصناعى

(١) الجزء الاول من كتاب ثروة الامم ص ٢٤١

وانما أردت بها الاستطراد الضرورى أن أشير إلى أن البطالة لم تكن شراً اجتماعياً ملموحا حين كانت الصناعة فى أولى مراتبها وأن الشرور المقاربة لها حين كانت تحل بالأمم الزراعية فى عصور مترامية فى القدم على شكل الامحال والمجاعة لم يكن ينظر اليها الا على أنها ارادة محتومة للقدر لاسبيل إلى دفعها ، وكان الايمان بالطبيعة قويا فى هذه العصور ولبث على قوته إلى عهد آدم سميث الذى نادى بالحرية الكاملة فى المنافسة والعمل .

ولكن كما تطورت فكرة الدولة تطورت فكرة الاقتصاد الحر ، وحل محله فى هذا العصر الاقتصادى المرسوم ، وأخذ أصبع الدولة يبدو فى شتى ظواهر الحياة ، واتسعت وظائفها اتساعاً كبيراً ، وبعد أن كان الايمان قويا بان النظم الاقتصادية قادرة دون أى تدخل على تحقيق السعادة للانسان أصبح الايمان اليوم بأن تدخل الدولة ضرورى لوقف شرور الحضارة الصناعية ، ولاقامة التوازن الضرورى الذى فقد فى المنافسة الحرة ، وأصبح من واجب الدولة كما قدمت ليس حماية الحدود السياسية والسهر على طمأنينة الدولة من الغزو الأجنبى فحسب ولكن يدخل فى واجبها أيضا كفالة مستوى مناسب من المعيشة لبنيها ، ولم تكن الدولة قادرة على أن تشمل نفسها داخل الحدود الضيقة التى رسمها فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر ازاء الصيحات المتكررة بدعوتها للتدخل وفى هذا يقول فلوبر راجمان وزير التجارة والصناعة فى بولندا : « ان الناس يطلبون دائما إلى الدولة أن تتدخل سواء بالتشريع أو بالتحكيم أو بمنح المعونة أو بتنظيم حرية الآخرين أو بتوفير العمل للعاطلين وإذا كان كل فرد فى الدولة يطلب اليها كل يوم مرتين على الأقل أن تتدخل لماذا اذن هذه الشكوى من التدخل ؟ لنقل بصراحة أنها ليست الحكومة ولكن الجماعة هى التى تميل إلى التدخل (١) » .

على أن الذى يؤكد واجب الحكومة فى التدخل هو أن الأزمة الحاضرة لاترجع إلى فعل الطبيعة ، ولكن ترجع إلى عجز الانسان عن توزيع خيراتها على من يحتاجون اليها . وفيما مضى لم يكن فى استطاعة الناس أن يفعلوا شيئا إزاء كوارث القحط والامحال والأوبئة الا أن يوزعوا كميات الطعام الباقية . أما اليوم فمشكلة قلة الطعام قد حلت بفضل العلم والتوسع فى استثمار موارد العالم بل أن هناك من

---

(١) من خطبة ألقاها أمام اللجنة المالية بمجلس النواب فى ٢٣ يناير سنة ١٩٣٥ ، ويلاحظ أن هذا الوزير من أشد المعارضين لسياسة التدخل من جانب الدولة .

الطعام والمواد الخام أكثر بكثير مما ينتظر أن يحتاج اليه الاستهلاك . فالفلاح لايحصل على مايوازى عمله ومجهوده ومع ذلك فهناك ملايين يتضورون جوعاً . وقد امتزج هذا الاحساس بالتناقض فى ضمير الجماهير حتى انقلبت إلى شبه يأس من النظام الاقتصادى . فمن المعقول اذن أن نطالب الحكومات بأن تبذل تجربتها ونشاطها وذكاءها فى سبيل كفالة الحاجات الأولى من الطعام واللباس والسكنى للشعوب كما تكفل صيانة حدود الدولة وتعمل على توزيع خدمات اللاسلكى والمواصلات الجوية (١) .

والواقع أن المشكلة اليوم ليست مشكلة القلة ولكنها مشكلة الكثرة فهناك الفقر الشديد وسط الثراء الواسع . ان الكارثة تجىء كما يقول جودوين من التوزيع وليس من الانتاج « ان العالم فيه من الثروة مايكفى كل ساكنيه ولكنها ليست موزعة عليهم جميعاً (٢) »

وقد جرى عرف الكتاب الغربيين حين الكلام عن البطالة على صرف معناها إلى بطالة العمال فى الصناعة وقصرها على العمال الذين يتناولون أجورا Wages أما غيرهم من ذوى المهن الحرة كالمحامين والأطباء أو الوظائف الكتابية أو الوظائف الفنية التى يتناول أصحابها مرتبات شهرية فلا يدخلون فى نطاق البطالة بمعناها المعروف . وهذا ماسأشير اليه فى القسم الاول من البحث الذى أرى ان أقصره على البطالة بهذا المعنى العام مشيرا الى أسبابها ووسائل علاجها ؛ وهى وان كانت بهذا النطاق الصناعى تعنى البلاد الصناعية العريقة الا أنها لاتخلو من فائدة بالنسبة لمصر وهى توشك أن تصبح هى الأخرى بلادا صناعية . ومع ذلك فسأتوخى مااستطعت البعد عن التفصيلات الفنية الدقيقة . وسأعالج فى القسم الثانى من البحث البطالة فى مصر وأسبابها ووسائل علاجها جاعلا لها نطاقا آخر غير نطاقها فى البلاد الصناعية فتشمل التعطل عن العمل أيا كان المتعطل عاملا صناعيا أو زراعيا أو صاحب مهنة أو موظفا كتابيا محاولا مااستطعت بحث أسبابها ووسائل علاجها مفضلا العملى منها مراعيا فى ذلك حالة مصر من الوجهة الاقتصادية والاخلاقية والمالية ؛ وفى هذا القسم أتحدث عن أثر التعليم الاقليمى على البطالة

---

(١) تقرير مستر هارولد بتلر عن سنة ١٩٣٤ .

(٢) Politicol Justice لوبليام جودوين سنة ١٧٩٣

القسم الاول

البطالة ووسائل علاجها فى التعبير العام عند الأمم الصناعية :

التعبير بالبطالة والمتبطلين يشمل مسائل عديدة ولابد من تحديد المقصود بالمتبطلين أو العاطلين تحديدا دقيقا،فهم من غير ريب جزء من عدد كبير من العمال الذين لايشتغلون فى وقت من الاوقات وهؤلاء يشملون المرضى والمصابين بالعاهات والذين لم يصلوا بعد إلى سن العمل . وتلك فئات يجب استبعادها عندما نتكلم عن (العاطلين) كما يجب استبعاد المضربين والذين يرفضون العمل وهم قادرون عليه . فالبطالة تشمل فقط هذا الفريق من العمال الذى لايعوقه عائق جسمانى أو أخلاق عن العمل ولا يجد مع ذلك العمل الذى يقيته ، كما أنها تقتصر فقط على العمال الذين يتناولون أجوراً Wage - earning (١) .

أما أسباب البطالة فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام كبرى :

١ - أسباب ترجع إلى تنظيم الصناعة . Organisation of Industry

٢ - فشل اقرار العلاقات الصناعية .

٣ - أسباب شخصية .

وهذه الأسباب يتفاعل بعضها مع البعض الآخر ، فقد يكون سبب عطل عامل من العمال راجعاً من جهة إلى تنظيم الصناعة ومن جهة أخرى إلى حالته الشخصية ومن جهة ثالثة إلى سلوكه فى نزاع وقع بين صاحب العمل والعمال ، ويقول « بيفردج » ان تقسيم العمال بالنسبة إلى أسباب عطلهم هو فى الواقع مطلب عسير وكل مايمكن هو تقسيم أسباب البطالة ذاتها .

١ - الأسباب التى ترجع إلى تنظيم الصناعة :

ا - التخصص دون التعاون أو الاتحاد - ان النظام الصناعى يقوم على مبدأ تقسيم العمل أو التخصص ، فأنواع العمل المختلفة وهى الأرض والآلات والمواد الخام يرتبط بعضها بالآخر وكل منها إذا عزلت عن غيرها أصبحت قليلة النفع . فالمختصون فى كل هذه الأقسام يجب أن يتعاونوا قبل أن يستطيعوا انتاج أى

---

(١) A. C. Pigou استاذ الاقتصاد السياسى بجامعة كامبردج فى كتابه « البطالة » ص ١٤ .

شيء ذي منفعة . وكلما كان التعاون ناقصا أو ضعيفا كانت أداة الصناعة كلها مرتبكة فأول سبب جوهري للبطالة هو سوء التخصص فى الصناعة أو سوء تقسيم العمل . وفى الجماعات الأولى مثل عائلة ريفية تكتفى نفسها بنفسها لا توجد البطالة إذا استثنينا البطالة الناتجة عن حالة الجو ولكن ان يموتوا جوعاً لانهم أنتجوا أكثر مما يجب كما يحصل الآن فى الصناعة فلا يقع،لأن تنظيم الانتاج والاستهلاك فى يدهم وتحت امرتهم . والسبب فى ذلك راجع إلى أن المنتج هو المستهلك والبائع والمشترى وصاحب العمل هو العامل . ولنفترض الآن أن قرية من القرى نمت واتسعت وزاد سكانها واشتغل أحدهم حداداً وبذلك لم يعد ينتج طعامه بنفسه ، وانما أصبح يحصل عليه بالمبادلة ، مثل هذا الرجل قد يصبح فى يوم من الأيام عاطلا متى أصبح الفلاحون فى غير حاجة إلى الحدوات التى يصنعها لهم ، وحينئذ كيف يتصرف ؟ قد يسلك أحد طريقين ، إما أن يرجع فلاحا ينتج طعامه بنفسه ويصنع أدواته بيده وهذا معناه انحطاط فى مستوى المعيشة لان الفلاحين سوف لا يجدون اختصاصياً يصنع لهم الأدوات التى يحتاجون اليها ولكنهم من الجانب الآخر سيتمتعون بحياة مطمئنة لا يهددها الفقر ،واما أن يبقى حداداً ويصنع أشياء أخرى غير الحدوات يحتاج اليها الفلاحون ويعطونه الطعام بديلا عنها ، ولكنه إذا استمر على هذه التحسينات والتجديدات والتوسع فسيجد نفسه فى يوم من الأيام صاحب مصنع كبير يمون ليس فقط القرية التى بدأ فيها والقرى التى حولها بل الاقليم كله ويصبح فى خطر من الحرب أو الثورة أو إفلاس البنوك أو غير ذلك من الطوارىء التى تفسد عمله وتخرب مصنعه ، حقاً لقد تحسن مستوى معيشته ولكنه أصبح تحت رحمة الطوارىء والحوادث .

وهذه القصة البدائية عن هذا الحداد توضح لنا الحياة الصناعية الكبيرة التى يحياها العالم اليوم فاما أن نصل الى مستوى للمعيشة أرقى وأفضل على أن نكون حينئذ تحت رحمة الطوارىء والحوادث وخطر الاضمحلال والتدهور والجوع . وإما أن ننحدر إلى مستوى ضعيف منحط ولكننا نكون فيه أكثر أمنا وطمأنينة

ب ـ سوء التقدير للطلب ـ أصبح تقسيم العمل والاختصاص فى الصناعة معقدا للغاية حتى ان انتاج أغلب البضائع لابد أن يبدأ فيه قبل اعدادها للاستهلاك بشهور وقد يكون من المفهوم أن تشتغل المصانع الفردية بناء على طلبات أو اتفاقات

ولكن المصانع الكبيرة التى تمون عشرات الاسواق والتى تحتاج البضائع التى تنتجها إلى شهور من العمل لابد أن تدير ماكيناتها على أساس ماينتظر من الطلب لا على ماتحقق منه فعلا . وهنا يجىء الخطر لأن سوء التقدير للطلب المنتظر يجر الى كارثة

جـ - التطور فى بناء الصناعة - وهذا لابد أن يحصل بل هو يحصل مراراً وربما فى عام واحد . فقد تموت بعض الصناعات بينما تكون صناعة البلاد بصفة عامة آخذة فى النمو والازدهار ، وقد تخترع آلات جديدة وتختزل عمليات كانت موجودة وكان يشتغل فيها عمال فيتعطلون ، وقد يستغنى بصنف من العمال عن آخر مثل الاستعاضة بالنساء والأطفال عن الرجال كما حدث فى بريطانيا العظمى اذ حل النساء محل الرجال فى صناعة الأحذية والفرش .

د - التغيرات الموسمية - وهذا السبب ظاهر الأثر ومعناه ان حرفة من الحرف أو صناعة من الصناعات تصل فى بعض شهور السنة إلى حد مرتفع وتنحدر فى وقت آخر من السنة ، وهذه التغيرات قد تكون أقل أثراً ووضوحاً فى بعض السنوات عما هى فى سنوات أخرى وهى على كل حال تنتج أثرها فاذا كان الطلب قليلا وجب أن يقل الانتاج ومتى قل الانتاج قل العمل ونشأت البطالة ، ومع ذلك فان البطالة التى تنشأ لهذا السبب لا تكون بالشدة التى قد تتبادر إلى الذهن لأول وهلة فان ضعف الطلب فى بعض فصول السنة يعالج فى كثير من الاحيان ليس بالاستغناء عن العمال ولكن بتشغيلهم ساعات أقل فى اليوم وفى الأسبوع فضلا عن أن بعض العمال الذين يستغنى عنهم فى صناعة من الصناعات يجدون عملا فى صناعة أخرى وثالثا لان هذا الهبوط الموسمى معروف ومقدر فالاستعداد له مفروض والكارثة التى تجىء بعد الاستعداد لها تكون أقل وطأة من الكارثة التى تقع فجأة ودون سابق انذار .

هـ - الدورة الصناعية أو مايسمى Tradecycle - لوحظ أن فترات الرخاء والأزمة تتتابع فى مراحل منظمة ، ففى بريطانيا العظمى مثلا وقعت الضائقات الاقتصادية فى سنوات : ١٨٢٥ و ١٨٣٧ و ١٨٤٧ و ١٨٥٧ و ١٨٦٦ وهكذا ، وقد قيل فى تفسير هذه الظاهرة ، سواء فى بريطانيا العظمى أو فى غيرها من البلاد ، إن هناك دورة صناعية منتظمة تختلف مدتها من سنة إلى ١٥ سنة .

ويمكن تتبع مراحل هذه الدورة على النحو الآتى : -

١ - الرخاء ٢ - الانتكاس ٣ - الهبوط ٤ - الانتعاش .

ففى مرحلة الرخاء تزداد المقدرة على الشراء ويزداد العمل وتنعدم البطالة وترتفع الاسعار والأجور وتكاليف الانتاج كما تسخو المصارف فى التسليف، وهى فى عبارة موجزة مرحلة من الانتاج الضخم والتفاؤل الشامل .

وفى المرحلة الثانية يضمحل النشاط السابق ، ويمل الشراء وتنشأ البطالة وتبدأ الأسعار فى الانحدار بأسرع مما ارتفعت ، ويكون الانحدار فى أسعار الجملة أولا ثم تتلوها أسعار التجزئة وتنحط الأجور وان يكن انحطاطها لا يتم بمثل السرعة التى يتم بها انحطاط الأسعار وتنحط تكاليف الانتاج بسبب هبوط الأجور من جهة وبسبب التدابير التى يتخذها أصحاب الأعمال لزيادة مقدرة الآلات وكفاءتها وتحجم البنوك عن التسليف ويضمحل الانتاج بصفة عامة ويحل التشاؤم محل التفاؤل الذى كان سائداً فى المرحلة الأولى ، ويتبع التجار والصناع سياسة الشراء من اليد للفم فهم لا يجسرون على تخزين بضائع لا يلمحون فى الأفق بارقة أمل فى تصريفها قبل أن تنحط الاسعار انحطاطا جديداً .

وتكون المرحلة الثالثة وهى مرحلة الهبوط فترة عمل قليل هزيل تحف بها البطالة والخسائر الفادحة فى التجارة والصناعة وإشهار إفلاس كثير من المحال والشركات والبنوك . وتبدو الاسعار فى ميل للبقاء ثابتة أو الانحطاط انحطاطاً قليلا . أما الأجور فتهبط إلى أقل من المستوى الذى وصلت اليه ويحاول المنتجون تخفيض مصاريف الانتاج وان كان الانتاج ذاته يستمر ضعيفاً ويستمر ظاهر الحياة الاقتصادية داعياً للتشاؤم وان كانت تبدو فى بعض نواحيه بوارق أمل خفيفة فى الانتعاش .

ونصل إلى المرحلة الرابعة ، وهى المرحلة التى يسودها الأمل وتمتاز بالانتعاش وبهبوط عدد العاطلين وتميل الأسعار للارتفاع قليلا وتزيد البنوك فيما تقرضه، وتبدأ الاجور فى بعض الصناعات ترتفع ويبدأ التفاؤل يجد طريقه إلى رجال الصناعة الذين يكثرون من الحديث عن الرخاء حتى يقتنصوه كما يقول الامريكيون، ويصل بنا دور الانتعاش تدريجيا إلى الرخاء ومن ثم تبدأ دورة صناعية جديدة

هذا ويجب ألا يغيب عن البال اننا حين نفرق بين هذه المراحل الأربع انما نفرق بينها من وجهة نظرية محض فلا يمكن أن نحدد بالدقة متى انتهت مرحلة

ومتى بدأت التى تليها ، وكل ما فى الامر أننا حين نلقى نظرة على الماضى نستطيع أن نقول إن مرحلة ما بدأت حوالى هذا الوقت دون المرحلة التى تليها، ومن أجل هذا لانستطيع أيضاً أن نحدد متوسط الوقت الذى تستغرقه كل مرحلة من هذه المراحل، وقد قام مكتب الابحاث الاقتصادية فى الولايات المتحدة الامريكية فى سنة ١٩٢٦ بتحريات دقيقة استعرض فيها ١٦٦ دورة صناعية فى ١٧ دولة مختلفة فتبين له أن مرحلة الهبوط تستغرق سنة لكل ١,٠٧ سنة تستغرقها فترة الرخاء وان أقل من ربع المدة التى تستغرقها الدورة تشغله فترة الانتعاش وفترة الانتكاس .

وللدورة الاقتصادية ثلاث مميزات :

١ - هذه الدورة عامة فهى تؤثر على كل صناعة وان كانت صناعات الآلات تقاسى أكثر من غيرها وفى بعض الاحيان تحل بها الازمة قبل سواها من الصناعات التى تنتج للاستهلاك المباشر كما أن الصناعات التى تنتج البضائع التى تستمر مدة طويلة تقاسى أكثر من الصناعات التى تنتج البضائع التى تستهلك بالاستعمال مباشرة، والصناعات التى تنتج البضائع للتصريف فى الخارج تقاسى أكثر من الصناعات التى تعتمد على الأسواق المحلية . وعلى كل حال فانه من الوجهة العملية قلما تنجو صناعة من الصناعات من التأثر بالأزمة .

٢ - وهذه الدورة الصناعية تشمل كل البلاد التى تتبع الوسائل الحديثة فى الانتاج وتدخل فى ذلك البلاد الصناعية القديمة والبلاد الصناعية الحديثة وكذلك البلاد الزراعية والبلاد التى تصدر كثيرا من منتجاتها ، والبلاد التى تحاول أن تستقل بنفسها عن غيرها محل للتأثر بالدورة الصناعية إذا كانت تتبع الوسائل الحديثة فى الانتاج .

٣ - والدورة الصناعية ظاهرة غريبة تحمل فى طياتها التناقض لان هبوط الصناعة يقترن بوفرة البضائع . ومن المعقول ان قلة البضائع تؤدى إلى حدوث أزمات ولكن من الغريب أن يضار الناس من كثرة البضائع ومع ذلك فان هذا الذى لايصدق يحصل فى بعض الأحيان وهكذا نجد الفقر فى وسط فيضان من الثروة .

ولا شك أن أثر الدورة الصناعية على البطالة غير منكور فعند ما يقل الطلب على البضائع يضطر أصحاب الأعمال إلى الاستغناء عن العمال الذين كانوا يصنعون هذه البضائع الزائدة ويقدر عدد العاطلين عن العمل فى الظروف

الاقتصادية الحسنة بنحو ٢ أو ٣ فى المائة من طبقة العمال فاذا ساءت هذه الأحوال ارتفعت النسبة إلى ٧ أو ٨ أو ١٠ وفى بعض الأحيان إلى ٢٠ أو ٢٣ فى المائة .

وفيما يلى احصاء عن نسبة البطالة فى انجلترا منذ سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٣٢ :

١٨٨٢ ـ ٢ر٣ فى المائة

١٨٨٦ ـ ١٠ر٢ «

١٨٨٩ ـ ٢ر١ «

١٨٤٣ ـ ٧ر٥ «

١٨٩٩ ـ ٢ «

١٩٠٤ ـ ٦ «

١٩٠٦ ـ ٣ر٦ «

١٩٠٨ ـ ٧ر٨ «

١٩١٦ ـ ٤ و « (زمن الحرب)

١٩٢١ ـ ١٧ «

١٩٢٧ ـ ١٠ «

١٩٣٢ ـ ٢٣ «

وهذه الأرقام تدل دلالة واضحة على أثر الدورات الصناعية على العمال العاطلين، ففى فترات الانتعاش يوجد عاطل واحد فى كل ٥٠ عاملا ، وفى فترات الكساد يوجد عاطل واحد فى كل ١٥ أو عشرة وفى بعض الأحيان بين كل خمسة من العمال . وفى سنة ١٩١٦ كان يوجد عاطل واحد فى كل مائتى عامل وفى بعض الشهور فى سنة ١٩٣٢ كان يوجد عاطل بين كل أربعة يعملون ، ولا يفوتنا أن الأرقام المشار اليها تستند إلى احصائيات نقابات العمال ، على أن الاحصائيات الخاصة بكل صناعة أعظم دلالة ، ففى صناعة الحديد والصلب وبناء السفن وصناعة التعدين كان يوجد رجل واحد عاطل بين كل ١٠٠٠ عامل فى سنة ١٩١٨ وفى بعض الشهور فى سنة ١٩٢٧ وفى بعض الشهور فى سنة ١٩٣٢ كان يوجد عاطل واحد فى كل ثلاثة عمال .

وقد وضع الاقتصاديون نظريات عديدة تكاد تبلغ المائتين فى تفسير الدورة الصناعية ، نقتصر هنا على ذكر واحدة أو اثنتين لاننا لانحب أن ندخل فى تفاصيل قد تعقد الموضوع .

يرى بعض الاقتصاديين أن سبب الدورة الصناعية يرجع إلى تغييرات المناخ . فالبلاد الصناعية تبيع كمية كبيرة من منتجاتها إلى الامم الزراعية ، وقوة الشراء فى هذه الأمم تتوقف على جودة محاصيلها وجودة محاصيلها تتوقف هى الاخرى على الظروف الجوية .

وأحسن النظريات التى تستند إلى أسباب المناخ هى نظرية ستانلى جيفونز Stanly Gevons وقد حاول أن يوجد صلة بين ظهور البقع الدورية على وجه الشمس وبين الدورة الصناعية وانتهى إلى أن الدورة المناخية تحصل كل احدى عشرة سنة ونصف السنة ، ولكن التجربة دلت على ان متوسط الدورة الصناعية يتراوح بين سنة وخمس عشرة سنة .

ويرى بعضهم أن الدورة الصناعية ترجع إلى الاسراف فى الانتاج اذ يحدث فى كثير من الأحيان ان صناعة معينة أو مجموعة من الصناعات تنتج أكثر مما تستطيع أن تبيع ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب خاصة مثل نشوب الحرب أو وقفها، ولكننا حتى اذا غضضنا النظر عن هذه الأسباب الخاصة فان زيادة الانتاج يجىء نتيجة محتومة لعدم التعاون والاتحاد بين المنتجين . فلابد فى الحياة الاقتصادية الجديدة من الموازنة بين العرض والطلب فاذا كان تقدير الطلب خاطئا فان الثمن الذى قام الانتاج على أساسه سوف لا يتحقق . وهذا الانتاج الزائد والبطالة المترتبة عليه فى صناعة واحدة أو صناعتين يحدث أزمة عامة ، لأن البطالة تؤدى إلى اضمحلال الطلب وعلى الأخص فى بضائع المستهلكين بل إن أقل اضمحلال فى طلب بضائع المستهلكين، مهما كان طفيفا ، يحدث نتائج خطيرة فى الانتاج .

ولكى نوضح هذه الظاهرة يجدر بنا أن نستعين عليها بمثل ، ولنفرض ان عندنا صانعا وتاجرا بالجملة وتاجرا بالقطاعي ولنسم الأول محمدا والثانى محمودا والثالث أحمد ، ولنفرض ان محمدا يمد محمودا الذى يمد أحمد بعشر وحدات من بضاعة معينة كل شهر ولنفرض أن أحمد يبيع العشر الوحدات كلها. ولنفرض أيضا انه فى شهر من الشهور لاى سبب من الاسباب باع ٨ فقط وانه طلب إلى محمود أن يمده بست وحدات فقط وحينئذ يجد محمود نفسه فى مركز سيء فعنده أربع وحدات زائدة وقد هبط الطلب إلى ست فقط فماذا يصنع ؟ لاشك أنه سيبالغ فى تخفيض طلبه من محمد فيرجو إليه أن يصنع له وحدتين اثنتين فقط وماذا يصنع محمد وعنده عشر وحدات من البضائع موجودة دون مشتر والطلب قد نزل إلى

وحدتين اثنتين فقط الا أن يتوقف عن العمل .

وهكذا نجد أن النقص البسيط فى الطلب يتضخم ويبالغ فى تقديره مبالغة كبيرة وهكذا لايصبح لدى الصانع محمد إلا سبيل واحد هو أن يطرد عماله وليس هذا فحسب بل وأن يكف عن شراء ماكينات جديدة وهذا معناه ايجاد البطالة فى صناعات أخرى .

وهذه البطالة الجديدة ستضعف هى الأخرى الطلب فيزداد ضعفاً على ضعف وهكذا تستمر الاحوال تجرى على هذا التسلسل حتى يعم الضيق .

ومن رأى مستر روبسون فى كتابه « علم الاقتصاد والبطالة » أن الدورة الاقتصادية هى نتيجة الاسراف فى انتاج بضائع رأسمالية Capital.goods بالنسبة إلى بضائع الاستهلاك فان جزءاً كبيراً من الدخل العام للناس ينتقل إلى عدد أقل من الموسرين وهؤلاء الموسرون يصرفون جانباً كبيراً من ثرواتهم فى بضائع رأسمالية : فى اقامة المصانع وشراء الآلات الخ وهذه البضائع الرأسمالية الجديدة يزيد فى انتاج بضائع المستهلكين ،ولكن مادام الجزء الأغلب من السكان فقراء نسبيا فان البضائع الجديدة لاتجد سوقا رابحة ، ومن ثم نتنهى إلى البطالة وهبوط الأسعار وحلول الضيق الذى يقترن بخسارات كبيرة فى الصناعة كما يقل المال المدخر المستثمر فيها .

ولم تلق نظرية روبسون ارتياحاً من الاقتصاديين ، ويقول البروفسور ويزلى متشل إنه مادامت النظرية تقرر أن الطلب من جانب المستهلكين يتبع كمية بضائع الاستهلاك فان أسعار هذه البضائع يجب أن تهبط قبل أسعار المواد الخام وبضائع المنتجين ولكن التجربة أثبتت عكس ذلك .

ويقول بعض العلماء إن الدورة الصناعية ترجع إلى أسباب نفسية ، ويقول آخرون إنها ترجع إلى نظام النقد والائتمان ، ولا أحب أن أدخل فى تفصيلات دقيقة لهذه النظريات المتعددة فان واحدة منها لم تلق تأييداً من جمهرة العلماء ، وانما تكاد تكون آراء شخصية لواحد أو أكثر من الكتاب .

٢ - فشل اقرار العلاقات بين العمال وأصحاب العمل :

ونتحدث الآن عن أسباب البطالة التى ترجع إلى الخلافات بين العمال وأصحاب العمل والفشل فى اقرار العلاقات بينهما . ويجب أن نلاحظ أن العمال يتزايدون فلا يمكن أن نأمن البطالة بينهم إذا لم يزد الانتاج ، وزيادة الانتاج غير ممكنة فى أغلب

الأحوال فالأسباب التى تحمل على وقف الانتاج عند حد معين تؤثر بدورها فى بطالة العمال وهذه هى الحال فى اضرابات العمال. وتوقف المصانع والمغازل عن العمل يؤدى هو الآخر إلى زيادة البطالة. وقد يحدث أن يؤثر الاضراب فى المغازل على عمال النسيج فيضطر أصحاب مصانع النسيج إلى الاستغناء عن عدد كبير من العمال، وقد يؤدى اضراب عمال مناجم الفحم إلى توقف مصانع الغزل عن العمل ويبدو لنا هذا التأثير غير المباشر قويا واضحا إذا استمر الاضراب مدة طويلة كما حدث سنة ١٩٢٦ حين أضرب عمال مناجم الفحم فى انجلترا ستة شهور كاملة.

ولا يقف أثر الاضطرابات والخلافات بين العمال وأصحاب العمل عند زيادة البطالة فى البلاد بل يمتد الى الاسواق الخارجية ويضعف الثقة فى مقدرة المصانع المحلية على الوفاء بالطلبات الخارجية فتقل أو تنعدم انعداما كليا، ويضطر العملاء الاجانب الى البحث عن مصانع أخرى ليست مصابة بآفة الاضراب ويكون تسليم بضائعها فى الوقت المناسب مؤكدا.

٣ ـ الأسباب الشخصية:

والقسم الثالث من أسباب البطالة هو الاسباب الشخصية وقد كانت هذه الأسباب فيما مضى أعظم خطرا مما هى الآن، فقد كان المعروف أن العامل لا يتعطل عن العمل إلا اذا عجز عنه أو أسرف فى الشراب والمقامرة واللهو فأفسد صحته، وأصبح غير لائق. ولكن أثر العوامل الشخصية فى البطالة اضمحل فى العصر الحديث اضمحلالا كبيراً وأصبحت البطالة ترجع إلى أسباب اقتصادية وصناعية. نعم إن العوامل الشخصية لا يمكن نكران أثرها ولكنه أثر ضئيل اذا قيس بما كان لها فى العصور السابقة

وتتلخص هذه الاسباب فيما يلى: (ا) كبر السن. (ب) التشوهات الجسمية. (ج) الاخلاق (د) التدريب الناقص

وكبر السن ليس فى ذاته سبباً مهما للبطالة فكثيرا ما يكون العمال المتقدمون فى السن أكثر قدرة وفهما للعمل من العمال صغار السن، ويحدث فى بعض الاحيان أن يطرد الصغار بينما يحتفظ صاحب العمل بالمتقدمين فى السن. ولكن متى فقد العامل المتقدم فى السن عمله ساءت حالته إلى حد كبير لأن أصحاب الأعمال الاخرى يترددون فى استخدام عجوز لا يعرفونه ويفضلون عليه عاملا ما يزال المستقبل أمامه.

والتشوهات الجسمية أو العقلية تجيء نتيجة رداءة الصحة أو الحوادث ، ومن يصاب بها من العمال يصبح غير صالح للعمل بالمرة أو صالحاً له فى أوقات معينة وغير صالح فى أوقات أخرى ، وعلى كل حال فانه يصبح على هامش الصناعة ويصبح متعرضا للبطالة بل قد لايجد من يستخدمه الا إذاقل العمال،وهذ احتمال نادر .

وسوء الاخلاق يؤثر على مقدرة العامل وكفاءته ؛فالسكير أو المقامر لايمكن الاطمئنان اليه وهو فى نظر أصحاب الاعمال رجل ناقص يفضلون عليه غيره من الذين لم يعتادوا الخمر والمقامرة،ويوجد كثيرون من العمال العاطلين لم يتعطلوا لسبب إلا لسوء أخلاقهم

وعدم التدريب على العمل هو الآخر سبب من أسباب البطالة وان كان سببا ضئيل الاثر(١) .

ويجب ألا يغيب عن البال أثر العامل النفسى فى احداث البطالة . فقد يتشاءم أصحاب الاعمال ويلمحون فى الافق أزمة قادمة فيتصرفون على هذه العقيدة تصرفات عديدة يكون من بعضها أن يخفضوا الانتاج ، وفى تخفيض الانتاج يتعطل فريق من العمال . وعلى العكس من ذلك اذا ساد الجو الصناعى روح التفاؤل أقبل أصحاب المصانع على استخدام العمال،وهكذا يبدو العامل النفسى عظيم الاثر وهو مضافا الى غيره من العوامل يخلق فى الصناعة أعقد مشاكلها وهى البطالة .

ويلاحظ أيضا أن البطالة لاتؤثر فقط على العمال ولكنها تؤثر أيضا على البناء الاقتصادى كله ؛ فالعمال الذين لايجدون عملا ولا يجدون مرتزقا تضعف مقدرتهم على الشراء فيقل الطلب ، وإذا قل الطلب هبطت الاسعار وقل الانتاج وتأثرت المصانع والمعامل وتأثر مع هؤلاء بل وقبلهم الزراع

ولمشكلة البطالة نواح أخرى اجتماعية عديدة ليس هنا مجال الافاضة فيها ولكنها بالاختصار تؤثر على الاخلاق وتزيد الجرائم زيادة كبيرة وتفسد نفسية الجماهير إفسادا خطرا يخشى منه على الكيان الاساسى للجماعة

---

(١) البروفسور ت . ه فريزر : مذكرات غير مطبوعة .

أهم الاقتراحات التي بحثها الاقتصاديون :

ولكن هذه المشكلة المعقدة المظلمة ألا يوجد لها حل ؟ هذه المشكلة التي تكاد تقلب الحياة الاجتماعية قلبا عنيفا ،هل عجز عنها العلماء الاقتصاديون كل العجز وتركوها تفعل فعلها وتحكم بالبؤس والشقاء على طائفة كبيرة فى الامم الصناعية ؟ كلا ... من الانصاف أن نشير هنا الى المجهودات الكبيرة التى بذلها الاقتصاديون وإلى البحوث المستفيضة الدقيقة التى عالجوا فيها هذه المشكلة الخطيرة وإلى الحلول التى اقترحوها لها وإذا كانت لاتزال رغم هذا كله كابوسا ثقيلا يجثم على صدر العالم فليس الذنب ذنبهم وليسوا هم ازاءها مقصرين،ولكن العيب فى النظام كله، النظام السياسى والادارى والاجتماعى ونظام التعليم ، العيب فى هذه الصيحة الشديدة لفرض القيود على التجارة والصناعة وتقسيم العالم إلى وحدات اقتصادية متعادية وتحرك المطامع السياسية فى النفوس ، العيب فى فقدان التعاون الدولى الصحيح.فليست البطالة مشكلة أمة بذاتها ولكنها مشكلة العالم كله ، ولم يعد العالم يعيش منفصلا بعضه عن البعض الآخر وانما هو يكاد يكون أمة واحدة تتجاوب فى انحائه الاصداء بأسرع مما يتصور الانسان وقد تؤدى سياسة اقتصادية معينة اتبعت فى الهند والصين إلى تبطل العمال فى انجلترا وقد تؤدى سياسة تتبعها أمريكا الى ضيق اقتصادى فى مصر وهكذا

والبطالة رغم أنها مشكلة لها آثار اجتماعية شديدة فهى فى أصلها ومنشئها مشكلة من مشاكل الصناعة فيجب أن نلتمس علاجها باعادة التنظيم فى ميادين الصناعة المختلفة حتى تقل التقلبات فى حياة العمال ، والموضوع طويل والحلول المقترحة كثيرة ، غير أننا سنجتهد فى حصرها والاكتفاء بالاقتراحات الهامة دون الدخول فى التفاصيل :

١ ـ وأول هذه الاقتراحات تنظيم مكتب أو ادارة تكفل حماية العمال شر تقلبات الصناعة ، فقد أشرت آنفا الى أن بعض الصناعات لها مواسم يكثر فيها انتاجها ومواسم يقل فيها الانتاج . ومن الطبيعى أن مواسم ضعف الانتاج تؤدى الى الاستغناء عن بعض العمال . فمهمة المكتب أو الادارة المقترحة أن تسهل انتقال العمال من الصناعات القليلة الانتاج إلى الصناعات الوفيرة الانتاج ،

وقد دلت التجربة على أنه حين تكون صناعة من الصناعات هزيلة الانتاج تكون صناعة أخرى دسمة الانتاج فيمكن أن يجد العمال الذين يتعطلون من الصناعة الاولى عملا فى الصناعة الثانية بواسطة هذا المكتب أو هذه الادارة التى تنشر بيانات وافية دقيقة بين العمال العاطلين

٢ - تنظيم سوق العمال - وذلك يكون بادخال نظام التبادل Labour exch- anges وهذا التبادل يخدم أغراضا عديدة أشرنا الى بعضها فيما يختص بالتقليل من أثر التغيرات الموسمية فى الصناعات

٣ - هجرة العمال - ولكن هذا الاقتراح الذى عرض قبل الأزمة الاقتصادية وكان مأمول النفع والفائدة أصبح منذ نشبت هذه الازمة لافائدة فيه وعدل عنه

٤ - واقترح لعلاج تغيرات الدورات الصناعية Cyclical Flnctuations تعميم نظام التأمين والاستعانة بما يسميه الامريكيون بارومتر العمل Business Barometer لمعرفة مايمكن أن يكون عليه الطلب فى السنوات المقبلة ، ووسيلتهم لهذا هى أن يجمعوا احصاءات كافية عن الانتاج فى السنوات الماضية ويقارنوها بأرقام الطلب ، وهكذا ينتهون من المقارنة إلى استنتاج مايمكن أن يكون عليه فى المستقبل، غير أن بارومتر العمل يكاد يكون فكرة خيالية فقد فشل فشلا تاما فى بلاد مولده وأعنى بها الولايات المتحدة الامريكية

٥ - العلاجات الخاصة بنظام العملة والنقد - اقترح بعضهم أن يقيد منح التسهيلات العديدة فى قروض الائتمان حتى يمكن مجانبة اخطار المضاربة وتضخم النقود وفى الوقت ذاته يمكن تشجيع الصناعات فى أوقات الأزمات وبهذه الطريقة يمكن التقليل من اخطار ارتفاع الائتمان ويمكن تفادى اخطار الازمات بمحاولة الارتفاع بمستوى الاسعار .

٦ - تنظيم استخدام العمال - وهذا له شقان أحدهما خاص بتنظيم المصنع فى ذاته والآخر خاص بتنظيم الصناعة كلها ، ففيما يختص بالمصنع اقترح أن يدرب العمال على أعمال متعددة فاذا اضطر أحد أقسام المصنع إلى تخفيض انتاجه انتقل العمال الزائدون إلى الاقسام الاخرى التى ستزيد نشاطها ، وان تتبع إدارة المصنع كل الوسائل الممكنة لحمل الزبائن على التوصية على بضائعهم قبل حاجتهم اليها بمدة ، وفى أوقات اضمحلال الطلب يجب ألا يقلل المصنع من انتاجه بل يخزن

الانتاج الزائد الى وقت الحاجة

وهذه الوسائل وان كانت نافعة وفى مصلحة العمال الا أنها عمليا صعبة التنفيذ وقلما يعمد مصنع من المصانع الى الاستمرار على الانتاج الكبير فى أوقات الطلب القليل على أن يبيع المخزون متى انتعش الطلب

أما فيما يختص بالصناعة كلها فقد اقترح أن تؤجل طلبات بعض الصناعات الكبيرة مثل انشاء السكك الحديدية أو بناء الكبارى الى أوقات الازمة . وهى بذلك، فضلا عن أنها تخفض من حدة الأزمة، تكسب مزايا الرخص فى الأسعار

٧ - التعجيل بالاعمال العامة الكبيرة - على أن أهم وسيلة لانعاش الحالة ومكافحة الأزمة هى التعجيل بوضع برنامج المنشآت العامة موضع التنفيذ لسنوات كثيرة قادمة ، وقد دافع عن هذه السياسة فى بريطانيا البروفسور باولى وهو اخصائى بارع واقترحها على لجنة قانون الفقراء فى سنة ١٩٠٩ وقال البروفسور باولى فى تفسير فكرته انه لو عمدت الحكومة الى تأجيل ثلاثة أو أربعة فى المائة من أعمالها العامة الى وقت نزول الأسعار فانها بذلك تعطى أكبر مساعدة لمكافحة ويلات الدورة الصناعية .

ومنذ وضعت الحرب أوزارها حظيت هذه السياسة بتأييد كبير من مكتب العمال الدولى وهى لاريب تؤدى الى كثير من النفع فهى: ا ـ تساعد على استخدام عمال كثيرين يلزمون لانتاج المواد الخام للاعمال الحكومية . ب ـ العمال الذين يشتغلون فى هذه الاعمال سيقبضون أجورا تزيد فى مقدرتهم على الشراء فترتفع الاسعار

غير أننا لايجب أن نبالغ فى تقدير أثر هذا العامل فهو وإن كان مؤكد النفع الا أن هناك عقبات عملية تحول دون الاعتماد عليه كل الاعتماد ، أو على الاقل تحد كثيرا من نتائجه الحسنة ، فليست أعمال الحكومة مما يمكن أن تؤجل جميعا ولا مما يمكن أن يوضع لها برنامج محدود ، فهناك أعمال تنشأ دون سبق تدبير أو تقرير، وهناك أعمال يضرها التأخير ، وفضلا عن ذلك فان العامل المالى عظيم الاهمية فقد يكون لدى الحكومة عشرات الاعمال الهامة التى يمكن أن تستخدم مئات وآلاف العمال ولكنها لاتجد المال اللازم لها فتضطر الى إرجائها أو العدول عنها

هذه هى أهم الاقتراحات الرئيسية التى بحثها الاقتصاديون ويتفرع عنها عشرات الفروع لانجد المجال مما يسمح بالافاضة فيها ، انما أردنا أن نضع صورة موجزة صحيحة بقدر الامكان لهذه المشكلة التى قلبت النظم فى بعض الحكومات الاوربية وما تزال داء عضالا يحز فى أجسام الدول الأخرى

القسم الثانى

مشكلة البطالة من وجهة النظر المصرية :

انتهيت من الكلام على البطالة من وجهة نظر الأمم الصناعية ووضعت خطوطها البارزة فى العلل والعلاج . ولا شك أن القارىء يلمح فيما كتبت جميعاً تعبيرات غريبة عن الحياة المصرية فلم تبلغ الصناعة عندنا بعد المبلغ الذى وصلت اليه فى البلاد الأوربية . ومع ذلك فانى أرى أن دراسة ما كتب عن البطالة فى الأمم الصناعية لايخلو من فائدة بالنسبة لمصر وهى توشك أن تواجه نفس المشاكل وتجتاز نفس المآزق فمن الخير أن تنتفع بتجارب غيرها ، وأن تواجه الشر فى منتصف الطريق .

وليست مصر خالية من بطالة بين طبقات العمال الذين يتناولون أجورا Wage-earning ولكن متاعبها من هذا السبيل ماتزال محدودة ؛ انما هى تعانى أشد المعاناة من نوع آخر من البطالة أشد خطراً وأشد حاجة إلى العلاج السريع هو بطالة المتعلمين .

وثمت خط أسود يبدو بعيداً فى الافق يحمل معه مشكلة بطالة اخرى هى البطالة بين العمال الزارعين فان الآلات تغزو الحقول اليوم . والمأساة التى نتجت منها حين دخلت الصناعة لأول مرة توشك أن تنتج منها وهى تدخل الزراعة ، والآلة تطرد العامل ، والعامل المطرود يصبح عاطلا . وقد أخذت الآلات تعرف طريقها إلى الحقول المصرية ، وهى اليوم تقتصر على الزراعات الواسعة ، ولكن الزمن كفيل بتعميمها بين أصحاب الملكيات الصغيرة

أحب اذن أن أعالج البطالة من وجهة النظر المصرية على أنها تعبير يشمل :

أولا : المتخرجين فى المدارس العالية وكليات الجامعة دون أن يوفقوا إلى عمل سواء كان هذا العمل فى الحكومة أو فى الشركات الحرة أو بمزاولة مهنة من المهن التى تؤهلهم لها اجازاتهم ، ويلحق بهؤلاء المتخرجون فى الجامعة الأزهرية .

ثانيا : هذا الفريق من الشبان الذين حصلوا على تعليم متوسط غير فنى ، أعنى حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثانى أو قسم أول ولم تمكنهم ظروفهم الخاصة من متابعة تعليمهم العالى ولم يوفقوا كذلك للحصول على عمل ، ويلحق بهؤلاء الحاصلون على شهادات الأزهر المتوسطة (الابتدائية والثانوية) .

ثالثا : المتخرجين فى المدارس الفنية المتوسطة (التجارة والصناعة والزراعة) ولم يحصلوا بعد على عمل .

رابعا : المتبطلين من العمال الصناعيين .

خامساً : المتبطلين من العمال الزراعيين (الفلاحين) .

أسباب البطالة فى مصر :

وقبل عشرين سنة أو ثلاثين لم يكن أحد فى مصر يشكو بطالة لا بين المتعلمين ولا بين العمال، أما اليوم فانك لتجد الشكوى مرة ترتفع من شتى النواحى . ويلوح لى أن البطالة التى تعانيها مصر هى بطالة ظاهرية تختلف فى أسبابها وجوهرها عن البطالة فى الامم الصناعية . فمن الغريب مثلا أن يوجد آلاف المتعطلين ونسبة التعليم فى مصر لم تزد بعد عن ١٠ أو ١٥ فى المائة ، وأن يوجد عمال متعطلون والصناعة عندنا تخطو أولى خطواتها وهى سائرة فى طريق الازدهار ، وليس فى طريق الاضمحلال . وإذا فهم أن تشكو بريطانيا البطالة لأن صناعتها وصلت إلى الأوج ثم عادت إلى الانحدار فأدت هذه الظاهرة إلى الاستغناء عن عدد كبير من العمال فيجب أن نرفض رفضاً باتاً شكوى مصر من البطالة بين العمال الصناعيين وهى بعد فى مهد الصناعة . وإذا فهم أن تشكو ألمانيا البطالة وليس فيها أمى واحد فلا يصح أن تشكو مصر البطالة ونسبة التعليم فيها عشر ما هى عليه فى ألمانيا . واذا فهم أن تشكو ايطاليا البطالة ولم يصبح فى رقعة بلادها شبر من الأرض دون استغلال (١) فلا يصح أن تشكو مصر البطالة وما يزال جزء كبير من أرضها لم يستغل الاستغلال الكافى ، بل وما تزال قوى عديدة فى جوها ومياه نهرها وتربة أرضها كامنة لم يفكر أحد بعد فى ايقاظها .

هى بطالة ظاهرية فيما أعتقد . ولست أقصد بقولى ظاهرية انها غير موجودة ، بل هى موجودة ملموسة . ولكن أقصد أنها بطالة كاذبة قد ترجع الى فساد فى نظام التعليم أو فى نظم الاقتصاد أو فى صميم الحياة الاجتماعية أو الى تطور جديد تجتازه مصر أو الى أى إلى ضطراب فى أى منحى من مناحى الحياة المصرية أو نفسية المصريين ذاتها . أما أنها ترجع الى اكتظاظ الأرض المصرية بالسكان وقصور

---

(١) البروفسور برشيانى تيرونى : مذكرات غير مطبوعة .

خيراتها عن الوفاء بحاجاتهم ، أو ترجع الى تضخم الصناعة وقلة رؤوس الأموال وندرة ميادين العمل فذلك ما يجب رفضه رفضا باتا .

وإذا كان بعض العلماء فى اوربا يقول اليوم ان نظرية مالثس عن السكان تبرز إلى الوجود مرة أخرى وأنه يجدر بنا أن نغرى الارنب «زيادة السكان» بالنوم قليلا ريثما تلحقه السلحفاة « موارد العيش » فان هذا الكلام يجب أن يكون بعيدا عن أذهاننا على الاقل فى الوقت الحاضر فان مصر تجتاز طورا من الحياة اجتازته اوروبا منذ قرنين حين بدأ الانقلاب الصناعى وأخذت ميادين الاستغلال والعمل تفتح على مصراعيها فصاحبت زيادة السكان السريعة زيادة أسرع منها فى كميات الثروة .

ولم تجتز أوروبا هذا الطور من التحول عن الزراعة الى الصناعة دون أن تقترن به مآس عديدة من البطالة والفقر والبؤس وضغط أصحاب رؤوس الأموال بقوتهم على العمال ومن ثم كانت صيحة سيسموندى وغيره من الكتاب الاجتماعيين بتحقير هذه الحضارة التى تقترن بالفقر والشقاء وتجمع بين الثراء الواسع والعدم المطلق .

ان السنوات العشرين الأخيرة قد حملت الى مصر تطوراً عميقاً ، تطوراً شمل حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وكل تطور تصاحبه حتما هزات اضطراب وتقلقل ، ولكنه لا يقف بل يصل الى غايته. ومتى استقر فى النهاية وخلا الجو من زوابع الانقلاب اطمأن كل شىء فى موضعه وبان ان ما حسبه البعض شرا محضا لم يكن الا شرا يقود الى خير أو شرا هو بنفسه سبيل الخير .

وقد لبثت مصر سنوات عديدة، لا بل قرونا عديدة، أمة زراعية مؤمنة بأن الطبيعة قد أرادتها على ذلك والبيئة الزراعية تخلق فى النفس طائفة من الاحساسات والمشاعر والأخلاق تلائمها ، تخلق فى النفس التواكل والاستكانة والصبر والجزع من المجازفة والخوف من اقتحام ميادين العمل المتأرجح بين النجاح والاخفاق والقناعة بعصفور واحد فى اليد بدل الجرى وراء عشرة يحومون فى الافق الفسيح ، ومن هنا كان ايمان المصريين بأن المال لا يستثمر الا فى شراء الارض ، والثروة لا تقاس الا بعدد الفدادين المملوكة ، كان الواحد منهم يجزع ان يقامر بماله فى ميدان آخر غير ميدان الزراعة .

١ ـ التحول من الزراعة إلى الصناعة :

واليوم تدخل مصر فى طور جديد توشك أن تنزل الزراعة فيه عن عرشها العظيم وتتحول رؤوس الأموال شيئا فشيئا عن الزراعة إلى الصناعة والتجارة. والتحول عن شىء اكتسب فى نفوس المصريين على مر الأجيال مكان القداسة ليس هيناً . ومن المحتم أن تصاحبه اضطرابات اقتصادية . ولست أزعم أن رؤوس الأموال كلها ستترك الزراعة إلى الصناعة وانما اعتقد أنها ستتوزع توزيعاً عادلا بين الميدانين بحيث تكون فائدة رأس المال المستثمر فى كل منهما متساوية أو متقاربة ، وهذا هو الوضع الاقتصادى الصحيح ولابد أن يكون فى يوم من الأيام . بل نحن قد بدأنا بالفعل نسلك الطريق اليه .

وقد ترتب على هروب بعض رؤوس الأموال من الزراعة إلى الصناعة أن انحطت قيمة الأراضى الزراعية وأن أخذ الناس ينصرفون عن إيمانهم القديم بأن الزراعة أحسن مهنة مربحة بعد أن رأوا مقدار ماجرته على أهلها من الفقر والبؤس خلال السنوات الأخيرة واستتبع ذلك هجر كثيرين من الفلاحين للزراعة ونزوحهم إلى المدن يبتغون فى رحابها مرتزقا جديداً ومزاولة بعضهم فعلا لبعض المهن الصغيرة كالخدمة فى البيوت وحراسة الأبواب والاشتغال فى المعامل ودكاكين التجارة .

والانسان كما يقول آدم سميث باعتباره عاملا من العوامل الاقتصادية تقوده مصلحته الذاتية، ورؤوس الأموال باعتبارها هى الأخرى بعض هذه العوامل تبحث أبدا عن أحسن الميادين لاستغلالها .

ومما ضاعف أزمة العمال الزراعيين فى مصر تغير أساليب الزراعة وتحولها من الوسائل البدائية القديمة الى وسائل جديدة تلعب فيها الآلات دوراً كبيراً . فالطنبور والتابوت أو الساقية والمحراث والمدراة والنورج أخذت تطردها جميعاً آلات بخارية لاتستلزم ادارتها غير ربع العمال الذين كانت الوسائل القديمة تستلزمهم، وبذلك زاد عدد العمال الزراعيين وقل الطلب عليهم ومن ثم انحطت اجورهم انحطاطاً كبيراً لم يعد وافياً بحاجات معاشهم رغم ضآلتها فانصرفوا أو انصرف بعضهم عن القرية لفقرها وبؤسها الى المدينة يحدوهم الأمل الوسيع ان يجدوا فيها عملا يهىء لهم مستوى أفضل من المعيشة .

ب ـ تأثر عمال المدن:

والظواهر الاقتصادية يتصل بعضها بالبعض الآخر اتصالا وثيقاً ويتفاعل أحدها مع الآخر تفاعلا بعيد المدى . وهكذا فان هجرة الفلاحين إلى المدن الصناعية وغيرها أثر تأثيراً سيئا على العمال الصناعيين فانحطت أجورهم لان ميادين الصناعة لم تصل بعد فى مصر إلى الحد الذى يسمح لها بان تستخدم كل هذا العدد من العمال الراغبين فى العمل . ولم يقتصر أثر الفلاحين النازحين من القرية عند تخفيض أجور عمال الصناعة وتبطل عدد منهم بل أدى إلى تضييق فرص الكسب أمام طوائف العمال الأخرى كخدم البيوت والكناسين ومستخدمى المحال التجارية والمطاعم وفراشى المكاتب والشركات الخ .

وهذه الظاهرة بالذات حدثت فى انجلترا خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر وفى مستهل القرن التاسع عشر اذ أخذ الناس يهجرون القرية إلى البيئات الصناعية الآخذة فى الازدهار حينئذ .

ونذكر هنا أن ما أصاب الزراعة المصرية من الاضمحلال والتدهور لم يكن قاصراً عليها انما كانت تدع فيه العوامل الدولية وتأخذ بنصيبها من الضائقة التى لم تترك بلادا دون أن تلفحها بسمومها. وقد أشار صاحب السعادة عبد الوهاب باشا فى محاضرته التى ألقاها فى مساء ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ بنادى خريجى كلية فيكتوريا باسكندرية الى أثر الازمة فى الزراع الامريكيين فقال « بينما بلغ الهبوط فى الأسعار التى يتقاضاها فريق الزراع فى الفترة ما بين فبراير سنة ١٩٢٩ وفبراير سنة ١٩٣٣ ـ ٦٤ فى المائة لم يتجاوز الهبوط فى الأسعار التى يدفعونها ٣٤ فى المائة، وبينما كان الانخفاض فى الانتاج الزراعى لا يتعدى ٦ ر ٤ فى المائة بلغ النقص فى التصريف ٧ ر ١٩ فى المائة كما زادت المتكدسات من المواد الغذائية والأولية بمقدار ٩ ر ٦١ فى المائة »

جـ ـ البطالة بين المتعلمين :

واذا كان التحول من القرية إلى المدينة وتسريب بعض نشاط الانتاج من الزراعة إلى الصناعة قد اصطحب بظاهر من البطالة بين عمال الزراعة وعمال الصناعة فان البطالة بين حملة الشهادات العليا تمثل هى الأخرى جانبا من جوانب التطور فى الحياة المصرية ، هذا التطور الذى لم يقتصر على الاقتصاد والاجتماع والسياسة بل شمل جوانب النفس المصرية جميعا

وفى عهد محمد على كان يساق التلاميذ الى المدارس سوقا، أما اليوم فهم يدفعون عن أبوابها دفعا ، وفى الفترة التى فصلت بين عهد الاحتلال والعهد الحاضر جرت سياسة التعليم على تخريج موظفين للحكومة وكانت المصالح الحكومية تتلقفهم بمجرد تخرجهم فكان طبيعياً أن يقر فى ذهن التلميذ وهو يضع رجله فى أول مراتب التعليم أن مصيره الى وظائف الحكومة .

والعادة تحتل فى النفس مكانا يشبه القداسة ، وفى أمة ماتزال فى أول مراتب الحضارة كما كانت مصر فى فجر هذا القرن ، كان لموظفى الحكومة سلطان وجاه ومرتبات مغرية ، وكان التعليم فى مدارس الحكومة هو السبيل الى هذا الفردوس المرموق ، وانحدرت هذه الرغبات من جيل الى جيل واقترنت بالرغبة فى التقدم والاستزادة من التعليم والاقبال عليه حتى كانت السنوات التى تلت الحرب فاذا المدارس تضيق بالتلاميذ واذا مئات ممن يتخرجون منها لايجدون ما كان يجد زملاؤهم من وظائف ومرتبات وجاه وسلطان

وقد حاولت الحكومات المتتابعة أن تغير برامج التعليم بما يتفق مع الحالة الجديدة واعداد جيل لايعتمد على الحكومة ووظائف الحكومة ولكن كل ماأدخل عليها من تعديل لم يخف طابعها القديم ولم يئد فى النفوس المصرية حب الوظائف ، والواقع انه لم يكن مستطاعا أن تئد شعورا تأكد بالعادة وانحدر الى أعمق أعماق النفس المصرية وزكته ظروف اجتماعية خاصة مرت بها مصر طوال نصف قرن من الزمان ، وانما على الايام وحدها وعلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية أن تعد المصريين اعداداً صالحا للحياة الجديدة .

وليس معنى هذا أن نسكت وندع الزمن وحده يعمل وانما علينا أن نعمل معه فنصل مسرعين الى مانحب من تنقية نفس الشاب المصرى مما انحدر اليها بالعادة والتقليد وحكم الحياة الاجتماعية وهذا ماأشير اليه حين الكلام على العلاج .

وكل ماأحب أن أسجله هنا هو أن التعليم المصرى بمختلف أنواعه وسياسة التعليم فى مصر بمختلف وسائلها بقيت على ما كانت عليه حين كانت المدارس المصرية مجرد معاهد لتخريج موظفين للحكومة . ولا يغض من قيمة هذا الكلام ما أدخل عليها من تعديل فانه تعديل لم يتناول الأساس ، ولم ينتج فى الحياة المصرية الا آثارا محدودة .

ومن الانصاف أن نذكر بالخير جهود وزارة المعارف ورجالها وجهود الوزراء

الذين تعاقبوا عليها منذ سنة ١٩١٩ حتى الآن، فقد حاولوا جهدهم أن يخلصوا بالتعليم من تقاليده القديمة وأن يتجهوا به إلى غايته الوحيدة التي تلائم العصر الجديد وهي انتاج شاب مثقف مزود بالقوة في النفس والعمل قادر على طرق شتى الميادين وكسب عيشه باية وسيلة شريفة غير منتظر فتات الوظائف ولا يائس حين يفوته هذا الفتات ، واذا كانت جهودهم لم تثمر كل الثمرة الموجودة فالأمر في ذلك يرجع كما قدمت الى تراث قديم انحدر الينا من قرون مظلمة ، وإلى أنه من المستحيل تحويل مجرى أمة بأكملها عما انطبعت عليه واحداث انقلاب خطير في أسس التعليم دون التريث والأخذ بالتدريج .

يضاف الى ذلك أن التقلبات السياسية العديدة لم تمكن من الاستمرار على سياسة تعليمية واحدة لكثرة التجارب وتعدد البرامج . وفي الكثرة والتعدد لا يكون الاستقرار وانما يكون الاضطراب وتكون الفوضى

د ـ ارتفاع مستوى المعيشة :

ومع ازدياد المتعلمين عن حاجة الوظائف وحيرة بعضهم وترددهم واستيلاء اليأس على نفوسهم تعددت مطالب الحياة وارتفع مستوى المعيشة في مصر بصفة عامة عما كان عليه في القرن الماضي أو أوائل هذا القرن ولم تنفرد مصر بهذه الظاهرة بل أخذت في الواقع نصيبها من ظاهرة عامة شملت العالم ، ومع ازدياد نفقات المعيشة وتعسر الحصول على الوظائف انبثت في نفوس النشء تيارات من السخط المكتوم هي ما نرجو أن يعالجها المسئولون وتعالجها الحكومة بما يحفظ لبناء مصر الاجتماعي استقراره الصحيح القائم على مشاركة الجميع في خيرات هذه البلاد العظيمة .

هـ ـ بعض آثار هذا السخط :

وكان من آثار هذا السخط أن تنبهت الأذهان الى الثروة المصرية ومستقرها من الايدي فاخذ المصريون يتحدثون عن الامتيازات الاجنبية ويدعون دعوة خالصة حارة إلى طرق ميادين الصناعة والتجارة وتفضيل كل ماهو مصري وتعددت مظاهر هذا النشاط الاقتصادي تعدداً سريعا ولم يكن هناك مفر من هذا . فقبل عشرين أو ثلاثين سنة كانت الأرض تستغرق نشاط الانتاج المصري . وكانت الزراعة معتمد القنوع لدى المصريين فلم يكونوا يشعرون بحاجتهم إلى الصناعة والتجارة : هذين الميدانين العظيمين اللذين اختص بهما الاجانب إختصاصا يكاد

يكون شاملا، فلما كثر المتعلمون العاطلون واضطربت أثمان المحاصيل الزراعية كان طبيعيا أن تتجه أنظار المصريين إلى بلادهم ، إلى مدنهم الأنيقة ومايثبت فى جوانبها من متاجر ومصانع تدر الخير والثروة على أصحابها وهم غير أبناء البلاد . كان طبيعيا أن يفكروا فى أنهم أحق بهذه الموارد من الثروة ، ومن هنا نشأت القومية الاقتصادية ونشأ الاقتصار الاهلى .

ونستطيع أن نجد مظاهر هذا التحول فيما يلى :

١ - سياسة الحكومة الاقتصادية : قبل انشاء مصلحة التجارة والصناعة ، أعنى منذ عشرين سنة كانت سياسة الحكومة المصرية سياسة زراعية بحتة . وكان الايمان الغالب على النفوس أن مصر محتوم أن تبقى بلادا زراعية وأن كل محاولة لها فى سبيل الصناعة مقضى عليها بالفشل ، أما اليوم فقد تبدل هذا الاعتقاد تبدلا تاما واتجهت سياسة الحكومة نحو تشجيع الصناعة وتفضيل المنتجات الصناعية المصرية وتقديم شتى المساعدات الممكنة لها، وقد عبر صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية عن هذه السياسة أحسن تعبير فى الاجتماع السنوى الاخير لجمعية اتحاد الصناعات. ومن حقه علينا، ونحن نتحدث عن سياسة الحكومة إزاء الاقتصاد الأهلى والصناعات الوطنية، ان نشيد بمجهوداته المتواصلة نحو هذه الغاية القومية وقد منحه الله إلى حماس الشباب رزانة الشيوخ ورحابة الفكر والقدرة على تصريف الامور فى غير زهو ولا منّ ولا رغبة فى الاعلان . وقد وجه تقرير بنك مصر الأخير إلى سعادته تحية يستحقها وعرفانا بالجميل هو أهل له .

٢ - انشاء بنك مصر : وجاء انشاء بنك مصر فى سنة ١٩٢٠ ظاهرة تعبر عن التحول الجديد فى أفكار مصر الحديثة . وكان من توفيق الله لرجال هذا البنك أن فتحوا شتى الميادين ، وغزوا فى جرأة ناجحة جمود مصر القديمة فاذا هى توشك أن تستحيل على أيديهم إلى بلاد صناعية وقد أحاطتهم الأمة : حكومة وشعباً، بتأييدها . وكان هذا طبيعيا فلم يكن البنك وليد رغبة عند فريق من أصحاب رؤوس الأموال لاستثمارها فحسب ؛ ولكنه كان صدى حاجة اجتماعية واقتصادية وتعبيرا ناجحا عن تطور عميق أخذ يهز الأسس القديمة ويحل بدلها أسسا جديدة

٣ - الشعور العام : وكما وقف الشعور العام فى صف بنك مصر وشركاته ، أخذ يؤيد كل المنتجات المصرية وينساق وراء الدعايات الوطنية لانشاء الاقتصاد

الأهلى وصيانة الثروة المصرية . ومن هنا كانت عشرات الجمعيات والهيئات وعشرات المشروعات وكلها تصدر عن نبع واحد ورغبة واحدة هى خلق مصر الصناعية . وليس هنا مجال تعداد هذه المشروعات والجمعيات فكلنا يعرفها وكلنا يستطيع أن يضع أصبعه عليها . وكلنا يأمل أن تزداد وتقوى على مر الأيام .

وقد أفادت مصر من هذه النهضة الصناعية المباركة عشرات المشروعات وهى بعد لم تصل إلى غايتها بل ماتزال رحاب المستقبل وسيعة أمامها .

ومن الحق علينا أن ننوه بما كان لنشاط الأجانب النازلين بيننا من حسن الأثر فى توجيه الصناعة المصرية . وإذا كان الشعور المصرى تطير به الحماسة إلى أن يكون أبناء مصر هم بناة مصر الصناعية فان فى أعمق أعماقه لعرفانا بالجميل لهؤلاء الفضلاء من الأجانب الذين مهدوا له السبيل وضربوا بعزمهم أولى الضربات ولبث هذا الوادى الجميل ميدانا لنشاطهم أكثر من نصف قرن من الزمان .

وان من بينهم من يحبون المصريين ويرجون لهم الخير والتقدم كما يحبون ويرجون لبنى وطنهم الأصلى . ويحوطون نهضتهم بخالص تأييدهم ومناصرتهم . ويكون جحودا غير لائق الا نذكر فى هذه المناسبة جناب محافظ البنك الأهلى سير ادوارد كوك وأن نذكر خطبته فى عيد بنك مصر بمرور ١٥ سنة على تأسيسه وأن نذكر أيضاً مع الشكر العميق والعرفان الخالص صاحب العزة هنرى نوس بك مدير شركة السكر الذى أقام فى مصر حقبة طويلة شارك فيها بكل مامنحه الله من عزم وذكاء ومقدرة فى بناء الصناعة المصرية وان ننوه أيضاً بما كان لاتحاد الصناعات المصرية وحضرات أعضائه من عظيم الأثر فى نهضة البلاد ولسنا فى ذلك نحاول أن نختص أحداً بالذكر ولكننا نضرب أمثلة لما نعتقد أن سواد الأجانب عليه من الانطواء على حب مصر وتمنى الخير والتقدم لأهلها .

نستطيع اذن أن نلخص ما يبدو من ظاهر البطالة فى مصر فيما يلى :

١ ـ يتجمع المتعلمون على وظائف الحكومة ، وهى بعد قد تخمت فلا تستطيع أن تستخدم جديداً .

٢ ـ لم تعد الأراضى الزراعية فى مصر فى حاجة إلى كل الأيدى العاملة التى كانت تستخدمها فيما مضى بسبب التحول عن وسائل الزراعة القديمة إلى الوسائل الجديدة .

٣ ـ زيادة السكان زيادة كبيرة فى السنوات الأخيرة دون أن تزداد موارد

الثروة بنفس النسبة .

٤ - تأصل حب الوظائف فى نفوس المصريين وخوفهم من اقتحام ميادين جديدة .

٥ - عدم النشاط فى توسيع أفق الثروة المصرية واستغلال الأراضى المصرية لضعف موارد الحكومة بسبب الامتيازات الأجنبية والحد من سلطتها فى فرض الضرائب وبسبب خوف أصحاب رؤوس الأموال المصرية أو بعضهم على الأقل من استثمارها فى ميادين جديدة .

وسائل العلاج :

قبل أن نتحدث عن وسائل العلاج للبطالة فى مصر يجب أن نقرر مسألتين :

أولاهما : أن موارد الثروة فى مصر ، ما استغل منها وما يمكن استغلاله، تكفى سكانها وتطوع لهم مستوى مناسب من المعيشة .

ثانيهما : أن المطلوب هو تنظيم الأيدى العاملة فى مصر وتوزيعها على شتى ميادين الانتاج توزيعاً يتفق مع الحالة الجديدة الطارئة .

واذا انتهينا إلى الايمان بهاتين الحقيقتين استطعنا أن ندور فى كل مانقترح من وسائل العلاج بينهما ، واستطعنا أن نطمئن مقدما إلى أننا لن نضل سواء السبيل .

١ - تشجيع الصناعة الأهلية

وإذا كانت الحكومة المصرية قد اختطت فى السنوات الأخيرة سبيل التشجيع التام للمصنوعات المحلية وسبيل الأخذ بيدها بكل ما تستطيع من وسائل المعاونة والتفضيل فان واجبها أن تتابع هذه السياسة والا تدخر أى مجهود أو تضن بأى مال فى الوصول بالصناعة المصرية إلى أعظم حد ممكن من الاتقان والازدهار .

والصناعة ميدان فسيح جدير أن يستخدم جانبا كبيرا من نشاط المتعلمين العاطلين. وأمامنا بنك مصر يعطينا أحسن مثل . فقد بلغ عدد موظفيه فى السنة الماضية ٦٧٤ موظفا (١) ويبلغ موظفو الشركات التابعة له والعمال الذين تستخدمهم نحو عشرة آلاف . وهؤلاء وهؤلاء كان حتما أن يبقوا عاطلين أو أن يزاحموا فى ميادين انتاج أخرى ليست فى حاجة اليهم فيضاعفوا من وطأة البطالة .

ولم تقتصر فائدة بنك مصر وشركاته على استخدام هذا العدد العظيم من الايدى العاملة بل أثبت بنجاحه ونجاح شركاته مقدرة المصريين على الاشتغال بالاعمال

---

(١) تقرير مجلس إدارة البنك عن سنة ١٩٣٥ .

المالية والتجارية ونجاحهم فيها كما نوه بذلك سير ادوارد كوك محافظ البنك الأهلي (١) .

ولست أراني في حاجة إلى الاشارة بالتفصيل إلى وسائل هذا التشجيع فان الحكومة قد برهنت خلال السنوات الأخيرة على دقة فهمها لمقتضيات هذه السياسة وقدمت كل ما استطاعت من تسهيل ومعونة في حدود ولايتها العامة على شؤون الدولة للمنشآت الاهلية . ومن حسن الحظ أن يكون صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزيراً للمالية في هذا الظرف من حياة مصر الاقتصادية ومن حسن الحظ أيضا أن تعرف له الحكومات المصرية المتعاقبة كفايته ومقدرته فتستبقيه في منصبه فانه خير من يعين النهضة الصناعية . وهو في ذلك يعمل بعقيدته وينفذ سياسة يؤمن أنها في خير بلاده .

ومن الحتم أن أشير هنا إلى أن تقدم الصناعة في مصر لابد أن يتم بالتعاون بين الاجانب والمصريين وما أخال فضلاء الاجانب وكبراءهم في هذه البلاد الاعارفين هذه الحقيقة تمام المعرفة . فلا يعني استيقاظ مصر صناعيا الاستغناء عن خدماتهم وانما يعني تضافر الجهود في سبيل بلوغ هذه الغاية . وانا لنعتمد أعظم الاعتماد على خبرتهم ومرانهم وحسن مقاصدهم ويجب أن نعدهم من أعظم العوامل التي تبشر بالخير والنجاح لمصر الصناعية في المستقبل كما كانوا كذلك في الماضي .

٢ - الغاء الامتيازات الأجنبية :

وأحسب أنهم يشعرون معنا أن الامتيازات الأجنبية حمل ثقيل يشل من مقدرة مصر على متابعة التطور الجديد والاستجابة الى حاجات سكانها المتزايدين ، لذلك لست ارتاب لحظة في أنهم يعاونون على الغاء هذا النظام الضار بهم وبنا والذي يجعل بيننا وبينهم ، رغم مافي نفوسنا جمعا من حب التعاون والود والصفاء ، فارقا يرجع إلى طبيعة الأشياء ، ويرجع الى ما يجب أن يكون بين طبقتين احداهما تمتاز عن الأخرى

واعتقد أن الغاء الامتيازات سيفيد فائدة كبرى في تقوية قدم الصناعة المصرية وفتح ميادين جديدة للعمل وزيادة ايراد الدولة ومن ثم زيادة مقدرتها على القيام بمشاريع جديدة لاستغلال مواد الثروة الباقية في مصر من غير استغلال ومتى انطلقت يد مصر من غل الامتيازات الاجنبية فقد استطاعت حكومتها أن

---

(١) خطبة جنابه في عيد بنك مصر في ٧ مايو سنة ١٩٣٥ .

توزع الضرائب على قدم المساواة واستطاعت أن تعيد تنظيم الشركات وتضع لها من القيود ما تراه كافلا لمصلحة البلاد ومصلحة بنيها

٣ ـ استخدام المصريين فى الشركات الأجنبية :

ومن العدل أن يكون لأبناء مصر نصيب فى الشركات التى تستغل موارد بلادهم وتزاول نشاطها وتستثمر رؤوس أموالها على ضفاف نيلهم وهذا مطلب طبيعى عادل ومتى استطاعت مصر أن توفق اليه فانها تستطيع حينئذ أن تحول جزءا كبيرا من نشاط شبابها المتعلم الى هذه الشركات يعمل فيها ويكسب خبرة ومرانا

وقد فكر صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا فى العام الماضى فى هذا الموضوع فوجه كتابا دوريا الى المنشآت الحرة بين مصرية وأجنبية ناشدها فيه ان تعنى باستخدام الشباب المصريين ومما نذكره بالشكر ان أغلب المنشآت الاجنبية قد أبدت صادق استعدادها لبذل هذه المعاونة ولم يكن فى استطاعة سعادة عبدالوهاب باشا أن يجبرها على أن تقبل هؤلاء الشبان فى عداد موظفيها فان تشريعاً بهذا لم يصدر ويحول دون صدوره قيد الامتيازات

٤ ـ رؤوس الأموال المقررة :

ويتصل بتشجيع الصناعة وفتح موارد جديدة للاستغلال واجب الحكومة فى تشجيع رؤوس الأموال المصرية واستحثاث الاغنياء على التقدم بها والمشاركة فى المشاريع الاقتصادية ومحاولة ابتكار ميادين جديدة للعمل والاستغلال

ويجب أن أسارع هنا فأشير الى واجب الافراد فى هذا فليس من العدل أن نلقى العبء كله على الحكومة وإنما العدل أن يشارك الافراد بنشاطهم وجهدهم وتضحيتهم فى سبيل الوصول الى الغاية المنشودة ، وكل الدلائل تدل على أن تنبه الشعور فى مصر لتشجيع المصنوعات والمنتجات الاهلية هو تنبه صحيح سيستمر ان شاء الله ، على أننا نحب أن يتنبه أيضا أصحاب رؤوس الاموال المخزونة من غير استثمار أو المودعة فى البنوك إلى أن العصر الحديث يرفض الركود وان ميادين النشاط للمال لم تعد فى خزائن البنوك وانما هى فى ميادين الاعمال والاستغلال

ومن حسن الحظ أن توجد بوادر طيبة تدل على هذا التنبه فان كثيرين من أغنياء المصريين اليوم يعنون باستغلال أموالهم فى مشاريع صناعية ومالية وتجارية .

٥ ـ الموازنة بين مكافآت العمل :

وإذا كنا نرجو ان نصرف شبابنا حقاً عن التعلق بالوظائف والاتجاه الى ميادين

العمل الحر فان علينا ان نوجد التوازن بين مكافآت العمل Reward of Labour في شتى الميادين. وما دام هذا التوازن مفقودا بين وظائف الحكومة والعمل الحر فان علينا أن ننتظر طويلا حتى نقنع شبابنا بالانصراف عن الوظائف بل ان نشك كثيرا في امكان اقتناعهم بذلك.

إن مستوى المكافآت التي يحصل عليها الموظف تزيد كثيرا عن مستوى المكافآت التي يحصل عليها العامل في الميادين الحرة مع تساوي الاثنين في الثقافة والكفاية العلمية والجسمية والخلقية ؛ لذلك أعتقد ان من وسائل معالجة البطالة وتنظيم قوى الانتاج المصرية وحسن توزيعها على ميادين العمل المختلفة ان يكون التوازن قائما بين الميزات التي يحصل عليها الموظف والتي يحصل عليها من يختار العمل الحر. وان يشمل التوازن ليس فقط المكافآت المادية بل والمكافآت الادبية وهي ماتزال عظيمة القدر في بلاد كمصر تعطى الموظف من الاحترام أكثر مما تعطى العامل الحر.

ولست أراني في حاجة الى تفصيل الوسائل المؤدية الى ايجاد هذا التوازن فان الحكومة قادرة عليه ؛ ووسائله معروفة ويمكن تلخيصها في أنها النزول بمستوى الوظائف من حيث المرتبات والمكافآت والمعاشات وما يتصل بها من امتيازات كبدل السفر ومدة الأجازات وساعات العمل الخ . .

ويكفي أن أشير هنا الى ان مستوى نفقات المعيشة قد انحط من ١٥١ في سنة ١٩٢٩ الى ١٢٥ في سنة ١٩٣٣ (١) ومع ذلك فان مرتبات موظفي الحكومة لم يطرأ عليها في هذه المدة أي تخفيض فيما عدا استقطاع رسم الدمغة وهو تخفيض تافه جدا ؛ هذا اذا سلمنا أن مستوى مرتباتهم في سنة ١٩٢٩ كان مناسبا .

وما نحسب وطنية حضرات موظفي الحكومة تمنعهم من قبول المساواة بينهم وبين باقي مواطنيهم عن طيب خاطر بل ان هذه المساواة في مصلحتهم أنفسهم كما هي في مصلحة البناء الاجتماعي للدولة كلها فان الاستمرار على هذا الاضطراب في التوازن كفيل أن يخلق في البلاد طبقات اجتماعية متباينة بل ومتعادية وفي هذا خطر ما أخاله يخفى على أحد .

٦ ـ بعض ميادين الاستقلال :

ا ـ وقد أشرت خلال هذا البحث أكثر من مرة إلى أن التربة المصرية والثروة

---

(١) الاحصاء السنوي العام ١٩٣٢ - ١٩٣٣ ص ٤٥١ .

المصرية لم تستغلا بعد كل الاستغلال . فان هناك ملايين الأفدنة من الأرض يمكن استصلاحها للزراعة يقع بعضها فى شمال الدلتا وبعضها الآخر فى غرب مديرية البحيرة وبعضها الثالث فى مديرية الشرقية كما أن الحكومة تملك مساحات عديدة من الاراضى البور لاتحتاج فى استصلاحها إلى مجهودات كبيرة . كل هذه الثروة المنسية يجب أن يتجه اليها تفكير الحكومة . والسكان يتزايدون والأيدى العاملة فى الأرض الزراعية تزيد عن رقعة الأرض فيجب ان نعمل على استغلال هذه القوى فى زيادة الثروة المصرية لنواجه بها زيادة السكان والا حل بنا اضطراب اجتماعى شديد .

وأذكر هنا أن الحكومة فكرت فى توزيع الاراضى البور على الفلاحين وان وزارة الزراعة فكرت فى منح بعض أجزاء منها لخريجى مدارس الزراعة غير ان كل هذه المجهودات المتقطعة المتباعد أحدها عن الآخر لم تؤت بعد ثمرات تذكر .

ب ـ ومن ميادين الاستغلال الممكنة استصلاح أراضى الصحراء الغربية التى تحف بمرسى مطروح ويدل الاستقراء التاريخى على أن هذه الاراضى كانت فيما مضى مزرعة وتوجد فى الصحراء المحيطة بمرسى مطروح آثار معاصر النبيذ الرومانية القديمة . وهى تدل على أن هذه المنطقة كانت مشهورة بزراعة العنب وكل ماينقصها الآن حتى تصبح أراض زراعية تدر الخير الكثير هو الماء . وفى اعتقادى ان الحكومة اذا قامت بابحاث جيولوجية لتعرف طبيعة هذه الاراضى وقامت بابحاث تاريخية لاستقراء ماضيها ومعرفة وسائل استغلالها فى العصور القديمة لانتهت الى نتائج طيبة ولوجدت فى غرب مصر ميدانا فسيحا للثروة قد يستغرق جزء صغير منه جميع الايدى العاطلة أو التى تبدو كذلك فى مصر .

وفى ضواحى مرسى مطروح توجد آبار تسمى بالآبار الرومانية تم كشفها منذ خمس سنوات وتستخرج منها اليوم كميات كبيرة من المياه . ومن يدرى لعل فى هذه الصحراء آبارا قديمة اخرى يمكن مع البحث وبذل المجهود كشفها أو كشف مواضعها ومن ثم إحياءها .

وعلى كل حال فان الصحراء الغربية ميدان يجب ألا تغمض عنه عين الحكومة

ج ـ قوى خزان اسوان :

وثمت قوى خزان اسوان لاستنباط الكهرباء وخلق منطقة صناعية كبيرة حوله ولا أرى حاجة للدخول فى تفاصيل هذا الباب من أبواب الاستغلال فقد درس

دراسة كافية ولم يبق الا تنفيذه. وتنفيذه على الوجه الذى يكفل الاستفادة منه أعظم فائدة ممكنة . وتدرس وزارة المالية الآن مشروعاً ضخماً لاستنباط الكهرباء وانشاء مصنع للسماد، ولا شك أنه مشروع سيستغرق جانباً كبيراً من الأيدى العاملة المصرية .

ولست أذكر هذه الأنواع الجديدة من الاستغلال على أنها كل الميادين الممكنة، انما هى أمثلة قليلة من أفق واسع رحيب يمكن أن تتسرب إليه قوى النشاط المصرى الحديث وبذلك تختفى هذه البطالة الكاذبة .

٧ - تغيير أساس التربية :

ويتفق مع اعداد المصريين اعدادا حسنا للحياة الجديدة أن يتغير نظام التعليم تغيرا تاماً. فيصبح أساسه خلق جيل قادر على العمل فى أى ميدان ، جيل مثقف واسع المعارف ، متين الأخلاق ، وأكرر هنا أن يكون متين الأخلاق ، فان مصيبة مصر ليست فى قلة المتعلمين ولكنها فى قلة ذوى الأخلاق القوية ، ذوى النفوس الوثابة الطامحة ، فلم تعد عدة الرجل للنجاح بضعة معارف يكتظ بها ذهنه ولكنها أضحت عدة صالحة من الأخلاق ، من الايمان بقوة النفس .

وأحب أن تتجه عناية القائمين على التعليم فى مصر إلى تعديل أسس التربية المصرية كلها فلا تكون المدارس المصرية معاهد لتخريج موظفين وانما تكون معاهد لتخريج رجال ، ولا بأس من الاستعانة على ذلك بنظم التربية الانجليزية والألمانية فهى فى نظرى أصلح أنواع التربية لأنها تقوم على العناية بالأخلاق والايحاء النفسى بالقوة .

وقد فصل (ادمون ديمولان) فى كتابه « سر تقدم الانكليز السكسونيين » طرفا من أسس هذه التربية العظيمة التى طوعت للانجليز سيادة العالم .

ويجدر بى أن أشير هنا إلى الفارق بين التعليم والتربية ، فان التربية هى الأعظم والأخطر فى بناء الرجل ، وهى بكل أسف لا تحظى فى مدارسنا بعناية تذكر . فكثير من العلماء لاينجحون فى الحياة اذ تعوزهم الأخلاق القوية، ولكن قلما يخفق رجل على خلق عظيم .

قال سير هارولد يلمان : ان النجاح فى الحياة لايتوقف على شىء أكثر مما يتوقف على العمل والدأب والمثابرة ، فالذكاء ليس عنصرا ضروريا وفقدانه لا يعنى أن النجاح مستحيل ، ويكفى أن يكون الانسان متوسط الذكاء وأن يضيف إلى ذلك

الاستقامة والخلق الفاضل والجد والمثابرة،فاذا كل شيء ميسر أمامه ، وإذا كل المصاعب مذللة (١) .

وفى انجلترا نجد أروع الأمثلة على مقدار ماتفعل التربية الصحيحة من معجزات، فعشرات من الانجليز ارتفعوا من القاع إلى القمة وأصبحوا ممن تجرى الألسن بذكرهم ، وذاعت أسماؤهم ليس فى حدود انجلترا أو الامبراطورية البريطانية فحسب ولكن جاوزت هذه الحدود إلى ما هو أبعد منها .

ولست أختص بالذكر انجلترا لانه لايوجد فى غيرها أمثال هؤلاء الناجحين ، وانما اختصصتها بالذكر لأنها بلد الناجحين ولأن استقامة الخلق الانجليزى وقوة الخلق الانجليزى كفيلتان أن ترفع أبناء الانجليز حيث هم اليوم بناة امبراطورية ضخمة عاشت مئات السنين وهى تزداد على الدهر قوة ودواماً لايعرف الهرم ولا تعرف الشيخوخة اليها سبيلا .

هى الأخلاق إذن التى يجب أن يتجه اليها التعليم المصرى ، ويجب أن تتجه اليها المدرسة المصرية والجامعة المصرية ، وهذا بطبيعة الحال مع العناية بأنواع التعليم الصناعى والتجارى والزراعى والاكثار منه لمقابلة الحاجات الجديدة .

وليس فى مقدورى،ولا مما يتسع له المجال فى هذا البحث،أن أضع برنامجاً للتعليم فى مصر،ولكننى أعبر عن الاتجاه الذى أرجو أن يسير فيه ، وأرسم الخط البارز الذى يجب أن يتبعه ، أما الوسيلة أو الوسائل فمن اختصاص رجال التعليم والتربية، وعندنا منهم بحمد الله كثيرون .

٨ - تحويل النفسية المصرية :

ويتصل بالتعليم والتربية تحويل النفسية المصرية تحويلا تاما ، فاذا كانت هذه النفسية صالحة لبيئة زراعية ولأمة قانعة تشمل نفسها داخل حدود ضيقة ، فانها لاتصلح مطلقا لأمة طامحة ترجو أن تعيش على قدم المساواة مع الأمم المتحضرة، ومن الظواهر التى نجدها فى نفسية المصريين الخمول والتواكل والخوف والقناعة وفقدان الطموح وحب الوظائف والترف والانصراف عن كل مجهود ، وفقدان الشجاعة الأدبية ، والعجز عن وضع مقاييس صحيحة للحسن والقبيح والمقبول وغير المقبول . وقد انحدرت الينا بعض هذه الصفات من أجيال بعيدة وكسبنا

---

(١) فى كتابه « بعد المدرسة » سنة ١٩٣٦ .

بعضها الآخر من البيئة الزراعية ، فمن واجبنا أن ننضو عن نفوسنا هذا التراث المنحط وأن ننشىء لنا مجداً جديداً ، وهذه غاية أخرى يجب أن تكون من غايات التربية المصرية (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم - قرآن كريم) .

وقد أشار صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية في مذكرته التى رفعها إلى مجلس الوزراء واقترح فيها تأليف لجنة لدرس مسألة المتعلمين العاطلين، إلى أن كثيرين من هؤلاء المتعلمين يرفضون أن يعملوا بمرتبات صغيرة ويأبون الا أن يبدأوا بمرتبات مناسبة ، وهذه ظاهرة نفسية لاتجدها عند شباب الأمم الصناعية الراقية ، هذه الظاهرة وأمثالها هى التى نريد أن نحاربها وأن نقضى عليها بوضع أسس جديدة للتربية المصرية .

ان سير هارولد بيلمان فى كتابه «بعد المدرسة» الذى أشرت اليه آنفا يفخر أنه بدأ حياته فى القاع، ويسارع إلى القول بأن فى القاع يجد الانسان دائما متسعا . فعلى هؤلاء الذين يخشون أن يجرفهم التيار فيقذف بهم إلى الخارج ، على هؤلاء الذين يخافون زحمة الدنيا أن يبدأوا حياتهم من أولى المراتب : فى أحطها وأدناها، ولن يقدح فى كرامتهم أنهم فعلوا ذلك انما النجاح للشرفاء العاملين ، ضع قدمك أولا فاذا بك تجد السلم سهل المرتقى ، ولا يهم أن تضعها على أول السلم مادمت طامحا إلى آخره ، إن الانسان يتعلم فى المدرسة لاليبدأ حياته رجلا كبيراً ، ولكنه يتعلم ليتكون له العقل الراجح المدرك ولايضيره بعد أن يبدأ صغيراً ، بل لعل من خيره أن يفعل كذلك . فالذى يتقدم بخطوات وئيدة خير ممن يقفز : الأول يكون نجاحه قويا دائما موطد الأساس ، والآخر يكون نجاحه كاذبا منهار الأساس .

ويعرض سير هارولد بيلمان إلى مسألة أخرى هى الاخفاق والنجاح ومقدار كل منهما، ويدلى برأى حسن، ذلك ان النجاح لايثير الاهتمام دائما وقد يثير الفشل اهتماما أعظم من النجاح، ويشير إلى هزيمة نابليون فى واترلو ، وعنده أن نابليون لو انتصر فى هذه الموقعة لقلت المؤلفات التى كتبت عنه إلى النصف .

ثم يقول : إن الشباب بذاته مملوء بالطموح وقلما تجد شابا الا وتراه طامحا إلى شىء عظيم، وهذا الاعتزاز بالنفس حسن وهو ضرورى للنجاح، ولكنه إذا كان ضروريا فى مراتب التقدم الأولى فانه يصاب فيما بعد بما يشبه رد الفعل الذى ينتج من تقدم العقل واتساع أفق الفكر والاصطدام بالعقبات، ولكنه رد فعل

حسن هو الآخر لأنه لايصرف الانسان عن التقدم ولكنه يحفزه إلى العمل ويحفزه إلى الاحتياط والحذر فهو يشحذ الهمم ويصهر النفس وينقيها من الغرور ويجعل الخطوات أكثر اتزانا .

ولعلى استطردت فى عرض أراء سير هارولد بلمان استطراداً طويلا، ولكننى أردت بذلك أن أشير إلى طراز الأخلاق والتصور والتفكير الذى نريد أن ينشأ فى بيئتنا، وهذا هو واجب التربية المصرية فى هذا العصر .

٩ ـ التأمين ضد البطالة :

يقول «بيفردج» إنه حتى إذا نجحنا فى معالجة البطالة وأمنا شرورها فانه تبقى عندنا البطالة العادية ، يبقى عندنا الفقر والبؤس والشقاء والذى يصاحب بطالة العمال بسبب تقدم السن أو العجز عن العمل لعاهة أو مرض أو تشوه جسمى أو لأى سبب آخر من الأسباب العادية ، لهؤلاء المساكين يجب أن يكون عندنا نظام يقيهم شر الحاجة ويقى أولادهم شر التشريد ، ويكفل للجماعة ألا تقع أنظارها على الفقر الشنيع والبؤس المزرى بالكرامة الانسانية. لهؤلاء يجب أن يوجد نظام التأمين والاعانة ، فليس هذا النظام ضروريا فقط ليحفظ العمال فى وقت البطالة الناتجة عن الضيق الاقتصادى بل هو ضرورى أيضا ليحفظهم عند تبطلهم عن العمل بسبب المرض أو تقدم السن .

ويقول مستر هارولد بتلر فى تقريره عن سنة ١٩٣٤ « ان نظام الاعانة والتأمين من جانب الدولة هو من غير ريب تدخل فى عمل القوى الاقتصادية، ولكن التجربة دلت على أنه تدخل لاتدعو اليه حاجة اجتماعية فحسب بل وتدعو اليه منفعة اقتصادية »

وأرى أن من الأفضل ادخال هذا النظام فى مصر منذ الآن والاستعانة فى تنظيمه بما يجرى عليه العمل فى انجلترا بلاد مولده . ويمكن الاستفادة بالنظام الذى اقترح فى امريكا، ويتضمن انشاء صندوق للاعانة ضد البطالة يتغذى بضريبة مئوية تفرض على الأجور ويوضع تحت اشراف الحكومة، وقد أدخل نظام التأمين ضد البطالة فى كندا وجنوب افريقيا والسويد .

ويرى مستر بتلر ان التوسع فى نظام التأمين ضد البطالة وادخاله فى كثير من البلاد واعتباره كواجب قومى يدل على تزايد الاحساس بضرورة التأمين الاجتماعى .

وأحسب ان ادخال هذا النظام فى مصر يؤدى الى تحسين مستوى العمال ويقيهم

شر الحاجة الطارئة ويحمى حياتهم من التماقل ويضفى عليها الطمأنينة بقدر الامكان .

وأذكر هنا أن التأمين الاجتماعى ليس فى الواقع علاجا لأسباب البطالة وإنما هو تقليل لشرورها .

وقد وضع مستر رونالد دافيسون فى سنة ١٩٢٩ كتابا قيما جعل عنوانه «العاطلون: السياسة القديمة والجديدة» استعرض فيه بدقة وافاضة التدابير التى اتخذت فى بريطانيا العظمى لمعاونة العاطلين منذ سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٢٩ ، وأعتقد ان الاستعانة بهذا المؤلف القيم مجدية عند التفكير فى وضع أساس نظام مشابه فى مصر

١٠ ـ التعجيل بالأعمال العامة :

وهذا سبيل آخر يمكن أن تلجأ اليه الحكومة لمكافحة البطالة ، وأرى أن تطبيقه فى مصر ممكن ، ولا يصطدم بالعقبات العديدة التى يصطدم بها فى البلدان الاخرى ، فالميزانية المصرية متوازنة وعندنا احتياطى كبير والبلاد فى حاجة الى مشاريع عمرانية عديدة ، فى الرى والصحة وتجميل المدن وتحسين حالة القرى . ومتى وفقت الحكومة الى الغاء الامتيازات الأجنبية واستطاعت ان تفرض الضرائب على الاجانب زادت مواردها زيادة تمكنها من القيام بهذه المشروعات

١١ ـ اشتراك النساء فى أعمال الرجال :

ولا أرى بدا من الاشارة فى ايجاز الى مسألة مشاركة النساء فى أعمال الرجال فهى وان كانت مازال محدودة فى مصر الا أنها آخذة فى التزايد ، ومن الخير أن يقتصر عمل المرأة على وظائفها الطبيعية على أن تتناول من الاعمال العامة ماهو من خصائصها وما تصلح لأدائه خيرا من الرجل أما اشتغالها بمهن الرجل ومزاحمتها اياه فى ميادين العمل والوظائف فأرى أن ظروف مصر الاقتصادية وتقاليدها لاتسمحان به ، إن تعليم المرأة واجب ، ولكن يجب أن يكون الهدف من تعليمها اعدادها لتكون زوجا صالحة وأما رشيدة ، ويتصل بهذه الغاية تشجيع الزواج والتمكين للعائلة ، وهى مسائل يتداخل بعضها فى بعض وأرى فى انشاء المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية اتجاها طيبا نحو العناية بهذه المسائل التى تبدو اجتماعية محضة وهى فى الواقع عظيمة الأثر فى الشؤون الاقتصادية .

ولا بأس أن أشير هنا إلى ماقاله رئيس الوزارة الانجليزية فى مجلس العموم البريطانى يوم ٦ ابريل الجارى « ان فى البلاد (يقصد انجلترا) شعوراً بأن كثرة عدد الرجال المتعطلين عن العمل ناتجة عن كثرة النساء اللواتى دخلن دوائر

الأعمال »

ولا أريد من هذا المقارنة بين مصر وانجلترا، فان اشتراك المرأة فى أعمال الرجل عندنا مايزال ضئيلا جداً، ولكننى أذكره لأدل على أن ترك المرأة تشارك الرجل فى أعماله يؤدى مع مرور الزمن إلى تعقيد مشكلة البطالة ، وفى الوقت ذاته يهدد كيان الاسرة ، ويقضى على العائلة بالخراب .

التعليم الاقليمي وعلاج البطالة :

إن التعليم الاقليمى يكون عظيم الفائدة ، فى حالة الاستقرار ، كمؤثر فعال فى علاج البطالة . فمن المستحسن أن يكون فى كل اقليم العمال الصالحون للصناعات التى اختص بها ، ومن المتفق عليه أن السلالات تكتسب خبرة ومرانا ومهارة طبيعية . فى المناطق التى اشتهرت بصناعة النسيج مثلا يكتسب أبناءها خفة ودقة وسرعة وذوقا صناعيا فى هذا الفرع لايتوفر لغيرهم من أبناء منطقة اشتهرت بصناعة الآلات البخارية مثلا . ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن بناء الصناعة يتطور دائما وأن الصناعة المزدهرة اليوم قد يصيبها الكساد والخمول غداً ، وأن العمليات الصناعية التى تبدو ضرورية فى انتاج مادة من المواد قد ينسحب عليها ظل الاختراع فاذا هى عدم واذا آلة جديدة تؤدى عملا كان يؤديه عشرات العمال ومئاتهم .

وقد جاء فى مقال نشرته التيمس فى ملحقها التجارى سنة ١٩٣٤ ونقلته صحيفة التجارة والصناعة فى عدد شهر يناير سنة ١٩٣٥ أنه «لاسبيل للشباب والبنات إلى مزاولة أية مهنة فى مناطقهم الخاصة دون أن يحصلوا على نصيب من هذا التعليم، فاذا كان عدد هذه المهن محدودا كما هى الحالة فى المناطق التى تتركز فيها الصناعات كانت المهن التى يستطيع الشبان مزاولتها قليلة التنوع ، ويترتب على ذلك أنهم يفضلون الاشتغال فى تلك الصناعات التى يعمل فيها آباؤهم أو أقاربهم أو أصدقاؤهم ، كذلك رؤى أنه من الواجب أن يعطى الاحداث نصيبا وافرا من التمرين على مختلف الصناعات فهذا أفضل من تمرينهم على مزاولة مهنة معينة » .

وأرى أن هذه الوسيلة أعظم فائدة فى معالجة البطالة ومواجهة شرورها المتقلبة ، وعلى الأخص فى عصر كثرت فيه الاختراعات وكثرت تقلبات الصناعة وتقلبات الاسواق ، فضلا عن أن تمرن الحدث على مختلف الصناعات يجعله قادراً على التحول من صناعة إلى صناعة والهجرة من منطقة إلى منطقة تبعا لضرورة العمل وضرورة هجرة الصناعة ذاتها .

وقد أنشئت فى انجلترا مراكز تمرينية يتلقى فيها الأحداث ، عقب تخرجهم من المدارس الأولية والالزامية ، معلومات ضرورية للتدرب على مختلف الصناعات ، والفكرة فى إنشاء هذه المراكز حماية الأحداث من التدهور الاخلاقى وصيانتهم فى تلك الفترة التى تفصل بين انقضاء تعليمهم الاجبارى وحصولهم على عمل أو مرتزق .

ولاشك أن البطالة تكون أشد أثراً وأعظم مساوىء بالنسبة للاحداث الذين يصدمون بها وهم بعد فى سن غضة ، فان العامل الناضج السن الذى سبق له أن اشتغل ثم تبطل يستطيع أن يجاهد ويضاعف بحثه وسعيه وقد يوفق الى اعادة بناء حياته من جديد ، أما هذا الذى تجف آماله قبل أن تزدهر أو يحرم من تعلم حرفة أو مهنة تساعده على العيش فلا يمكن أن يصبح رجلا نافعا للجماعة التى ينتمى اليها .

وقد استرعت هذه المشكلة انتباه هيئة العمل الدولية فى جنيف فأولتها عنايتها ، والرأى السائد بين المشتغلين بمسائل البطالة أن مما يخفف من أثرها اطالة السن التى يسمح فيها باستخدام الاحداث وتيسير السبل أمامهم للتدرب على المهنة أو الحرفة التى يختص بها الاقليم الذى يعيشون فيه أو تدريبهم ، وهذا أفضل ، على مختلف الصناعات ، وقد رفعت هذه السن إلى ١٥ سنة وأحياناً الى ١٦ سنة فى النرويج واوراجواى واتحاد روسيا السوفيتية وفى أغلب الولايات المتحدة وفى بعض أقاليم سويسرا وفى مناطق قليلة فى بريطانيا العظمى

وقد أنشأت بعض هذه البلاد مراكز اقليمية لتدريب هؤلاء الأحداث وارشادهم إلى الصناعات التى يتعلمونها وتعهد أجسامهم وعقولهم بالتربية خلال الفترة القصيرة التى تفصل بين خروجهم من مدارس التعليم الالزامى وبلوغ السن التى يباح فيها استخدامهم فى المصانع .

على أننى أرى أن التعليم الاقليمى بالنسبة لمصر يفيد فائدة كبيرة وعلى الأخص اذا اقترن بارشاد الآباء إلى المهن والصناعات التى يصح أن يتعلمها أبناؤهم طبقا لحاجة البلاد وحاجة الاقليم الذى يعيشون فيه

خاتمة :

وأود فى ختام هذا البحث أن أشير إلى مايقوله البعض حينما يسأل عن رأيه

فى البطالة وهو « علموهم وكفى » وهذا رأى خطر جداً فان التعليم أيا كان كالطعام الذى لا تراعى فيه صحة البدن ولا حاجته قد يقتل صاحبه أو يورثه الأمراض، مع أن تحويراً خفيفا فى أنواع الطعام ومقداره ووقت تناوله يكفل إنقاذ البدن ويكفل له الحياة الطيبة الطويلة .

وقد يظن البعض أن مشكلة العمال العاطلين أعظم خطراً من مشكلة المتعلمين المتعطلين وأنه مادامت مصر بمنجاة من مشكلة خطيرة للعمال العاطلين فان بناءها الاجتماعى سليم من جميع النواحى ، وهذا وهم خاطىء، فاذا كانت مشكلة العمال العاطلين خطيرة الأثر على حياة البلاد فان مشكلة المتعلمين العاطلين أعظم خطراً، سواء من الوجهة الاقتصادية أو الوجهة الاجتماعية ، وتركها دون علاج يعرض لمضاعفات عديدة

وقد بدأت هذه المشكلة ، أعنى مشكلة المتعلمين العاطلين، تشغل أذهان العلماء والباحثين فى أوربا ، أذكر انى قرأت لكاتب أوروبى منذ شهرين أو ثلاثة شهور مقالا جاء فيه : « إن الذى يراقب حالة الجماعة البشرية يلمح الآثار البادية لظاهرة جديدة فى عالم الحضارة الغربية حيث تنتشر على ضوء التعليم ظلال البطالة واليوم يوجد مئات الآلاف من الشباب فى أوروبا وآسيا وأمريكا قد أتموا مراحل التعليم جميعها وأعدوا أنفسهم لحياة أنكرتها عليهم النظم الاجتماعية فهم يستطيعون أن يقدموا خدمات لا تطلبها منهم الجماعة وهذه الظاهرة محفوفة بمخاطر جسيمة وانى لأتساءل ماذا يخبىء المستقبل(١) »

ليست مصر اذن تعانى الكارثة وحدها ، ولكننى أعتقد أن مصر تستطيع وحدها أن تعالج هذه المشكلة دون أن تصاب حياتها العامة بأى اضطراب ، لا بل ان الاستقرار الصحيح للعوامل الاقتصادية فى مصر هو بذاته علاج مشكلة المتعلمين العاطلين فى أوروبا وغيرها من البلاد التى وصل فيها الاستغلال إلى حده الأخير وارتفعت الصناعة الى الاوج ثم أخذت تنحدر عنه قد يكون العلاج شيئا آخر وقد يكون هو تحديد النسل والعودة إلى نظرية مالتس .

ويرى بعض الكتاب أن الآلات الضخمة كارثة الحضارة وأنها هى سبب البطالة لانها تطرد العمال وتحل محلهم ، ولكن أصحاب هذا الرأى ينظرون الى المشكلة

---

(١) رينولد شيرر فى مجلة « الديكتاتور » الانجليزية

من زاوية واحدة، والصحيح ان الاختراعات فى ذاتها مفيدة لأنها تساعد على الانتاج وتدخر المجهود البشرى ، ولكن الخطأ يجىء منا ومن النظام الاقتصادى الذى نتبعه، فعلينا أن نبحث عن علاج للبطالة فى أى ميدان آخر غير الغض من نشاط الذهن الانسانى ومحاربة الاختراعات التى يرجع اليها الفضل فى كل ماننعم به ونتمتع من خيرات ومباهج ، والصحيح أن الآلات بتوفيرها المجهود الانسانى يجب أن تطوع للناس وقتا أطول للفراغ والمتاع النفسى والعناية بمطالب الروح والعقل والفكر، ولعل «جودوين» كان يتنبأ بهذا حين قال فى كتابه Political Justice سنة ١٧٩٣ « من يدرى ؟ فقد نحصل فى وقت من الأوقات على نفس الانتاج الذى نحصل عليه الآن دون أن يعمل أحدنا كل يوم أكثر من نصف ساعة، وحينئذ يتسع وقت الفراغ لدينا ، وهو الثروة الحقيقية »

الى هذه الغاية يجب أن تتجه الحضارة فيما أعتقد . أما أن تؤدى الاختراعات والآلات الى الشقاء والبؤس فشىء غريب ، وهو شىء غير طبيعى .

وأخيرا . . .

أحب أن أعبر عن أمنيتى فى أن تنضم مصر قريباً الى هيئة العمل الدولية فى جنيف، وبذلك تقوم بنصيبها فى العمل المشترك لتقليل مساوىء البطالة وتحسين حالة العمال وتؤدى رسالتها المحتومة ، كوارثة أقدم الحضارات ، فى تنقية حضارة اليوم من أسوأ شرورها .

ملحق

احصاء هيئة العمل الدولية فى جنيف عن البطالة فى العالم

يؤخذ من الاحصاء الذى أذاعه مكتب العمل الدولى عن الثلاثة الشهور الأولى من العام الماضى لحالة البطالة فى العالم أنها آخذة فى التحسن فى أغلب البلاد اذا قورنت بالاحصائية الخاصة بمثل هذه المدة فى العام الذى قبله ، وقد دلت هذه الاحصائية، كما دلت الاحصائيات التى سبقتها ، على زيادة البطالة فى بلجيكا وفرنسا وايرلندا الحرة وبولندا وهولندا ، كما دلت على زيادة طفيفة فى الأرقام الخاصة بحالة البطالة فى بلغاريا وأسبانيا ويوجوسلافيا .

واذا قورنت هذه الأرقام بأرقام الاحصائية السابقة عليها ، أعنى الخاصة بالثلاثة الشهور الأخيرة فى سنة ١٩٣٤ ، لوحظت بعض الزيادة فى أرقام البطالة ، غير أن

هذا لايجب أن يؤخذ امارة سيئة، فهو راجع على الأخص إلى التغيرات الموسمية وإلى نقص استخدام بعض الصناعات للعمال بسبب قلة عملها فى هذا الموسم أو توقفها بالمرة عن العمل .

وتجدر الاشارة إلى أنه قد تزيد أرقام البطالة فى بلد من البلاد وتزيد فى الوقت ذاته أرقام العمال المشتغلين ولا يجب أن يدفع هذا إلى الأذهان أن فى الأمر تناقضا فهذا يرجع إلى ازدياد عدد المقيمين فى البلد بسبب الهجرة أو بسبب زيادة السكان .

ويعتمد مكتب العمل الدولى فى جمع احصائياته عن العمال العاطلين والمشتغلين على مصادر عديدة مثل جمعيات التأمين الاختيارى أو احصائيات النقابات أو احصائيات تبادل العمال الخ .

ولا تعطى الارقام التى ينشرها مكتب العمل نتيجة وثيقة بعدد المتبطلين والمشتغلين، ولكنها تفيد فى معرفة الاتجاه العام لهذه المشكلة الخطيرة هل هو للازدياد والتفاقم أو للنقص والتحسن

وننشر فيما يلى الارقام التى جاءت فى هذا الاحصاء عن أهم الدول :

احصاء مشاريع التأمين الاجبارى

النمسا : عدد العاطلين ٩٣٤٦٥٨ بنسبة ٣٢٫١ فى المائة ، وكانت فى مارس سنة ١٩٣٤ ، ٣٢٫١ فى المائة

المانيا : عدد العاطلين ٢٧٦٤٦٧٦ بنسبة ١٤٫٩ فى المائة ، وكانت فى مارس سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٨٫٧ فى المائة

بريطانيا العظمى وشمال ارلندا : عدد العاطلين ٤٢٧٢١٠٧ بنسبة ١٧٫٥ فى المائة، وكانت فى مارس سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٨٫١ فى المائة

احصائية مشاريع التأمين الاختيارى :

بلجيكا : عدد العاطلين ٢٢٣٠٠٠ بنسبة ٢٣٫٦ فى المائة ، وكانت فى فبراير سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٨ فى المائة، ويلاحظ أن البطالة زادت فيها .

تشيكوسلوفاكيا : عدد العاطلين ٣٠٣٢٥٣ بنسبة ٢١ فى المائة، وكانت فى فبراير سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٥٫٤ فى المائة «البطالة زادت» .

دانمارك : عدد العاطلين ١٠٨٦٩٠ بنسبة ٢٨٫٠٨ فى المائة ، وكانت فى فبراير

سنة ١٩٣٥ بنسبة ٣١٫٣ فى المائة «نقصت البطالة»

هولندا ـ عدد العاطلين ٢١٢٤٢٢ بنسبة ٢٨ فى المائة وكانت فى فبراير سنة ١٩٣٥ بنسبة ٣١٫٨ فى المائة «نقصت البطالة» .

سويسرا ـ عدد العاطلين ١٠٤٨٤٨ بنسبة ١٦٫٩٣ فى المائة ، وكانت فى يناير سنة ١٩٣٥ بنسبة ٢٩٫٩ فى المائة «نقصت البطالة» .

احصاء نقابات العمال :

النمسا ـ عدد العاطلين ٨٠٠٩٧ بنسبة ١٨٫٨ فى المائة فى ديسمبر سنة ١٩٣٤، وكانت فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ بنسبة ٢٣ فى المائة «نقصت البطالة» .

كندا ـ عدد العاطلين ٢٩٣٢٠ بنسبة ١٨٫١ فى المائة فى فبراير سنة ١٩٣٥، وكانت فى فبراير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٢١٫٩ فى المائة (نقصت البطالة) .

النرويج ـ عدد العاطلين ١٧٫٧٩٢ بنسبة ٣٢٫٨ فى المائة فى يناير سنة ١٩٣٥، وكانت فى يناير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٣٩٫٢ «نقصت البطالة» .

السويد ـ عدد العاطلين ١٠٠٨٣٩ بنسبة ٢١٫٧ فى المائة فى فبراير سنة ١٩٣٥، وكانت فى فبراير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٢٤٫٥ فى المائة «نقصت البطالة» .

احصائيات تعتمد على المصادر الأخرى :

النمسا ـ عدد العاطلين ٤٢٤٤٨٧ فى فبراير سنة ١٩٣٥،وكانت فى فبراير سنة ١٩٣٤ - ٤٤٠٤٩ «نقصت البطالة» .

فرنسا ـ ٥٤٤٥٦٧ عددالعاطلين فى مارس سنة ١٩٣٥ وكان عددهم فى مارس سنة ١٩٣٤- ٣٨٢٨٧٨ «زيادة كبيرة» .

ألمانيا ـ عدد العاطلين ٢٧٦٤٦٧٦ فى مارس سنة ١٩٣٥ وكانت عددهم ٣٣٧٢٦١١ فى مارس سنة ١٩٣٤ «نقص كبير» .

بريطانيا العظمى ـ عدد العاطلين ٢٢٨٥٤٦٣ فى مارس سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ٢٣١٧٩٠٩ فى مارس سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .

هنغاريا ـ عدد العاطلين ٥٤٣٦٨ فى فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ٥٦٤٧٨ فى فبراير سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .

ايطاليا ـ عدد العاطلين ١١١١٧١١ فى فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ١١٠٨١٤٨ فى فبراير الذى قبله «نقص بسيط» .

اليابان - عدد العاطلين ٢٦٥٥٩٦ فى اكتوبر سنة ١٩٣٤ وكان عددهم فى أكتوبر سنة ١٩٣٣ - ٤٠٠١١٨ «نقص بسيط» .

رومانيا - عدد العاطلين ٢٠٦٦٩ فى فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ٢٨٣٢٣ فى فبراير سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .

وكانت النسبة المئوية للعمال المشتغلين إلى العاطلين فى فبراير سنة ١٩٣٥ كما يلى:

كندا ٧٩ر٤ ايطاليا ٧٧ وامريكا ٧٥ والسويد ٩٢ وسويسرا ٧١ وبولندا ٦٣

وبلغ عدد العمال المشتغلين فى النمسا فى يناير سنة ١٩٣٥ - ٩٥٩٨٧ وفى ألمانيا فى شهر فبراير سنة ١٩٣٥ - ١٤٤٠٩٠٠٠ وفى بريطانيا العظمى ١٠٨٨٣٠٠ فى فبراير سنة ١٩٣٥ وفى هنغاريا ٨٧٣٤١٦ ويوجوسلافيا ٥٤٧٥١٦ فى يناير سنة ١٩٣٥ .

(٢)

ملخص رسالة

الدكتور على عبد الواحد وافى

مهد لبحثه بأن البطالة من أغرب الظواهر الاجتماعية وأشدها شذوذا ، إذ يتمثل فيها النقيض ونقيضه ، فان المجتمع يرغب عن عمل منتج يتقدم اليه ، فيدل على انه ليس فى حاجة إلى انتاج ، ولا يعقل أن تنقطع حاجته إلى الانتاج ، إلا إذا توافر لدى جميع أفراده ضروريات الحياة وكمالياتها ، وان الشخص العاطل من بين أفراد هذا المجتمع ويعوزه الضرورى ولا يتوافر لديه الكفاف من العيش .

ثم قسم البطالة إلى ثلاثة أنواع ، وهى :

أولا - بطالة طالبى التوظف من المتخرجين فى مختلف معاهد التعليم .

ثانيا - بطالة الفلاح ، أو البطالة فى الزراعة .

ثالثا - بطالة العمال ، أو البطالة فى الصناعة .

وتحدث عن بطالة طالبى التوظف ، وأهم أسبابها ومايراه من علاج وهو :

١ - عدم مراعاة التناسب بين الوظائف ومن تعدهم معاهد التعليم للقيام بها ، فان أولياء الأمور ساروا على سياسة معقولة فيما يتعلق بمدرستى البوليس والحربية فلا يقبل بهاتين المدرستين أكثر من العدد اللازم لشئون الأمن والجيش ، ولكنهم لم يلتزموا السير على هذا السنن فيما يتعلق بدار العلوم ومعهد التربية ومدارس المعلمين الأولية وكليات الجامعة المصرية والأزهر وأقسام تخصصه ومدرسة

الفنون والصناعات ، فنجم عن ذلك أن أخذت هذه المدارس والمعاهد تمد كل عام جيش العاطلين بكتائب جديدة تزيد من كوارثه . ولقد بلغ في بعض السنين عدد العاطلين من خريجي مدارس المعلمين الأولية وحدها ما يقرب من عشرة آلاف ، ومن وسائل علاج هذه الحالة أن تضيق أبواب الالتحاق بهذا النوع من المدارس ويحدد طلبة كل منها تحديداً دقيقاً يتناسب مع المطلوب لوظائفها .

٢ - توجيه العناية في التعليم الثانوي إلى مجرد الاعداد للتعليم العالي واغفال ما عدا ذلك ، فنجم عن هذا العيب أن المتخرجين في المدارس الثانوية بنظمها الحاضرة لا يصلحون لشيء الا لتكملة دراستهم بكليات الجامعة أو بالمدارس العالية ، وتوصد في وجوههم معظم الأعمال الحكومية والحرة وتكون النتيجة أن ينضم جيش عاطل من خريجي المدارس الثانوية إلى جيش المتعطلين من خريجي المدارس العالية ، ولا سبيل للتخلص من هذا العيب الا اذا منح التعليم الثانوي بعض الاستقلال عن التعليم العالي وعمل على تشكيله بالشكل الذي يتفق مع جميع الأغراض الآجلة التي تقصد منه ، فلا يعد طلبته للالتحاق بمعاهد التعليم العالي فقط ، بل يعدهم كذلك ليكونوا صالحين لمختلف الأعمال اذا اقتصروا على هذا القدر من التعليم ، ولتحقيق هذه الغايات يجب تخليص التربية الثانوية من الصبغة النظرية البحت التي تسود مناهجها وتعديل هذه المناهج تعديلا جوهريا يجعلها وثيقة الصلة بالحياة العملية وشؤونها .

٣ - ضعف المتخرجين في مختلف المدارس المصرية في اللغات الأجنبية ، وهذا يحول بينهم وبين مزاولة الأعمال الحرة ووظائف الشركات التي تتطلب اجادة لغتين أو لغة أجنبية ، وقد رأى :

ا - عدم انقطاع تعليم اللغات بالحصول على شهادة الدراسة الثانوية ، ووجوب امتداده إلى نهاية مرحلة التعليم العالي ، وأن تشمل خطة الدراسة في كل كلية بالجامعة وفي كل مدرسة عالية على عدد كاف من الحصص في اللغات الأجنبية وعلى بعض مواد تدرس باللغات الأجنبية .

ب - حذف اللغات من منهج التعليم الابتدائي وتوزيع حصصها على المواد الأخرى وبخاصة اللغة العربية ، فان ما يتعلمه الطفل من لغات أجنبية في هذا الدور يزاحم المعلومات الأولية التي يتلقاها عن لغة بلاده فيعوق اساغته لقواعدها ويحول دون تشربه لروحها ، ويتطلب منه بذل مجهود جبار لم تقو بعد مواهبه الجسمية

والعقلية على بذل مثله ، فيتعطل نموه الجسمي والفكرى .

ج - منح اللغات الأجنبية فى التعليم الثانوى الزمن الكافى لاجادتها ، فيزاد الوقت المخصص لها زيادة تعوض الغاءها فى التعليم الابتدائى ، ورأى أنه لايصح أن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الأساسية فى جميع المدارس الثانوية ولجميع التلاميذ ، لان فى هذا تحكماً لامبرر له وتضييقا لدائرة الثقافة اللغوية بمصر وايصادا لأبواب طائفة من الأعمال الحرة ومعارضة لحاجات التعليم العالى فان بعض فروعه يتوقف على الفرنسية ويحتاج بعض شعبه الى الالمانية ، واقترح تقسيم الشعب اللغوية فى التعليم الثانوى إلى ثلاثه أقسام ١ - شعبة اللغة الانجليزية،وفيها تكون الانجليزية أساسية والفرنسية أو الالمانية اضافية ٢ - شعبة اللغة الفرنسية ، وفيها تكون الفرنسية أساسية والالمانية أو الانجليزية اضافية ٣ - شعبة اللغة الالمانية ، وفيها تكون الالمانية أساسية والانجليزية أو الفرنسية اضافية .

د - ارجاء تدريس اللغة الاوروبية الثانية الى مابعد السنة الثانية بالمدارس الثانوية، حيث يكون الطالب قد أدرك مقداراً صالحا مستقرا متميزا من اللغة الاولى ينجيه من الحيرة والخلط بين اللغتين ويساعد على قبول الثانية واساغة قواعدها .

٤ - اهمال ناحية المهارة اليدوية فى مدارس التعليم الثانوى ، فنجم عن ذلك كراهة المتخرجين فى المدارس الثانوية للصناعات اليدوية وترفعهم عنها لجهلهم بها ، ولا علاج لهذا النقص الا بادخال طائفة من الصناعات اليدوية فى مناهج الدراسة الثانوية كالطباعة والكتابة على الآلة الكاتبة وتجليد الكتب والتصوير الشمسى والعزف على الآلات الموسيقية والغزل والنسيج ومبادىء النجارة والعمارة والطلاء وصنع الادوات الخزفية والدمى وعمل السلال والكراسى واصلاح الساعات والصناعات الزراعية بمختلف فروعها . . . . وأن يتبع فى تعليم هذه المواد نظام «المجموعات المتجانسة» فيتألف فى كل مدرسة فرق صناعية يتجانس تلاميذ كل منها فى مقدار مهارتهم وصناعتهم بقطع النظر عن سنيهم الدراسية ، ويشجع المتفوقون فى هذا المضمار بشتى وسائل التشجيع ، وألا يجرى امتحان فى هذه المواد بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، وان كان لابد من اجراء امتحانات فيها فلا يصح أن يكون لنتائجها أثر فى انتقال التلاميذ

٥ - عدم السير على نظام « التعليم الاقليمى » فى مرحلة الدراسة الثانوية ، واتباع نظام التجانس العقيم الذى وحد أساليب التربية والتعليم ومناهجها وخططها فى

جميع المدارس الثانوية حتى استحالت صورة متكررة متشابهة وانعدم بذلك الطابع الشخصي الذي ينبغي أن تستطيع به كل مدرسة في حدود بيئتها الخاصة ، ونشأ عن ذلك أن المتخرجين في هذه المدارس قد استحالوا الى نماذج متماثلة لا يصلحون الا لنوع واحد من الأعمال فيضطرون الى التزاحم في حيز ضيق لا يتسع لعشر معشارهم وتحيط بهم ميادين البطالة من جميع الجهات ، ولو اتبع في تربيتهم نظام « التعليم الاقليمي » لخف كثير من حدة تكالبهم على الوظائف الحكومية ، ووجهت أنظارهم الى نواح جديدة للعمل وخلق ميادين واسعة للارتزاق والكسب ، وقويت صلتهم ببيئاتهم ، وتنوعت سبل حياتهم ، وتعددت اتجاهاتهم ، اذ أن المصريين لا يقلون عن غيرهم اختلافا في البيئة ومظاهر النشاط الاقتصادي وحاجاتهم الاساسية ، فبيئاتهم الجغرافية متعددة ، فمن البلاد المصرية ما يتاخم المناطق الحارة ، ومنها ما يقع في المناطق المعتدلة ، ومن المصريين من يقطنون الصحاري ومنهم من يقطنون السواحل ومنهم من يقطنون البطاح ، وبعض بلاد القطر زراعي والبعض صناعي النزعة من قديم والبعض قد أخذ يتجه وجهة صناعية والبعض يسود أهله أنواع أخرى من مظاهر النشاط الاقتصادي كالتجارة والملاحة والصيد . . . . وهذا لا يتلاءم مع توحيد نظام التربية والتعليم في أية مرحلة من مراحله ، فمن الخطل أن تكون مواد الدراسة وخططها في مدرسة ثانوية تكتنفها بيئة زراعية مثلا ويفد تلاميذها من طبقة المشتغلين بالزراعة متحدة في كل شيء مع مواد الدراسة وخططها في مدرسة منشأة في اقليم صناعي أو تجاري ، فلكل اقليم مظاهر نشاط تميزه عن غيره وتقضي على المربين أن يربطوا بها كل مواد تربيتهم وتعليمهم وأن تكون عنايتهم بالأمور المتصلة بها أكثر من عنايتهم بما عداها

٦- تقصير الحكومة والشركات المصرية حيال المتخرجين في المدارس الصناعية والفنية ومدارس التجارة والزراعة ، فهذه المدارس تعد تلاميذها أولا وبالذات لمزاولة الأعمال الحرة ، ومعظم هذه الاعمال لا يتوقف على المجهود الجسمي والعقلي فقط بل يتوقف كذلك على رأس المال ، والمتخرجون في هذه المدارس تعوزهم رؤوس الاموال ، فيجب أن تمد الحكومة والمصارف أفراد هذه الطائفة برؤوس الأموال اللازمة للقيام بمختلف المشروعات الحرة : تجارية أو صناعية أو زراعية ، وان تحمي الحكومة مشروعاتهم الناشئة ضد المنافسات القوية وتقرر إعانة سنوية تكافىء بها بعض مظاهر نشاطهم الانتاجي وتشجعهم

على الاجادة والاستمرار وتسهل لهم تصريف منتجاتهم فى مختلف الاسواق الداخلية والخارجية وتلتزم تفضيلها على غيرها فى كل ماتحتاج اليه مصالحها من مشتريات .

٧ - تساهل الحكومة مع الشركات الأجنبية بصدد الموظفين ، فان معظم هذه الشركات لايوظف الا الاجانب رغبة فى نفع بنى جنسهم من جهة وبحجة ضعف الشبان المصريين فى شؤون الشركات وفى اللغات الاجنبية من جهة أخرى ، ويلجأ بعضها الى توظيف المصريين فى الوظائف الحقيرة التى يستنكف الاجانب عن القيام بها ، ولا علاج لهذه الحالة الشاذة الا اذا نصت الحكومة فى عقود الامتياز التى تمنح من الآن فصاعدا لكل شركة تنشأ على أن يكون معظم موظفيها على الاقل من المصريين ، ومراقبة تنفيذ ذلك ، وأن تعيد الحكومة النظر فى حالة الشركات القديمة من جديد على ضوء ماوصلت اليه البلاد من رقى وحضارة وماوصل اليه المتخرجون فى معاهدها العلمية من بؤس وشقاء .

٨ - شغل وظائف ينبغى وقفها على المتعلمين لاحتياجها الى درجة من الثقافة بأفراد من غير المتعلمين كوظائف عساكر البوليس ، وقد عمل (دولة) على ماهر باشا على علاج هذه الناحية فأعد مشروعا جليلا يقضى بانشاء قسم بمدرسة البوليس لتخريج عساكر البوليس على أن يلتحق به أكبر عدد ممكن من المتعلمين ، ولكن لايزال فى الميدان متسع للاصلاح ولفتح أبواب للمتعلمين المتعطلين لأن الامر ليس مقصورا على عساكر البوليس .

٩ - عدم وجود مكاتب منظمة للتوظيف والتوجيه ، فينبغى انشاء مكاتب للتوظيف فى أشهر مدن القطر ويكون بالقاهرة مكتب رئيسى تمثل فيه مصالح الحكومة ودور التعليم الاميرية والاهلية والاجنبية والشركات وسائر الهيئات الحرة الشهيرة ، وتنشأ مكاتب للتوجيه يعهد اليها بتحديد العمل الذى يصلح للاضطلاع به كل طالب توظف وتوجيهه الى الناحية التى تتلاءم مع تكوينه العلمى وميوله الفطرية والمكتسبة .

ثم تحدث عن البطالة فى الزراعة فقال انه لم تظهر بعد علامة مزعجة من علامات هذا النوع من البطالة ، ولكن اذا لم نأخذ فى أسباب الوقاية من هذا النوع ، فسيكون شر ماتصاب به الحياة الاقتصادية . ورأى أن عوامل هذه البطالة ترجع إلى :

(١) نمو عدد السكان وعدم كفاية الأراضي المنزرعة الآن لتشغيل جميع الأيدى العاملة بالمناطق الزراعية فى المستقبل

ويمكن دفع هذا الخطر باتخاذ الوسائل الآتية :

ا ـ العمل على زيادة القوة الانتاجية للأرض المنزرعة الآن .

ب ـ العمل على زيادة مساحة الأرض الصالحة للزراعة .

جـ ـ العمل على زيادة القوة الانتاجية لساكنى المناطق الزراعية أنفسهم بدون الخروج بهم عن بيئتهم ، أو بعبارة أخرى ، العمل على تزويدهم بما يزيد من قدرتهم على استغلال بيئاتهم ويضاعف من حذقهم ومهارتهم فى تذليل موارد الثروة فى أقاليمهم .

د ـ العمل على تشغيل الزائدين عن حاجة الأرض من سكان المناطق الزراعية فى أمور انتاجية أخرى لاتمت إلى بيئاتهم بصلة .

٢ ـ استخدام الآلات الحديثة فى الزراعة، فان استخدام آلة زراعية فى قطعة ما من الأرض يؤدى الى الاستغناء عن بعض الأعمال اليدوية ، أى توفير بعض الفلاحين الذين يشتغلون فيها ، وليس من الخير العمل على محاربة استخدام الآلات الحديثة لأنه ملائم للرقى الزراعى وعنصر هام من عناصره ، وكل مايمكن عمله فى هذا السبيل هو تشجيع الملكيات الصغيرة بشتى الوسائل المشروعة ، لعدم احتمال ثروة اصحابها المبالغة فى استخدام الآلات الحديثة

وتكلم عن البطالة فى الصناعة ، فقال : كان طبيعيا ، بعد أن خطت مصر هذه الخطوات الحثيثة فى ميدان الصناعة ، أن يهددها الخطر الذى يتهدد عادة كل بلد صناعى ، وهو خطر البطالة ، وقد أخذت بوادر هذا الخطر تظهر فعلا فى السنين الأخيرة ، فاستغنت مصانع عن طائفة من عمالها ، وأنشئت جمعيات لمعاونة المتعطلين وأخذت طوائف العمال المتعطلين تضايق الأغنياء فى منازلهم وعلى أبواب النوادى وقاعات المحاضرات والطرقات العامة .

وترجع أهم عوامل البطالة فى الصناعة الى مايلى :

١ ـ زيادة المنتجات الصناعية عن المطلوب للاسواق ، فينجم عن هذه الزيادة انخفاض الأثمان ، وانخفاض الأثمان ينجم عنه التقليل فى الانتاج ، والتقليل فى الانتاج يستلزم الاستغناء عن اليد العاملة .

وخير وسيلة للوقاية من هذا الخطر أن تخضع مصانع كل فرع من فروع الانتاج لجهة رئيسية تقدر كمية المطلوب للأسواق من هذا الفرع .

٢ - اختراع الآلات الحديثة فى الصناعة أو التحسين فى الآلات القديمة .

وهذا العامل لايمكن الوقوف فى سبيله لأنه ملازم للرقى الصناعى ، ونتيجة لارتقاء الفكر الانسانى

٣ - منافسة الصناعات الأجنبية القوية للصناعات المحلية الناشئة الضعيفة ، وهذه المنافسة تنتهى بانهزام المصانع المحلية

وخير علاج لذلك هو رفع الرسوم الجمركية على المنتجات الأجنبية .

٤ - تشغيل النساء والأطفال فى المصانع ، وهذا يحدث البطالة فى صفوف العمال من الرجال ، ويؤدى إلى أخطار صحية واجتماعية ، وقد وضع المكتب الدولى للعمل الملحق بجامعة الأمم قوانين تقيد تشغيل الأطفال والنساء .

٥ - تشغيل الأجانب .

٦ - كثرة ساعات العمل وهى تستلزم توفير العمال .

واتقاء لهذا يتبع نظام « اليوم الانجليزى فى العمل » ، وهو ألا يشتغل العامل أكثر من ثمانى ساعات فى اليوم ، ونظام « الأسبوع الانجليزى » وهو ألا يشتغل العامل أكثر من خمسة أيام ونصف يوم كل أسبوع .

وقد تحدث عن التعليم الاقليمى - أثناء التكلم عن البطالة فى الزراعة - فأشار بجعله عنصراً أساسياً من عناصر التعليم الالزامى ، بين سكان المناطق الزراعية ، لأن أبناء الفلاحين لا يتجاوزون غالبا هذه المرحلة من التعليم ، فيجب تزويد التلاميذ بمايفقهم على شؤون أقاليمهم الخاصة ، ففى الاقاليم الشهيرة بانتاج الفاكهة مثلا ينبغى أن يؤخذ التلاميذ بطرق استنبات الفاكهة وتحسين درجاتها وتبخيرها والمحافظة عليها عند تصديرها إلى الخارج وعمل المربات والفواكه المسكرة وصناعة استخراج عسل النحل باستعمال المناحل الحديثة وزراعة الزهور ووسائل تقطيرها وصناعة الروائح العطرية . . . . وفى الجهات التى يكثر فيها النخيل كالواحات وجنوب الجيزة يعنى بالصناعات المتعلقة بمنتجات النخيل من تمر وليف وخوص وجريد . . . . . وفى المناطق الشهيرة بزراعة القطن يعنى فيها بتعليم استخراج الزيت وعمل الصابون وغير ذلك علاوة على درس كل ما يتعلق بزراعة القطن وأمراضه ومراتبه . . . . . .

وطالب بالعناية بتلقين تلاميذ كل اقليم المواد التى تتفق مع شؤون الانتاج الخاصة به ، كالماشية والاغنام والطيور والدواجن ودودة القز والكتان والحبوب والخضروات .

وفى الجهات الساحلية يعنى بتدريب التلاميذ على الصناعات المتعلقة بصيد الاسماك وتمليحها وحفظها . . . وزراعة الملح وتعهده وقطعه وتهذيبه ووضعه داخل أكياس .

والجهات الرملية التى يساعد معدن تربتها على صناعة الزجاج والبلاط والاسمنت يدرس التلاميذ كل ما يتعلق بهذه الصناعات وموادها .

والبلاد الرملية التى تصلح لزراعة الأحراش والغابات ، يتلقى التلاميذ كيفية غرسها وتعهدها وطرائق قطعها وتجفيفها ، والصناعات المتصلة بالأخشاب كالكبريت والأثاث والفحم .

وأشار بانشاء مدارس فنية أولية بالأقاليم الزراعية تكون مناهجها مكملة لما يتلقاه تلاميذ المدارس الالزامية من مواد التعليم الاقليمى ، وتتسع مناهج هذه المدارس وتتقدم موادها بتقدم سن الطلاب ، حتى تخرج زراعاً مهرة يعملون بأيديهم فى الحقول ، وصناعاً حاذقين لصناعاتهم يعملون بأيديهم فى المصانع ، ويجب أن يكون منهج هذه المدارس يسيراً بسيطا متصلا أشد الاتصال بحاجات الناس فى حياتهم اليومية ، لا يشعر الطالب فيه أنه شذ عن بيئته أو نقل من بيئة إلى بيئة أرقى منها .

(٣)

ملخص رسالة
الأستاذ حسنى الشنتناوى

مهد لبحثه بتعريف الاقتصاديين للبطالة بأنها « عدم توفر العمل لشخص راغب فيه وقادر عليه فى مهنة تتفق مع استعداده نظرا لحالة السوق » ، وقال انه تعريف حسن ، ولكنه ينطبق على الدول التى اكتملت نموها الصناعى اكثر منه على الدول الناشئة التى اشتركت فى نموها عناصر وبواعث غريبة عنها كمصر ، فعلاج البطالة يجب أن يكون مرنا يتفق مع أحوال البلاد المحلية .

وقد تحدث عن البطالة فى العالم وأورد احصائيات عن العمال العاطلين وملاحظات

مكتب العمل الدولى .

ثم قسم البطالة الى نوعين : (١) البطالة بين عمال الصناعة (٢) البطالة بين العمال غير الصناعين « غير اليدويين » .

وبنى أسباب البطالة بين عمال الصناعة فى مصر على مايلى :

١ - الازمة الاقتصادية .

٢ - تحول كثير من الصناعات اليدوية إلى صناعات ميكانيكية .

٣ - زيادة عدد السكان

٤ - الهجرة من الريف الى المدن

٥ - منافسة الأجانب

٦ - عدم الخبرة الفنية التى تجعل العامل ملمًا مع عصره وتولد عنده مواهب الابتكار والتنقل بين الصناعات .

٧ - تدهور بعض الصناعات القديمة ، مثل صناعة المناديل (الاسطامبولى) وبعض الصناعات الدقيقة القديمة .

٨ - عدم استكمال التشريع الاجتماعى الذى ينظم ساعات العمل وغير ذلك من الوسائل التى توزع العمل على أكبر عدد من العمال .

٩ - انعدام فكرة الادخار لدى العمال المصريين وجهلهم بمعانى التأمين وفوائده

١٠ - وجود أبواب أثرية للارتزاق فى مصر لاتلبث أن تزول من عالم الوجود أو تصادر بقوانين بعدم اعتبارها عملا من الأعمال وذلك مثل مروضى القردة وصبية العوالم وخدام الزار وبعض أتباع المآتم والأفراح وغير ذلك مما يتلاشى مع مر الزمن .

١١ - تدهور بعض العادات والشعائر القديمة مثل أرباب الطرق وأصحاب العهود

١٢ - عدم وجود بورصات منظمة للعمل (مكاتب تخديم)

١٣ - منافسة الحكومة الافراد فى الصناعة ، كما هو الشأن فى مصلحة السجون.

١٤ - عدم وجود نظام خاص للعطاءات الحكوميه يكون من شأنه توفير العمل لأكبر عدد ممكن من العمال فى المصانع الأهلية طول العام .

ثم رأى أن وسائل العلاج ، أهمها ما يأتى :

١ - المشروعات العامة ، وهى أن توجد الحكومة ادارة بهيئة خاصة تشرف على تنفيذ المشروعات العامة كشق الطرق وبيع الفائض من جانبيها للجمهور

بعد تصقيعه ، وغير ذلك من الأعمال التى يستخدم فيها العمال العاطلون القادرون على العمل .

٢ ـ بورصات العمل العامة ، لتسهيل الاتصال بين أرباب العمل والعمال العاطلين وأن تكون تابعة للدولة مباشرة ، وموزعة على الأقاليم ومتصلة بهيئات التأمين الاجتماعى .

٣ ـ التأمين الاجتماعى ضد مرض العامل والاصابات التى يسببها العمل وضد البطالة والشيخوخة وعند الوفاة .

٤ ـ القضاء على المنافسة الحكومية للأفراد والمصانع ، وذلك كمنافسة مصلحة السجون والترسانة الاميرية ومصلحة السكك الحديدية وغيرها ، ويوجد نوع من العمال الأحداث فى الترسانة والعنابر يسمى «بالاشراقات» ويقوم هؤلاء الغلمان فى كثير من الأحايين بعمل الكبار ، وهذا منافسة للعمال أرباب العائلات .

٥ ـ المبادرة الى ايقاف الهجرة من الريف الى المدن وذلك بزيادة المحصولات المربحة التى تتطلب زيادة فى الأيدى العاملة مثل الخضر والفاكهة ، واصلاح الأراضى البور ، وتجفيف بحيرات شمال الدلتا ، وتشجيع الصناعات المحلية بالريف ، وتجميل القرى .

٦ ـ الترفق فى تنفيذ القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٢٣ الخاص بالمتشردين والمشتبه فيهم ، فان الحكم على العامل العاطل الذى يجد فى البحث عن العمل ـ بتهمة التشرد ـ فيه تعقيد لشؤوننا الاجتماعية بدلا من اصلاحها ، وينبغى ايجاد معاهد صناعة تحول العاطلين من صناعتهم العاطلة الى صناعات أخرى رابحة ، وتنظيم الملاجىء .

٧ ـ وهناك وسائل أخرى ، كتحريم أو تحديد هجرة الأجانب ، ونظام توزيع الأراضى ، ونظام العمل الاجبارى ، وتحديد ساعات العمل ، ونظام الاعانات والامدادات العينية (امداد العاطلين بالغذاء) ، وتحريم العمل على النساء .

ثم تساءل : هل فى مصر أزمة للبطالة بين العمال ، وأجاب على هذا بأن الأزمة على وجه عام أدنى الى المتوسط اذا قورنت بالدول الاخرى ، لأن مصر بلاد زراعيه أولا وصناعية ثانيا ، ولكن فى مصر مشكلة لبطالة المتعلمين .

وتحدث عن البطالة بين العمال غير الصناعيين (غير اليدويين) فأورد مقترحات لجنة مكافحة البطالة التى ألفت بقرار من مجلس الوزراء فى فبراير سنة ١٩٣٦ واقتراحات المرحوم احمد عبد الوهاب باشا ، ورأى ان هؤلاء المتعطلين

ينقسمون الى قسمين :

ا ـ الشبان المتعلمين من خريجى المدارس

ب ـ العمال غير الصناعيين وهم أرباب الحرف الحرة مثل الرسامين والموسيقيين والمحاسبين والمعلمين وغيرهم .

وعلل أسباب بطالة خريجى المدارس بما يأتى :

١ ـ الاقبال على التعليم النظرى ، مما جعل عدد الحائزين للشهادات والاجازات العلمية أكثر من حاجة البلاد .

٢ ـ عدم وجود هيئات تتولى توزيع طلاب العلم على فروعه وفقا لحاجات البلاد واستعداد الطلبة أنفسهم .

٣ ـ عدم توفر المرونة فى البرامج مما يسمح للطلاب بالتنقل بين المهن .

٤ ـ المنافسة الأجنبية.

٥ ـ الهجرة .

وأما بطالة العمال غير اليدويين ، فأهم أسبابها :

١ ـ الأزمة العالمية .

٢ ـ الاختراعات الحديثة مثل الراديو والسينما الناطقة والآلات الكاتبة والحاسبة وغيرها .

٣ ـ عدم توفر الجماعات الطائفية ، لتتولى حماية الأفراد والبحث لهم عن العمل عند البطالة .

٤ ـ عدم الأخذ بأنظمة التأمين الاجتماعى .

٥ ـ اشتداد المنافسة بعد زيادة عدد المتخرجين من المعاهد العلمية .

ثم أورد احصاء عن المتعطلين من خريجى المدارس والجامعات والعمال غير اليدويين بمصر ، ووسائل العلاج فى الدول الأجنبية ، والوسائل التى يراها علاجا للبطالة ، وهى :

١ ـ العمل على سن تشريع جديد يحتم نسبة معينة من الموظفين المصريين فى الشركات الأجنبية التى أسست قبل سنة ١٩٢٧

٢ ـ انشاء معاهد جديدة لاتزيد فيها الدراسة عن ستة أشهر لتحويل الشبان العاطلين من عمال غير يدويين إلى عمال يدويين ، وتوزيع الدراسة على الصناعات والفنون

٣ ـ انشاء معاهد لتحويل الشبان من المهن التى تخصصوا لها فى دراستهم إلى مهن أخرى ، لتوزيع الطلب توزيعا حسنا يتفق مع العرض .

٤ ـ العناية باللغات الأجنبية وفن الاختزال واستعمال الآلة الكاتبة ، وجعل اللغة العربية لغة التقاضى والتعامل فى جميع المرافق المصرية .

٥ ـ اصدار بيانات دورية من وزارة التجارة والصناعة عن حالة المهن والفنون والصناعة ، ليسترشد بها الشبان فى اختيار دراستهم .

٦ ـ سن قوانين للمهن تقصر الاشتغال بها على ذوى المؤهلات فيها

٧ ـ الترغيب على العمل فى البلاد الشرقية التى ترتبط حضارتها بمصر .

٨ ـ وضع تشريع للاشراف على فصل المستخدمين وتعطيل العمل أو وقفه بالشركات والمصانع

٩ ـ تأليف هيئة من وزارتى التجارة والصناعة والزراعة وبعض الخبراء لوضع برنامج شامل للصناعات الجديدة .

١٠ ـ تسهيل التسليف الصناعى وعدم قصر الضمان على العقار

١١ ـ تفضيل المصريين على غيرهم فى المناقصات الحكومية ، ولاسيما ما كان متعلقا بالأعمال الداخلية .

١٢ ـ الاهتمام باصلاح الأراضى البور وتوزيعها .

١٣ ـ مراجعة أنظمة التعليم وبرامجه ، ووضعها وضعا اقليميا عمليا .

ويرى أن يكون التعليم الاقليمى متنوع البرامج ، فلكل مديرية حاجات وبيئة خاصة ، ولكل تربة ميزات ومنافع ، فتعنى البرامج فى مدارس الريف بحراثة الأرض والعناية بالبساتين وتربية الدواجن والمواشى وصناعة الالبان والسماد ، وفى المناطق الساحلية يعنى بدراسة حيوان البحار وصناعة السردين . . . الخ

وأن توجه العناية إلى تنسيق القرية وتجميلها وانشاء مكتبة ريفية فى كل قرية تتناسب مع حالتها ، ويقسم القطر الى وحدات ادارية للتعليم تكون كل وحدة تحت اشراف هيئة ملمة بحاجيات المنطقة وطبائع أهلها ومواردها الطبيعية

(٣) م

ملخص رسالة

الأستاذ عبد الحميد يونس

استهل بحثه بأن الأثر الفعال للتطورات الحديثة التى مرت ، ولا تزال تمر ، بمصر نبه الحكومة والمفكرين إلى دراسة هذه التطورات وتوجيه الصالح منها إلى الخير العام ، وان أظهر هذه التطورات ما كان منها متصلا بالمناحى الاجتماعية والاقتصادية بوجه عام ، وبناحية العمل والبطالة بوجه خاص .

ثم أشار إلى أنه اعتمد فى بحثه على الاحصائيات والتقارير الرسمية ودراستها ، مع عدم اغفال المشاهدات الخاصة ؛ واستفاد بقدر معقول من تجاريب الأمم الأخرى .

ثم أورد جدولين أحدهما عن نسبة نمو السكان بمصر مدة عشر سنوات ونسبة النمو فى كثير من دول أوربا ، والثانى عما يخص الكيلو المتر المربع الواحد من عدد السكان فى مصر وفى غيرها ، واستخلص من الجدولين أن عدد السكان فى مصر يتزايد ، وانه يجب التفكير جديا فى احداث التوازن بين تزايد السكان وتزاحمهم وبين تزايد وسائل العمل ، حتى لا تستهدف الجماعة المصرية لخطر البطالة وما يتبعها من تفشى عنصرى الفقر والجريمة ، وخطأ الاقتصاديين الذين يعالجون البطالة الصناعية وحدها ، لأن مصر لاتزال بلدا زراعى الطابع ، ولأن البطالة الزراعية فى ذاتها أهم وأخطر ، ومنشأ البطالة الصناعية نفسها الريف ، وقد دلت الاحصائيات على زيادة سكان الحضر زيادة هائلة بالنسبة لسكان الريف ، وسبب ذلك هجرة السكان من الريف إلى المدن ، وهذه الهجرة تدل على وجود البطالة الزراعية أولا ، والبطالة الصناعية ثانيا ؛ لأن سوق العمل الصناعى لاتهضم الجموع التى يقذف بها الريف إلى المدن .

ثم ذكر أن نسبة الأراضى المنزرعة تقل كثيرا عن نسبة نمو السكان ، ونسبة زيادة الطبقة الزراعية بوجه خاص ، وأورد جدولين عن نسبة زيادة السكان والطبقة الزراعية والمساحات المنزرعة والأراضى البور فى الفترة بين عامى ١٩٠٧ و ١٩٢٧ ؛ أحدهما للوجه البحرى والثانى للوجه القبلى ، وعلل تفوق زيادة السكان على الأراضى الزراعية بالهجرة من الريف ، ورأى أن أول علاج للبطالة الزراعية

أو للهجرة من الريف إلى المدن ، هو العمل على فتح أبواب الرزق للفلاحين فى بيئتهم الزراعية . والاسراع فى اصلاح الاراضى البور بتأمين وصول مياه الرى وتحسين وسائل الصرف ، والانتفاع من تقوية خزان اسوان وتعليته ومد الترع وتدعيم القناطر لتحويل رى الحياض فى الوجه القبلى إلى رى صيفى ، فان هذا أهم منفذ لزيادة السكان المطردة ، ثم اشترط فى توزيع الاراضى البور بعد استصلاحها أن يكون مقصورا على صغار المزارعين أو أصحاب الملكيات الصغيرة على أن يدفعوا ثمنها على آجال طويلة من غير فوائد .

ورأى أن تنشط الحكومة فى تجميل الحياة الريفية والعناية بالقرية المصرية وانشاء القرى النموذجية التى تتنوع فيها وسائل العمل واللهو والتثقيف ، حتى تصبح القرية جذابة لاتدعو الحياة فيها إلى سأم الفلاحين عامة والأغنياء وأشباه المترفين منهم خاصة .

ثم طالب بتحسين الانتاج الزراعى ، والعمل على تنوع المحاصيل ، وترقية نسل الحيوان من الدواجن والمواشى ، وتعليم الفلاحين الوسائل الحديثة فى تربية النحل ودودة القز ، وتخفيف ضرائب الأطيان التى لم تعد تتكافأ وغلة الأرض ، وتمصير البورصة ، وتبسيط الطرائق التجارية كى يستطيع المزارع تصريف محصولاته من غير الوسطاء والسماسرة .

وذكر أن سوق العمل الصناعى بحالته الراهنة ـ مع مافيها من سمات النهوض والحيوية والنشاط ـ لاتهضم الجوع التى يلفظها الريف ، ومع أن بعض الصناعات تنشأ فى المناطق التى تنتج فيها المواد الأولية التى تحتاج اليها ، الا أن الأغلب الأعم فى الصناعات ينشأ فى المدن الكبيرة ، ولما كانت الصناعات المصرية فى جملتها على اتصال وثيق بالزراعة ، فيجب الحد من تركيز الصناعات فى المدن الكبيرة ، والعمل على انشائها فى الأقاليم التى فيها المواد الأولية التى تحتاج اليها ، وليس من الخير ترك الحركة الصناعية تسير على غير هدى ، فالحاجة تقضى بوضع برنامج صناعى معين ، ولمدة معينة ، ثم يعاد النظر على ضوء البحوث والاحصائيات والتجاريب .

وطالب باشتراك الحكومة اشتراكا فعليا فى انشاء صناعات ، على صورة شركات مساهمة ، لأن التوسع الصناعى هو الحل الوحيد لدرء خطر البطالة .

وأشار إلى أن مضاعفة الحكومة نشاطها فى المشروعات العامة ـ كالاكثار من

المدارس والمستشفيات واصلاح الطرق الزراعيةوالبناء وتخطيط المدن وتنظيمها وتحسين وسائل الرى والصرف ـ وسيلة من أنجع الوسائل فى مكافحة البطالة ، فان النشاط فى حركة التعمير يتطلب استخدام الكثيرين فيها ويخلق مجال العمل للألوف ، ويوسع سوق العمل الصناعى بحيث تشمل الزيادة الكبيرة فى عدد السكان ، على أن هذا لايمنع من دراسة سوق العمل والدعوة إلى تنظيمه لأن علاج البطالة ، ليس معناه تهيئة وسائل العمل الجديد لطائفة من السكان إنما يدخل فى معناه المحافظة للذين يعملون على أعمالهم ، وأول مايعنى به فى هذا السبيل «عقد العمل» الذى يقصد به ايجاد علاقة عادلة بين العامل وصاحب العمل تنظم حقوق كل من الطرفين .

ثم تحدث عن صلة الأحداث بسوق العمل ومزاحمتهم الرجال الى حد ما ، وطلب تحديد السن الذى يبدأ فيه الأطفال العمل ، حتى يخف ضغطهم ويفسح المجال لمن هم أكبر منهم وأحق ، وتعطى لهم فرصة النمو البدنى والعقلى ، ويحموا من الارهاق والاستغلال ، وذكر أن ضغط المرأة على سوق العمل لايزال ضعيفا ، ولكن هذا لايمنع من الاحتياط وتوقى مايترتب على تعليم المرأة ومزاحمتها للرجل من النتائج الاقتصادية ، وقال ان هذا يدعو الى البحث فى مسألة « الزواج » لصلتها من بعض نواحيها بموضوع البطالة ، لأن أزمة الزواج تشير الى أن عددا من الفتيات لاتتحقق لهن مهنتهن الطبيعية ، وطالب بأن تعين الحكومة الحد الأعلى للمهور وتحتم الزواج على من يزاولون أعمالا حكومية ، وتفرض ضريبة على الأعزب القادر .

وتحدث عن ساعات العمل وطلب تخفيضها ، حتى يحافظ على حالة العامل النفسية والبدنية وتضعف حدة البطالة ويزيد عدد العمال فى كل صناعة ، كما طلب النص فى التشريع المصرى على الحد الأدنى للأجور وملاحظة طريقة العمل الفنى وغير الفنى ، وكذلك طالب بالاعتراف القانونى للهيئات العمالية ، حتى تنظم النقابات وتستطيع مساعدة الحكومة على القيام بمهمتها فى علاج البطالة ، وأمل أن تشترك مصر فى مكتب العمل الدولى كى تساهم فى الجهود الدولية فى تنظيم المشكلات العمالية وأهمها مشكلة البطالة .

ثم انتقل الى بطالة المتعلمين ، فذكر أن نسبة الزيادة فيها تطرد عاما بعد عام بتغلغل (روح الوظيفة) فى المجتمع المصرى ، ولصوق المتعلم بوظائف الحكومة وهى محدودة ، وزيادة العمل فيها لاتتكافأ مع عدد المتخرجين من المدارس المختلفة

وأشار بحماية سوق العمل عند المتعلمين من المنافسة الخارجية ،بتقييد النازحين الى مصر من الأجانب ،واجبار الشركات الأجنبية الكبرى على استخدام المصريين المتعلمين ، ويمهد لهذا بفرض اللغة العربية فرضا على جميع الشركات وبيوت التجارة والصناعة فى معاملاتها مع الأفراد والهيئات داخل القطر المصرى ، كما فعلت الحكومة التركية بالقانون رقم ٢٠٠٧ لسنة ١٩٣٢ ووجوب قصر بعض المهن على الذين لهم كفايات علمية خاصة تؤهلهم لاحترافها

وتحدث عن نقائص النظام المركزى فى التعليم كالجمود والمحافظة ، مع أن البلاد تمر بتطورات اجتماعية واقتصادية يجب أن يكون لها صدى فى التعليم ، ونتج عن الجمود والمحافظة أن تخلف التعليم عن مسايرة التطورات وأصبح مشكلة من المشاكل بدلا من أن يكون حلا لهذه المشاكل ، ثم طالب بوضع قواعد التعليم ونظمه وبرامجه وفق الدراسات الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ، وأن يشترك فى وضع هذه البرامج الاخصائيون فى العلوم الاقتصادية والاجتماعية .

وانتقد التعليم الألزامى والأولى ، لمساعدته على هجرة الريفيين إلى المدن ، وطالب بأن تكون مدارسه عملية أولية يتعلم فيها الأحداث أوليات الفلاحة والمواسم الزراعية والغرس والحصاد مع العناية بالحالة الأقليمية والتدريب وعدم اغفال أبجدية الصناعة كى تتربى فى الطفل ملكة العمل ، وأن يبث فيه ـ إلى جانب تعليم القراءة والكتابة وبسائط الحساب وقواعد الدين ـ حب الريف المصرى والتعصب له ، وان تكون المدارس جزءا من الحقل .

وتحدث عن نظام الحلقات المتداخلة فى التعليم ، بمعنى أن الصبى الذى يجوز امتحان المدرسة الصناعية الابتدائية له الحق فى دخول المدرسة الصناعية المتوسطة ومنها إلى كلية الهندسة . . . فقال إن تداخل الحلقات يؤدى إلى الهجرة المنظمة ويزيد فى عدد المتعلمين العاطلين ، وطالب أن تتمتع المدارس الفنية والصناعية بشىء من الاستقلال ، وألا يسمح لكل من جاز امتحان هذه المدرسة أو تلك بأن يدخل مدرسة أعلى منها ، وللمحافظة على ظاهرة النبوغ وتنميتها يسمح للأوائل بدخول مدرسة أعلى من مدرستهم بامتحان مسابقة تعقده المدرسة الجديدة .

وحبذ مارأته لجنة تنقيح برامج التعليم الفنى والصناعى من تقرير الخطة الاقليمية فى التعليم الصناعى ومراعاة حاجات كل مديرية أو محافظة أو اقليم .

ورأى أن تقدم المساعدات المالية من السلف وغيرها لخريجى المدارس الزراعية

أسوة بما اتبع مع خريجى المدارس الصناعية - كى يساهموا من جانبهم فى شراء الآلات الزراعية وفلاحة الأرض وفقا للطرائق الحديثة ، وكى يستطيعوا إيجار الأرض والعمل على زيادة خصوبتها وتنوع المحاصيل فيها .

ويجب الاقلال من المدارس الابتدائية والثانوية العادية التى كان الغرض القديم منها تخريج الموظفين ، والاستعاضة عنها بالمدارس الصناعية والتجارية بوجه عام ، والاقتصاد فى استخدام الأجانب الفنيين ، ويكون استخدامهم لتعليم المصريين ، وفى المصانع النموذجية والأهلية فى أول عهدها ، حتى اذا استقامت استغنى عنهم وحل المصريون محلهم .

كما يجب الاقلال من الدراسات النظرية والكلاسيكية فى التعليم العالى ، ففى كلية الهندسة مثلا يجب العناية بالمناحى العملية والتوسع فى الهندسة المعمارية والميكانيكية والكهربائية والكيمياء الصناعية .

ودعا إلى انشاء معهد فى الجامعة المصرية للدراسات الاجتماعية على الأسس العلمية الصحيحة .

وختم رسالته بوجوب تحرر التعلم من المركزيه القديمه وان ينحو منحى اقليميا تراعى فيه حاجات كل اقليم والسير على خطة مستقبلية فى وضع برامجه وجعلها مرنة صالحة للتطور بتطور الأمة .

(٤)

ملخص رسالة

الأستاذ محمد أبو المعاطى عبدالله القديم

تحدث عن البطالة بأنها لازمت العالم منذ فجر النهضة الصناعية ، ولها أثر على أخلاق العاطلين وتكوينهم الجسمانى يدعو إلى انتشار الاجرام وضعف السلامة الاجماعية ، بل لها تأثير غير مباشر على التجارة والصناعة ، وفئة أصحاب العقارات لقلة ريع ممتلكاتهم ، وأورد احصاء عن البطالة بمصر سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٤ ونسبتها إلى بعض الممالك الاوربية .

وقد قسم البطالة إلى ثلاثة أنواع :

ا - بطالة صناعية - (ب) بطالة زراعية - (ج) بطالة المتعلمين .

ورأى أن أسبابها تعود إلى :

زيادة عدد السكان وعدم كفاية الموارد الزراعية ـ التساهل فى تحديد سن الزواج بثماني عشرة سنة ـ اضطرار صاحب الملكية الصغيرة لشراء بذوره لأجل بأبهظ الأثمان وبيع محصوله بأقل الاثمان فيقع فى الدين وتنتهى الحال ببيع أرضه وانقلابه الى أجير ـ احلال الآلات محل العمال ـ كثرة خريجى المدارس الذين لايطمحون إلى أكثر من وظائف الحكومة ـ قلة المشروعات العامة ـ عدم عدالة توزيع الضرائب على السكان جميعاً مصريين وأجانب لوجود الامتيازات الأجنبية ـ المساواة فى نظام الضريبة بين الزارع الكبير والزارع الفقير ـ انخفاض مستوى معيشة السواد الاعظم من الشعب ـ تأثير الازمة العالمية على الاعمال الصناعية والتجارية ـ هبوط أسعار المنتجات الزراعية ـ منافسة القطن الامريكى للقطن المصرى ـ منافسة المدارس الصناعية الحكومية ومصلحة السجون للمصانع الخاصة ـ مزاحمة النساء والغلمان للرجال ـ مهاجرة الاجانب إلى مصر ـ مزاحمة موظفى الحكومية بالعمل فى المحال الصناعية والتجارية فى أوقات فراغهم ـ كثرة الاراضى البور والبرارى ـ اتساع صدر الحكومة لأبناء الوجهاء والكبراء الاثرياء وتعيينهم فى وظائف قد يقل مرتبها عن سد حاجاتهم .

أما العلاج فقد اشار بما يأتى :

رفع سن الزواج وتعيين الحد الأدنى لدخل من يريد الزواج واشتراط تقديم شهادة بصلاحية من يريد الزواج وشهادة بدخله . حتى يمنع أصحاب الدخول الضئيلة من إيجاد نسل لا رأس مال له ولا أمل فى عمل له وغير قوى وسليم .

زيادة عدد الجيش ، فهو ميدان فسيح للشباب العاطل ،وجيوش الامم الاوربية تبلغ فى المتوسط ٢ فى المائة من عدد سكانها

تقييد هجرة الأجانب الذين يزاحمون أبناء البلاد ويختطفون القوت من أفواههم.

تشجيع الهجرة إلى البلاد الاخرى ، وإن الولايات المتحدة تصرح لخمسة عشر مصريا بالنزوح إليها سنويا ، والبلاد الشرقية تطلب عمالا زراعيين .

التفريق بين الزارع الكبير والزارع الصغير فى نظام فرض الضرائب،فان كثيراً من صغار المزارعين باع أرضه سداد للضريبة وأندمج فى سلك العمال .

تنظيم نقابات العمال تنظيما دقيقا لايسمح لها بالاهتمام بغير طبقة الصناع والصناعات ، وإيجاد مراقبة صادقة مخلصة، فقد تنصرف هذه الهيئات فى كثير من الاحايين الى الأمور السياسية والاجتماعية ولاتعمل للغرض الذى أنشئت له وهو خدمة العامل والدفاع عن مصالحه .

انشاء بورصات العمل فى المدن الصناعية الكبرى لاتكون مهمتها مقصورة على مساعدة العمال فى الحصول على عمل بل تكون للحكومة عونا على معرفة حالة البطالة فى البلاد .

تشجيع الحكومة لاتساع نطاق المحصولات الزراعية وتحسين أنواعها فان الاعتماد على القطن فى الثروة الزراعية خطر عظيم وقد نجحت المنافسة ضده إلى حد كبير

انشاء صناعات جديدة وحماية الصناعات القائمة ، فالدولة فى بدء نهضتها الصناعية تحتاج إلى سلاح من الحماية الجركية ، ومامن صناعة نشأت ونجحت فى ظل الحرية ، بل ان مذهب حرية التجارة أصبح مذهبا خياليا وأقلعت عنه كل الدول

منع المدارس الصناعية الحكومية ومصلحة السجون من منافسة المصانع الخاصة

منح البلديات والمجالس المحلية المال اللازم للقيام بالأعمال العامة كالانارة والمياه والمجارى .

فرض وجوب استخدام العمال المصريين والموظفين من حملة الشهادات المصرية بالشركات الأجنبية .

تسهيل عمليات التسليف الصناعى ، وتفضيل الصناعات المصرية فى مصالح الحكومة ، وتجزئة كميات التوريدات حتى يتمكن أصحاب المصانع الصغيرة من التقدم إلى المناقصات .

وضع تشريع بتحديد أجور العمال حتى لايتركوا فريسة فى أيدى أرباب الصناعة والأعمال .

تحديد ساعات العمل وإيجاد يوم للراحة الأسبوعية ، ورفع سن الأحداث عند مباشرة الأعمال إلى ١٥ سنة حتى يستطيع كل منهم تعلم حرفة تنفعه فى رجولته ، ويفسح المجال لأصحاب العائلات .

توسيع اختصاصات البعثات الفنية فى الخارج وإيفاد بعثات للقيام بدراسات طويلة فى مختلف دور الأعمال بأوربا .

انقاص عدد المهن التى يسمح للأجانب بمزاولتها ، واشتراط حصول الأجانب على تذاكر شخصية للاقامة ، حتى يخلو الجو لعدد وفير من العمال الوطنيين .

منع موظفى الحكومة من العمل فى المحال الصناعية أو التجارية فى أوقات فراغهم العناية باصلاح الاراضى البور والبرارى ، وانشاء جمعيات تعاونية لشراء هذه

الأراضى، اما بثمن قليل أوبدون مقابل ، والاتفاق مع بنك التسليف الزراعى لمد الجمعيات بالمال اللازم لاصلاح الارض واستغلالها ، ووضع نظام لرهن هذه الأراضى ضماناً لوفاء قروض البنك ويكون له الاشراف الفعلى على الطرق التى تتبعها الجمعيات فى تقسيم الاراضى .

تسهيل المواصلات للجهات المتطرفة وتنظيم طرق الرى بحفر الترع والمصارف ومنح امتيازات خاصة لهذه الأراضى كصرف البذور حتى تستطيع الجمعيات تحقيق أغراضها ، ولعل فى نجاح شركتى كوم أمبو وأبى قير أكبر برهان على تحقيق هذه الفكرة ، وان ما تنفقه الحكومة فى هذا السبيل يساعد على تخفيف حدة البطالة ويعمل على وقف الهجرة من الريف ، ويزيد دخل الحكومة من ضرائب الأراضى الجديدة .

تشجيع الحكومة لانشاء الجمعيات التعاونية بمختلف أنواعها ، والعمل على انشاء بنك تعاونى مركزى تساهم فيه الحكومة دون أن تتناول ربحاً أو تقرضه بدون فائدة لأجل غير مسمى ، فان تحسين الحالة الاقتصادية للمزارع الصغير بواسطة جمعياته التعاونية يمكنه من استخدام عدد أكبر من الأيدى العاملة ، وان الحركة التعاونية قد عملت كثيراً ، ولا تزال تعمل ، على احياء بعض الصناعات القديمة فى الأرياف كعمل الأقمشة الصوفية التى تنسج بالنول اليدوى .

تكوين النقابات الزراعية التى تضم شمل العمال الزراعيين ، وتعمل على عدم منافسة النساء لهم بسبب انخفاض أجورهن ، وفى هذا رفع لمستوى الصحة والاخلاق .

معاقبة المالك الذى يهمل استثمار كل القوى الانتاجية فى أراضيه ، بفرض ضرائب أعلى على الاراضى المهملة والقليلة الانتاج

تشجيع زراعة الخضروات والزهور والعمل على تصديرها إلى البلاد الأوربية .

العناية بزراعة الأشجار على طول الأرض الزراعية حتى تحمى من الرمال التى تزحف عليها من الصحراء فتتلف محصولاتها وتضعف تربتها .

تحريم إسناد أية وظيفة ذات مرتب بمصالح الحكومة أو المصالح الأهلية الخاضعة للحكومة لأحد أرباب المعاشات .

الكف عن ندب الموظفين لأعمال ذات مرتبات بجانب عملهم الرسمى .

وضع سياسة جديدة للتعليم يكون الغرض منها تخريج رجال عمليين ذوى عزيمة واقدام يمكنهم الدخول فى ميدان العمل الحر مزودين بكل سلاح لازم

للمزاحمة فى الحياة .

توجيه تلاميذ التعليم الصناعى إلى حرف تتفق مع استعدادهم الجسمى والعقلى ، لا بناء على رغبتهم ، فتتولى لجنة فنية خاصة فرزهم وتخصيصهم لما يناسبهم . وتعديل سنى الدراسة بالزيادة أو النقصان تبعا لمقتضيات الصناعات المختلفة .

العناية بالتعليم التجارى وجعله متمشيا مع الحاجات التجارية ، واتصال ادارة هذا التعليم بالهيئات التجارية والاستعانة بآرائها فى وضع برامج التعليم .

قصر الوظائف بقدر الامكان على من انعدمت لديهم الوسيلة من الشبان المتعلمين ومن ليس عندهم مال يساعدهم على مزاولة العمل الحر ، وتخفيف ضغط مزاحمة أبناء الأثرياء فى الوظائف وتوجيهم إلى المشروعات الاقتصادية التى يمكنهم استثمار أموالهم فيها .

اجبار الشركات على استعمال لغة البلاد فى المعاملات التجارية .

انشاء مكتب بوزارة المعارف لجمع الاحصائيات عن عدد المتخرجين فى كل نوع من أنواع الدراسات وعدد الوظائف الخالية بالمصالح الحكومية والحرة ، حتى يساعد على تنسيق التوزيع بين مختلف الدراسات بما يتفق مع عرض العمل وطلبه

وتحدث عن التعليم الاقليمى فأشار بأن تكون برامج هذا التعليم محببة الأعمال اليدوية والحياة الريفية للنشء ومحتوية على مواد رئيسية وأخرى فرعية حتى يسهل التحويل إذا زادت الأيدى العاملة فى مهنة عن الحاجة اليها ، وأن تتفق هذه البرامج مع بيئة وطبيعة كل منطقة من القطر ، وضرب مثلا باسوان التى تعد عاصمة الجرانيت فى العالم ويمكن استخدام ٣٠٠٠ عامل للقطع فقط وعدد كبير من العمال فى صقل الجرانيت والحفر والزخرفة وعمل التماثيل .

(٤) م

ملخص رسالة

الدكتور أحمد سويلم العمرى

مهد لبحثه بالتحدث عن البطالة فى اوروبا ، وبعد أن ألم بشؤونها تحدث عن مصر ، ومن رأيه ان البطالة فيها محصورة فى دائرة محدودة ، لقلة ذيوع الصناعات بالبلاد وطبيعتها الزراعية ، والبطالة الزراعية هى أهون أنواع البطالة ، ولكن الذى يلفت النظر انما هو بطالة الشبان المتعلمين . وأسباب البطالة :

فقر السواد الأعظم من الأمة وانحطاط مستوى معيشته ـ زيادة عدد السكان بينما الأراضى الزراعية ، التى هى عماد البلاد ، لم تزد الا قليلا ، وعدم تناسب الثروة لزيادة السكان ـ هبوط دخل الفلاح وكساد الأعمال وانحطاط الأسعار بفعل الأزمة العالمية ـ عدم ملاءمة ثقافة المتخرجين فى المدارس وما تتطلبه الأعمال التجارية والصناعية ـ عدم العناية باللغات السائدة فى عالم التجارة والصناعة ـ قصر جهود المتعلمين على طلب الوظائف الحكومية

أما العلاج ، فأهمه :

رفع مستوى الفلاح الذى يمثل السواد الأعظم من السكان ، وتيسير سبل الحصول على مايعوزه من حاجياته الضرورية ـ الاسراع فى اصلاح الأراضى البور ـ توجيه الجهود الى النهوض بالصناعة والتجارة ـ انشاء مكتب للاهتمام بشؤون المتعلمين المتعطلين وارشاد أولياء أمور الطلبة الى المدارس العالية التى يقل ازدحام حملة شهاداتها ـ تخفيض سن التقاعد الى ٥٥ سنة وعدم استخدام من بلغ هذا السن من الموظفين ـ تحريم اسناد أعمال أو وظائف اضافية للموظفين ـ تحريم التدريس الخاص على أساتذة المدارس ـ وضع تشريع يحتم على الشركات والمصارف شغل وظائف بنسبة مرتفعة من المصريين ـ تحريم هجرة الأجانب الى مصر ـ الاشراف على أعمال البناء والمقاولات وضرورة حيازة المشرفين عليها لشهادات فنية ـ النصح لأصحاب رؤوس الأموال والضياع من المصريين بتفضيل استخدام حملة الاجازات العلمية على غيرهم ـ تعميم انشاء المصنوعات الوطنية واتباعها لوزارة التجارة ومدها بالآلات الحديثة وتدريب من أتم تعليمه الابتدائى وكذلك الشبان المتعلمين المتعطلين فيها للالمام بصناعات ـ التشدد فى الامتحانات والاقلال من الملاحق وفصل من يرسب مرات متوالية ـ العناية بتثقيف الشبان ثقافة عملية للالمام بالتطور الصناعى والتجارى والزراعى ـ تعميم المدارس الثانوية الفنية التى تعد الطالب للحياة العملية فى الزراعة أو الصناعة ـ العناية باللغات الأجنبية لاسيما الفرنسية ـ تنظيم محاضرات ليلية فى اللغات الأجنبية والصناعة والتجارة ـ تعميم التسليف الصناعى بربح زهيد ـ تشجيع خريجى المدارس الزراعية على الحياة بالريف باصلاح الأراضى البور وبيعها لهم بأقساط على آجال طويلة مع عدم أخذ الاقساط فى الثلاث السنوات الأولى وتمهيد سبل الحصول على البذور والأسمدة والآلات والمواشى ـ إنشاء صندوق تعاون للشبان المتعطلين ـ منح اعانات شهرية للشبان المثقفين المتعطلين وتدريبهم على العمل انتظارا لخلو محل يليق

بمؤهلاتهم فى المصالح الحكومية أو الشركات أو الدوئر الصناعية والتجارية - منح مكافآت للشبان المتعلمين المتعطلين الذين يظهرون استعدادا للبحث ويقدمون ثمرة جهودهم من مؤلفات - تذليل العقبات فى سبيل المهاجرة الى السودان

(٥)

ملخص رسالة

الأستاذ مصطفى فهمى

بدأ بحثه بالمقارنة بين مشكلة البطالة فى مصر ومشكلتها فى أوربا وأمريكا. ثم ذكر أن مصر لازالت تجتاز دور الصناعة ، بينما الأمم الأخرى قد وصلت إلى الدور الصناعى ، ومن العسير معالجة مشكلة البطالة بمصر على ضوء الحلول التى اتخذها الغرب فانها لاتؤدى إلى نتيجة عملية ، ويجب مراعاة الاعتبارات القومية والمحلية. أما البطالة بين العمال فى مصر فمحدودة لأن طبقات العمال لم تتكون بعد بالمعنى المفهوم ، والنشاط الصناعى قاصر على مصانع ومعامل محدود عددها وعمالها .

وفى عام ١٩٢٧ قامت بمصر حركة قوية لتشجيع الصناعة فنالت الاعجاب والتقدير ، واتجهت الأذهان إلى التفكير فى مستقبل مصر الصناعى ، ولكن لم تلبث هذه الحركة - لأنها لم تخرج بعد عن دائرة التفكير - أن اتجهت إلى ميدان التجارة ، وكانت هذه الناحية قاصرة على طبقة لامال لديهم ولاعلم ، لأن الرأسماليين لم يتقدموا إلى هذا الميدان لعدم درايتهم به ، فانتهز الأجانب فرصة خلو الميدان من أكفاء المصريين وتقدموا برؤوس أموالهم وسيطروا عليه ونالوا الثقة المصريين الذين لم يلبثوا أن انتبهوا من غفلتهم وتقدموا إلى هذا الميدان وشجعتهم الحكومة من ناحيتها وعدلت التعريفة الجركية لحماية الصناعات القومية الناشئة .

ثم ذكر أن الذين تخرجوا فى المدارس الفنية والصناعية فى منأى عن شبح البطالة بفضل السلفيات الصناعية التى تقدم لهم كرؤوس أموال .

أما البطالة الزراعية فضئيلة ، لأن سكان الريف يجدون من الأعمال ما يملأ فراغهم ويكفيهم ، ولكن الذين ينزحون منهم إلى المدن هم أكبر عامل على نشر البطالة ، فيجب تحديد هجرتهم وتنظيمها .

وتحدث عن البطالة بين المتعلمين ، فقال انها ملموسة وفى حاجة إلى التأمل والتفكير ، وهى ليست معقدة ولكنها عرضة للتفاقم فى المستقبل ، فيجب تتبع

تطورها واتجاهها ليمكن اتخاذ التدابير الكافية لمكافحتها مستقبلا . ويرى أنها لا ترجع إلى كثرة عدد المتخرجين فى المدارس ؛ فنسبة التعليم فى مصر ضئيلة جدا ، ولكنها تعود إلى أن الطالب يتلقى علومه لأجل الوظيفة لا لكى يجابه الحياة العملية ؛ وأشار بأن واجب الحكومة بحث حالة كل متعلم وفحص ظروفه وتقديم كل المساعدات له ووضع التشريع اللازم لاستخدام المتعلمين فى دوائر الأعمال الحرة وتعديل القواعد المالية فى استخدام المتعلمين وترقيتهم ؛ والعمل على التخلص من العناصر السلبية التى تزدحم بها الدواوين رغم ما بها من نقائص صحية وذهنية وعلمية .

وتكلم عن التعليم الاقليمى . فقال ان ازدحام القاهرة وحدها بمعاهد التعليم جعل أكثر الأسر الراغبة فى تعليم أبنائها تنزح إلى القاهرة فتترك الزراعه ، ويؤثر أبناؤها البقاء فى القاهرة متعطلين ؛ وعلاج هذه الحالة هو نشر التعليم الاقليمى وفتح المدارس فى صميم الريف بما يناسب كل بيئة ؛ حتى يوجد التوازن ويخف الضغط عن معاهد القاهرة ويرفع المستوى الفكرى والاجتماعى فى الريف ، ويشجع النشاط الاقتصادى فى جميع البيئات المصرية وفق استعدادها وطبيعتها .

وختم بحثه بنظرة عامة فى مشكلة البطالة بين الحاضر والمستقبل ؛ وقال ان مشكلة البطالة فى مصر تسودها صفة البساطة ؛ لأن البلاد مطبوعة بالطابع الزراعى ، والزراعة لا تزال تمد السكان بحاجاتهم الاقتصادية ، ولكن إذا زادت تكاليف الانتاج عن الريع حيث يتحكم قانون تناقص الغلة فان الزراعة لا تقوم بحاجة السكان ؛ أما الصناعة فيمكن أن تنمو ويتسع مجال الانتاج أمامها كلما تقدمت المخترعات وتحسنت الآلات ، والانتقال من دور الزراعة إلى دور الصناعة يتأتى من ازدحام السكان إلى درجة تعجز عندها الأرض عن انتاج كفايتهم ، وان أمام البلاد مشروعات اقتصادية هامة يجب أن تتوفر على استغلالها وتنفيذها ، مثل مشروع منخفض القطارة بصحراء ليبيا لتوليد الكهرباء لانارة الوجه البحرى، ومشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان واستقلال تياره الكهربائى فى صنع السماد ؛ ومشروع تنظيم مصائد الاسماك على شواطىء البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والبحيرات الداخلية ، واستخراج المعادن ، واستغلال جيولوجية مصر ؛ فلو وجهت العناية إلى دراسة هذه المشروعات دراسة منظمة لساعدت على كشف ثروة طبيعية هائلة ؛ وفتحت أبواب العمل والرزق أمام المتعطلين من

العمال والمتعلمين . وذكر أن موقع مصر الجغرافى لم يستغل من الناحية التجارية ، فأمامها ثلاثة منافذ تجارية دولية على جانب كبير من الأهمية ، ولكنها اقتصرت على استغلال منفذ واحد وهو التعامل مع أوربا وأهملت الجنوبى وهو التعامل مع السودان وكذلك الشرق الخاص بأقطار الشرق العربى ، فيجب أن تنظم تجارتها الدولية فى هاتين الناحيتين ، ومصر تتمتع بمركز أدبى رفيع ومكانة اجتماعية ممتازة وثقة اقتصادية وطيدة .

(٥)

الموضوع الخامس

التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الأمة

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

أتشرف بأن أرفع لدولتكم تقرير اللجنة المؤلفة من الأساتذة الدكتور طه بك حسين وأحمد أمين وابراهيم عبد الهادى وأحمد حسن الزيات ومنى عن المباراة الأدبية فى الموضوع الخامس : التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الامة .

تقدم للجنة خمسة وأربعون بحثا ، وعقدنا جلستين بعد قراءة كل عضو الموضوعات كلها وتكوين رأى فيها ، ووصلت فى بحثها وتبادل الرأى فيها وفى قيمتها الى الاجماع على أن أحدا من الباحثين لم يصل الى درجة الكمال أو مايقرب منها ولم يستوف الكلام فى الموضوع من جميع نواحيه فى شكل يبعث على الطمأنينة والارتياح . ومن أجل هذا رأت اللجنة ألا ينال أحد الجائزة الأولى ولا الثانية .

كما رأت أن أربعة من المتقدمين تقاربوا فيما بينهم، ولكل منهم جهات نقص وجهات اجادة ، وأن كلا منهم يصح أن ينال الجائزة الأخيرة .

فهى لذلك تقترح أن تضم الجائزة الثانية الى الثالثة والرابعة وتوزع بينهم بالتساوى ، وهؤلاء الأربعة هم :

١ - محمود مسعود أفندى

٢ - محمد جلال أفندى

٣ - محمد عبد البارى أفندى

٤ - الآنسة ايريس حبيب المصرى

واللجنة اذ تقرر هذا تشعر مع الأسف أنهم لم يحققوا أمنيتها كاملة، وأنهم في بعض بحثهم اتجهوا اتجاها لا تقرهم اللجنة عليه كما ترى أن بعض الذين تقدموا قد قربوا من هؤلاء الأربعة وان لم يبلغوا مبلغهم.

ونحن مغتبطون حقا بالمساهمة فى هذا العمل الأدبى، فقد أتاح لنا فرصة سعيدة للاطلاع على ناحية من نواحى الثقافة العامة فى الأمة.

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الشكر وجزيل الاحترام

٢٤ ابريل سنة ١٩٣٦ رئيس اللجنة

(محمود فهمى النقراشى)

(١)

رسالة الأستاذ محمود مسعود

لاشك أن من بواعث الغبطة النفسية أن يوفق المرء فى شق سبيله فى الحياة مسدد الخطو بالغا ما ينشد من أهداف وآمال. وأبعث من هذا على الغبطة أن يقرن الانسان إلى سعيه لبناء مجد نفسه سعيا آخر حثيثا يساهم به فى تشييد صروح هذا الوطن الذى أنجبه وحباه من النعم ما يقتضيه الوفاء له أن يرد الجميل مضاعفا مهما عزت التضحية وغلا البذل. ولا غرو أن تكون هذه الرسالة المزدوجة غاية الحياة تقصر دونها كل غاية، وتقاس بها أقدار الناس وآثارهم فيما يشرعون من أعمال.

فاذا استرحنا إلى تقرير هذه النتيجة فانه يتعين علينا أن نتخذها قاعدة للبحث تتفرع عليها سائر المسائل وتتشعب عنها شتى الأغراض. ولن يصيب الباحث حقا ما ينشد من عوامل الاصلاح حتى يرجع ببحثه إلى تلك الخلية التى يتكون من مجموعها جسم الأمة ويرصد لها جماع ما يملك من عزم وتفكير: هذه الخلية الغنية

بمقومات الحياة والمفعمة بشتى الغرائز والملكات فى حالة أولية قابلة للتكييف والتشكيل هى (الطفل) الذى تناط به الآمال ، وعليه وحده ،إذا أحسن توجيهه، يقع العبء فى تسلم مقاليد الحياة،يصرف أمرها بحساب ويسير بسفينها إلى بر السلامة والنجاة .

هذه الخلية التى أسلفنا غضة شديدة الحس تتأثر أبلغ التأثر بعوامل البيئة التى تترعرع فى أكنافها وتستخلص فى سرعة ويسر ما يطبع محيطها من أسباب الخير والشر جميعا . وهى ان استمرأت مرعى بعينه ودرجت فى مرابعه سرت فى أنسجتها مادته مسرى الدماء فى العروق ،فيجب اذن،لكى نوفر لها أسباب الحياة الصالحة، أن نهيء،هذا المحيط التهيئة الواجبة وأن نمده بكل مايعين على تفتحها وازدهارها .

البيت هو التربة التى تزكو فيها هذه الخلية وتستمد منها ملاك حياتها ، والأم هى البستانى الذى يتعهدها بضروب الرعاية حتى تستوى على عودها وتتفتح أكمامها، فان استقرت هذه الحقيقة فى أذهاننا فيجب أن نحوط هذا الحرم المقدس بكل ما يتسع له الذرع من أسباب الاصلاح وأن ندرأ عنه ما يهدده من شوائب الفساد .

ليت الأم المصرية تدرك عن جد واخلاص أن فى عنقها لهذا البلد دينا لافكاك لها من أدائه ، وأن على هذا الأداء يتوقف خلاص هذا البلد العانى من أسباب التعثر والخمول . لا بل لقد آن الاوان لكى نفرغ فى أذهان نسائنا هذه الحقيقة وأن نستنجزهن مقتضياتهامهما لقينا فى هذا الصدد من الحرج والاعنات . نعم يجب أن تدرك المرأة أن مهمتها الحقة ليست فى توفير اسباب السعادة لافراد بيتها، وانما السعادة كل السعادة،والنعيم أبلغ النعيم هو فى تربية الأبناء تربية حقة واعدادهم للحياة مزودين بكل مايفتقرون اليه من أسباب الكفاح .

قد ينبغى للمرأة المصرية أن ترفع عقيرتها مطالبة مساواتها بالرجل فيما يمارس من الحقوق العامة وما يضطلع به من الشؤون والتكاليف . لكننا نخلق بها قبل أن تشرع فى هذه الطفرة أن ترسم لنا برنامجا مفصلا تبين فيه ، بحكم اختصاصها ، كيف تعد الأبناء اعدادا صحيحا صالحا يتمشى مع مقتضيات العصر وروح الزمن، وكيف (تمون) البلد بالشباب الكامل الذى يعرف كيف يصمد للحياة ويشق طريقه فى غمارها معتمدا على نفسه ومستمدا من عناصر خلقه مايعصمه من التعثر فى مفاوزها ـ وبالوطنى الصميم الذى يدرك حق الادراك أن لوطنه عليه واجبا فى أدائه عزه

ورفعته وفى النكول عنه ذله وحطته. فان فعلت ، وهو أدنى إلى التمشى مع سنن الطبيعة وأوثق اتصالا بظروفنا ، فانها تسدى الى الأبناء والوطن يدا تسجل فى تاريخ نهضتنا بما هى أهله، وتمهد السبيل للقضاء على مايشوب نظام التربية البيتية من فوضى معيبة ونقص كبير .

لسنا نزعم أننا أعرق من ألمانيا فى الحضارة العصرية ولا أشد أخذا منها بأساليب التقدم والعمران، وهاهم الألمان مع ذلك قد حتموا على المرأة الرجوع إلى نواميس الطبيعة، فحرموا عليها ولاية المناصب ، والتصدى للشؤون العامة الا مااتصل منها بطبيعة أنوثتها ، وفرضوا عليها قبل كل شىء أن توفر جهودها على الدائرة المنزلية ، فى محيطها تتبدى عبقريتها ، وعلى قدر ماتبذل من العزم الصادق فى تربية الأبناء يعمر البيت ويسعد الوطن .

ولننتقل الآن من التعميم إلى التخصيص ، ولنبدأ بهذا الطفل أو (الخلية) كما قدمنا ، نحاول أن نرقى به فى مدارج النمو والاكتمال ، والواقع أنها مهمة شاقة طويلة تحتاج إلى ذخيرة وافرة من الصبر وعدم الكلال ، لكن الارادة المشمرة وتوقع الظفر بالغاية كفيلان بتهوين المشقة وشحذ العزيمة ، ولاشك أن الدور الأول من هذه المرحلة يقع على عاتق المرأة وحدها ، فهى التى تقوم بالاشراف المباشر على نمو الطفل الجسمانى وملاحظته بالرعاية المطردة حتى يستقيم عوده ويستوى غلاما قوى البنية سليم الاعضاء . اننى أناشد الأمهات من أعماق قلبى أن يركزن جهودهن فى هذه المرحلة الانشائية ويبذلن فى سبيل اتمامها بنجاح فضل ما أوتين من صدق واخلاص . ان الجسم الصحيح وحده هو الذى تثمر فيه التربية التى ننشدها ، ويستطيع أن يقوى على مغالبة الحياة وخدمة وطنه الخدمة المنشودة ، فأما الهيكل المحطم والبنية المتداعية فان مابها من ضعف وانحلال لايكاد يذر فيها من الهمة والتماسك مايدفعها إلى التطلع حتى إلى الحياة . . . .

فلنعن اذن بنظام التغذية والنظافة ، ولنمكن أطفالنا من الرياضة الخلوية فى الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس الساطعة ، فان مايكسبه الجسم الغض من هذه العناصر مجتمعة يغدو قوة كامنة تزود الجسم دواما بأسباب الحياة .

ولا يتبادر إلى الذهن أن ضعف الأسباب فى الأوساط الفقيرة يحول دون بلوغ هذه الغاية، فان ضيق ذات اليد لايعوقنا بقدر ماتعوقنا قلة الارشاد والافتقار إلى أسباب التوجيه الصحيح ، نعم ينبغى أن نوجه عناية فائقة إلى تنوير الأم

الفقيرة وافهامها أن واجبات البر بالطفل وعاطفة الأمومة الصحيحة نحوه تحتم عليها ألا تدخر وسعا فى العناية الصحيحة به لاسيما فى المراحل الأولى من نموه ، وانه لايمكن أن يستوى رجلا قادرا على الاعتماد على نفسه والانفاق على شخصه وذويه إلا اذا خلا جسمه من شوائب الضعف والامراض . . . . ومن لهذه المهمة التوجيهية غير (الجمعيات النسائية) وأفرادها أخلق الناس برعاية هذا الواجب الانسانى الوطنى وأصلحهم قياما به على خير الوجوه . . . . . لتكن هذه الرسالة ياسيداتى فى طليعة المسائل التى تعالجنها فى جماعاتكن المختلفة ، فان مافيها من الايثار لهذه الطبقات المغمورة بالمعاونة الصحيحة والارشاد المنتج ، وما سوف يتولد عنها من الآثار البالغة فى كيان الامة التى تستمد حياتها من حياتهم وقوتها من مفتول سواعدهم وشديد بأسهم ، لهو حجر الاساس الذى تقمن عليه نهضتكن المدعمة شامخة البنيان لايتطرق اليها فساد .

وليس يسع الباحث فى هذا الصدد أن يغفل ما (لمراكز رعاية الطفل) من بالغ الأثر فى هذا التوجيه فانها فى الواقع الشطر العملى والتطبيقى المكمل لهذا الارشاد الذى ندعو اليه . والحق أن انبعاث الامهات اللاتى يترددن على هذه المراكز إلى احتذاء الأساليب التى يلقنها فى تربية الأبناء وتطبيقها بشغف ونجاح مما نشاهد أثره فى هذه المباريات التى تعقد لانتقاء أصح الاطفال والتى تسفر عن نتائج طيبة تدعو إلى الرضا والارتياح ، لايجعلنا نتردد فى القول بأن تعميم هذا النظام ورصد الجهود المضاعفة لبث المبادىء القويمة التى يتضمنها بين الطبقات الفقيرة لهو العمل الانشائى العمرانى الذى تقتضينا الوطنية الحقة أن ننهض به فى غير هوادة ولا احجام .

ما أجمل أن نرى الطفل وقد نما جسمه واتسق بناؤه يتواثب من حولنا فى صحة ونشاط حتى ليكاد، لفرط مايترقرق فى اهابه من الحيوية ، أن يفيض منها على مايحوطه من الناس والأشياء . . . . ان قطع هذه المرحلة الأولية الأساسية بنجاح يغرينا من غير شك على مواجهة المرحلة التالية ـ مرحلة الانشاء الخلقى والعقلى ـ ونحن أشد ثقة بالفوز والتوفيق . وسوف يشد من عزمنا أن هذا الطفل الغض هو كتلة مرنة قابلة للتكييف، كما قدمنا فى صدر هذا الكلام ، لن تحتاج منا إلا إلى مرونة مثلها فى معرفة أى المداخل أحب إلى نفسه وأقرب تأثيرا فى ادراكه المتفتح الوئيد ، وعلينا ألا نعتسف التلقين اعتسافا أو نكرهه اكراها على ماروم ،

فان الطفل على فرط لدونته ينطوي على عناد غريزى قد ينقلب ، مع محاولة الاكراه ، إلى التمادى فى المخالفة والولوع بالتمرد والعصيان ، وانما ينبغى أن نرسله على سجيته يمرح ويلعب وأن نتحين الفرص المناسبة للولوج إلى نفسه بما نريد .

على أن ثمة حقيقة جوهرية لاينبغى أن تعزب عن البال ، ذلك أن فى مقدمة غرائز الطفل فى طور التفتح غريزة التقليد أو المحاكاة ، وولوع الأطفال بتقليد ذويهم فيما يصدر عنهم من الأفعال والأقوال أمر مقرر لايدع لنا ذرة من الشك فى أن من أوجب الواجبات علينا نحو هذا النشء المتطلع الينا فى كل شىء أن نرسم له من أقوالنا وأفعالنا أحسن صورة تنطبع فى ذهنه وتخالط تفكيره فى المستقبل القريب ، وأن نقتنص هذه المنحة التى وهبتها الطبيعة هؤلاء الصغار فى صوغهم بمقتضاها على النحو الذى نشاء . وليفهم الآباء والأمهات أن ضرب الأمثال السيئة للصغار والترخص أمامهم فيما لايستحب ولايستباح اتيانه على مرأى من أعينهم جدير بأن يشيع فى نفوسهم مبادىء التحلل الخلقى والاستهانة بالفضائل والآداب . وكم يأسف المرء حين يقرر أن هذا المبدأ الهدام ، مبدأ الترخص الخلقى والقدوة السيئة ، فاش فشوا مؤلما فى كثير من أوساطنا التى يصطلح على نعتها بالرقى والأخذ بأسباب التجديد . انى أتهم الآباء والأمهات الذين يسلكون هذا المسلك بتحريض أبنائهم عن طواعية وتدبر للتحرر من واجبات التحصن الخلقى واحتذاء مثالهم فى أنفسهم وأولادهم من بعد ، واشاعة الفوضى الخلقية فى المجتمع المصرى . . . . ان مساك الاصلاح الاجتماعى وقوام النهضة الوطنية هو الخلق الفاضل والمبدأ القويم ، فلنتكاتف جميعاً على العمل بحزم وعزم لاحاطة خلائفنا بسياج من الاخلاق القوية المهذبة ، ولنبدأ بأنفسنا ، فانما نحن قبلة تتجه اليها أبصار صغارنا تستلهم منها الوحى وتنشد لديها القدوة .

على أنه يخلق بنا ونحن فى طور التربية الخلقية أن نعرض إلى موضوع وثيق الصلة بهذا الصدد ، فان ما نلمسه فى الدين ، فوق التهذيب الروحى ، من دعوة إلى التخلق بالخلال الحميدة ، ومايبسطه لنا الدين من القوانين الخلقية التى تقرب بين الانسان وخالقه وتربطه بأنداده فى المجتمع برابطة وثيقة لاانفصام لها مااستمسك الانسان بأسبابها ـ كل أولئك جدير بأن يفتح أعيننا على ناحية ما كنا لنتجاهلها لوقام فينا من يحض عليها ويجمع القلوب حولها . لاتقولوا هذا رجعى من أنصار القديم يبغى تخذيلنا عن مماشاة الحضارة ومسايرة الزمن . . . . فان الدين أساس الفضائل

وتاج الأخلاق القويمة فوق أنه منظم لشعائر العبادة . ولئن كانت الحضارة هى أداة السعادة المادية فان الدين هو قوام الحياة الروحية ، وحضارة بغير دين هى بلا ريب جسم من غير روح . فان أذكركم بهذا العامل الجوهرى من عوامل التربية الخلقية، فانما أدلكم على مغنم كبير هو فى الواقع مصدر لكثير من الخير ودعامة من أمتن دعائم العمران .

وخليق بنا – وقد استوى الطفل صبيا سليم البنية وأخذنا بالتدريج فى غرس مبادىء الخلق القويم فى نفسه على نحو ماقدمنا – خليق بنا أن نقرن إلى هذه الخطوة خطوة أخرى تلازمها وتسايرها : أعنى تنمية القوى العقلية وموالاتها بأسباب الرعاية حتى نصوغ منها عقلا مفكراً وذهنا متوقداً . ان الطبيعة قد حبتنا فى غريزة (حب الاستطلاع) مفتاحاً ننفذ به إلى دخائل هذه القوى الكامنة لقدحها وإنمائها واستغلالها . ان الطفل أبدا مشوق للاستطلاع والتنقيب : تراه يدس أنفه فى كل ما يقع تحت يده ارواء لهذه الغريزة الغامضة التى تعمل فى نفسه ولا يستطيع عقله الضئيل . أن يفطن لها . وكم يجب للصغار علينا فى هذا الدور التكوينى أن نساعدهم بكل ما نملك من فطنة ولباقة على اذكاء هذه الجذوة العقلية الأولية التى ان استديم ضرامها عدت شعلة تتوهج وأنارت لنا من سناء ضيائها . . . وفى مقدور الآباء والأمهات أن يفطنوا إلى بوارق الذكاء الفطرى التى تتفتق عنها عقول أبنائهم وأن يوالوها بما يشحذها ويساعد على إنمائها . ويسير لمن يداوم هذه الرعاية أن يسوى منها فى المستقبل ذهنا ثاقبا ذا بصر بالأمور وتفكيرا سليما منتجا .

وبين حب الاستطلاع والحافز على التجربة صلة ملحوظة ينبغى أن نستغلها فى تمرين الصغار على أن يمارسوا بأيديهم بعض الشؤون العملية الأولية ، وفى كثير من اللعب التى يعبث بها الاطفال ما يثير فضولهم إلى الوقوف على كنهها والالمام بما تضم بين جوانبها ، فان استطاع الطفل أن يفصل أجزاءها ثم يعيدها سيرتها الأولى فانه يشعر بسرور يدفعه إلى موالاة أمثال هذه التجربة كلما مكنته ظروفه من ذلك . ومما لاشك فيه أن تطور هذه النزعة هو الذى يفضى فى المستقبل إلى تربية الروح العملى والاعتماد على النفس والانبعاث إلى الابتكار .

قد يبدو للوهلة الأولى أننا قد تبسطنا فى سرد هاته المسائل المبدئية تبسطا كان يمكن تفاديه بالالمام بها الماما عرضيا ، لكن من ينعم نظره قليلا سيقتنع من غير شك

بأن الافاضة فى شرح أطوار هذا الدور الانشائى والحث على مراعاة جزئياته ضرورة لازمة لمن أراد الاصلاح المؤسس على قواعد ثابتة لاتقوضها عوادى الحدثان ، اذ كيف يتسنى لمن كان واهى العود أو منحل الخلق أو متبلد الذهن أن ينبرى لحمل هذه الرسالة المزدوجة التى أسلفنا، فيشق لنفسه طريقا فى الحياة ويؤدى لوطنه ما عليه من حقوق دون أن ينوء بها فى أول الطريق ؟ . : . . بل كيف يتأتى لنا ان نخلق الشخصية العامرة بحب الوطن المنبعثة بوحى نفسها لطبع أثرها فى الحياة ان لم نعن عناية بالغة بتكوينها على أسس مدعمة من سلامة الخلق والخلق ؟ . .

ان البذرة الصالحة لاتذكو وتوتى طيب الثمر حتى تستنبت فى التربة الخصبة الغنية بعناصر الحياة . وكذلك ينبغى لنا، كى نعد ابناءنا الاعداد الصحيح للحياة، أن نتولاهم من المنشأ بالعناية الصادقة القائمة على أنماط مقررة يفضى الأخذ بها الى الغاية المرجوة ، حتى لايكون عملنا مستندا الى مجرد المصادفة المحضة التى تؤدى الى غير وجهة معينة .

فى وسعنا إذن ، وقد جزنا مراحل التكوين الجسمانى والخلقى والعقلى للنشء بنجاح ، أن نشرف على طور التركيز والتخصيص فى ثقة المطمئن الى أنه ملاق صدى قويا واستجابة تامة لما ينشط اليه .

ان الصبى العامر الخلق بحب ذويه، والمتعلق بهذا البيت الذى درج تحت سقفه، لن يأنس مشقة فى الفهم ولا غرابة فى الادراك ان هذا البيت ان هو إلا صورة مصغرة لوطنه الأكبر الذى تظله سماؤه وتغذيه خيراته ، وأن الأهل والأقارب هم حلقة صغيرة فى مجموع هذه السلسلة الضخمة التى ندعوها بالمواطنين ، ولئن كان قلبه يخفق بحب البيت والأهل، وهم الوحدة الصغرى التى نجم منها ، فما أجدره أن يرصد حبه لوطنه الأكبر وأن يغدق منه على هؤلاء الذين تجمعه واياهم هذه الوشيجة الكبرى . . . .

وكذلك ينبثق فجر الوطنية فى هذه النفوس الصغيرة المتفتحة للحياة ، وكذلك يتحتم علينا أن نضرب على هذا الوتر الحساس حتى يستحيل ذلك الفجر البازغ ضحى مشرقا يغمر أفئدتهم بضيائه ويوجهم الى أحسن الغايات . ولعله من أفعل العوامل فى اذكاء هذا الروح الوطنى ماينهجه القوم فى بعض الأقطار الضاربة فى هذا الميدان بسهم وافر حين يعمدون الى صور الأبطال الوطنيين ورسوم العظماء القوميين فيجعلونها فى متناول الصغار وتحت أبصارهم ، فان وجودها ولا ريب سيبعث

روح الطلابة فى نفوس النشء ويدفعه الى التساؤل عن كنهها وعن أقدار أصحابها، وليس كهذه فرصة فريدة لاستغلال هذا الشوق فى سرد النبذ والأقاصيص الوطنية التى تثير فى نفوسهم عاطفة الاعجاب بأولئك الأبطال وتمجيد ذكراهم، وتبعث فى وجدانهم اخيلة غامضة لمحاولة الاقتداء بهم والسير على آثارهم. أجل ما أحرانا أن ننهج هذا النهج فى تربية أبنائنا فى البيوت تربية وطنية أولية فانه محقق الأثر فى غرس الروح الوطنى وتأصيله حتى ليلازمهم كلما ترعرعوا ويطبع أعمالهم بطابع قوى ما آنسوا الظروف المواتية التى تعين على دوام اذكائه وتيقظه . ولن يشق علينا أن ننتهز نشوة الأعجاب والانبهار التى تسيطر على مشاعرهم وهم يلمون بأطراف من هذه السير الوطنية، فنتحدث اليهم عن أنفسهم كأعضاء عاملة فى هذه الحياة سوف تستقبل حتما دور الرجولة وتساهم بنصيبها فى خدمة الوطن والعمل على رفع مناره . سوف نقول لهم ونكرر القول، كلما شبوا وترعرعوا، أن الوفاء الحق للوطن أن ننقش اسمه على صفحات قلوبنا وأن نذكره فى جميع الظروف والأدوار وألا نغفل عن واجبنا نحوه ونركن إلى التواكل والتراخى . وماهذا الواجب فى الحق الا أن يقوم كل فرد من أفراده بتأدية رسالته فى الحياة بالأمانة والصدق متعاونا مع بنى وطنه ضاما جهده إلى جهودهم، فمن مجموع هذه الجهود المتراصة المتناسقة يشاد صرح المجد الوطنى وتدعم النهضة القومية بأقوى الدعائم والأسس . فان ألم بهذا الوطن العزيز خطر يهدد كيانه ويعدو على استقلاله خففنا سراعاً لنجدته ونسجنا من قلوبنا وسواعدنا درعاً حصينا يقيه غوائل الشر الجائح، مسترخصين التضحية بالنفس والنفيس ان وجبت، متنافسين فى الغد ومغتبطين إذ نجود بالمهج ليحيا الوطن . فاذا ظفرنا بمغالبة الخطر وانقاذ كيان الوطن، ومحال ألا نظفر ماتناسينا أشخاصنا وتواصينا بالصبر والجلد، فما أنبلها غاية وأمتعها سعادة أن أدينا بعض ماندين به لمعقد الرجاء ومناط الأمل - والا فالموت كرام النفوس خير من العيش الخانع فى حضيض الذل ومهاوى الاستعباد، بل ما جدوى هذه الحياة إذا شب الأنسان فى وطن جرد من أبسط الحقوق الطبيعية وأمس ضرورات الوجود : ألا وهو الحرية التامة فى أن يقرر الناس مصائرهم بأنفسهم وأن يعيشوا مطلقين من كل قيد الا ماقتضاه داعى النظام وواجب القانون . . . . . . ؟ وهل خلق الانسان اذن لكى يأكل ويشرب كما تأكل السائمة وتشرب دون أن يلقى بالا إلى ماعدا ذلك من ضرورات الوجود . . . . ؟ فيم اذن كرم الانسان على

سائر الخلق ، وماقيمة هذه الحياة التى لاتحفل الا باشباع دنيا الضرورات . . . . ؟ كلا . . . . ان النفوس الكريمة لأسمى غاية وأبعد مطلبا من التهافت على هذه العروض الضئيلة ، ولا مناص من التشمير عن ساعد الجد والتفانى فى استرداد هذه الحرية المغتصبة التى لايعدلها شىء فى الأرض جميعاً ، فان فى استخلاصها تكريما للنفس ورفعا لقدرها أن تستنيم لخسف ينزل بها ، وان فى الفوز بها لحافزا يحدونا إلى مزيد التشبث بها والتصميم الجازم على رعايتها واحاطتها بسياج منيع من القداسة حتى لاتتسلل اليها يد تبغى العبث بها والانتقاص من تفيئنا ظلالها . .

حب الوطن اذن والتعلق بحريته ، وبغض الذل والتفانى فى التحرر من نيره ، وأداء المرء واجبه مخلصا فيه متعاونا مع أبناء قومه ـ كل أولئك عناصر التربية الأساسية التى يخلق بنا أن نروض أبناءنا عليها وقد فرغنا من إعدادهم إعدادا أوليا يهيئهم لتلقى هذه الرسالة ويمكنهم من الاضطلاع بأعبائها ، مااتسقت الظروف المقبلة ولم يتم من الأسباب ما يعوق سيرها صوب الهدف المنشود . فهل هذه الظروف من الاتساق حقا بحيث تعين على بلوغ الغاية ؟

الحق أنها من التنافر بما يعكس القصد مما نسعى اليه ويضعف الأمل فى أن نجنى من ورائها خيرا إن لم نسارع إلى تعديلها تعديلا يتمشى مع خططنا وينزع منها عوامل العرقلة والتخذيل . فهذه أطوار الدراسة جميعا فيما عدا بعض أقسامها العليا ، هل تتضمن ماينمى الروح الوطنى ويعين على إذكائه حتى لايغادرها الشاب الا وقد نضجت قوميته وأصبح الوطنى المستنير الذى يدرك عن بينة وعقيدة أن واجبه الأول فى الحياة العملية التى يوشك أن يخوض غمارها أن يلبى نداء وطنه وأن يمنحه قسطا وافراً من تفكيره وسعيه حتى ينهض من كبوته ويتبوأ مكانه الخليق به تحت الشمس بين الأمم الحرة العاملة . . . ؟ وأى البرامج فيما ندرس فى مدارسنا ومعاهدنا يعمد إلى تكوين الشخصية المستقلة وغرس روح الاعتماد على النفس والانبعاث إلى الحياة بعامل الدافع الشخصى للقبض على ناصيتها وتوجيه أزمتها إلى الغاية التى تتكون فى عقيدة الشاب ـ أو على الأقل مجابهة الدنيا وحيدا متماسكا مزودا بما يدفع عنه خطر الزيغ والهوى العاجل فى تيارها ، ان لم يستطع أن يؤثر فيها ويضيف إلى تراثها . . . ؟ إن مما يحز فى النفس حقا ويدمى القلب ألما ان أنظمة التربية فى مدارسنا قد حفلت بكل شىء الا هذين العاملين الجوهريين ذوى الأثر البالغ فى تكوين الشباب التكوين الامثل : أعنى تغذية الروح الوطنى

وخلق الشخصية المستقلة . . . . إن هذا الشباب المعاصر الذى تتملكه الحيرة وتشف نظراته عن فرط العجز والقصور ، وتكر الأعوام وهومستسلم للأمر الواقع لا يحاول أن يحزم أمراً وإن حاول خانته نفسه قبل أن تخونه العوامل المحيطة به - هذا الشباب هو ضحية التعليم وافتقار التربية المدرسية إلى العناصر التى أسلفنا وما يتصل بها عن قرب أوبعد ، وسلوكنا فى الاصلاح سبيلا لن تفضى الا إلى استفحال الداء مادمنا نتغاضى عن جوهر العلاج ونفرق من مواجهة المعضلة بالصراحة التامة والشجاعة الواجبة والتضحية الضرورية .

لقد طالما تصاعدت أصوات العقلاء بالشكاية المرة من عقم نظم التربية المدرسية وقتلها أسباب الابتكار والانتاج فى نفوس الناشئة ، وقصرها روح المثل الأعلى على دائرة ضيقة محدودة لا تتجاوزها ، هى دائرة الوظيفة ، واهمالها معالجة المطالب الوطنية بما يدفع الشباب الى رعايتها رعاية حقة تثمر أثرها فى السعى الجاد الى تحقيقها - ومن الانصاف أن نقرر أن جهودا متفاوتة بذلت لمحاولة الاصلاح ووضع حد لنقد الناقدين وشكاية الشاكين ، لكن الحق الذى لامراء فيه أن جل هذه المحاولات لم يكن ليشرع فيها حتى يتبين جليا قصورها وبعدها بعدا شاسعا عن تحقيق مايناط بها . ذلك لأن طبيعة الاصلاح الآنف مافتئت تنصب على موضوع البرامج فتتناولها بالتبسيط فى مناحيها تارة وبالاقتضاب والحذف تارة أخرى . فأما الروح الذى يملى والغاية التى يقصد اليها من وراء مختلف التعديلات فباقيان على حالهما لم توجه اليهما العناية الخلقية بمقصد حيوى ، كانشاء جيل جديد من الشباب ذى طموح الى التحرر من مخلفات الماضى والسير على قدم المساواة مع الأمم الحرة الناهضة التى لا يشوب حاضرها تعثر ولا فتور .

إن سبيلنا الى الاصلاح المنتج هو مواجهة الحقائق عارية عن التنميق ، وإن بدت فى تجردها مؤذية شائكة الملمس ، ومعالجتها بروح الصراحة التامة التى لا تعرف المداجاة ولا تخشى توخى أقصى السبل لبلوغ الغاية المنشودة . فما الذى نرمى اليه اذن . . . . نريد تحرير بلادنا من القوى الدخيلة المحتلة التى تعمل على فنائنا فيها وملاشاة قوميتنا فى مهاب الرياح ، ونريد أن يتقلد أبناؤنا زمام المرافق الحيوية التى يستأثر بها قوم لا يمتون الينا بأقل سبب ويحرموننا أوليات حقوق المالك الحر التصرف فيما يقتنى . فكيف السبيل الى تحقيق مانريد . . . .

فاما عن الشطر الأول ، فان أول ماينبغى أن نعمد اليه فى معاهد التربية والتعليم

هو تغيير الطريقة الراهنة فى دراسة التاريخ ، تلك التى تعنى وتسرف فى العناية باستقصاء سير الأمم ماغبر منها وما قرب العهد به وبسط أحوالها بسطا وافيا لايترك شاردة ولاواردة الا أحصاها ومحصها تمحيصا حتى اذا ماجاء دور مصر على الخصوص ، وتعين الالمام بنهضتها الحديثة ، على الأخص ، وتعرف الدوافع التى أدت اليها وما قام ويقوم من العراقيل فى طريق استكمال أسبابها ، فهنالك الالماع الخاطف الذى لاينقع غلة ولا يهدى الى رأى شاف أو التجاهل المطابق للحقائق الصارخة التى لاتجدى فيها المكابرة والاخفاء ، أو التشويه المغرض الذى يفسد جمال الوقائع ويحرف حقيقة الدوافع تحريفا ملموسا . لقد آن الأوان لتبديل هذه الطرائق الملتوية والاستعاضة عنها بأخرى تفسح المجال للعناية الصحيحة بتدريس التاريخ المصرى ، قديمه وحديثه ، تدريسا مفصلا قائما على النزاهة العلمية التى تردالوقائع الى أسبابها الحقيقية ، مع العناية البالغة بتزويد الشباب بسياق مفصل للنهضات القومية فى تاريخنا ومقارنتها بمثيلاتها فى سير الأمم الأخرى ، الأمر الذى يضرم فى النفوس روح الاعتزاز بالقومية ويبعثها على ترسم آثار السلف ، وينير السبيل للاستفادة من أخطاء الماضى وعيوبه فى توقى أسباب الفشل وتوخى اصلاح المستقبل اصلاحا لايعتوره عوج ولا شذوذ . . . . لقد حق علينا أن نمكن المدرس من الوقوف بين الناشئة شارحا لهم هذه الحالة الشاذة التى تسود حياتنا الراهنة وتوجهها وجهة لاندرى أيان منتهاها ، مبينا سبيل الخلاص منها خلاصا نهائيا لايعرف انصاف الحلول . . . لم هذا الاحتلال الذى يبسط سلطانه علينا قهرا وينزلنا منازل الخسف والهوان ، ونحن أمة عريقة فى القدم لنا من تليد ماضينا وتحفز حاضرنا وشرعية حقوقنا مايشفع لنا فى الحرية وما يوجب علينا أن نسعى جاهدين لتحطيم هذه القيود التى تغلنا ، ونفض هذا الذل الذى يخنق أنفاسنا . . . . ان التصميم الراسخ على المناضلة وتوطين النفس على التضحية هو العلاج الأوفى ، ذلك لأنه يولد فى الشعور حالة متحفزة تدفع الانسان الى العمل والمناضلة ولا يبالى مايلقى ، فان ظفر فبها ، والا فقد أدى واجبه ومضى كريم النفس لايأسف على ماضحى ، ثم ان الغاصب سيشفق من غير شك حين يجابه هذا العزم القاطع على المناضلة أن يستهدف لمقاومة عنيفة شاملة قد لايخرج منها فائزا كما يشتهى ، وقد تثير عليه ضمير العالم المتمدين لما تكشف عن جشعه ومظالمه ، فيفضل أن يركن الى المسالمة والوفاق والتسليم بما لابد منه ، لأدراكه أننا قد صرنا الى حالة من الغليان النفسى

يستحيل قمعها أو كبتها .

ويتفرع عن هذا الروح روح آخر جدير بالمربى اليقظ أن يدعو اليه بكل مايملك من قوة الحجة والتأثير . ذلك هو روح التعاون بين أفراد المجتمع المصرى وتنسيق الجهود المبعثرة حتى لايذهب أثرها بددا . فان تفرق الكلمة وتشتت السعى يقدم للغاصب سلاحا ماضيا لمواجهة الحركات الفردية وضرب بعضها ببعض والقضاء عليها دون أن يستهدف سلطانه للتلاشى والزوال . ألم تر إلى المحتلين يواجهوننا قلبا واحداً ولسانا واحدا وهم على تمام التفاهم والوفاق مع أن مايدعون غصب واقتسار لا يستند إلى ظل من الحق ولا مشروع من القوانين . . . فكيف بنا ونحن أصحاب الحق الابلج والسلطان الواضح المرسوم الحدود . . . أولى لنا اذن أن نحذوا حذوهم فى لم الشمل وجمع الكلمة والا يسفه بعضنا بعضا أو يخذل سعيه أو ينتقص من جهده . وما أوجب أن يوجه هذا الكلام الى من لا يبالون مشيئة الأمة ولا يحفلون برأى الاجماع ، فان الخارجين عليهما يخطئون خطأ جسيما فى حق الوطن ويدلون الغاصب عن طواعية على مواطن الضعف فى صفوف الأمة يفوق اليها سهاما لا تطيش .

وما أحرانا ، ونحن فى هذا الصدد ، أن نعنى بتكوين (الرأى العام) ، فانه القوة المحركة لكل الاعمالية الانسانية والحكم الفصل فى صلاحية أو فساد ما يشرع من النظم الشاملة والسياسات التى تتناول كيان الأمة فى الصميم . ان هذا الرأى العام . أو (رجل الشارع) كما ينعتونه فى بعض البلاد الغربية ، هو الذى يملى فى عصرنا الحاضر سياسة الحكومات المختلفة ويفرض رقابة دقيقة على أعمال الوزراء إما فى التمثيل النيابى أو على لسان الصحافة ، فان آنس فى تصرفاتهم إفراطاً أو تفريطا ألزمهم التخلى عن مناصبهم ورفع مكانهم من هم أولى وأقدر على تلبية رغائبه . ان علينا اذن أن نربى فى معاهدنا روح النقد البرىء فى نفوس الشباب ومحاولة الحكم الصائب المجرد من نزغ الهوى ، فان هذا يدعوهم إلى المساهمة الفعلية فى الشؤون الحيوية ومتابعة تطوراتها المختلفة دون أن يقفوا بمعزل عنها كأنها لا تمت اليهم بسبب وثيق .

إن متابعة المسائل الرئيسية التى تمس كيان الأمة هو الذى يبقى الشعور الوطنى متيقظا متحفزاً ، فلا تعرض حاجة الا سارعت النفوس إلى تلبيتها ، واننا فى الواقع ، برغم افتقارنا إلى بث روح الاهتمام الفعلى بالمسائل العامة ، بمعناه الواسع مدينون

إلى الصحافة المصرية بخلق الرأى العام بحالته الراهنة ومطالعته بما يصل بينه وبين مختلف مناحي النشاط فى حياتنا . فعلينا اذن أن نجعل هذه الصحف،ولاسيما تلك التى تعنى بمعالجة المسائل الوطنية،فى مقدمة العوامل التى نتوسل بها إلى بعث الروح الوطنى . ولنحارب الأمية ما استطعنا حتى لاتحول دون الانتفاع بهذه الوسيلة الزهيدة الثمن البالغة الأثر فى إيجاد رأى عام منظم يشارك مشاركة فعالة منتجة فى الحياة .

ذلك فيما يتصل بالشطر الأول الخاص بالاعداد الوطنى ، وتلك هى أبرز العناصر التى يتعين علينا أن نضمنها أى منهج قويم لتنمية الشعور القومى وتوجيهه إلى العمل على تحرير الوطن من قيود الذل والاستعباد . فأما فيما يختص بالشطر الآخر وهو السعى لتكوين الشباب تكوينا استقلاليا فان سبيله المجدى هو تعديل نظر الشباب إلى الحياة المستقبلة تعديلا يخرج به عن الدائرة الضيقة التى لاتجاوز نطاقها يهيىء لها أسباب السعى الحر فى آفاق أرحب مدى وأعود بالنفع والفائدة ، والعمل على خلق الشخصية القوية الزاخرة بأسباب الانتاج والابتكار ، وتغيير مناهج التعليم بحيث تعين على بلوغ الغرض الذى نتوخاه وتعجل بأسباب الاصلاح .

فاذا نظرنا الى العامل الأول، فسوف يروعنا أن المثل الأعلى للشباب المصرى هو الفوز بوظيفة من وظائف الحكومة يعنى فيها زهرة العمر ويقبع فى زواياها بالغة ما بلغت المشقة التى يتجشمها فى هذا السبيل . ومن الظلم حقا أن نحاول القاء التبعة فى اعتناق هذا المبدأ المتواضع على الشاب وحده ، فان الظروف الاجتماعية والسياسية وطريقة التلقين المدرسى هى التى ترغمه على ركوب هذا المركب الوعر، وعلينا أن نروض الشاب على أن يفتح عينيه على ميادين العمل المتشعبة ومناحى النشاط التى يستأثر بها الأجانب،وأن يوطن نفسه على خوض غمارها ومنافسة أصحابها بما يتسع له ذرعه ، واضعا نصب عينيه أبداً أنه هو صاحب البلد الحقيق فهو أولى بالارتفاق بتلك المرافق الحيوية ، وغيره أحرى أن يلزم حدوداً معينة لايعدوها، أو ليس من الاذلال المهين أن تنعكس الآية فيثرى الدخيل حتى الانتفاخ ويملق الاصيل حتى لتلصق يداه بالتراب ؟ . لا كانت الحياة إذن ولا كان هذا الوجود الذليل . . وإن السكوت على هذه الحال وإغماض العين على مساوئها هو تسجيل للضعف وتسليم بالعجز والقصور . . . .

اليأس إذن هو الخطوة الأولى فى صدد التمرد على هذا النظام المختل ورفع مستوى النظر الى الأفق المنشود . لكن التمرد وحده لا يكفى ، ولا مناص من اعادة النظر فى الظروف الأخرى حتى تطابق الحالة الجديدة التى تتطلع اليها . فكيف نوفق الى خلق الشخصية العامرة بأسباب النشاط حتى تقوى على مجابهة الحالة الجديدة والنفوذ بشجاعة إلى الميدان الجديد . . . . . لابد لذلك من تعديل نظم الدراسة تعديلا يختزل على الأقل نصف البرامج الحالية وتراعى فيه القواعد التالية : —

(أولا) افهام الطلاب أن المناهج الدراسية إن هى الا وسيلة يراد بها التثقيف وافساح مدى النظر والتفكير وأنها سبيل الاعداد الى الحياة العملية وليست غاية يقف المرء قرير العين إن ظفر باجازتها .

(ثانيا) محاربة نزعات الحفظ والاستظهار محاربة لاهوادة فيها فهى التى تقتل روح الابتكار والاستنباط وتفنى الشخصية بما ينزع كل أمل فى بعثها على الانتاج .

(ثالثا) تنمية روح الاعتماد على النفس والاعتزاز بالشخصية . وأقرب سبلهما هو العناية بالرياضة البدنية عناية قصوى وان استخلصت ثلث المناهج ، وتنمية الحياة الكشفية الصحيحة بما تتضمن من رحلات ومسائل عملية أخرى ، وانشاء الفرق العلمية العملية التى تتيح للشاب فرص الممارسة الفعلية لعديد الشؤون ، حتى إذا اندمج فى ميدان الحياة لم يجد نفسه غريبا عنها ولا قاصرا عن المساهمة فيها .

(رابعا) حث الشباب على نبذ أسباب الطراوة والنعومة ورياضتهم على التجلد والصبر والمثابرة ، وعدم الاستسلام لعامل اليأس إن طالعهم نذير الفشل ، والتعاون مع أندادهم تعاونا يضاعف الأمل فى النجاح ويعين على تذليل المصاعب .

(خامسا) اعادة تنظيم الطرائق المتبعة فى تعليم اللغات بحيث تمكن الشاب عند مغادرة المدرسة من اتقانها تخاطبا وكتابة حتى يستطيع أن يمارس الأعمال الاقتصادية التى يدير الأجانب دفتها بما لا يدع لهم مجالا للطعن فى مقدرته على الالمام بها . وانى أدعو القائمين على اصلاح التعليم من كل قلبى أن يسبغوا نصيبا وافرا من عنايتهم على هذه الوسيلة التى تعد بحق مفتاح الحياة العملية . فان ما يبعث على الأسى حقا أن الغالبية الساحقة من شبابنا تفنى السنين الطوال فى تعلم اللغات حتى إذا ظفرت بالشهادات المدرسية التى كان يتحتم أن تعتبر مقياسا لمرانهم عليها

راعك منها تعثر اللسان والعجز الفاحش عن الابانة بعبارة سليمة عن أى مقصد من المقاصد . ومن العسف أن نحملهم كل اللوم على هذا القصور ، فان طرق التعليم تظفر من ذلك بقسط كبير .

(سادسا) التقريب جهد الاستطاعة بين فروع الحياة العملية وما يمكن اقتباسه منها فى معاهد التعليم ولاسيا فى الشؤون الاقتصادية . حتى إذا اندمج الشباب فى الحياة لم يجد تنافرا بين ما كان يدرس وما هو مقدم عليه .

(سابعا) تعميم التعليم الصناعى فانه الوسيلة الناجعة لغرس الروح العملى فى نفوس الشبان ودفعهم إلى ارتياد ميادين الصناعة والانصراف تدريجيا عن التهالك على وظائف الحكومة وتخفيف وطأة الضغط عليها .

وأحسبنى فى هذه الاقتراحات المجملة قد قدمت صورة لنواحى العلاج التى يمكن طرقها والتوسل بأشباهها الى تكوين الشباب تكوينا خاصا يخلق منه شخصية مستقلة قائمة بذاتها تستطيع، اذا أشرفت على ميادين الحياة الحرة، أن تندمج فيها وتفيد منها، فهل فى ذلك ما يكفى - اذا أحسن تطبيقه ونفذ على الوجه الأوفى - لبلوغ الغاية وفتح مغلق الأبواب فى وجوه الشبان ، أوأن هنالك من العقبات ما لابد من مواجهته والسعى الحثيث لتذليله . . . .

الحق أن إعداد الشبان وحده لايكفى . ومهما يكن الشاب مزودا بكافة المؤهلات التى تتيح له ممارسة العمل الحر والاعتماد على نفسه فى الحياة فلن يقوى وحده على مغالبة قوى ضخمة وعوامل متآزرة تعمل جاهدة على قتل روح النبوغ فى صدور الشباب المصرى وحرمانه من طرق هذه الأبواب . وإلا فقل لى بربك كيف يستطيع الشاب أن يصمد لنظام الامتيازات الأجنبية الذى يجعل كفة الرجوح فى صف الأجانب محتكرى أغلب نواحى النشاط الاقتصادى والصناعى ، وكيف يقوى على صد شعور الكره والعداء الذى ينصب عليه انصبابا من ناحيتهم حتى ليوقن أنه إن لم تتدخل الحكومة لنجدته فهو مغرق ولا شك فى هذا الخضم الذى اصطلحت جميع عناصره على ابتلاعه وتغييبه فى طواياها ؟ .

لست ألقى القول على عواهنه ، فان المشاهد الذى يستطيع كل انسان أن يلمسه بيديه لمسا أن أغلب البيوت المالية الأجنبية تفضل أن تضم اليها كل من لفظته بلده من الجنسيات غير المصرية على أن تلحق بها المصرى الصميم ، وان هى اضطرت الى استخدامه لسبب ما فان مايلقاه فيها من الاهانة الصامتة لينزع من نفسه أسباب

الحلم والتماسك . فاذا استقل الشاب بالعمل واعتمد على شخصه فهو إما أن يقنع بالكفاف أو يستهدف لمنافسة منظمة قاتلة لاتعرف هوادة ولا رحمة .

فهل بعد هذا من يتردد فى القول بوجوب تقدم الحكومة لنجدة الشبان وشمولهم بالحماية القوية حتى يستطيعوا أن يقفوا على أقدامهم ويصمدوا فى الميدان . . .
وهل من يشك لحظة فى نوع العلاج الحاسم البات الذى يستأصل الداء من منبته، ويتعين على أولى الشأن أن ينهضوا به مهما اقتضاهم من تضحية واعنات . ان هذه الامتيازات الجائرة هى علة الجمود والتقهقر اللذين يضربان فى نهضتنا الوطنية والاقتصادية بمعول شديد الهدم ذريع التدمير . بل هى سبة فى جبين القومية المصرية لن تبرأ من وصمتها حتى تثور عليها ثورة جائحة تقبر ظلها البغيض فى أعمق زوايا العدم والفناء . لتقدم الحكومة على ضربها الضربة القاضية والشعب من ورائها يشد أزرها ويمدها بسلاح العزم المكين ، فما يعرف العالم نظاما نخراجائرا كهذا النظام الذى ينشىء دويلة بل دويلات فى داخل الدولة المصرية ويغدق على أصحابه من المنح والحقوق مالا يظفر بعشر معشاره أصحاب البلد الحقيقيين .
فان قامت دون هذا الالغاء العاجل عقبات تستند الى عوامل السياسة فان فى ميدان التشريع مايحمل الممولين الاجانب على أن يخفضوا من غلوائهم ويتعاونوا مع المصريين تعاونا مخلصا فيه خير كثير للفريقين ورجوع الى قواميس العدل والانصاف . حتى اذا آذنت ظروف الأحوال بالقضاء نهائيا على هذا النظام ـ وسوف تؤذن مافى ذلك ظل من الريب ـ حق علينا أن نعيد النظر فى نظامنا الاقتصادى بما يزيل الغبن الواقع علينا ويملى لنا فى أسباب اللحاق بمن سبقونا فى هذا الميدان .

لئن كنا قد أفضنا فى رسم السبيل التى يجمل بنا سلوكها لتربية أبنائنا تربية وطنية استقلالية ،واستعرضنا أطوارها بادئين بالطفل غضا حتى يفع ويستقبل دور الرجولة، فذلك لأن هذا الشباب سوف يبث فى ميادين الحياة العامة ويضطلع بكثير من الأعباء الجسام التى تقوم على قواعدها نهضة الوطن ورفعته . فمن الحق إذن ألا ندخر وسعا فى صدد تربيته حتى ينشأ نشأة جديرة بهذا المطلب الجليل .

لكن من الحق كذلك ألا نهمل هذه الملايين العدة من أبناء الفلاحين والعمال الذين يكونون السواد الأعظم من سكان القطر،وأن نضع سياسة عامة لتربيتهم تربية تطابق مانسعى اليه . وإن أول حجر نضعه فى أساس هذه التربية هو محاربة

الأمية المتفشية بين تلك الطبقات فانها تحول بينهم وبين التطلع الى غير ما هم منه بسبيل . يجب أن نرسم سياسة شاملة لتعليمهم وأولادهم القراءة والكتابة ومبادىء الصحة وأن نرصد لها المال اللازم مهما تضخم وعظمت أرقامه ، فان الفوائد التى تجنيها الأمة فى مجموعها من انتشار التعليم والأخذ بأسباب الصحة بين هذه الطبقات لا تقاس بها كثرة النفقات . وينبغى أن تصاحب هذه الخطوة خطوة أخرى لا تقل عنها شأوا : تلك هى تحسين الأحوال المادية والمعاشية لهذه العناصر المنتجة ومعاونتها على مواجهة الظروف الاقتصادية الشديدة الوطأة عليها معاونة تمكنها من دفع شبح البؤس والفاقة الذى يلازمها وتهيىء لها عيشا ميسرا الى حد ما . إن الفقر لا يترك لصاحبه من الفراغ والاقبال ما يستطيع معه أن يعالج شيئا من ضروريات الحياة غير الكدح المتصل . فاذا نشأ الفلاحون والعمال فى أحوال مادية معقولة فليس عسيراً علينا أن نوجه عنايتهم الى الواجبات الوطنية وأن نتوسم منهم أن يلبوا نداء الوطن كلما دعاهم داعيه .

إن خير تربية وطنية نستطيع أن نتعهدها فى أوساط الزراع والعمال هى التى تحبب اليهم الأرض التى يفلحون والمهنة التى يمارسون وتساعدهم مساعدة فعالة على ترقيتها والافادة منها الى أقصى الحدود . ذلك لأن استغلالها الاستغلال المنتج لا يعدو أثره عليهم وحدهم فحسب وانما سيعم طبقات الشعب بأسره ويتجلى فى زيادة أسباب اليسر والرخاء وما يتلو ذلك من ترقية الروح المعنوى فى الأمة واطراد سيرها نحو الكمال . وما من شك فى أن تعميم الأنظمة التعاونية والنقابية فى أرجاء القطر ، ريفه وحضره ، وتزويدها بالوسائل الفعالة لارشاد الزارع والصناع ارشادا عملياً منظماً وتوجيه جهودهم وجهة تتفق ومقتضيات العصر الحاضر فى الانتاج - ما من شك فى أن ذلك كله سيحدث أثره فى حياة الجيل المعاصر بين طبقات الزراع والصناع وسيؤثر آثاراً بعيدة الغور فى نفوس أبنائهم ممن يشبون فى هذه البيئة الانقلابية الآخذة بأسباب التجديد فى مرافقها الحيوية ، حتى إذا أشرف هؤلاء الأبناء على ميدان الحياة العملية كانوا أقدر من آبائهم على الانتاج الوافر وتنمية موارد الثروة فى البلاد .

أما بعد فان هذا الشباب الذى صاحبناه من أول مراحل العمر وعنينا بتزويده بكافة الأسلحة الضرورية لمن يرغب رغبة صادقة فى خدمة وطنه ونفسه ، حتى اشتد ساعده وانبرى لمواجهة الحياة - هذا الشباب الذى أسلفنا ستتبدل من غير شك مقاييس

نظره الى الدنيا فيصبح أكثر جداً وأشد اعتزازاً بالحياة وفهما لها ، وأقدر على غزوها بعد ما تلاشت من نفسه عوامل الاحجام التى كانت تغله عن السير . فهذا الوطن الذى لم يكن يظفر من تفكيره وعنايته بحظ مذكور سيحل من نفسه المحل الأرفع ويبعثه على المساهمة مساهمة فعالة فى تحريره ، متآزراً مع أترابه من جنود العهد الجديد مضحياً بما يملك — حتى بالروح وهى أعز شىء فى الوجود — ليصبح هذا الوطن طليق السراح متفيئاً ظلال الحرية آخذا بأسباب الرقى والتجديد .

وهذه الخدمة العسكرية التى ينفر الشبان فى وقتنا الحاضر من الالتحاق بها ، ويبذلون كل جهد فى سبيل الخلاص منها بدفع البدل العسكرى أو بغيره من الوسائل التى يفتنون فى استنباطها — حتى ليشعر من يرغم على الانخراط فى سلكها بغضاضة ترجع إلى عجزه المادى وما ينجم عن هذا من إضعاف الروح المعنوى فى صفوف الجندية — هذه الخدمة العسكرية ستصبح من غير شك قبلة أنظار الجيل الجديد ، لأنها مصدر قوة الوطن ومنعته وأداة الذود عن كرامته واستقلاله ، على أن يسعى أولو الأمر سعياً جدياً لتقصير فترتها والعناية بكرامة الجندى عناية تضاعف من اعتزازه بها ، والعمل على تسهيل استئناف الشبان ما كانوا يشرعون قبل الالتحاق بها .

فأما فيما يختص بنفسه فلن تصبح الوظائف الحكومية غايته التى لا يفكر فى سواها ، وانما سينبعث لطرق أبواب العمل الحر ومنافسة هؤلاء الأجانب الذين يستأثرون دونه بخيرات البلد ، واستخلاص هذه المرافق الحيوية من أيديهم ، مدفوعاً بتلك النزعات الحافزة التى عنى باذكائها فى نفسه ، متوسلا بكل ما يملك من سعة الحيلة وقوة الاستنباط لتنمية موارد الثروة البكر التى تكتظ بها البلاد من أقصاها الى أقصاها ، موزعاً نشاطه فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة ليفيد منها قومه أضعاف ما يفيدون الآن منها ، حتى يستقلوا بكيانهم الاقتصادى إلى الحد الذى لا يصبحون معه عالة على غيرهم من أمم العالم .

هنالك يتقلص عنا هذا الجمود الذى يطبع حياتنا الراهنة بطابع كثيف ، وتبعث مصر الحديثة بعثا جديداً يصل بين حاضرها المفعم بأسباب الحياة والنشاط ، وبين ماضيها التليد ، وتتضافر مع الأمم الحية على الرقى بالبشرية إلى أقصى ما يتفتق عنه الذهن الانسانى .

(٢)

ملخص رسالة
الأستاذ محمد جلال

بدأ الموضوع بمقدمة موجزة عن اتجاه التربية فى أشهر الأمم ، فقد اهتمت اليونان بالسياسة فى مختلف مظاهرها ، وحرص نابليون على إعداد الشبان إعدادا عسكريا فى مدارس مثالية تمد فرنسا بجيوش من الشبان الأشداء المثقفين ، واتجهت ألمانيا إلى ارهاق الطلبة بالعلم والتحصيل مما يدعو إلى اختلال الأعصاب وقلق النفوس فى سبيل الاكثار من العباقرة والنابغين ، أما الولايات المتحدة فتؤمن بحاجة الانسان إلى العلم كحاجته الى الغذاء . وللانجليز اهتمام بالاعتماد على النفس واحترام الشخصية .

ثم تساءل عن اتجاهنا فى مصر ، هل نعلم النشء أخلاق الحياة العملية التى تصدمنا بأن الغلبة للقوة ، وأن السلامة تستند أحيانا الى الخداع والملاينة ؛ أو نعلمهم النفاق والخنوع والخضوع والملق ليعيشوا خداماً لأصحاب النفوذ والسيطرة ، ويبلغوا مآربهم بالوشاية والتجسس والنميمة ؛ أو نعلمهم الأخلاق المثالية النظرية ، ليكونوا نماذج للمثل العليا وإن جر ذلك عليهم الفقر والعزلة ؟

وهو يفضل بأن ننبه أطفالنا ـ حين نغرس الفضائل فى نفوسهم ـ الى طبائع البشر والى أن الفضائل مصطلحات نشأت وتنشأ على حسب مقتضيات الحياة الاجتماعية ، وارشادهم الى الفرق بين وحى العقل ووحى الغرائز ، والعمل على تنمية ميولهم الطيبة بالايحاء والقدوة الحسنة ، وبث روح الاعتماد على النفس ، والاندماج فى البيئة التى يعيشون فيها .

ومن رأيه أن التهذيب المدرسى ليس عظيم الجدوى ؛ وأن ما يكتسبه الطفل من البيت ، حسناً كان أو سيئاً ، يترك أثرا كالندبة قلما تمحوه الأيام ، فلا بد من العناية بتعليم البنات وإعداد الأمهات الصالحات قبل إعداد الأبناء .

أما العلوم فيرجع تحديدها الى وجهة نظر أولى الأمر ، مع تقدير النبوغ واحترام الكفاءة وتشجيع المجدين الممتازين ؛ وإنصاف المعلمين الشاكين المظلومين ، وتهيئة المدرسين لعلاج المشكلات النفسية والعقلية والأزمات العصبية التى يصاب بها كثيرون ، مع الاهتمام بالرياضة البدنية وبث الذوق الفنى وتقدير الجمال فى نفوس

النشء ، وعلى الزعماء أن يكونوا قدوة صالحة للشباب ، وأن يكونوا فعالين لا قوالين .

(٣)

ملخص رسالة

الأستاذ محمد عبد البارى

بدأ الموضوع باستعراض للوقائع الحاضرة حتى يستخرج الحقائق ، فذكر بعض المواقف التاريخية التى كان للتربية أثر فى نشأتها وتكوينها ، ونوه باهتمام الانجليز بالتربية الاستقلالية وتكوين الشخصية والاعتماد على النفس ، وهذا هو سر عظمتهم وشجاعتهم ، حيث استطاع الأفراد أن يفرضوا وجودهم على الحكام ، وعرف الحكام كيف يحترمون الشعب ويعيشون معه فى سلام .

ثم تحدث عن اعتزاز العرب بحريتهم واستقلالهم ، وحرصهم على المشورة والتعاون والمساواة .

وسبيل التربية الاستقلالية يكون برعايتها منذ النشأة الأولى ، فيربى الأطفال تربية قوية استقلالية ، ويعودون على الاعتماد على أنفسهم والشعور بوجودهم ، ثم نتعهد هذا الغرس الأول بالرعاية والتقوية فى المدارس والمصانع والمعامل وكل مرافق الحياة ، فتحترم حرية الرأى احتراماً فعليا ، وتقام العلاقة بين الشعب والحكام على أساس متين من الاحترام والعطف والتقدير ، وضمان تحقيق الغاية من الحياة البرلمانية ، وقيام كل سلطة وكل هيئة وكل فرد بواجبه خير قيام .

ومن الواجب أن تقترن التربية الوطنية بالتربية الاستقلالية منذ الحداثة الأولى ، فحب الوطن وإن كان غريزة طبيعية إلا أنه فى حاجة إلى التقوية والتمكين والحماية من المؤثرات الصناعية .

لا عزة فى وطن ذليل ، ولا قيمة للجاه الفردى فى جماعة تخضع لارادة خارجية ، والاستقلال الفردى لا يثمر فى أرض تسخر فيها إرادة الأفراد لغير مصلحة بلادهم .

يجب أن نلقن الأطفال مبادىء الوطنية والاستقلال فى قصص الأبطال ، وفى الكتب والصحف ، وفى الاحتفال بالأعياد القومية وتمجيد أعمال البر بالوطن والتضحية فى سبيله ، حتى ينشأوا قادرين على النهوض بمجد الأمة وعظمتها .

(٤)

ملخص رسالة

الآنسة إيريس حبيب المصرى

حملت الآنسة على عدم المباهاة والتفاخر بالأصل والشرف ، فالمصريون قد نسوا أصلهم طويلا وتركوا المباهاة به حتى عهد قريب ، فكان هذا من أسباب ضعفهم ، والأوربيون يلقنون أطفالهم سير الأبطال وتمجيد الوطن وينفخون فيهم روح الاعتزاز بالوطن ومجد الوطن وتاريخ الوطن - وحتى أمريكا ، التى استغنت عن الألقاب والأحساب ، نجد من بينها التعطش الى الزهو بالجدود

فيجب أن يدرس تاريخنا المجيد كوسيلة لاذكاء روح الحماسة والاقدام والتضحية فى سبيل الوطن ، ولكى يتصل حاضرنا بماضينا. فيرى الأحفاد أن من العار عليهم أن يجبنوا حيث أقدم الأجداد. يجب أن يدرس التاريخ القومى عمليا، وأن يعرف التلاميذ كل شىء عن آثار أجدادهم وآبائهم ، وتقام تماثيل فى الميادين والحدائق العامة ، تماثيل للأبطال المجاهدين. ليسأل الطفل عنهم فيجاب ، مع توجيه نظر الطفل إلى ما فى بلاده من جمال طبيعى وصناعى ، على أن يترك للقائمين بأمر المدارس الحرية الكافية فى اختيار نظمها ووضع لوائحها ، حتى يكون هناك مجال لظهور الشخصيات وتعددها .

ويخفف عبء البرامج المحشوة المرهقة عن الطلبة ، ليتجهوا إلى الاطلاع الشخصى والتحصيل الذاتى - ويعنى بالتعليم الاحترافى وتشجيع الصناعة والزراعة، لأن تعليم الفقراء تعليما نظريا لا يثمر إلا السخط والتبرم وخنق روح الميل إلى العمل . ويجب أن نوجه النشء إلى الانتصار للضعفاء وإلى الكرم والرفق والتعاون ، وأقوى الوسائل لذلك الرياضة البدنية والشعر والأدب والموسيقى والتأملات، وعلينا أن نعودهم احترام النفس لأنها عاصم من الخطأ ، ونحثهم على تشجيع المنتجات المصرية والعمال المصريين

وترى الآنسة أن هذا كله يتحقق إذا عنينا باختيار القائمين بالتربية ، واحترمنا النشء ، وقدرنا وجودهم وتفاهمنا معهم، حتى يكونوا النسل المجيد للفراعنة الأمجاد .

(٦)

الموضوع السادس

عدة النجاح لرجل القرن العشرين

حضرة صاحب العزة مدير ادارة المطبوعات

اجتمعت اللجنة التى أتشرف برياستها والمؤلفة من حضرات محمد محمود خليل بك وخليل مطران بك والدكتور محمد حسين هيكل (بك) والأستاذ مصطفى عبد الرازق، للحكم فى المباراة الأدبية فى موضوع «عدة النجاح لرجل القرن العشرين». وقد عقدت اللجنة عدة جلسات تغيب فى الأخيرتين منها حضرة صاحب العزة محمد محمود خليل بك لسفره خارج القطر.

وقد قررت اللجنة فى آخر جلسة باجماع الآراء ما يأتى :-

أولا - أن تمنح الجوائز لأصحاب الموضوعات التى تستحق فى نظرها هذه الجوائز، فاذا لم يكن من بين هذه الموضوعات ما يستحق جائزة منها فلا تقترح اللجنة منحها.

ثانيا - منح الجائزة الأولى وقدرها ١٠٠ جنيه إلى حضرة محمد افندى ثابت الفندى عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس، مع الاشارة الى دقة بحثه وتفوق هذا الموضوع تفوقا واضحا على كل ما تقدم.

ثالثا - عدم وجود موضوع يستحق الجائزة الثانية.

رابعا - منح مقدار الجائزة الثالثة لكل من حضرتى حسين افندى مؤنس وفهيم افندى حبشى

وتشير اللجنة الى أن عدم تحديد موضوع المسابقة تحديدا دقيقا، وقصر الوقت المعين للمسابقة، قد كان من أثرهما أن خرج كثير من الباحثين عن الغاية من الموضوع، كما اقتصر كثيرون على تناوله تناولا غير جدير بالدخول فى مسابقة ما.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

رئيس اللجنة

القاهرة فى ٨ يوليو سنة ١٩٣٦

(حافظ عفيفى)

(١)

رسالة الأستاذ محمد ثابت افندى

١ - فلسفة الغايات :

لا نريد أن نسلك الى هذا الموضوع الطريق « الذاتى » فنتحدث عما يجب أن يكون عليه رجل القرن العشرين فى نظرنا ، فقد نفرض من الواجبات ونصطنع من المثل العليا مالو أخذ به واحد من الناس لقطع كل صلة بينه وبين العصر ، وانما طريقنا اليه الطريق العلمى الذى يحلل الحياة العصرية الى عناصرها الأولى ، ويميط اللثام عن أسباب النجاح والاخفاق فيها ، ومدار بحثنا « علم النفس » : ذلك العلم الفتى الذى تساق نتائجه نحو الاستفادة من الحياة لصالح الفرد بقدر المستطاع ؛ لذلك سيبدو للقارىء ، إذا فرغ من تصفح هذا الموضوع ، أنه انتقل الى عالم غير مطروق فى مثل هذا الظرف ، وإن يكن هو العالم الذى يجب أن نبحث فيه عن أسباب مانحن بصدده .

ما أحوج شرقنا الحاضر الى فلسفة فى الحياة لا الى فلسفة فى الكتب . ما أحوجه الى برامج للمثل العليا ، وإلى دساتير ترسم له غاياته ومطالبه فى الحياة . فان الفرق بيننا نحن أبناء الشرق - وبين أبناء الغرب أننا نعيش لغير « غاية » وبغير دستور ولا فلسفة ، فان أصبنا نجاحا فى يوم من الأيام كان ذلك وليد الصدفة المحضة والقدر اللاعب ، لا فضل لنا فيه ولا شأن لنا عليه - ورحم الله كربلين الطبيب الفرنسى الذى أراد أن يعرف آكل الحشيش بما يميزه عن الانسان الطبيعى فقال انه « الفاقد لمعنى الغائية » وكأنى به قد حدد بذلك الفارق الجوهرى بين الشرق النائم عن كل غاية فى الحياة ، والغربى اليقظ المتنبه لغايات مثلى يسعى اليها جهده .

الغايات والمقاصد فى أى لون من ألوانها هى البواعث الأولى التى تحفز الفرد أو الجماعة الى التفكير فالعمل ، وقديما قالوا : أول الفكر آخر العمل ، يشيرون بذلك الى أن الغاية تطرأ أولا ثم ينتهى اليها العمل آخرا ؛ وتاريخ الاختراع فى القرون الثلاثة الاخيرة يدلنا على أن الاختراعات كلها انما نشأت أولا كغايات ثم مازالت تستحث تلك الغايات أصحاب الكفاية حتى وصلوا الى تحقيقها بطرق طبيعية ميسورة لكل سالك فى هذا الطريق ، ولم يكن للصدفة أو الحظ أو الذكاء أو العبقرية - بما نفسر به الاختراع فى بلادنا - أى نصيب أو دخل فى حركة الاختراع ، فوجود الغايات إذن هو أول ما تصادفه فى قرارة نفس الأوربى ، وهو أول ما ينقصنا فى حياتنا الراهنة . والكثرة المطلقة منا تعيش بغير غاية ولا غرض ،

وتؤدى أعمالها كما تؤدى الآلة الميكانيكية أى عمل هيئت له . فلا ترتفع عن المستوى الآلى إلى أفق الغايات الانسانية ولا تحس بحاجات جديدة تعدل بها من شأنها فى الحياة . من هذه الزاوية وحدها نستطيع أن نلق النظرة الأولى على ما يتخذ رجل القرن العشرين من عدة للنجاح . فأول عدة له هى أن يكون ذا مطامح وغايات تبعثه الى خوض الحياة، وهو يجددها بغيرها كلما نال منها مأربه ، فان لم يفعل لم يبرح موضعه ، كالنبتة تموت حيث تولد وحيث تنمو وتتوالد .

ثم لا يكفى بعد هذا أن تكون الغاية فيكون الخير ، وانما يجب أن تتحدد وتتعين وتتفتح فى النفس حتى تتملك المشاعر ويتجه العقل إلى سبيل تحقيقها . وهذا فارق آخر بين الشرق المثقف والأوربى على وجه العموم : فقد تكون للأول غايات ومطامع ولكنه لا يعرف كيف يحددها ويجردها عن الاحساس الغامض الذى يكتنفها والشعور المبهم الذى يحيط بها حتى تصير معقولة واضحة . هذا ما يراه كاتب فرنسى فى أمر انتشار العلم الحديث بين أهل بلاد الأنام ، فقد التبس عليهم الغرض منه فأساءوا - على رأيه - استعماله وفهمه . وبمثل هذا يفسر التناحر الحزبى فى مصر ، فقد غشيت الغاية الأولى (الاستقلال) أهواء وأغراض فغمضت حتى كادت تنسى . وبمثل هذا أيضا يتنبأ كاتب فرنسى بقيام « الامبراطورية الثالثة » فى فرنسا لأن الفكرة التى قامت من أجلها الجمهورية لم تعد واضحة فى ذهن القائمين بالأمر . وكاتب هذه السطور يذكر تماما أن أحد أعضاء مجلس النواب المصرى الأخير اقترح ذات مرة الغاء كلية الآداب لأن خريجيها عاطلون ، وطبيعى أنه لم يقترح هذا إلا لأن الغاية من انشاء هذا المعهد لم تكن واضحة فى ذهنه . والخلاصة أن الغاية اذا لم تتحدد وتتضح فى النفس فان الانسان لا يستطيع أن يتجه الاتجاه الصحيح المنتج . وعلينا اذا شئنا أن نجارى روح العصر أن تكون أغراضنا واضحة جلية معينة معقولة .

الغايات الفردية كثيرة لاسبيل الى حصرها ، ولكل فرد أن يرسم ما شاء من الغايات . ولكن هناك قدر مشترك منها يجب توفره عند الرجل العصرى الذى يحلم بالنجاح والظفر . وقبل أن نفصل القول فى هذا القدر المشترك نريد أن ننبه الأذهان الى أننا سنتجنب بقدر الامكان الكلام عن الصفات الخلقية البحتة التى قد يتبادر الى الذهن أنها وحدها عدة النجاح فى هذا العصر . فان الأخلاق - كما شاهدنا فى أوربا وفى عاصمة من أكبر عواصم الحضارة التى لها وحدها أن تتحدث

عن القرن العشرين وعدة النجاح فيه ـ لم تعد من طبائع النفس وعاداتها وتقاليدها، وانما هي تصرف حسن أو سيء يمليه العقل المحض في كل ظرف .

في هذا القرن حل علم النفس محل الأخلاق ؛ أو قل حل العلم الموضوعي محل النصائح والأقوال الخلقية ، فحل بذلك العقل محل الضمير . ولسنا نعلم إلى أي حد سيكون انتصار العقل ، وانما الذي ندريه حتى الآن هو أن هذا العقل الذي سيطر به الأوربي على المادة أصبح كذلك معياره في الأخلاق . والأوربي العصري لايعبأ بالتقاليد الخلقية ولا يتمسك بها كما تتمسك عن عقيدة وإيمان لاشأن للعقل فيهما ، وانما يتمسك بها نزولا عند حكم العقل ، وقد يتمسك العقل بها لفائدتها أو لاتصالها بحادث تاريخي يهمه ذكراه ، أو حتى للسخرية بها في كثير من الأحيان .

وإذن فالغايات المشتركة التي تقدم ذكرها لاشأن لها بالأخلاق من حيث هي كذلك ، وانما هي من النوع النفسي البحت الذي لعلم النفس وحده أن يحدثنا عنه . وفي رأينا يمكن حصر الغايات الكبرى التي يجب توفرها في الرجل الحديث فيما يأتي :-

١ ـ محو العقلية الغيبية وابدالها بالعقلية العلمية .
٢ ـ النظر الى الأشياء بمنظار العدد والقياس والأحصاء والكم .
٣ ـ تقوية الشخصية الفردية لتؤدي وظيفتي الاقتناع والتكيف .
٤ ـ الأخلاق العملية .

٢ ـ العقلية الغيبية والعقلية والعلمية :

العقل الغيبي هو ذلك النوع من التفكير الذي يرد المسببات الى غير أسبابها كأن يرد رياح السموم الى انفتاح « طاقة من جهنم » ، والنجاح والفشل الى الحظ والنحس ، والزواج والطلاق والصحة والمرض الى تميمة أو أو رقية أو بخور أو كلام يتلوه مشعوذ . هذه العقلية فقدت تماما معنى « العقلية » وانحرفت عن الطريق القويم للتفكير فأصبحت غير صالحة لمسايرة الحياة ومساوقة الطبيعة، توجد عند الشعوب المتأخرة في أزياء مختلفة كالسحر والشعائر الدينية الوثنية . وتوجد عند الشعوب المتمدينة أيضا الى حد محدود . بل قد توجد الى جنب العقلية العلمية والى جوار أكبر النظريات الحديثة في رؤوس بعض العلماء الأوروبيين . والخلاص من هذه العقلية عسير وسبيله الوحيد فهم روح العلم الحديث .

أما العقلية العلمية فلسنا نقصد بها أن يكون الانسان عالما واقفا على قوانين الوجود وسننه، وإنما نقصد بها أن يتخذ الفرد الطامح الى النجاح طريقة العالم فى فهم الأشياء وأسلوبه فى تعليلها وتفسيرها ، أى يبحث دائما عن الأسباب الحقيقية الموضوعية لكل أمر .

وإذا أردت تعرف الفرق بين العقليتين فسل من شئت من عامة الناس : لماذا يطير الطائر؟ فسيكون جوابه حتما : لأن له أجنحة . وهو بذلك يجعل وظيفة الطيران نتيجة للعضو ، والعلم يرى عكس ذلك،أى يرى أن الوظيفة متقدمة وقد نتج عنها العضو .

وصفوة القول أن الرجل العصرى يجب أن ينبذ العقلية الغيبية ويطاردها فى كل مكان، حتى تستوى له عقلية علمية من هذا الطراز الذى نشاهده فى معامل العلماء .

يتصل بالعقلية الغيبية كذلك هذا الاعتقاد الشرقى بأن العالم مسير لاقدرة لنا فيه، وأن القوة المسيرة تتدخل فى تتابع أحداثه فتقدم وتؤخر وتحيي وتميت بغير حساب، ويجوز أن تعدل عما سبق أن كتبته من آجال . وقد تسرب هذا الاعتقاد الى فلسفاتهم، دينية كانت أو عقلية ، فقد بحث متكلمو المسلمين فى هل يستطيع الله تعالى أن يقدم الآجال أو يؤخرها عن ساعتها، فذهب بعضهم الى إمكان ذلك . وهم لعمرى لم يفهموا بذلك قدرة الله تعالى فان (النظام) المطرد فى العالم وتسلسل العلل ومعلولاتها أدل على هذه القدرة اللامتناهية من ذلك التصور الركيك الذى يجعل من قدرته تعالى وسيلة لتغير النظام الذى فطرته وابدعته . وكانى بأولئك المتكلمين ومن لف لفهم يتصورون هذا « النظام » على أنه ليس فى طبيعة الاشياء نفسها ولكنه فرض فرض عليها من خارجها يمكن تعديله أو العدول عنه فى كل لحظة . لهذا استسلم أهل الشرق الى الى ما أسموه حينا «بالقدر» وحينا «بالقسمة» أو « النصيب » أو « البخت » أو «الحظ» الخ . . . ولغاتهم جميعا مليئة بالألفاظ التى تعبر عن هذا المعنى القدرى مما يندر وجوده فى لغات الغرب . ولسنا فى حاجة الى بيان أثر هذا التصور الخاطىء فيما انتشر بيننا من تواكل واستسلام ودعة وسكون ورضاء ليس بعده رضاء، هذا ما يأخذه علينا الأوربيون وينسبونه الى الدين الحنيف وهو منه براء . وننكره نحن عليهم فى مساجلاتنا . وكان الأولى بنا أن نتشجع فنعترف به . ثم نعمل على علاجه وخصوصا بين تلك الطبقات الفقيرة الجاهلة التى تكون غالبية سكان مصر .

هذا فى الشرق، أما فى الغرب فان المذهب القدرى يطارد فى كل مكان . والعلم الغربى إنما يقوم على أساس محو هذه الفكرة ، لأن « الأصل الموضوع » الذى يبدأ منه العلم الحديث هو أن العالم يسوده « نظام » باطنى كامن فيه لا سبيل إلى تحويله ، ووظيفة العلم الحديث الأحاطة بنواميس هذا النظام والنسب بين هذه النواميس حتى يمكن استغلالها لمصلحة الانسان والسيطرة بها على الأشياء، ومن ثم جاء نبذ الغربى للاتكال والاستسلام ونزوعه إلى السيطرة والقوة والنشاط والعمل، واتساع مجال الأمل والعمل أمامه .

وليس معنى هذا أن العقلية القدرية لاتوجد فى الغرب ، فالطبقات التى لم يتسرب اليها نور العلم، فى أصوله لافى مظاهره، لم تدرك بعد معنى هذا النظام الكامن ، ولا زالت تعتقد بالقدر . ومع ذلك فالجامعات ومرافق الحياة كلها تتآزر على محو هذه الفكرة ، ورجل القرن العشرين - كما هو مشاهد - حريص كل الحرص على استبعادها واحلال فكرة «النظام» والقانون محلها .

وتتجلى العقلية العلمية الأوربية فى صورة أخرى لم نتعرض لها بعد هى الصورة (العملية)، فقد أصبح الغربيون يقدرون الأشياء بل الحقائق العملية وغير العملية بما تنتجه من فوائد عملية وما تحدثه من فرق فى حياة الانسان ، فلا المنطق ولا العقل ولا العمل وحده بكاف لاثبات حقيقة من الحقائق انما المحك الأخير هو النفع العملى ، حتى لقد أصبحت للحقائق فى نظرهم درجات تتفاوت بتفاوت الفوائد التى تجنى منها . فطبيعيات نيوتن حقيقية ، ولكن طبيعيات أنشتين أكثر حقيقة منها لأن عدد المسائل والمشاكل التى تحلها يربو على ماتحله طبيعيات نيوتن، والأديان حقيقية لأنه تترتب عليها فوائد لايمكن أن تجنى من الالحاد . . . الخ

وقد بشر هربرت سبنسر بين مغيب القرن الماضى وبزوغ الحاضر بوجهة نظر القرن العشرين العملية التى حولت النظر من المبادىء والأصول إلى الفوائد والنتائج . وسرعان ماانتشرت هذه النظرة فاذاعها وليم جيمس فى أميركا ، وبرجسن فى فرنسا ، وأويكن فى ألمانيا ، وارنست ماخ فى النمسا ، وعرفت بالمذهب العملى Pragmatisme ومن مفاخر الشباب الحديث أن يقول إنه من الآخذين بهذا المذهب، ولست أقول إن هذه النظرة المادية مثل أعلى ، ولكنى أقول إن الحياة الأوربية هى هكذا ، والرجل الناجح عندهم هو السائر على هذا الدرب ، المفتخر بأنه (عملى) .

وخلاصة القول إن محو العقلية الغيبية وإحلال العقلية العلمية محلها ، ونبذ الاتكال والاعتقاد بالنظام ، والنظر الى الأمور من جهة الفائدة والنتيجة، لا من جهة المبدأ والأصل، إن كل هذا من الصفات التي يعتد بها الرجل الحديث الذي يريد أن يجارى روح العصر لينال قسطه من النجاح .

٣ ـ العدد والقياس والاحصاء والكم :

وهنا أمر يجب أن ننبه الأذهان اليه، وقد يبدو لأول وهلة غريبا عجيبا لا أثر له فى النجاح ولا صلة له به ، مع أنه من أمضى الأسلحة التى يعتد بها العقل الحديث الموفق فى الحياة ، ألا وهو تكييف العقل بأسلوب العدد والقياس وصبغ التفكير فى كل صوره وأحكامه بطابع الاحصاء والحساب . والواقع أن النظرة الرياضية الى الأشياء إنما هى نظرة تجلى غوامضها وتظهر خوافيها وتحدد أقدارها وأحجامها وأبعادها ولا تترك صفة من صفاتها الا وقد قدرتها « كما » محدودا .

ومن الملاحظ أن الحضارة القائمة قد نحت نحو «الكم» فى كل شىء»، وتجاهلت الكيف الى حد ليس بالقليل ، فان هذا الأخير غامض معقد لا يعرف الا بالأوصاف والسمات والأوضاع، وكلها نسبية تختلف من فرد الى فرد . خذ مثلا الألوان فان الأكمه لاسبيل له الى تخيلها مهما سمع من أوصافها ونعوتها ، ولكنها اذا أحيلت كما يقدر بالقدر كأن يقال إن اللون الأحمر مثلا هو الاحساس البصرى الذى ينجم من تأثر الحاسة بموجات أثيرية سرعتها ٤٠٠ تريليون ذبذبة فى الثانية واللون البنفسجى يقابل ٧٠٠ تريليون ذبذبة ، وهكذا فى سائر الكيفات كما يفعل العلم الحديث ، فانه يستطيع فى سهولة أن يكون تصورا عن عالم الألوان أكثر وضوحا من ذلك التصور الكيفى .

والعلم الحديث جهاد طويل عنيف فى إحالة الكيفيات الغامضة الى كميات واضحة محدودة . ولهذا تشغل علوم العدد المكانة الاولى بين العلوم الحديثة باعتبار انها المعول الذى يهدم الكيف ويبنى الكم . مر بنظرك مثلا على كتاب فى الكيمياء أو الطبيعة أو الاقتصاد أو غير ذلك من العلوم العقلية التى وصلت الى نتائج مقنعة ثابتة، فماذا تجد غير القوانين والمعادلات الجبرية والاحصاءات والمقاييس التى تحدد تحديدا واضحا كل كيفية بل كل فكرة مجردة عامة .

إن الأوربى العصرى الذى رأيناه فى الفصل السابق نزاعا إلى اتخاذ أسلوب العلم وتطبيقه على مشاكل الحياة ، نجده هنا نزاعا الى الفهم أو الادراك الكمى .

وكم تحتاج أوربامن وقت ليصل أبناؤها جميعا الى مثل هذا الادراك . ذلك ما لانعرفه الآن وانما نعرف تماماً ان كل نواحي النشاط الأوربي الحديث تتجه إلى هذه الجهة . فالعلم والصحافة والكتب والتجارة والصناعة والزراعة تعتمد دائما على الاحصاء ، بل لقد تسربت هذه الطريقة الرياضية إلى مطابخ البيوت (تحديد كميات عناصر الطعام) ومخادع الأمهات (فى كل أسرة فرنسية يوجد ميزان توزن به أجسام الأطفال يوميا وتسجل الزيادة والنقص) .

وهناك قطر من الأقطار الشرقية استطاع أن يهضم هذه النظرة الحسابية إلى الأشياء هضما طيباء وأن يزن بها الكثير من شئون الحياة اليومية . فقد روى المسيو شاليه فى كتابه عن اليابان أنه ارتاع عند مارأى اليابانى الحديث حسابا ماهرا يفوق الأوربى من هذه الجهة ويفهم روح العصر أكثر منه لأنه يرتب حياته بناء على الاحصاء . زار أسرة من العمال فاستلفت نظره صحيفة معلقة على ظهر باب حجرة الطعام (التى يؤمها جميع أفراد الأسرة) فنظر فيها فاذا هى رسم بيانى Graphique يبين ما صرفته الأسرة فى شهرها هذا بالنسبة إلى الشهور السالفة، ومقصدها من ذلك ضبط أبواب الميزانية المنزلية .

نخلص مما تقدم إلى أننا إذا تعمقنا فى تحليل عقلية القرن العشرين فاننا نجدها عقلية تنمو شيئا فشيئا نحو رد الأمور كلها إلى العدد والقياس والاحصاء والكم . وقد أثبت العلم والتجارة والصناعة ، وحتى مسائل المعيشة اليومية، خطر هذا التقدير الحسابى للاشياء . وحسب القارىء أن يفكر قليلا فى فوائد هذا الأسلوب الرياضى إذا طبق على مرافق الحياة كلها ليقف بنفسه على خطره وقيمته بالنسبة الرجل الذى يريد أن يتزود بعدة للنجاح فى هذا العصر .

٤ ـ الشخصية :

اذا استتم للانسان فهم علمى وادراك كمى للأشياء فقد استتم له عقل من الطراز الحديث لا تستطيع أن تجاريه الأساليب القديمة فى التفكير . ولكن هل يكفى أن يتم للفرد مثل هذا العقل، فتكتمل له عدة النجاح فى مضمار الحياة؟ ما أظن أن ذلك يكفى ، فان الشخصية تلعب دوراً هاما جدا فى نجاح الفرد أو فشله ، وكل فرد منا يدرك ذلك فى نفسه إذا رجع اليها ، أو إذا قارنها بشخصيات من يتصل بهم من الناس، فنحن نستطيع فى سهولة أن نعرف إذا كانت شخصياتنا أقوى أو أضعف أو فى مستوى شخصية معينة اتصلنا بها ، والشخصية وليدة عدة عوامل : التاريخ

والبيئة والتجارب الشخصية والحالات الباطنية ، ولكل من هذه العوامل قسط فى تكوينها ، ولكننا لانريد أن نبحث هنا عن عوامل التكوين فان هذا يبعدنا عما نحن بصدده ،وانما نريدأن نميط اللثام عن كيفية تقويتها بحيث تستطيع أداء وظيفتين هامتين يتوقف عليهما نجاح الفرد فى الحياة الاجتماعية وهما :

١ - الاقناع

٢ - سرعة التكيف أو الملاءمة

والاقناع والتكيف فنان هامان من فنون الحياة . الأول هوفن تأثير الفرد فى غيره من الناس،أفراداً وجماعات،بحيث يقنعهم بوجهة نظره ويكتسبهم الى صفه . والثانى فن القدرة على تكيف الشخص بالوسط الذى يندمج فيه والملاءمة بينه وبين هذا الوسط فى سرعة وبراعة ولباقة . وقديما جعل داروين صفة القدرة على الملاءمة والتكيف بالوسط سببا فى بقاء الأصلح من الأحياء فى السلم البيولوجى، وهى لاتزال كذلك صفة لبقاء الأصلح فى المجتمع الانسانى .

السياسى والتاجر والصانع والموظف والمدرس والطبيب والصحفى والممثل والمحامى وكل من اتصل عمله بالجمهور لا يمكن أن ينجح اذا لم يحذق فن « الاقناع » أو قل انه ينجح بقدر درجته فى هذا الفن ، فاذا لم تكن له درجة فيه فلا قيمة لكل مايبذل من مجهودات أخرى للنجاح .

كذلك يحتاج الفرد الى استرضاء الجماعة واستجلاب عطفها وتملقها،إن صح هذا التعبير . ويتوقف نجاح الفرد من هذه الجهة على قدرته للتكيف بأغراض تلك الجماعة والملاءمة بينه وبين أهوائها وميولها .

ورجل القرن العشرين - كما نشاهده - لا يتم نجاحه الا إذا حذق الاقناع والتكيف ، فكيف يتوسل الى ذلك ؟

١ - من المشاهد فى أوربا،وخاصة فى الاجتماعات السياسية واجتماعات الأسر الرياضية فى نواديها واجتماعات التسلية ، أن البدن السليم القوى وسيلة من الوسائل التى تتذرع بها الشخصية للاقناع . ومن ثم كانت تقوية الأبدان بالألعاب الرياضية أول هدف للرجل العصرى الذى يريد أن يحتل مكانة يصبو اليها ، بل لقد بلغ تقدير الرياضة الى حد الاستهتار بالحياة والاستخفاف بالموت اذ يركب الرياضيون متن الهواء وعبر البحار على أسباب أوهى من نسيج العنكبوت .

وكثيرا ما يكفى الجسم السليم وحده لأن تخلع الجماعة على صاحبه هيبة وجلالا،

والواقع أن الصحة البدنية لها جمالها وفتنتها وجاذبيتها ، وأى الناس يقتنع بحديث المريض إذا تحدث لحشرج وبمطلع القمىء إذا راح أوجاء ؟

٢ - وإذا كانت الشخصية فى سبيل الوصول إلى الاقناع والتكيف تتوقف على صحة الجسم، فهى تتوقف كذلك على صفات نفسية محضة أعمق أثراً فى تقويتها . ويمكن دراسة تلك الصفات تبعا لأقسام علم النفس الكبرى .

الحساسية . الادراك . الارادة .

الحساسية : من الملاحظ أن الرجل الناجح فى هذا العصر قليل الأحاسيس سطحى الشعور والعواطف . وسبب ذلك أن الفرد الذى يترك نفسه للعواطف والميول والأهواء يكون دائما ذا شخصية سالبة قابلة للتأثر بما يجرى حولها ، ومثل هذه الشخصية عاجزة عن الاقناع تماما . أما الشخصية الموجبة فهى التى لا تتأثر بالعواطف والانفعالات، وتوجد فى الغالب بعد مران واكتساب ; ويطلق عليها «الدم البارد» أو «البرود» فقط ، خصوصا إذا جرى الحديث عن مناقب الانجليز ، والدم البارد من صفات الرجل العصرى الموفق .

الادراك : الرأى السائد عند علماء التربية هنا هو أن الرجل الحديث يجب أن لا يكون من المتخصصين فى علم من العلوم، لئلا تنقطع صلاته بالحياة ، ولئلا يرى العالم كله من ثقب ضيق . والمشاهد فعلا أن الرجل العصرى عام الثقافة فهو لا يعرف كثيرا من الأشياء ، ولكن لا كما يعرفها علماؤها معرفة التحليل والتفصيل ; وهو يعرف كذلك جملة من اللغات الأوربية الحية - لا القديمة - ولعله من نافل القول أن نفصل الكلام فى أثر المعارف العامة - ومنها اللغات - فى اكساب شخصية الانسان قوة سحرية للاقناع والتكيف ، لأن وضوح هذه الناحية كوضوح الشمس .

الارادة : أكبر أسباب قوة الشخصية وقدرتها على الاقناع والتكيف ، وتربية الشخصية عن طريق الارادة من أهم ما يشغل المؤسسات البسيكولوجية فى أمريكا ، تعتمد تلك المؤسسات فى تربية الارادة على طريقتى الايحاء والأمر . والايحاء هو أن يوهم الانسان نفسه بأنه ذو ارادة حديدية وقوة عظيمة . . الخ ، وينتهز هدأة وجدانه قبيل النوم وعند الاستيقاظ للقيام بالايحاء ، فلا يلبث أن يصبح الوهم حقيقة ويحس بفارق عظيم بين ارادته - وبالتالى شخصيته - قبل ممارسة الايحاء وبعده ، فاذا انتهى دور الايحاء يأتى دور «الأمر» فيستطيع الفرد أن يقسم نفسه قسمين :

أحدهما آمر والآخر مطيع . والآمر أبعد أثراً من الايحاء فى تمكين الشخصية وبسط نفوذها إذ بعد أن يختبر الفرد فى نفسه حقيقة الآمر وشروط طاعته وصيغة القائه ونغمته الصوتية التى تهيئه للتنفيذ ، يستطيع فى سهولة كبيرة أن يعرف كيف يأمر الآخرين فيلبي هؤلاء أمره من غير تذمر . وسواء أصحت هذه الطرق الامريكية أم لم تصح ، فانه من الثابت أن الارادة يمكن أن تقوى ، فتقوى الشخصية على حسابها فتستطيع أن تؤدى وظيفتى الاقناع والتكيف .

٣ - يأتى «المجتمع» بعد الجسم والنفس ، وقد كان المجتمع وسيكون أبدا من أسباب استقواء الشخصية أو ضعفها ، ذلك لأن رضاء المجتمع يساعد على تقوية الشخصية الى حد أنها تستطيع ، اعتمادا على هذا الرضاء ، أن تقنع وتفرض ماتراه من الآراء والمبادىء . وهناك من الشخصيات مايعيش على حساب رضاء المجتمع فحسب ، كشخصيات الساسة مثلا . والعظماء انما هم كذلك بفضل المجتمع وليسوا شيئا فى أنفسهم .

والرجل العصري يدرك هذه الحقائق ، لذلك نراه يتصيد النجاح عن طريق انضمامه الى كتلة «اجتماعية» ما ، ينتظر منها - بعد اجتهاد ونصب - أن ترفعه الى مصاف عظمائها . والحلقات الاجتماعية كثيرة جدا فى عصرنا هذا ، منها الاقتصادي والسياسى والمهنى والثقافى والعلمى . . . الخ ، وفى داخل كل حلقة من هذه الحلقات نجد الطامحين الى النجاح كثيرين ، ولكن الواصل منهم هو الشخص الذى يكتسب رضى الجماعة فيستطيع بذلك أن يملى ارادته عليها ، وأن يتكيف بأهوائها وآمالها وأغراضها .

من عدة النجاح فى الحياة العصرية اذن التعلق بأهداب جماعة من الجماعات .

٥ - الأخلاق العملية :

قلنا فى صدر المقال اننا لن نتعرض الى فضائل الأخلاق ، لأننا نعالج الموضوع من جهة نفسية . ونعود الآن فنقرر أننا لانريد أن نتعرض لها تحت هذا العنوان ، انما نريد أن نتعرض هنا لخلقين عمليين ، قد لايكونا من الأخلاق الفاضلة فى نظرنا نحن الشرقيين ، وان كانا عند أهل الغرب من أمهات الأخلاق وهما : (١) الاعلان (٢) انتهاز الفرص ، ويمتاز بهما دائما الرجل الناجح فى هذا العصر .

لم تجهل العصور القديمة فن الاعلان ، ولكنه كان وقفا على الملوك ورجال الدين والطبقة الارستقراطية ، فالتماثيل القائمة والدور الشاهقة والمعابد والقبور

والمسلات والاهرام كلها تبطن معنى من معانى الاعلان . ونجد فى العصور الوسطى بعض دول الاسلام يعنى بالدعاية والاعلان للدين والدولة وينصب لذلك وزيرا للدعاية (داعى الدعاة)، نخص بالذكر منها دولة الفاطميين بمصر . ولكن الاعلان فى أقوى صوره انما عرف فى العصور الأخيرة بفضل انتشار الطباعة والصحافة والسينما والمذياع وغير ذلك من الآلات الناقلة للأفكار .

وأسباب الاعلان وبواعثه « تنازع البقاء »، وان شئنا أن نفصل هذا المبدأ الداروينى فى هذا المقام قلنا إنه المنافسة وكسب المال أو الشهرة أو الجاه أو السلطان . وقوام الاعلان عادة «الالحاح» و « المبالغة »، فان التكرار يحدث عادة أو ألفة بالشيء أو المبدأ المعلن عنه فتتقبله النفس راضية من غير مقاومة، وبدون هذا الالحاح لا يمكن أن يثمر الاعلان ، أما المبالغة فهى وإن كانت مذمومة عندنا نحن الشرقيين إلا انها معمول بها فى بلاد الغرب ، فكل اعلان لا ينطوى على مبالغة لم يجتذب أحدا ولم يثر اهتماما، ولكن المهارة عندهم هنا أنهم يبالغون فعلا، ولكنهم لا يشعرون القارىء أو السامع أو الناظر الى الاعلان بتلك المبالغة .

والغرض من الاعلان - وهو بيت القصيد هنا - هو بسط نفوذ الشخصية الفردية (أو المعنوية لهيئة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية . . الخ) على أكبر عدد ممكن من الناس ، لأن الاعلان فى حقيقته «اقناع» يقوم على الالحاح والمبالغة ، وقد رأينا سابقا الى أى حد يتوقف النجاح فى الحياة على فن الاقناع .

والرجل الحديث الذى يمثل روح العصر يقدر الأعلان حق قدره، وهو يضحى بأعز ما لديه فى سبيل الاعلان والدعاية لشخصه أو صناعته أو فنه ، وهو واثق بعد هذه التضحية بأنها ستعود عليه بأضعافها . فالاعلان عدة لنجاح الرجل فى القرن العشرين ، وهو من أخلاقه العملية التى تجرى فى دمه وعروقه .

كذلك من أخلاقه العملية انتهاز الفرص ، والفرص قلما تعود ، لذلك فهو يترقبها ويتصيدها حتى إذا لاحت لم تفلت من يديه . وقلما يفشل العمل المناسب لظرفه .

والآن نستطيع أن نجمل ما تقدم كله فى هذه الكلمات : عدة النجاح لرجل القرن العشرين :هى عقلية علمية عملية ، ونظرة كمية إلى الأشياء ، وشخصية تستطيع أن تقنع وتتكيف فى سرعة ، وخلق يبيح له الأعلان وانتهاز الفرص .

ونحب أن نلاحظ أخيرا أننا لم نصف المثل الأعلى الذى نتخيله لرجل القرن العشرين ، أو الذى نحب أن نرى عليه رجل هذا القرن، لاننا لو كنا فعلنا ذلك لانتهينا

إلى نتائج غير تلك ، وخاصة من الناحية الخلقية ، وإنما وصفنا الرجل الحقيق الذى يمثل القرن العشرين فى عقليته وخلقه . فان بدأ هذا الرجل ماديا نفعيا بعيداً عن الأخلاق التقليدية التى أورثنا اياها الآباء من جهة، والتى قومها الدين من جهة أخرى ، فأرجو ألا يحمل الذنب على وألا يضاف الذنب إلى ذلك الرجل ، فهو مضطر أن يتكيف بروح العصر لينال قسطه من النجاح ، وأنا مضطر أن أقف بوصفى عند الواقع المحسوس ، وألا أعدوه إلى المتخيل الموهوم . لذلك لم أسلك الا الطريق العلمى الذى مكننى ، كما رأيت، من التعمق فى تحليل نفسية رجل العصر، ومن الوقوف على عناصر تلك النفسية التى لاتبدو للعين العابرة المجردة .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ حسين مؤنس

مهد لرسالته بالتحدث عما كان الناس فى أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين يحسبون أنهم أدركوا الكمال البشرى أو اقتربوا منه على أقل تقدير ، وأنهم قد اتخذوا العدة لكل شىء، وأن العلم قد انتهى بهم إلى درجة من الارتياح والاطمئنان ، ولكن الحرب العالمية زعزت فى نفوسهم الثقة ، ونزل رجل القرن العشرين عن عرشه إلى الأرض ، وذاق مرارة الفشل والهزيمة واليأس والخيبة ، وانقضت الحرب بويلاتها ونيرانها ، وجلس من نجا من طوفانها يتأمل حاله وما انتهى اليه، فلم يلبث أن دب فى نفسه الشك فيما بين يديه ، وعاد إلى نفسه شعور البحث عن الكمال ، وعن عدد جديدة للنجاح ، فلم يعد التقى والصلاح والزهد مقاييس النجاح ، بل لم يصبح المال مقياسا صالحا فهناك الآلاف يشقيهم المال ويملأهم هما وتعبا .

ثم انتقل إلى التحدث عن عدة النجاح لرجل القرن العشرين، فقال: لابأس أن يكون الانسان الناجح هانئا مطمئنا هادئا ، له عمل ينصرف اليه ويخلص له يؤتيه من الربح ما يسد حاجته من المال ويجعله فى مأمن من نكبات الدهر وأحداث الزمان .

ولابد أن يكون عضواً نافعا فى الهيئة التى يعيش فيها ، وفيه شىء من المنفعة للناس والوطن ، وجانب يستفيد منه اخوانه فى الوطن وزملاؤه فى الانسانية ، ويكون فى نجاحه خير للوطن ، وأن يعتبر هذا النجاح ملكا للوطن يضحى فى سبيله إذا

تطلب الأمر ذلك .

وأن يعرف أن للرياضة البدنية حسنات على الأخلاق بعد البدن ، فقوة الجسم توحى بقوة الخلق ، والرجل الصحيح أميل إلى الخير ، والرياضة تغرس فى النفوس حب النظام والميل إلى الحركة والعمل ، وهى تمرين طيب على الصراع فى الحياة والنزول فى ميدانها ، ويفيد يقظة فى الحياة وسرعة إلى انتهاز الفرصة وخفة فى العمل واحكاما فى الأداء ومثابرة فى الطلب وثقة فى النفس .

وأن يكون مؤمنا لايتسرب أى شك فى ايمانه بالله ، فان الايمان أساس من أسس النجاح ، ويكون مؤمنا بالنفس وبالوطن وبالحرية ، ذا شعور بالمسئولية والاستعداد لحملها وحسن القيام بها ، فيطالب بالنجاح لأنه يرى أنه جدير به .

وأن يكون متفائلا حسن الظن بالدنيا وأهلها يستقبل الحياة فرحا مستبشرا ويسايرها لايتأفف ولا يشكو ، فلم تعد الدنيا تحتمل سخافات الغاضبين عليها والساخطين بشرها .

وأن يلم من كل شىء بطرف ، بجانب ماتخصص فيه ، فيعرف ما يكفيه لأن يتحدث فى الأدب إذا جالس الأدباء ،وما يمكنه من الفهم اذا تحدث أمامه رجال الراديو ، وأن يفهم الشعر ويتذوقه ، ويألف الفلسفة ويلم بها الماما ، وهكذا يكون اجتماعيا يدرس فى الحياة أكثر ممايدرس فى المدرسة والكتاب .

ويجتهد فى أن يحصل كثيرا من المعلومات ، مما يتصل بالحياة ، فيعرف البارزين من رجال دولته ويلم بأعمالهم ، ويتتبع سياسة الدنيا عن كثب ليعرف كيف تسير الدنيا .

وأن يتوفر على فهم ناحية الاقتصاديات ،فيعرف أنظمة البنوك ويحيط بعملياتها ومهماتها ،كالايداع والتحويل والخصم والقطع والأسعار ، ويتفهم أنظمة التأمين وأساليب الربح .

وأن يكون رجلا عمليا لاينفق وقته فى طول التفكير والتدبير ، ولا يرسل نفسه مع الخيال يطوح به فى سماوات الآمال ومذاهب الأمانى .

وأن يتبع الدقة والنظام فى كل شىء ، فى العمل ، فى الأكل ، فى التنزه ، فى الضحك ، فى الكلام . . .

وأن يكون ذا رأس متزن ، فان الرأس المتزن سر من أسرار النجاح ، ومعناه القدرة على فهم الأمور ومجاراتها والاستفادة منها ، والاستعداد للفهم دائما ،

إذا لم يتحدث فى علم صمت ليتعلم وليفهم ، وإذا أشكل عليه أمر لم ييأس ويرتد ، بل يزن الأمر فى رأسه ويدقق فيه حتى يخلص له ، ويقابل الأمور بصراحة ولا يخدع نفسه أو يغرر بها ، ولا يهرب من الواقع ولا يبتعد من العمل .

وأن يكون رجلا « مغامرا » لايخاف الحياة ولا يتوقع الفشل فى كل خطوة يخطوها ولا يؤمن بالسير البطيء الممتد وانما يفضل القفزات السريعة الطويلة ، وليس معنى هذا أن يكون متهورا ، بل يفهم بالضبط مدى المغامرة التى سيلق نفسه بين أحضانها ، ويدقق قبل أن يعقد الصفقة التى أمامه ، فاذا رسخ له نجاحها لم يكن هناك محل للتردد ، بل يتقدم واثقا مطمئنا .

وليصرف همه إلى تعلم لغة من لغات هذا العصر ، يدرسها دراسة وافية ويحذق الحديث والكتابة والقراءة بها ، حتى يستطيع أن يطل منها على القرن العشرين ، ويفهم أبناء عصره إذا تحدثوا ، ويفهمه أبناء عصره إذا تحدث .

ولا يذهب نفر ممن لايفهمون الأمور على وجهها الصحيح إلى أن عدة النجاح لرجل القرن العشرين انما هى الخداع والكذب والخيانة وترك الفضيلة وازدراء الأخلاق والتقاليد ، فليس أبعد عن الصواب من مثل هذا الرأى ، فالفضائل لازالت محبة مؤدية إلى النجاح ، والرذائل مكروهة مؤدية إلى الفشل ، ونجاح من الأخلاق لهم قصير العمر لايلبث أن تعصف به الايام فى لحظات ، لانه نجاح طارىء أتى بغير اقتدار ، وليست له عدد تؤيده ولا مقومات ينهض عليها ، وصاحبه إذا كان قد أصاب المال والجاه فقد فقد أعز مافى الحياة ، فقد السمعة والضمير والاحساس ، فقد حب الناس وهو جانب من النجاح يحرص عليه رجل القرن العشرين .

ثم ختم بحثه بايراد عدة الرجل الناجح كما رآها ابن المقفع ، وهى :

من حاول الأمور احتاج فيها الى ست : العلم والتوفيق ، والفرصة والأعوان ، والأدب والاجتهاد .

وهن أزواج :

فالرأى والأدب زوج ، لايكمل الرأى بغير الأدب ، ولا يكمل الأدب إلا بالرأى .

والأعوان والفرصة زوج ، لاينفع الأعوان الا عند الفرصة ، ولاتتم الفرصة الا بحضور الأعوان .

والتوفيق والاجتهاد زوج ، فالاجتهاد سبب التوفيق ، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد .

(٣)

ملخص رسالة
الأستاذ فهيم حبشى

تحدث عما يتميز به القرن العشرون من التخصص والسرعة والعلوم والفنون والصناعات ، وأن الفرد لاينجح فيه إلا إذا أعد له عدته ، وتسلح بكثير من الأسلحة التى تعينه على البقاء وتكفل له الفوز ، وأن النجاح هو الغنى لا الفقر ، والشهرة لا الضعة ، والقوة لاالضعف ، والصحة لا المرض ، والسعادة لاالشقاء ، وادراك النجاح فى متناول الجميع إذ سعوا اليه ، وتفهموا أسراره ، وأدركوا قواعده وأصوله ، وقد خلق الله كل فرد ليؤدى فى الحياة رسالته ، وفى وسع كل شخص أن يقوم بجلائل الأعمال ، وقواعد النجاح ثابتة لاتتغير ، وأسراره هى:

١ ـ الدراسة النفسية ، لمعرفة القوى الكامنة والمواهب الخفية التى تبحث بالثقة ، والايحاء الذاتى وقوة الارادة ، فيخلق المرء فى ذهنه صورة كاملة من غرضه الذى يسعى اليه ، ثم يعمل على تحقيق هذا الغرض ماديا بما يراه كفيلا لذلك ، بنفس وثابة وعزيمة ثابتة .

٢ ـ الصحة ، فالعقل السليم فى الجسم السليم .

٣ ـ العلوم والثقافة ، فالرجل الناجح هو ذو الثقافة المتجددة ، ويزداد نجاحه تبعاً لازدياد معارفه ، ويخطىء من يظن أن إجازات الجامعات كافية للنجاح ، فشهادة الدراسة غير شهادة الحياة ، ويبدأ التعليم الحقيقى للفرد بانتهاء تعليمه الجامعى .

٤ ـ الأخلاق ، فالخلق تاج الحياة ، وعظمة النفس ، وهو فوز الارادة على الأهواء ، ومقياسه ألا يعمل الانسان فى السر مايستحى منه فى العلانية .

٥ ـ الاخلاص فى العمل ، فحب العمل والتفانى فى اتقانه يتبعهما النجاح وبروز الشخصية ، وزيادة الموارد وقوة النفوذ .

٦ ـ البيت والاسرة ، فللحياة البيتية الأثر الكبير فى حياة الفرد ، فهى إما أن تضاعف قواه وتزيد من همته ونشاطه ، وإما أن تذهب بها جميعا ، وسر القوة فى الرجل الناجح ليست فى عقله فقط ، ولا فى ماله ، وإنما تتمكن فى قلبه ، وقلب الرجل فى منزله ، والنجاح فى المدرسة وفى العمل وفى الحياة العامة ، يتوقف على

الهناء فى الحياة العائلية .

وختم بحثه بأن ماذكره هو عدة النجاح لرجل القرن العشرين .

ثم تحدث عن الحظ ، فقال لم يكن الحظ ولن يكون عاملا من عوامل النجاح ؛ وإنما حظك بيدك ، ونجاحك نتيجة حتمية لما بذلت من جهد ، وما قاسيت من عناء .

والنجاح المفاجىء قد يظنه الجاهل حظا ، وما هو إلا فرصة سنحت فانتهزها الناجح وانتفع بها ، نتيجة لمجهود كبير واستعداد خاص ، وقد تسنح الفرصة نفسها لغيره فلا يعنى بها ولا ينتبه اليها .

والحمقى هم الذين يعيبون على الناس نجاحهم ، وينسبون هذا النجاح الى الحظ ، ليتخذوا من ذلك عذرا يعتذرون به عن فشلهم الذريع وخلقهم الناقص .

وعندى أن كل عمل تقوم به عن نية خالصة ، وقلب صادق ، وعزيمة ثابتة لابد أن يكلل بالنجاح .

(٧)

الموضوع السابع

تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير

* * *

(رأت اللجنة أنه لا يوجد بين الموضوعات التى قدمت اليها مايستحق أية جائزة ، فقررت عدم منح الجوائز)

(٨)

الموضوع الثامن

ترقية الفلاح اجتماعيا

اجتمعت اللجنة بكامل هيئتها ، وحصرت الموضوعات التى تقدمت اليها وعددها ١٦٧ ، ووالت اجتماعاتها حتى أتمت دراستها ، ولاحظت اللجنة أن ضيق الوقت لم يساعد على درس هذا الموضوع الخطير وبحثه من جميع نواحيه بحيث يشمل استخلاص أسباب انحطاط الفلاح وطرق

علاجها على نمط شامل يصح تنفيذه .

لذلك اختارت من بينها أمثلها وأدناها الى تحقيق الغرض المطلوب، وقررت أن تمنح الجوائز الى أربعة ، وهم :

			جنيها
١ -	الآنسة ابنة الشاطىء		٥٠
٢ -	الأستاذ عبد الوارث كبير	«صحفى»	٢٥
٣ -	« عزيز خانكى بك	المحامى	٢٥
٤ -	« يوسف فهمى	«صحفى»	٢٥

رئيس اللجنة

٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦ (محمود عبد الرازق)

(١)
رسالة الآنسة ابنة الشاطىء

نبذة تاريخية :

فكرة الاصلاح الاجتماعى ليست وليدة هذا العام ، وإنما هى رغبة قديمة ظلت لاتعدو دائرة الاحلام حتى تحققت أخيرا على يد دولة على ماهر باشا ، وهو أحق الناس بتحقيق الفكرة وأقدرهم على حمل الرسالة ، وما كان لهذه الرغبة أن تموت ومصر أمة تعتمدفى ثروتها على الزراعة ، وترى فيها الحرفة الرئيسية لثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة من رجالها ، وماكان لهذا الأمل أن يخيب وحياةمصر تكمن فى الأرض التى قال عنها المرحوم حافظ ابراهيم : « ونحن نمشى على أرض من الذهب » .

أدرك المصريون هذه الحقيقة منذ آلاف من السنين ، فكانت العناية بشؤون الرى موضع اهتمام الحكومات دائما ، وكان بناء القناطر والسدود وحفر الترع سياسة أساسية عند كثير من الفراعنة فحول مينا مجرى النيل قرب منفيس فى القرن الثالث والثلاثين قبل الميلاد ، وأنشأ امنمحمت الثالث خزان بحيرة موريس فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وأدخل المغفور له محمد على باشا زراعة القطن والقنب

سنة ١٨٢٠ م ، ثم شرع فى بناء القناطر الخيرية فى أواخر عهده . وفى سنة ١٨٥٢م أصدر المغفور له سعيد باشا قانون الأراضى الشهير الذى أصبح به الفلاح لأول مرة ، المالك الحقيقى لما يفلحه من الأرض .

وحفر المغفور له اسماعيل باشا كثيرا من الترع والقناطر ، وأصلح من الأرض ما لا تقل مساحته عن مليون ونصف مليون من الأفدنة . ثم أنشىء خزان اسوان سنة ١٩٠٢ م لتعقبه مشروعات الرى العجيبة التى تمت فى عهد جلالة مولانا الملك فؤاد الأول حفظه الله . وفيما عدا مشروع الأراضى ومشروع دولة محمد باشا محمود سنة ١٩٢٩ ، لانكاد نجد بين المشروعات التى تمت فى خمسة آلاف سنة ، مشروعا جديا يتناول حياة الفلاح بالاصلاح ، وينهض بها إلى مستوى معقول ، فكانت النتيجة الطبيعية المعقولة لهذا التغافل ، أن ظل الفلاح قرونا عدة يرزح تحت أعباء ثقال من انحطاط يصعب وصفه وتصوره .

لقد قدس أجدادنا ماء النيل ، فنسوا اليد العاملة التى تستغل الحياة الكامنة فيه ، كما ألهانا السحر العجيب الذى ينفثه النهر فى صميم الصحراء الملتهبة فيجعلها جنة ناضرة ، عن المخلوق المجاهد الذى أظهر عظمة النيل ، وأتاح السبيل لتحقيق معجزة وجود الجنة المصرية بين ذراعين ملتهبتين من الرمال التى تغلى الدم وتصهر العظم ، وفى مثل هذا يقول العلامة الألمانى فريد ريش آرابو: «لقد تعودنا أن نفرض لخصوبة الأرض المكانة الأولى فى تحديد الانتاج ، أما حياة الفلاحين ، وقوتهم التى لا تنتج الأرض بدونها محصولا مهما حسنت ، فاننا ننزلها جميعا فى المرتبة الثانية من التفكير . » (١)

واليوم . . . يتحرك قلم التاريخ ليسجل أن الحكومة الماهرية تعمل على اصلاح الفلاحين لتتيح لهم حياة ممكنة معقولة ، وأنه قد آن لتلك الفئة الشقية المجاهدة أن تظفر بنصيبها من الحياة .

أثر انحطاط الفلاح فى الأمة :

وأثر انحطاط الفلاح فى الأمة واضح ، فمن غير المعقول أن تنهض مصر الزراعية وفى جسمها هذه الأعضاء المريضة المهدمة ، وأن تسير القافلة وفيها بضعة ملايين من القرويين ، يحيون حياة مظلمة ، أخشى أن نصبح ونمسى فاذا بها تحمل العوامل الهدامة فى مجد مصر الذى قام على أسنة الفئوس .

---

(١) تطور الزراعة وارتقاؤها .

نلمس هذا الأثر ، فى ضعف اليد العاملة وقلة الانتاج والنزوح إلى المدن ؛ فالفلاح يبذل فى عملية زراعية من الجهد ، أضعاف ما يبذله فلاح قوى صحيح الجسم ؛ فليس عجيبا أن تستورد مصر الزراعية فى سنة واحدة - ١٩٣١ - دقيقا بمبلغ ١١٦٧٠٠٠ جنيه،وأرزا بمبلغ ٢٥٨٠٠٠ جنيه ، وقمحا بمبلغ ٢١٥٠٠٠جنيه، وجبنا بمبلغ ٣٠٥٠٠٠جنيه،وسكرا بمبلغ ٣٨٠٠٠ جنيه، وهى محصولات زراعية كان فى استطاعة الفلاح أن يمدنا بها لو أنه يحيا حياة صالحة ، وليس عجيبا أن ينزح الفلاحون إلى المدن وفيها عيش وماء نقى ولهو ميسور ، ولقد سجل التعداد الأخير أن سكان الحضر يزيدون على حساب سكان الريف بنسبة تسترعى النظر ، وتستدعى ضرورة اتخاذ الوسائل لتلافى ذلك ، فقد زاد عدد سكان القاهرة وحدها ٢٧٣٦٢٨ نسمة فى عشر سنوات (١٩١٧ - ١٩٢٧) منهم ٧٦٧٠٧ نسمة نشأت عن زيادة المواليد ، والباقون وعددهم ١٩٦٩٢١ نسمة نزحوا إلى الحضر الذى لايحتمل الزيادة حيث يحترفون أحقر المهن وأبسطها ، يدللون الأطفال ، ويخدمون فى البيوت ،ويبيعون ورق النصيب ، تاركين الأرض المحتاجة إلى سواعد أبناء الريف الأشداء .

نواحى الانحطاط :

وليس من العسير علينا أن نهتدى إلى نواحى الانحطاط فى القرية،بالرغم من تشعبها وكثرتها ، فالماء غير النقى الذى يغتسل به الفلاح ويشرب منه ، كما تشرب البهم والدواب ، يحمل الى جسمه جراثيم أمراض تسلبه قواه ، والفلاح غالبا لايعرف من الطعام الا مايسد الرمق، ولو لم يمد الجسم بحاجته من عناصر الغذاء ، ومن اللباس الا مايستر العورة ، ولو لم تكن له النظافة الواجبة للانسان، ومن المسكن الا المكان الضيق المظلم الذى يأوى اليه هو وأولاده ودوابه جميعا، ولو لم يتوافر فيه مايجب للمساكن من ضوء وهواء نقى واتساع ، ثم هو بعد ذلك جاهل تسأله متى ولد فيجيبك : « يوم مات عمى فلان ! » ، ينحصر تفكيره فى النيل وحاصلاته ، ويكاد يحيا بعيدا عن مجرى الحياة المصرية ، يعتقد فى التعاويذ ، ويؤمن بالخرافات ، ويتخذ الى رغباته وسائل خرافية ، ويصاب طفله بالمرض فيقول إن اصابته ناشئة من الجن أو الحسد .

برنامج الاصلاح :

الآن وقد بسطنا نواحى انحطاط الفلاح ، ننتقل الى البحث فى رفع مستوى

معيشة الزراع ، وهى مسألة تقتضى تعاون الأمة ،حكومة وشعبا، على تمهيد حياة صالحة للفلاح الشق المجاهد .

فتعمل الحكومة على زيادة انتاج الفلاح عن طريق النهوض بصحته ، فتنقذه من المياه الملوثة ، ولو كلفها ذلك انشاء مضخة بسيطة فى كل قرية ، تمد الفلاح بماء نقى يقيه شر الحميات والأمراض ، وتردم البرك والمستنقعات التى تحمل عوامل الفتك بالفلاح المسكين ، وتتدرج فى تعميم المستشفيات القروية لأن النهوض الاجتماعى للفلاح لن يقوم إلا على أساس متين من حياة صحية ، وهذه حقيقة أحس بها دولة محمد باشا محمود فمنحها من عنايته واهتمامه ماسوف يذكره له التاريخ فى عهد وزارته سنة ١٩٢٩،وضع دولته برنامج الاصلاح الصحى فى القرى ، ثم شاء سوء حظ الفلاح أن يحفظ البرنامج بعد استقالة الوزارة المحمدية ، ولو قد نفذ لتمهدت للفلاح حياة صحية ولخف عبء الاصلاح الآن ، والرأى عندنا أن تشجع الحكومة بناء المساكن الصحية بأن يمنح كل فلاح، يريد بناء دار جديدة، قطعة أرض من أملاك الدولة القريبة من قريته ، مساحتها أربعة وستون مترا ، ويشترط فى هذه المنحة ، بناء الدار طبقا لتعليمات صحية خاصة ، وتكون الفائدة أعم ، لو اجتهدت الحكومة فى جعل المساكن الجديدة متقاربة ، بأن تخصص قطعة من الأرض لمشروع المنحة ، لكل عدد قليل من القرى المتقاربة ، فان لم يكن للدولة أملاك فى منطقة ما ، يخصص مبلغ أربعة آلاف جنيه سنويا ، لشراء ستة وسبعين فدانا ثمن الفدان أربعة وخمسون جنيها فى المتوسط ، تخصص لبناء خمسة آلاف مسكن جديد ، (لكل مسكن أربعة وستون مترا مربعا) زيادة على الأرض التى تمنح للفلاحين القادرين على البناء وتكون من أملاك الدولة .

وفى الوقت الذى تصلح فيه القرى الحالية ، نوجه أنظارنا الى انشاء قرى جديدة فى المناطق البور التى يجرى اصلاحها الآن فى شمال الدلتا ، فهى المنفذ الوحيد لتخفيف الضغط عن الأرضى الزراعية المحدودة المساحة ، والتى يسكنها ٩٩ فى المائة من مجموع سكان القطر المصرى (١) ، ولتخفيف ضغط الهجر عن المدن الكبيرة التى تكاد تضيق بسكانها ، ولايجاد عمل منتج لآلاف القرويين ولمئات الشبان المتعطلين . ويجب تسهيل الانتقال للفلاح وأسرته ومواشيه الى المناطق الجديدة، واعتبار انشاء القرى الصحية جزءا من برنامج اصلاح الأراضى البور ، فان

(١) تقويم الحكومة المصرية لسنة ١٩٣٥

هذه السياسة الانشائية ، تغرى القرويين بالنزوح الى المناطق الجديدة ، حيث يحيون حياة غير الحياة التى يتخبطون فى ظلامها الآن . ويتخلص جمال الريف فيها من شوائب القذارة والمرض فيغرى الأعيان المزارعين بالاقامة هناك ، وليس أدل على علاقة كية الانتاج بحياة الفلاح من أن محصول الفدان فى تفتيش الفاروقية التابع للخاصة الملكية ، بلغ اثنى عشر أردبا من القمح ، وثمانية قناطير من القطن .

وتشجيع الصناعات القومية القائمة على الزراعة . بحمايتها من المنافسة الأجنبية ، من شأنه انماء ثروة الفلاح حين يزداد الطلب على المحاصيل الزراعية ، ومتى توفر للفلاح شىء من المال ، بالاصلاح الصحى وزيادة الطلب ، استعان به على اصلاح حياته .

ويدخل فى باب توفير المال للفلاح ، تخفيض نفقات الانتاج عن طريق تخفيف الضرائب وجعلها مرنة تخضع لظروف الزمان والمكان ، وتسهيل وسائل نقل الحاصلات الزراعية بتخفيض أجور النقل وإيجاد أسواق خارجية لها ، لأن ريع الأطيان لم يعد كافيا لتكاليف الزراعة ودفع الأموال الاميرية . و نفقات الفلاح وعائلته ، وهى حالة أليمة وصفها مزارع فى نكتة بارعة حين كتب إلى وزير المعارف يستعطفه فى قبول ابنه مجانا فقال : « اننى أعول خمسة أولاد وخمسة أفدنة . . »

ومن وسائل تخفيض نفقات الانتاج ، تعميم الجمعيات التعاونية وتشجيعها ومساعدتها بالقروض الطويلة الأجل المعتدلة الفائدة ، فالتعاون هو سر غنى الدانمرك التى ضنت عليها الطبيعة بأسباب الرخاء ، فهى خالية من الفحم والمعادن وأحجار البناء والأنهار الصالحة للملاحة والقوة المائية ، وتربتها فى الجملة ليست خصبة ، ولكنها احتالت على فقرها بالتعاون فكان لها نعم المعين . تستطيع الجمعية التعاونية أن تجمع الأموال وتشترى الآلات الزراعية وتجمع غلات أعضائها وتبيعها صفقة واحدة فى أنسب الأوقات ، وتشترى البذور بسعر الجملة وتوزعها عليهم ، وفى هذا ما فيه من انماء ثروة الفلاح .

والفلاح لا يذله الاضيق ذات يده ، فلو استطعنا أن نزيد فى انتاجه ، ونخفض نفقات ذلك الانتاج ، وتوفر له شىء من المال شعر بانسانيته ، وتسامى الى حياة أنظف وأهنأ من حياته الراهنة .

وللتعليم الزراعى أثر كبير فى النهوض بالفلاح ، ونحسب أنه قد آن الأوان

لكى نهتم به وبنشر ثقافته فى مصر الزراعية. وليس من شك فى أن مدارس الزراعة الحالية ، فضلا عن تفاهة عددها ، لاتخرج لنا فئة من الزراع المثقفين ، بل يتطلع طلبتها جميعا للاستخدام فى الحكومة ، فهم يلتحقون بها بعد اتمام الدراسة بالمدارس الابتدائية التى قال عنها مسترمان : « انها تثقف تلاميذها تثقيفا نظريا ، وتكسبهم عادات المعيشة فى المدن ، وهذا مما لا ينشط على الاحتراف بالزراعة »(١)

ومن أبسط الطرق العملية لنشر الثقافة الزراعية فى القرى : تحوير برامج المدارس الالزامية فى القرى ، وجعلها مكاتب زراعية أولية ، يراعى فيها تقارب يئتى الدار والمدرسة. فلا يكلف الصبية بلباس خاص ، بل يكتفى منهم بالنظافة. وفى هذه المكاتب يكون منهج الدراسة ذا شعبتين ، الأولى نظرية يتعلم الصبي فيها القراءة والكتابة والدين ومبادىء الحساب ، ويقوم بتدريس هذه المواد متخرجو مدارس المعلمين الاولية . والشعبة الثانية عملية توجه الصبي توجيها زراعيا صالحا بدرس أراضى مصر وجوها ومناسبته لنمو الحاصلات ، والآلات الزراعية وكيفية استعمالها ، وتغذية المواشى وانتخابها ، وتخزين المحصول ، والصناعات الزراعية ، ويقوم بتدريس هذه المواد ، الحاصلون على شهادة الزراعة المتوسطة .

وتدرس الفتاة القروية : الطرق الصحية النظيفة لحلب اللبن وتخميره وصناعة منتجاته ، وتربية الطفل ، وتربية النحل ودود القز والماشية ، وبعض الصناعات الريفية الرابحة . أما مادة علم الصحة فتدرس عمليا بحيث تتناسب درجات التلاميذ فيها ، مع نظافتهم الشخصية لا مع قدرتهم على الحفظ . وتبقى المدارس الالزامية فى المدن لتعد تلاميذها للمدارس التحضيرية ومدارس المعلمين الاولية . أما فى القرى فهى فضلا عن كونها نظرية محضة ، تبث فى الطفل القروى روح الغرور ، وتغريه ببغض الفلاحة والتطلع إلى مدارس المعلمين ، مادام يعرف تاريخ الاسكندر الأكبر وحياة الاسكيمو !

والارشاد المنتج وسيلة محققة الفائدة لترقية الفلاح ، ولن يكون الارشاد منتجا الا إذا سهل على الفلاح فهمه وتنفيذه ، فبجانب طرق الارشاد التى تتبعها وزارة الزراعة ومصلحة الصحة ، تضع مصلحة الشؤون القروية نظاما خاصا للاذاعة فى القرى ، يراعى فيه جهل القرويين وكثرة مشاغلهم ، وتلقى بوساطته محاضرات بسيطة فى الارشاد الزراعى والصحى ، مع شيء من الأغانى الريفية

(١) تقرير عن بعض نواحى التعليم فى مصر

والقصص السهلة المسلية ، والقرآن الكريم . فيتطلع الفلاح إلى حياة أخرى ، ويحتال على تحسين طعامه بالاكثار من أكل الخضراوات النظيفة والفواكه الرخيصة الثمن ، ويتقى الأمراض والحشرات بتعريض الفراش والملابس لأشعة الشمس المطهرة ، ويهتم بنظافة جسمه وثيابه ومنزله ، ويحتال على تنقية المياه بالزير أو الغلى أو الارساب حتى يتم للحكومة توفير المياه النقية فى القرى .

وتستطيع الحكومة أن تنهض بالقرية عن طريق بث روح النشاط فيها ، فتختار بعض القرى لانشاء معامل الألبان والتفريخ ، ومصانع تجفيف الفواكه وعمل الصلصة والمربات ، ويفرض على عمالها وموظفيها أن يقيموا فى القرى ليبعثوا فيها روح النشاط ، ويتكون منهم ومن أسرهم عنصر جديد فى القرية ، يهذب خشونة الحياة فيها .

على أنه ليس من الهين على الحكومة أن تقوم باصلاح القرية، وكل مافيها يحتاج إلى الاصلاح ، ولكن تعميم المجالس القروية من شأنه تخفيف العبء والمساعدة على ترقية الفلاح ، وتمتاز المجالس القروية عن الهيئات الحكومية بأنها مركزية ، تعرف من شؤون القرية ونواحى الانحطاط فيها مالا يتيسر للحكومة معرفته ، فهى بحكم اتصالها بالقرى ، أقرب إلى فهم الفلاحين وأقدر على إصلاحهم .

وللدولة أن تنتفع بنشاط الجمعيات الزراعية فى مصر ، فتغريها بالمساهمة فى ترقية الفلاح ، عن طريق الاعتراف لها بالشخصية المعنوية ، وتقدير رجالها العاملين .

واجب كبار الملاك :

لن تستطيع الحكومة أن تقوم بالاصلاح فى ضياع الملاك ، والفلاح هو اليد الوحيدة التى تحيل أراضيهم الزراعية باذن الله ذهباً نضاراً يتيح لهم ماينعمون به، وكان يجب ألايشقى فى أمة زراعية ، لولا أن كبار الملاك يفرون من القرى ويتغافلون عن واجبهم نحو الفلاح .

قبل أن يشهر «موسولينى» الحرب على الأراضى البور فى بلاده ، وقف يقول: « ستنفق الدولة ملايين الجنيهات، وتستخدم مئات الألوف من العمال، فهذه الجهود يجب أن تقابل بجهود مثلها من الأهالى، لأنه لايليق بهم أن يقفوا جامدين أمام جهود الحكومة . فاذا ماثبت أن صاحب الأطيان عاجز مالياً عن القيام بعملية الاصلاح، تمده الحكومة بالمال اللازم بفائدة معتدلة ، وعلى أقساط متباعدة »

متى شرعت الحكومة فى تنفيذ برنامج الاصلاح ، كان من حقها ومن حق الفلاح على كبار الملاك أن يقوموا باصلاح ضياعهم، فالملكية العقارية أخذت تتحول شيئاً فشيئاً عن صفتها كحق شخصى للفرد ، لتصبح وظيفة اجتماعية ، وواجبا على الفرد نحو الجماعة ، وقد سبقنى إلى هذا الرأى حضرة الأستاذ عبد الرحيم بك غنيم حين قال فى محاضرته عن ملكية الأفراد والمصلحة العامة (١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣١):

« حائز الثروة أصبح بحكم حيازته لها قادراً على أداء خدمة لايستطيعها سواه ، فهو وحده القادر على إنمائها ، ولهذا الاعتبار لامانع من تدخل الشارع فى حرية المالك كما حصل فى فرنسا بقانونى ٦ من أكتوبر سنة ١٩١٦ ، ٤ من مايو سنة ١٩١٨ وقد اعتبر شراء الأراضى وتركها بوراً، لغرض المضاربة ، جريمة » وهى القاعدة التى اتخذها الشارع الايطالى أساساً لاجبار الأهالى على إصلاح ضياعهم وأراضيهم البور .

فى استطاعة كل مالك ، أن يبث فى قريته روح النظافة والرقى ، وأن يهيء لمزارعيه حياة صالحة ، إذا تنازل عن بعض دخله من الضيعة ، لينفقه فى إصلاح الأجسام المهدمة التى تخدمه وتخلص له ، ويمد آلاته الآدمية بالقوة والنشاط، فيزيد إنتاجهم وتنمو ثروته .

إن من مصلحة المالك ، وكل مقيم فى هذه البلاد ، أن يكون الفلاح، كما قال سعادة وزير المالية : « بعيداً عن أحضان اليأس ، وألا تبدو عليه علامات السخط ، إذ أن جهوده هى وحدها مصدر الخير والبركة للجميع ، فمن حقه إذن أن نمنحه العطف ، وأن نهبه العناية الكفيلة برخائه » .

والمالك مطالب أدبياً بالاشراف على حياة مزارعيه ، يزور دورهم ويتصل بهم اتصالا مباشراً ، ويزودهم بالنصائح السهلة ثم يراقب تنفيذها ؛ والمتعلمون مطالبون بمثل هذا فى قراهم ، لأنهم أقرب إلى قلوب الفلاحين من الموظفين والملاك ، فيقاومون الخرافات والأوهام السائدة فى القرى ، ويرشدون الفلاح إلى الحياة الصالحة بالنصائح والقدوة الحسنة .

ويؤدى الاتصال بالفلاح إلى نتيجة أخرى ذات أثر كبير فى النهوض به ، وهى اشعاره بعدم حقارة مهنته ، فلسنا نغالى اذا قلنا : ان الفلاحة ينظر اليها فى مصر كمهنة حقيرة ، مع كونها المهنة الرئيسية فى البلاد ، نشأت هذه الفكرة عند الفلاح لشعوره باحتقارنا الفلاحة ، وفرارنا من الريف ، وهو وإن بقى فى القرية لا يكاد

يشعر بما يجب عليه نحو نفسه من نظافة واهتمام ، وكأنما ألهاه شعوره بحقارة مهنته عن الشعور بانسانيته .

إن أبناءنا فى الغد القريب سوف يضطرون إلى الاحتراف بالزراعة ، لأن التعليم النظرى لن ينجح مادامت مئات الألوف من الطلبة فيه يطمعون فى الوظائف التى لن تتسع لكل متعلم فى البلاد ، فواجب أفراد الطبقة المستنيرة المتصلة بالفلاح ، أن يمنحوه شيئاً من عطفهم وتقديرهم حتى يشعر بانسانيته ، ويجتهد فى تهذيب حياته الخشنة المظلمة .

وبعد فيتمنى أن الفلاح إذا أتيحت له حياة معقولة بتوفير المال له ، ونشر الثقافة الزراعية فى القرى ، ونقل بعض النشاط اليها ، وتعميم المجالس القروية والجمعيات التعاونية ، إذا تم ذلك كله فسوف يتطلع الفلاح إلى النور ، ويومئذ يحق لنا أن ننظر إلى المستقبل نظرة الثقة والاطمئنان ، مادمنا قد أقمنا نهضتنا الزراعية على أساس من إصلاح الفلاح ، ويومئذ تبزغ من الريف أشعة القوة والمجد والثراء ، تغمر الوادى كله مؤذنة بانبثاق فجر النهضة من جديد ، ومبشرة بيوم صحو جميل ، والله ولى التوفيق .

(٢)

ملخص رسالة
الأستاذ عبد الوارث كبير

تتلخص فكرته فى أن «ترقية الفلاح» واجب اقتصادى ، كما أنها واجب إنسانى ، وقد مهد لحديثه بذكر أخطار الهجرة الريفية إلى المدن التى تحرم الريف من خيرة أهله ، وتضيف الى جيوش العاطلين جيشاً جديداً يهدد الأمن والنظام ، فترقية الفلاح واجب اقتصادى لا مفر منه لمصلحتنا نحن الذين نعيش على أكتافه وسواعده .

ورأى لترقية الفلاح عدة نواحى : مادية وصحية وأخلاقية وعلمية ، لابد من الاهتمام بها جميعا .

فالناحية الاقتصادية تعالج بنشر التعاون وتنظيمه ، والنظر اليه كوسيلة لتضافر الجهود واجادة الانتاج وانقاص النفقات وتبادل الثقة وتوحيد الجهود ، لا كنظام مادى محض ، ووسيلة للاستغلال الظالم .

واصلاح القرية المصرية يجب أن يكون فى مقدمة ما نعنى به لترقية الفلاح ،

ويكون ذلك بهدم القرى الموجودة الآن تدريجياً، وتدبير قرى أخرى جديدة، تراعى فيها نظم التهوية ؛ وكل ما يمكن توفيره من الوسائل الصحية ، مع العناية بتطهير ماء الشرب. بارشاد الفلاحين إلى وسائل الوقاية من الميكروبات التى يحملها ماء الشرب ؛ وتجهيز أحواض لترشيح الماء بخزنه فيها مدة كافية لقتل أجنة الجراثيم، ويدخل فى الاصلاح الصحى ردم البرك والمستنقعات والاكثار من المستشفيات المتنقلة والمجالس القروية ، وتنظيم محاضرات صحية تلقى فى القرى والأرياف بواسطة الأطباء، أو معلمى المدارس الالزامية، أو أئمة المساجد أو مندوبى المصالح

وأما الناحية الخلقية والعلمية فأمر هين لا يكلف الحكومة عشر ما يكلفها الاصلاح المادى والصحى ؛ والتعاون وسيلة لهذا الاصلاح ؛ وكذلك المحاضرات الأخلاقية المختارة ، ولجان للمصالحات من أهالى كل قرية ؛ وإنشاء نواد قروية متعددة.

وأخيراً نفكر فى القضاء على الأمية بانشاء فصول ليلية فى المدارس الالزامية للكبار من الأميين ؛ أو تنظيم حلقات للتعليم عقب صلاة المغرب أو العشاء فى المساجد .

وختم بحثه بالتنبيه إلى وجوب إلغاء الامتيازات الأجنبية والتحرر منها، ليتوفر المال للمشروعات الريفية المرجوة

(٣)

ملخص رسالة

الأستاذ عزيز خانكى بك

تتجه فكرته الى أن ترقية الفلاح اجتماعياً منوطة بأمور جوهرية ثلاثة :

أولا - تهيئة الأسباب التى تكفل الصحة له ولزوجته ولأولاده

ثانيا - « « « « لهولعائلته التربية العقلية والأدبية

ثالثا - « « « « « « « العيش فى شىء من الرخاء

فعن النقطة الأولى ؛ يجب تنقية مياه الشرب « بدق طلمبة أو طلمبتين فى كل عزبة ؛ ودق الطلمبة لا يكلف أكثر من عشر جنيهات ؛ ثم العناية بمسكن الفلاح الذى لا يدخله شمس ولا هواء ؛ ثم العناية بملابس الفلاحين الرثة القذرة، وذلك بتمكينهم من تغيير ملابسهم ولو مرة كل أسبوع . » . ويلى ذلك وجوب العناية بأمر المأكل « فيبيض النحاس ولا يشترى المأكولات المكشوفة المعرضة للذباب »

مع عمل حمام للرجال وآخر للنساء فى كل عزبة، وإنشاء مراحيض لكل من الجنسين ، ومكافحة حفاء الأقدام ، ومحاربة الحكومة للحشرات والآفات « من طريق العناية بنظافة مساكن الفلاحين وملابسهم ، بتطهيرها من الفيران والبراغيث والقمل والناموس والذباب ، وردم البرك والآبار والسواقى المهجورة ، وتفهيم الفلاح أن الغبار والأتربة إذا دخلت أنوف الأولاد أو حلوقهم نقلت إليهم جراثيم السل الرئوى ، وإرشاد الأمهات (وإجبارهن عند اللزوم) ، على محاربة القمل من طريق دهن الرأس بالجاز وغسله بالماء الساخن والصابون ثم تمشيطه جيداً ، وإن لم تنفع النصائح والارشارات يكون تنفيذ كل هذا من طريق التشريع . »

ويدخل فى الاصلاح الصحى وجوب تحديد ساعات العمل ومكافحة الرمد وتوفير العناية للأمهات الحوامل ، والأطفال الصغار « بتعيين أطباء جوالة يطوفون على العزب ويزودون الفلاحين بالمواعظ والارشادات، فان درهم وقاية خير من قنطار علاج » وكذلك يحارب الشاى الأسود وتعدد الزوجات .

وعن النقطة الثانية ، يرى إنشاء كتاب فى كل ناحية وجعل التعليم إلزامياً ، وتشجيع الفائزين بجوائز مالية أو أدبية ، « وليس من الغلو فى شىء تخصيص جريدة يومية أو أسبوعية فى كل عزبة ليكون الفلاحون متصلين بسير الحوادث التى تجرى فى بلادهم ومتتبعين أخبار الزراعة والتجارة وسائر الشؤون التى تهمهم »

ويعرف الفلاح حقوقه وواجباته ليدفع عنه ظلم الأغنياء واستبداد الحكام ، ومنع الاعتداء على الفلاحين، لأنه يقتل فى نفوسهم كل عاطفة نحو وطنهم وأولياء أمورهم ، وتلقى نصائح دينية وأدبية على الفلاحين ولو مرة كل أسبوع ، ويقام مصلى فى كل عزبة ، ويعمل على إزالة أسباب العداء بين العائلات ، ويمكن شبان الريف من زيارة المدن الكبيرة المجاورة لهم »

وعن النقطة الثالثة ، يرى إعفاء الملكيات الصغيرة ـ أقل من فدان ـ من الأموال الأميرية ، أو تخفيضها الى الربع ، وتخفيض فوائد البنوك الفاحشة، وترحيل الفلاحين من الجهات المكتظة بالسكان إلى الجهات الخالية ، وتوزيع الأطيان البور على الفلاحين وتمليكها لهم ، ومكافحة الحرائق واستيراد المواشى من البلاد المجاورة ثم بيعها للأهالى بالتقسيط ، وتخفيض إيجار الأطيان بحيث ينال الفلاح صافى ثلث خيرات الأرض على الأقل ، وتخفيض رسوم التقاضى الباهظة، وتمكين المالك من استرداد ملكيته بعد نزعها فى بحر سنة مقابل رد الثمن والمصاريف،

وتقرير إعانة للفلاح إذا عجز عن العمل ، وتقرير معاش لزوجته وعياله اذا مات فقيراً . ويمكن توفير المال لذلك « بخصم قرش من أجرة الفلاح كل أسبوع ويضاف إليه خمسة قروش كضريبة سنوية على كل فدان ، وقرش صاغ عن كل قنطار قطن أو أردب قمح أو شعير أو ذرة الخ »

وختم بحثه بوجوب العمل على ايجاد حزب للفلاح فى البرلمان يدافع عن مصالحه الزراعية والمالية والصحية والأدبية .

(٤)

ملخص رسالة

الأستاذ يوسف حلمى

أعد برنامجاً رأى أنه يكفى لاصلاح الفلاح فى عشرين عاما ، وهو يتركز فى نقطتين :

١ - تعليم الفلاح وتثقيفه وتهذيب أساليب معيشته وعمله .

٢ - رفع مستوى معيشته إلى الحد الذى لاتحدث معه الأزمات الاقتصادية رد فعل قد تترتب عليه نتائج ضارة

وأول البرنامج ، التكوين الصحى للفلاح بانشاء القرية المثالية أو النموذجية ، واستئصال مصادر الأمراض والأوبئة بردم البرك والمستنقعات ، وانشاء ملاجىء الشفاء والرحمة تفرع منها مراكز طبية متنقلة فى شكل بعثات لمقاومة الأوبئة ، ونشر الدعوة الصحية ، وتوزيع الأدوية بأسعار رخيصة ، وانشاء مطاعم للفلاحين كمطاعم الشعب

والاصلاح التعليمى يكون بنشر التعليم الزراعى والتعليم الالزامى مع تغيير برامجه وتهذيبها ، ويجب ألا يباح للفلاحين حق التعلم واقتحام الجامعة اباحة مطلقة ، بل يقصر على النوابغ والأذكياء الذين يختارهم مفتشون فنيون وتتولى الحكومة أمر الانفاق عليهم

ورفع مستوى معيشة الفلاح يكون بانشاء القرى المثالية لتعطى القدوة لأرباب الضياع وأصحاب الأراضى ، وتوزيع أراضى الحكومة على الفلاحين وتعميم الاذاعة اللاسلكية والسينما ومستحدثات العلم والفن فى القرية ، وتنظيم رحلات - على مثال قطار المفاجآت - لأبناء الريف ، وتعميم الجمعيات التعاونية

وواجب الطبقات المفكرة - الطلاب - أن تساهم فى تثقيف الفلاح وتهذيبه

(٩)

الموضوع التاسع

استثمار نهضة المرأة للخير العام

وصل الى اللجنة موضوعات عددها ٧٣ وقد اطلع عليها الأعضاء، وعقدت اللجنة عدة جلسات، انتهت فيها الى الاتفاق على ما يأتى :

١ ـ تعتبر المباراة مسابقة تمنح فيها الجوائز لأحسن الموضوعات التى قدمت .

٢ ـ الموضوعات التى اختارتها اللجنة هى أحسن ماقدم اليها ، مع ملاحظة ضيق الوقت الذى ترك للمتسابقين .

٣ ـ ليس معنى اختيار اللجنة لهذه الموضوعات أنها تعبر عن آراء أعضائها .

٤ ـ تمنح الجائزة الأولى للآنسة سيزا نبراوى .

والجائزة الثانية للآنسة نور الهدى الحكيم .

والجائزة الثالثة لكل من السيدة احسان القوصى ، والآنسة ايفا حبيب المصرى

الأعضاء	رئيس اللجنة
(مصطفى عبد الرازق) (طه حسين)	(على الشمسى)
(درية فهمى) (محمد حسين هيكل)	

القاهرة فى ٥ مايو سنة ١٩٣٦

(١)

رسالة (الآنسة) سيزا نبراوى

قامت المرأة بنهضة مباركة فى الهيئة الاجتماعية الحديثة ، نهضة هى لا شك من أهم عوامل الرقى والعدالة والانسانية ، فى هذا العالم الآخذ فى التجدد .

وسواء أكانت هذه النهضة بطيئة أم عاجلة ، فانها شملت البلاد جميعها ، وهى تمثل قوة جديدة فى يقظة الشعوب وتطلعها إلى الحرية والسعادة ، وتعبر عن أعز أمانيها . ومثل هذه النهضة مثل منجم لم يستثمر بعد ، ولكنه غنى بكنوز دفينة ، كفيلة بغنم البشر ، وان كانت ظلت مجهولة ، مدة طويلة ، من جراء استعباد المرأة فى أثناء العصور الماضية .

وقد بقيت المرأة فى منزلة القاصر عصوراً طويلة ، مقيدة بالقوانين والعادات والتقاليد ، ولم تتحرر من هذه المنزلة الا بانتصار روح الديموقراطية فى العالم . وكانت نتيجة اعلان حقوق الانسان ، أثناء الثورة الفرنسية ، اذ طرحت مسألة المساواة بين الجنسين ، وحلت مشكلتها بالاعتراف بأحقية مبدئها ، فتلاشت ميزات الطبقات ، كما قضى على أفضلية الرجل على المرأة وأصبح الجنسان متساويان أمام القانون ، متعاونان فى العمل على خير المجتمع ، وحق لـ (سان سيمون) St. Simon أن يعبر عنهما «بالفرد الاجتماعى» .

وإذا كانت المرأة مساوية للرجل ، فهى غير مماثلة له ، تختلف عنه بنية وميولا ، وتتبين منه بصفات ومؤهلات خاصة ، يكتمل بها الرجل ، إذا أضيفت اليه ، وتكفل بالاتفاق معه تعاونا مجديا من أوجه شتى ، فتتحقق بذلك نواميس التوازن والتناسق التى تنادى بتعاون شطرى البشرية .

ولاشك أن العالم القديم آخذ فى الانقراض ، لأن أساس مدنيته كان قائماً على أنظمة تتشبع بالأنانية ، والقوة الغاشمة ، وانا نعلل النفس بظهور عالم جديد تأخذ المرأة فيه المكانة التى هى أهل لها ، فيرتكز على دعائم قوية من العدالة الاجتماعية ، والسلم والوفاق .

فالمرأة لا تحتمل الفوارق التى تسبب الشقاء ، وتثور ضدها ، وهى حساسة قادرة على تفهم الآلام ، ومكامن الشعور ، تدفعها عواطفها إلى مناصرة الضعفاء والمنكودين ، ومن وسمهم الفقر أو الشقاء بطابعه الجبار . ويجد هؤلاء جميعاً ينبوعا للتعزية والخلاص فى حنان الأم ، وشفقتها التى تفيض على جميع البؤساء .

وهذه العواطف التى يضمها قلب المرأة ـ وقد لايظفر بها قلب الرجل ، والتى تتشرب بالمحبة والاحسان ونكران الذات ـ تبين لنا أهمية رسالتها فى الحياة العالمية ، الا أن هذه الرسالة تظل ناقصة إذا كانت المرأة الجديدة لا تضيف ثمرات ثقافة قوية إلى الثروة الغالية التى تنطوى عليها نفسيتها .

ولهذا كانت نتيجة انتشار التعليم فى الديار الغربية أن اتسع فيها نطاق الحركة النسائية ، ونضج ثمارها . وبما أن هذه الحركة قد أصبحت فى أيامنا من أقوى العوامل لتهذيب المجتمع وتحسينه ، فلا بدع إذا كانت جميع الشعوب الناهضة تمشى على نمط التطور الحديث ، وتعترف للمرأة بالمكانة التى تستحقها فى حركة النشاط العالمى .

وإن المباراة الحالية التى نظمتها الحكومة المصرية ، لمعرفة آراء نخبة القوم عندنا فى المسائل الحيوية التى تهم مصر ، هى أفصح اقرار منها بالأهمية التى تعلقها المقامات الرسمية على نهضة المرأة .

ولهذا فانى سأتناول ، من الوجهة المصرية خاصة ، بحث النواحى المختلفة التى تستطيع المرأة المصرية أن تترك فيها أثراً طيباً فى مستقبل الوطن ، أو تؤدى فيها خدمة جليلة للخير العام .

أولا - المرأة فى الأسرة :

ففى الأسرة تكون وظيفة المرأة أقرب الى الطبيعة ، وأشد وقعاً ، وأقوى أثراً ، ولست أغالى إذا قلت : إن المرأة ، لما كانت مسئولة عن مستقبل ذويها وهنائهم ، يجب أن تكون تربيتها وتعليمها أوسع من تربية الرجل وتعليمه ، وأدق تنظيما ، وإذا كانت أعباء الحياة المادية ملقاة أكثرها على عاتق الرجل ، فان المرأة تتحمل وحدها أعباء أخرى ، أكثر دقة ، وهى المسئولية الأدبية .

فالزوجة المثقفة المتعلمة هى التى تستطيع وحدها أن تكون بحق رفيقة زوجها ، إذ ليس الزواج عقد شركة فحسب بين شخصين أو منفعتين ، ولكنه أفضل من هذا صلة نفسانية وثيقة تجعل لحياتها غرضاً أسمى ومعنى أشرف .

فلا تكتفى المرأة المتعلمة بالاهتمام بشؤون زوجها ، وإسداء النصح له ، ومساعدته فى أعماله ، اذا اقتضت الضرورة ذلك ، بل أنها تكون له فى ظروف حياته الصعبة ملجأ أدبياً أميناً ، يلقى فيه السلوى والاطمئنان ، ويتزود منه بما يحتاج اليه من الشجاعة ، لمواصلة الجهاد .

وإذا كان أثر الزوجة فى حياة زوجها لا يظهر أحيانا ، فان أثر الأم أشد نفوذاً ، وأوضح مظهراً فى حياة ابنها ، فاليها يرجع الفضل فى تكوين خلقه ونشأته الأولى ، وهو مدين لها فى تكوين بنيته ، بما شملته من عنايتها منذ نعومة أظفاره .

ولا يتهيأ للمرأة التضلع بهذه المهمة السامية ، إلا إذا أحيطت بالاحترام ، وحيل

بينها وبين أهواء الرجل وتعسفه ، فلا يطلقها من غير سبب ،أو يأتيها بشريكة أخرى شرعية ، ويسلبها جميع حقوقها ، ويذل كرامتها ، باعتبارها زوجة وربة منزل .

فان المرأة إذ كانت معتزة بجميع حقوقها ، وبوافر كرامتها ، تستطيع أن تفرض نفوذها بهذا المثل الذى تضربه ، مثل الفضيلة والاخلاص والتضحية .

فيجب على المشرع الذى يريد أن يستثمر نهضة المرأة ، أن يضع قبل كل شىء نظام الحياة العائلية على أساس وطيد . ونعتقد أن الوسيلة الى ذلك تكون :

أولا — بتحديد حق تعدد الزوجات فى بعض الأحوال التى لم يتحقق بها إحدى أغراض الزواج الأساسية ، (كحالتى العقم والمرض) .

ثانياً — تخويل القاضى دون سواه حق الطلاق بين الزوجين .

ثالثاً — اطالة مدة وصاية الأم المتعلمة ، فانها تكون دائماً أقدر من الرجل على تربية أولادها ، وهدايتهم إلى طريق الخير .

أما النساء الأميات الجاهلات فيجب على الدولة العناية بأمرهن ، والعمل على رفع مستواهن العقلى والأدبى والمادى ، حتى يكون أثر تعليمهن فعالا فى النشء الجديد ، فتختفى أو تقل بينهم مظاهر الخرافات والجهل والشقاء .

ونقترح للوصول إلى هذه الغاية ، إنشاء مدارس متنقلة فى الأرياف ، تعرض على العامة أشرطة سينمائية تهذيبية وتعليمية ، يستعان بها على تلقين الفلاحات مبادىء أولية فى العناية بالصحة ، وفى الآداب ، وعلى إعطائهن دروسا عملية فى التعليم الزراعى والتدبير المنزلى ، يستطعن تطبيقها فى حياتهن وأعمالهن .

ثانياً ـ المرأة فى المدرسة :

كان من الجائز أن يحال بين المنزل والمدرسة ، وأن تنشأ الخصومة بين هاتين الناحيتين من الحياة الاجتماعية ، فى وقت كانت المرأة فيه محاطة بسياج من الجهل ، أما اليوم فلا محل لمثل هذه الخصومة ، ويجب أن تتعاون الأمهات مع المعلمات والمدرسين ، وأن تصلهم جميعا صلة وثيقة العرى .

وإنا نعتقد انه يجب ألا تقتصر وظيفة المرأة فى المدرسة على إخراج أكبر عدد من حاملى الشهادات ، اذ ليست هذه هى الغاية المرجوة ، بل يجب أن تعنى باضاءة ضمائر النشء وتعزيز ارادتهم .

وهذه الغاية لا تدرك بالتشدد فى تقييد حرية الأطفال ، وحملهم على الاحتذاء بشخصية واحدة ، بل انها تتحقق بتنمية مواهبهم ، وأفضل مؤهلاتهم ، فان المرء

يفوق فى الحياة ، بضميره المستقيم وخلقه القوى النبيل ، أكثر منه بتعليمه .

تقوم وظيفة المرأة المربية ، على إعداد الأطفال لتقدير قيمة المعانى الروحية التى تضع لحياته غاية ، وتدخل عليها الانشراح .

ولهذا فجدير بالمرأة أن تطالب باصلاح جميع مناهج التعليم فى مصر ، التى وضعت على أساس نظرى محض ، وبطريقة ميكانيكية ، فيما يختص بالنمو العقلى . وعليها أن تنادى بتوجيه العناية الأولى فى التعليم إلى تهذيب الأخلاق والارادة، وإنا نرى أن تعليم الدين ودراسة اللغة من أقوى ما يساعد على تحقيق هذا الغرض .

ولهذا نقترح أن تكون العوامل الأدبية ، كالسلوك والخلق والشجاعة ، مفضلة فى الامتحانات ، إذا دعت الحاجة ، على العوامل العقلية ، كما هى الحال فى ألمانيا بعد النظام الهتلرى .

ولا ينكر أحد ما للرياضة البدنية من تأثير محمود فى تكوين الخلق ، فلهذا أيضا نطالب بتشجيع الرياضة البدنية ، وتعميمها فى المدارس ، وخاصة فى مدارس البنات ، ونقترح انشاء معهد للتربية البدنية لاعداد أساتذة اخصائيين مدربين .

ويتراءى لنا أيضا أنه ينبغى أن ينشأ ناد رياضى نسائى ، للترغيب فى الألعاب الرياضية ونشرها ، وليكون منه حلقة اتصال وتضامن بين تلميذات المدارس المختلفة .

ولما كانت السينما فى أيامنا هذه ، وسيلة من أسهل وسائل النشر وأحبها إلى الشبيبة ، فانا نقترح على الحكومة أن تعفى من الرسوم الجمركية الأشرطة التى تحتوى على فائدة علمية ، أو التى تمجد أشرف العواطف الانسانية ، وبهذا يستطيع مديرو دور السينما تخصيص حفلات أسبوعية للشباب ، تعرض فيها الأشرطة التى من النوع الذى ذكرناه .

وأخيرا نرى أن خير وسيلة لتحقيق أفضل خطة دراسية توافق حاجياتنا الحاضرة هى عقد اجتماعات تهذيبية (بيداجوجية) يحضرها المدرسون نساء ورجالا ، ويشتركون فى بسط ما استزادوه من العلم ، وما اقتبسوه من الخبرة . وقد تصبح هذه الاجتماعات مع مرور الزمن جمعيات منظمة أو مؤتمرات .

ثالثا - المرأة فى الهيئة الاجتماعية :

إذا نحن استثنينا طبقة محصورة من الأسر المصرية ، فقد نستطيع أن نؤكد أن الهيئة الاجتماعية ظلت حتى أيامنا هذه منعدمة فى مصر ، وظل الرجال منفصلين

عن النساء ، كل منهما منزويا فى ناحيته ، وظلت أبواب الحفلات الرسمية مغلقة فى وجوه السيدات ، وكانت هذه الحال سببا لاستهجان الأجانب لهن ، وموضع دهشتهم .

ويتراءى لى أن حرمان المرأة من هذه المظاهر عادة يؤسف لها ، ولا تتفق مع نهضة البلاد الحديثة ، أما والحالة هذه فعلى المرأة المصرية نفسها أن تكون الهيئة الاجتماعية فى مصر ، بما يفرضه مظهرها من نبل ، وبما توجبه أعمالها من اعتدال والهام ، هذا إلى أن وجود المرأة فى الهيئة الاجتماعية ، يدخل روحا جديدة فى ناحيتين من نواحى الحياة الاجتماعية ، ناحية الجمال ، وناحية الخير والاحسان ، ويضعهما فى مكانتهما الواجبة من هذه الحياة ، وبعبارة أوضح الفنون الأدبية والفنون الجميلة من جهة ، وأعمال البر والانسانية من جهة أخرى .

ولا يمكن أن يكون أثر المرأة فى النهوض بهاتين الناحيتين أضعف من أثر الرجل ، لأن تفكيرها متشبع عادة بالذوق الفنى ، وبروح الجمال ، أكثر من تفكير الرجل ، ثم ان المرأة تميل بغريزتها إلى الشفقة . وكل هذا يدعونا إلى توجيه نظر الحكومة إلى المكانة الممتازة التى يجب أن تحتلها المرأة فى كل ما يتعلق بنهضة الآداب والفنون (كالتصوير والحفر والموسيق) ، وإلى العناية باشراكها فى تأليف الجمعيات الخيرية ، وتنظيم كل الدعايات التى تعمل لتخفيف الآلام النفسانية ، والشقاء المادى ، وتعزية المنكوبين .

وإذا اتفقنا على هذه النقط الرئيسية ، فانا نعتقد أن من السهل وضع تفاصيلها . ومع هذا فانه يجدر بنا أن نبين مدى المهام التى يرجى للمرأة القيام بها فى نواحى الآداب والفنون ، كالصحافة باعتبارها عاملا للنهوض بالمستوى الاجتماعى ، والمسرح والسينما والراديو بصفتها عناصر للتربية ، والفنون الجميلة ، والموسيق بنوع خاص ، وهى التى نرجو أن تشملها عناية الحكومة ، وتنشىء لها معهداً يسمح للعنصر النسائى بالالتحاق فيه والتخرج منه .

أما فى الأعمال الخيرية فنكتفى بذكر بيان موجز من النواحى التى يمكن توجيه المرأة اليها . فهى تستطيع أن تصرف مجهوداً كبيراً فى الأوقاف الخيرية ، وفى الجمعيات الخاصة بالهلال الأحمر ، وفى ملاجىء الأطفال والعجزة واصلاحيات الأحداث ، ومحال رعاية الطفولة . وكلها مؤسسات تتطلب التفانى فى الاخلاص والشفقة من القائمين بأمرها ، ولهذا تفتقر إلى العنصر النسائى .

ولكى نعجل حركة تطور الفكرة الاجتماعية عند المرأة المصرية ، نقترح من أولى الأمر أن ينتخبوا أفضل طالبات معهد التربية ، وأكثرهن شفقة ، وأشدهن تعلقا بحب الخير وارسالهن فى بعثة إلى بلاد أوربا لدراسة المؤسسات الاجتماعية وللعمل على تطبيقها ، عند عودتهن ، على حاجات البلاد ، ويعهد اليهن بتنظيم مدرسة تكون مهمتها اعداد عاملات اجتماعيات مختصات بالعناية بجميع نواحى الخير ، وبكل ما من شأنه مكافحة الرذيلة والشقاء .

٤ - المرأة فى حياة البلاد الاقتصادية :

كانت المرأة المصرية دائماً عاملا كبيراً للانتاج والاستهلاك فى حياة البلاد . وتزداد أهميتها كل يوم فى هذه الناحية ، تبعاً لنهضة البلاد الصناعية ، ومع هذا فانا نعتقد أن انتاج العنصر النسائى فى الحياة العملية ، يربو بكثير عما هو عليه الآن لو أنه عنى برفع مستوى معيشة المرأة المادية ، وروعى تنظيم قوانين العمل وتحديد الأجور ، ووضع الوسائل الصحية على أساس أكثر ملاءمة لها .

وإذا ذكرنا الفلاحات والعاملات ، فلا يجب أن ننسى نساء الطبقة المتوسطة ، اللاتى يضطررن الى العمل لاكتساب المعيشة ، وتحصيل الرزق . ولا ننسى أن المرأة تمتاز بطبيعة الاعتدال وقدرة الاحتمال ، وتتشبع بروح النظام والدقة والصدق فى العمل ، وكل هذه الصفات تؤهلها لمزاولة حرف عديدة ، وتمكنها من بث روح النشاط فى الحياة الاقتصادية . ولهذا فانه يجب أن تفتح لهذه الطبقة من النساء أبواب العمل الاقتصادى ، ونذكر منها على سبيل المثل ، وظائف البائعات والمحصلات فى المحال التجارية ، والعاملات فى مصلحة التلفون والكاتبات والحاسبات .

ويمكننا أن نعتبر المرأة المصرية ، بصفتها مستهلكة ، وسيلة أكبر أثراً من وسائل الحماية الجمركية ، لانهاض الصناعات المصرية وحمايتها . ولهذا فانها تستطيع أن تكون عاملا من أكبر عوامل استقلال البلاد الاقتصادى . وانا نعتقد أن هذا الاستقلال مرتبط بتوازن توزيع الثروة ، ولهذا يجدر بنا أن نعمل على بث روح الاقتصاد والادخار بين طبقتى الأغنياء والمتوسطين من النساء ، ونستعين على ذلك بوسائل نذكر منها صناديق التوفير بالمصارف والبريد ، وشركات التأمين وغيرها ، وهذا مما يساعد كثيراً على تحرر مصر الاقتصادى ، وتنمية ثروتها .

٥ ـ المرأة فى حياة البلاد السياسية :

لبت المرأة المصرية نداء العاطفة الوطنية ، واشتركت اشتراكا فعالا فى الحركة الوطنية ، وساهمت فيها بنصيب وافر ، قابلته الأحزاب جميعاً بالثناء والترحيب . وكان من الطبيعى أن تحتفظ من هذا الاشتراك بنزعة سياسية ، اذ أن المرأة تكون نصف الأمة ، ويعنيها أن تهتم اهتماما وثيقاً بكل مايتعلق برقى البلاد ومستقبلها .

على أننا لانريد أن نحذو فى هذه الناحية حذو النساء فى بعض البلاد الغربية ، ولا يظهر تأثير المرأة فى الحركة السياسية الا عن طريق خفى غير مباشر . وبقاء هذه الحالة ينذر بالخطورة ، اذ أن المرأة سوف لاتقدر واجباتها الوطنية حق قدرها ، الا إذا ألقيت المسئولية عليها أيضاً. ومن رأينا أنه يجب أن تشترك المرأة مع الرجل فى حق الانتخاب، ولو اشترط ، فى أول الأمر، أن يقتصر منح هذا الحق على بعض الفئات ، كالحائزات على الشهادات الدراسية ، ومديرات الجمعيات الخيرية والاجتماعية ، أو مؤسساتها ، وصاحبات الأملاك .

ومن الظلم الفاحش ألا تشترك المرأة المتعلمة ، أو الغنية ، فى سن القوانين التى تخضع لها ، وألا يكون لها حق المراقبة على أموال الدولة ، التى تساهم فى دفعها ، بينما الجهلة والفقراء من الرجال ، تتمتع بهذه الحقوق .

ولاينبغى أن يكون تدخل المرأة فى السياسة ، وسيلة تجعلها هدفاً لمشادة الأحزاب ومطامعها ، اذ يجب أن تكون على العكس بعيدة عن هذه المعارك ، وتجعل من تدخلها فى السياسة عاملا على بث الوفاق ، ووسيلة لتحقيق مشروعات القوانين المتعلقة برفع الثقافة ونهوض الحركة الفكرية ، وتحسين مستوى المعيشة ، وتفريج هموم الانسانية .

وسوف لاتألو المرأة جهداً بمجرد فوزها بحقوقها السياسية ، فى سبيل العمل على اصلاح الهيئة الاجتماعية ، وزيادة نشاطها فى هذه الناحية ، كما أوضحناه فى الباب الثالث من هذه النبذة ، وهكذا تستطيع المرأة أن تنادى بسن مجموعة من القوانين ، لحماية الأسرة ، والمجتمع ، والدولة ، وتدافع عنها دفاعاً فعلياً .

وستكون للعناية بتدريس التربية الوطنية ، فى مدارس البنات ، أكبر الأثر فى اعدادهن بالتدريج للقيام بمهمتهن السياسية على الوجه الأكمل .

٦ ـ المرأة فى تقرب الدول :

تزداد حاجة الدول يوماً فيوماً إلى التضامن . حتى أصبح التقرب الدولى

ضرورة حيوية لكيان الشعوب ، أدبياً وماديا . وعلى المرأة أن تتحمل نصيبها من المسئولية فى هذه المسائل العالمية الكبرى . واذا كنا لانخفى أنها لم تعد كالرجل لمواجهة هذه المسائل ، الا أننا نقرر أنها تفوق عليه ، بعدم تسببها فى نشوب الحروب ،وبما قاسته رغم ذلك من ويلاتها .

ثم ان الرجل يدافع بطبيعته عن قيمته الشخصية وعن قيمة الممتلكات المادية . أما المرأة فتحملها غريزتها على التعلق بالسلم،فهى تدافع عن الحياة لا نها تقدر قيمتها ، والمرأة تشعر أمام المخاطر التى تهدد سلامة العالم كله وكيانه الذاتى أن واجبها أصبح ملحاً ، وأن عليها أن تخرج من موقفها السلبي ، وتجعل من نفسها عنصراً للاصلاح والبناء .

وأن وظيفة المرأة فى الحياة الاجتماعية ، كوالدة ومربية ، تمهد لها السبيل خاصة لايقاظ الشعور الدولى ، وتوسيع نطاقه ، وتوطيد أركانه ، وللعمل على تحويل النظريات إلى حقائق حية ، بعد أن ظلت طويلا حبراً على ورق .

والمرأة ، ربة البيت وحارسة الأسرة ، كفيلة وحدها أن تقرب العالم كله ، وتجعل منه أسرة كبيرة متحدة .

يتناول البرنامج المسهب الذى وضعه الاتحاد النسائى المصرى معظم المسائل الاجتماعية التى ذكرناها فيما سبق ، وهو يبسط أمام النشاط النسائى ، مجالا فسيحا ومتنوعاً بحيث يتسع لكل امرأة أن تظهر ما أحرزته من مواهب ومقدرة . وهذا الاتحاد يضم بين أعضائه نخبة المصريين المفكرين ، رجالا ونساء ، فجدير بالشبيبة النسائية أن تعاونه معاونة صادقة ، فهى مدينة له بقسط كبير من حسنات تحريرها .

ولا يسعنى أن أختتم هذه النبذة الا بتقديم وافر الثناء الى وزارة صاحب الدولة على ماهر باشا ، التى خصصت المسائل الاجتماعية بأولى عنايتها والتى حققت رغباتنا فأنشأت مجلسا أعلى للاصلاح الاجتماعى .

ولست أدع هذه الفرصة تمر دون أن أبدى الرغبة فى أن يشترك فى أعمال هذا المجلس نخبة من سيداتنا ، اللواتى أظهرن فائق مقدرتهن ، فى كثير من المسائل الاجتماعية والدولية ، حتى تستثمر الدولة مواهبهن للخير العام .

(٢)

ملخص رسالة

الآنسة نور الهدى الحكيم

بدأت الآنسة بحثها بكلمة عن تاريخ نشأة الأسرة ومكانتها فى المجتمع ، وعرضت

لانقسام الرأى فى التعليم النسوى ، واختلاف وجهات النظر فى بقاء المرأة فى البيت أو نزولها الى ميدان العمل ! ثم تحدثت عن تجاربها فى مدارس البنات ، ودراستها لنفس الفتاة المصرية ، ونظر الرجل الى المرأة العصرية الأنيقة ، وأبانت ما ساقها اليه التطور .

ورأت أن الطريقة المثلى لاعداد وتربية الفتاة التى ننشدها لسعادة البيت ، مع الملاءمة لروح التطور العصرى ، هى تثقيفها ثقافة نسوية راقية ، لالنعدها لمزاحمة الرجال ، ونصرفها عن تأدية وظيفتها الحقيقية ، وإنما لنساعدها على تنمية غرائزها والانتفاع بمواهبها وتهذيب أخلاقها وتهيئة نفسها للاضطلاع بالمسئولية ، وإعدادها لأن تكون شريكة حياة للرجل ، وزوجا مخلصة ، وأما راقية صالحة ، ومربية قادرة ، ولا تتحقق هذه الأمانى إلا إذا روعى إعطاء كل فئة من الفئات العلوم التى تناسب عقليتها ، والثقافة التى تلائم بيئتها ، حتى لايكون تعليمها وبالاعليها ومدعاة لغرورها وتمردها .

وتجب العناية بذوات العاهات والشاذات الخلق والطباع ، كما يعنى بالمشاغل التى تعلم الفتيات طريقة تفصيل الملابس وخياطتها ، وتنشأ مدارس لتخريج مربيات مثقفات مهذبات ، ومدارس أخرى لتعليم التدبير المنزلى بكل فروعه .

وأهم مافى المسألة ، تعليم الفتاة العصرية طريقة السياسة الزوجية وهى « المشكلة الكبرى » .

ورأت أن هذا كله لن يفيد مادامت الفتاة تمنح تلك الحرية العمياء التى تبيح لها الانقياد لنزعاتها الشيطانية وميولها الطائشة ، بل يجب أن يسيطر الآباء والأمهات والمربون على الفتيات ، ويتعهدوهن باللين والعنف ، ليحافظن على الآداب ، وأن يكون التعليم الدينى والخلقى هو الأساس الذى تشاد عليه ثقافة الفتاة وتعليمها وتهذيبها . وألا تبقى المعلمات والناظرات والمفتشات فى العمل متى نزوجن إلا فى ظروف استثنائية خاصة ، ويجب ألا تخلو أية هيئة من الهيئات التى لها مساس أو اتصال بشؤون المرأة . من واحدة أو أكثر من السيدات الممتازات لتعرض وجهة نظر المرأة .

وختمت حديثها بسرد بعض النواحى التى يمكن أن تستغل فيها النهضة الحالية للمرأة المصرية ، مثل تكوين جمعيات نسائية مختلفة لخدمة المجتمع . وإلقاء محاضرات علمية وأدبية واجتماعية ، واشتغال العالمات والأديبات بالصحافة والانتاج الأدبى .

(٣)

ملخص رسالة

السيدة إحسان القوصى

ترى أن استثمار نهضة المرأة يقوم على تعاون ثلاث قوات :

جمهور المتعلمات ، والحكومة ، والشعب .

فواجب المتعلمات عقد مؤتمر نسائى تشترك فيه كافة الجمعيات النسائية ، ويدعى اليه أكبر عدد ممكن من فضليات السيدات والآنسات المتعلمات ، ليكون واسطة للتعارف وتوحيد الجهود ، ووضع الأسس لخطة عملية منتجة ، وتقرير الوسائل الكفيلة لعلاج نواحى النقص والضعف بعد أن تدرسها لجان خاصة تؤلف لدراسة كل ناحية من نواحى المسألة النسوية ، فتكون هناك لجنة لتحسين الصحة العامة ، وأخرى لمحاربة الخرافات ، وثالثة لتنظيم الاحسان ، ورابعة للشؤون القومية ، وخامسة لنشر الثقافة بين النساء ، وهكذا .

وضربت مثلا للنقط التى تبحثها لجنة تخفيف وطأة البؤس ، وهى :

١ - تنظيم الاحسان .

٢ - توفير وسائل العلاج للمرضى من الفقراء .

٣ - تعليم الفقيرات صناعات تزيد فى رزقهن .

٤ - تحديد نسل الفقراء .

٥ - الاكثار من الملاجىء للأطفال المتشردين .

٦ - العناية بذوى العاهات .

٧ - التأمين للعمال .

٨ - الاكتفاء بغذاء رخيص يوما فى الشهر .

٩ - إيجاد أماكن صحية للناقهين والضعفاء بأجور زهيدة .

أما الحكومة فعليها أن تنفذ البرامج الاصلاحية التى تضعها اللجان ويقرها المؤتمر ، وتعيين بعض الموظفات إلى جانب المتطوعات لينتظم العمل ، ومساعدة فتيات الخدمة الاجتماعية بعونها ونفوذها .

وعليها أيضا أن تعدل مناهج تعليم البنات بما يتفق وطبيعتهن ، وإيفاد بعثات لمدارس الخدمة العامة بأميركا لتساعد على تربية روح الخدمة العامة فى الناشئات .

وأما واجب الجمهور فهو مساعدة العاملات ماديا وأدبيا، والعطف عليهن وتشجيعهن بكل الوسائل، لأن المرأة فى حاجة ماسة إلى تعضيد الرجل لها فى نهضتها، وتعاونه معها لخير المجتمع

(٤)

ملخص رسالة
الآنسة إيفا حبيب المصرى

مهدت لحديثها بالقول بأن صرخة قاسم أمين كانت صرخة طبيعية اقتضاها الزمن، وأثمرت فى الحركة الوطنية التى اشتركت المرأة فيها بدافع عميق من وجدانها، وتحطيما لأغلال الظلم التى طوقتها منذ عدة قرون .

وبعد أن أرخت الحركة النسائية فى مصر طالبت :

١ ـ باعداد الفتاة لكى تكون أما وربة دار، وهذا هو الغرض الذى يجب أن يضعه القائمون بأمر تعليم الفتاة نصب عيونهم، فى مختلف مراحل التعليم، ويهتدى ببرامج الكليات الانجليزية والأمريكية فى ذلك، حيث تدرس الفتاة مشاكل الزواج، والتحليل النفسى للحياة الزوجية، ونفسية الرجل، ونفسية الطفل، وفن تنسيق المنزل، وعلوم التدبير المنزلى، والصحة، وتحسين النسل، والحياة والاجتماع .

٢ ـ باستثمار نهضة المرأة فى مرافق الحياة العامة، كميدان الخدمة الاجتماعية، بعد أن تنشأ «معاهد العمل الاجتماعى» التى تعدها لذلك، والاستعانة بالنساء فى التعليم والتمريض والزراعة، بعد إباحة التعليم الزراعى للفتاة المصرية .

وختمت بحثها بملاحظة «أن اليوم الذى لا يكون فيه التعليم العالى مجرد أداة للتوظف، سواء بالنسبة للشبان أو للفتيات، قد آن أوانه، وأصبح التعليم العالى وسيلة للجهاد والمجالدة فى كل ميادين النشاط، فالفتاة التى تتعلم أصول الزراعة تصبح عنصر رقى مدهش، وربة بيت لا نظير لها فى الحياة الريفية فى مصر، وتعود إلى تذكيرنا بأن المصريين القدماء جعلوا للزراعة إلهة لا إله، وهى الالهة هاتور التى اتخذتها الجامعة أخيراً رمزا لكلية الزراعة» .

(١٠)

الموضوع العاشر
وضع نشيد وطني قومي

بعد اطلاع اللجنة على ما جاءها تحت اسم «النشيد القومي الوطني» من التجربات التي بلغت مائتين وستا وأربعين .

وبعد توفر كل من أعضائها على تدقيق النظر في كل منها .

وبعد اجتماعها خمس مرار ، لمواضعة الرأى فيما بدا لكل من أعضائها ، مما يتصل بالجملة أو التفصيل في كل نشيد .

رأت أن الأغراض السامية التي يطلب اجتماعها في « النشيد القومي الوطني » لم يدركها بتمامها أحد المتبارين ، على أن تلك الأغراض وجدت متفرقة ومبعثرة في مختلف التجربات التي قدمت ، وقد تحصل في ذهن اللجنة أن الأسباب التي تأتت منها هذه الحال ربما لا تخرج عما يلي بيانه ، وهو : أولا قصر المدة التي جعلت للمباراة ، وثانيا : أن الناظمين لم يبحثوا فيما تقدم وضعه من الأناشيد القومية الوطنية في الأمم التي أردنا مجاراتها في هذا المضمار ، ومن ثم لم تتبين لهم قواعدها وضوابطها ، وثالثا : أن الأكثرين من المتبارين قد تغلب في فكرهم معنى التغني بالمتداركات التي تنشط معها الهمم ، وتستفز النوازع ، وتتحرك الأقدام حركة سريعة متوازنة ، وهي ما يسمونه بالمارش ، على معنى تغني الجماعات في كل مقام ، رسمي أو شعبي ، سلمي أو حربي ، سياسي أو اجتماعي ، بنغم سام وقور مهيب فياض بالحب الصادق الحي للوطن ، وفي آن معا صادر عن مكان في النفس يسمو به نظرها إلى عزة الأمة وعظمة الوحدة القومية ، تتجليان له متألقتين تألقا ساطعا بالمفاخرة القديمة والحديثة ، لا يشوب صفاءها أدنى أثر مما قد

يعثورهما من نقص أو وهن، إذ أن الأناشيد القومية لم تكن قط محلا للارشاد أو لتصفية حساب الخلافات المذهبية أو الخصومات الداخلية أيا كان نوعها، يضاف إلى ماتقدم من العلل أن فريقا من المتبارين لم يبال حاجة التلحين الموسيقي بوجه من الوجوه في كلامه. مما لايستطاع تقدير نغم له يتمشى مع المقصود من كلمة «النشيد القومي الوطني».

ولقد كان فيما طالعناه نظم رصين يستحق الجوائز، في غير معرض «النشيد القومي الوطني». ومن الشعراء الذين دخلوا في المباراة أعلام لم تجهل اللجنة مكانتهم من التفوق في الشعر، ولكنهم فيما حاولوه بهذه المنافسة لم يبلغوا مابلغوه هم أنفسهم من الاحسان في الأنواع الأخرى التي أجروا فيها قرائحهم على السليقة فأجادوا ماأرادوا.

وقد لاحظت اللجنة أن أجود الأناشيد التي عرضت عليها لم تخل من أبيات أو فقرات ضعيفة، بجانب أبيات أو فقرات جيدة. ولذلك أخذت كل نشيد بمجموعه لا ببعض أجزائه.

على أن اللجنة لم تر حرمان المتبارين من الجوائز بالترتيب الذي وضعته الحكومة، لأن المباراة تستلزم بطبيعتها اعطاء الجوائز المقررة للمتفوقين من المتبارين، سواء أدركوا الغرض كله أم لم يدركوا الا بعضا منه.

وعلى ماتقدم قررت اللجنة:

الجائزة الأولى	الأستاذ	محمود محمد صادق
« الثانية	«	مصطفى صادق الرافعي
« الثالثة	«	محمد الهراوى
« الرابعة	«	محمد فضل اسماعيل

كتب في دار المطبوعات يوم الخميس ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦

رئيس اللجنة

(احمد ماهر)

ملاحظة

بعد أن أصدرت اللجنة قرارها هذا، رأت أن تتصل بالذين نالوا الجوائز، وتبين لهم ملاحظاتها على أناشيدهم، توخيا لتقويمها، عسى أن تتحقق بذلك الغاية المرغوب فيها .

(احمد ماهر)

(١)

نشيد مصر القومى

للأستاذ محمود محمد صادق

بلادى بلادى فداكِ دَمى | وَهَبْتُ حياتى فدَى فاسلَمى
غرَامُك أوَّلُ ما فى الفؤادِ | ونَجواكِ آخرُ ما فى فمى
سأهتفُ باسمِكِ | ما قد حَيِيتْ
تعيشُ بلادى | ويحيا الوطنْ !! « يتكرر »

. . .

غَرامُكِ يامصرُ لو تعلمينْ | فَصارَ شعورى دَنيا ودينْ
فمِنكِ حياتى ! وفيكِ مماتى | وحُبُّكِ آخرتى واليقينْ

. . .

حياتُكِ يامصرُ فوق الحياه | وصَوتُكِ يامصرُ وحيُ الأله
تعالَيتِ يامصرُ من موطنٍ | على الدهر يبقى وتَفنى عداه

. . .

لكِ المجدُ معجزةُ الأولينْ | وما زال تاجُكِ فوقَ الجبينْ

فتيهي بمجدك فوق الوجودْ　　وَمدّى اللواءَ على العالمينْ

. . .

مَآثرُ مجدكِ تحت الثّرَى　　تَشيدُ بذكركِ بين الورَى
وهذى فتوحك فى المشرقينْ　　تعالَتْ بمجدكِ فوقَ الذُّرى

. . .

أيا مصرُ هذا لواءُ الهرمْ　　علىَ النيل يخفق منذ القدمْ
تمرُّ عليهِ جيوشُ الزّمان　　تحيّى اللواءَ ! تحيّى العلَمْ

. . .

لكِ الشرقُ ألقى زمامَ القيادْ　　فنعم الزعامة بينَ البلادْ
فيوماً حملتِ لواءَ الفنون　　ويوماً حملتِ لواءَ الجهادْ

. . .

يُظلكِ عرشُ المليك الكريمْ　　وَترعاكِ عينُ العلىَ العظيمْ
ألستِ الكنانةَ فى أرضهِ　　وموعودَ جنتهِ والنعيمْ

. . .

بِلادى بلادى إذا اليوم جاء　　وَدَوّى النداءُ وحقّ الفداءْ
فحيى فتاكِ ! شهيدَ هواكِ　　وَقُولِى سلاماً على الأوفياءْ

* * *

(٢)

النشيد الوطنى

للمرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

« نشيد الأمة الوطنى عزة فى السلم ، »
« وقوة فى الحرب »

حُماةَ الحِمَى ، يا حُماةَ الحِمي — هَلُمُّوا ، هَلُمُّوا لمجد الزمنْ
فَقدْ صرختْ فى العرُوق الدِّما — نموتُ ، نموتُ ، ويحيا الوطنْ
هلمُّوا — هلمُّوا

لتَبدو السّماواتُ فى رَعدِهاَ — لِترمِ الصَّواعِقُ نِيرانَها
إلىَ عزِّ مصر ، إلىَ مجدِهَا — رجالَ البلادِ وَفِتيانَهَا
فلاَعاشَ منْ ليس من جُندها — ولا عاشَ فى مصرَ مَنْ خانهَا
نموتُ ونحيَا على عَهدِها — حياةَ الكِرام وموْتَ الكِرامْ
حُماةَ الحِمي ، يَا حُماةَ الحِمى — ... ...

. . .

بلادى احكمي واملكي واسعدى — ولاَ عاش منَ لمْ يعشْ سيّدَا
بحُرِّ دمي ، وبِمَا فى يدى — أنا لبلادى وعرشى فدَا
لك المجدُ يا مصرُ ، فاستمجدى — بعزّة شعبك طولَ المدَى
ونَحن أُسُودُ الوَغى ، فاشهدى — وُثوبَ أُسُودكِ يومَ الصدامْ
حُماةَ الحمى ، يا حُماةَ الحمي — ... ...

وَرِثنا سواعدَ بانى الهرَمْ صُخوراً، صُخوراً كهذا البنا
سواعدُ يعتزُّ فيها العَلمْ نُباهي بِهِ، ويُباهى بنَا
وَفِيها كِفاءُ العُلَى والهممْ وَفِيها ضمانٌ لنيلِ المُنَى
وَفيها لأعداءِ مصرَ النقَمْ وفيها لمنْ سالمونا السَّلامْ
حُماةَ الحِمي، يا حُماةَ الحِمي هلمُّوا، هلمُّوا، لمجد الزَّمنْ
لقدْ صرختْ فى العروقِ الدِّما: نموتُ، نموتُ، ويحيا الوطنْ
هلمُّوا هلمُّوا

(٣)

النشيد الوطنى المصرى

للأستاذ محمد الهراوى

— مصر للمصريين —

دعت مصرُ، فلبينا كراماً ومصرُ لنا؛ فلا ندع الزماما
قياماً تحت رايتها، قياماً أمامكمُ العُلا، فامْضوا أماما

— الدعوة إلى المجد —

هُناكَ المجدُ يدعوكمُ، فهبُّوا وليسَ يروعكمُ فى المجد خطْبُ
لعمرُ المجدِ ما فى المجدِ صعبُ تردَّى الذلَّ منْ يخشى الحِماما

— آثار مصر —

فنحن أولو المآثرِ فى العصورِ وبينَ يدىْ أبى الهولِ الهصورِ
وفى الأهرامِ، أوفوقَ الصخورِ ترى آثار أيدينا جساما

- راية مصر -

لنا مجدٌ على الدنيا تعالى بناه الله يوم بنى الجبالا
رسمناه برايتنا هلالا وننشرها على الدنيا سلاما

- مزايا المصريين -

لنا التاريخ ، فياض المعاني لنا الأسرار معجزة البيان
لنا علم الأوائل فى الزمان لنا الأخلاق ، نرعاها ذماما

- الذكري والأمل -

لنا ذكر ، مع الماضى ، مجيد لنا أمل بجد بدا ، بعيد
كذلك مثلما سدنا نسود ونرفع فوق هام النجم هاما

- النيل ووفاؤه -

فيا وادى الكنانة لن تزولا وفيك النيل يجرى سلسبيلا
يطوف بمائه عرضا وطولا ويبسط فيضه عاما فعاما

- جمال الوادى -

بساطك سندس ، وثراك تبر وجوك مشرق ، وشذاك عطر ،
ونهرك كوثر ، وبنوك غر أبوا في الله والوطن انقساما

— المصريون وبلادهم —

فان لم نستعز بمصر حولا ونبسط ظلها صولا وطولا
وإن لم نحمها فالموت أولا نعم : فالموت ، أو نحيا كراما

- شعار المصريين -

نعز ضيوفنا ، ونقر عينا فلا نعدو ؛ ولا يعدى علينا

فإما مسّنا ضيمٌ ،أيدنـا وتُذكيها على العادى ضِراماَ

ـ فجر المستقبل ـ

فيابنَ النيلِ ، هُزّ لواءَ مصراَ وهـيّءْ فى النجومِ لهُ مَقرّاَ

وأطْـلِعْ بالهلالِ عليـهِ فجراَ وعِشْ فى ظلهِ العالى إماما

---

(٤)

النشيد الوطنى القومى

للأستاذ محمد فضل اسماعيل

مهّــدوا للملكِ أبراجَ السماءْ وارفعوا فى ساحةِ المجدِ اللواءْ

واسمعوا من جانب النيل النداءْ مصرُ للمصرىّ قلبٌ وجَنانْ

نحن أبنـاءُ الألى طاولوا مُـلْكَ الشهبْ

قـدْ خطونا للعُـلا فوقَ أعناق الحقبْ

مجدها باقٍ على مرّ الدهورْ خلدته فى حناياها العصورْ

فى جلالٍ ناطقٍ بين الصخورْ حـيّرَ الدنيا على مرّ الزمانْ

نحنُ أبنـاءُ الألى . . . . الخ

لا نهابُ الموتَ فانظرْ يا قدرْ كيفَ لا نهتزّ يوماً للـغيرْ

نحنُ شعبٌ ملءُ واديهِ الخطرْ خاضَ للعلياء لُجّ المـعْمعانْ

نحنُ أبنـاءُ الألى . . . . الخ

قدْ تآلفْنَا على حُبّ البـلادْ فانطلقنـا فى ميادينِ الجهادْ

نُشهدُ الأرضين والسبعَ الشدادْ	أنَّ للأهرامِ عزاً لا يُهانْ
نحنُ أبناءُ الألى	. . . . . . الخ
دِيننا في مصرَ موفورُ الجلالْ	ليسَ معناهُ صليبٌ أو هلالْ
إنَّما معناهُ مُتْ يومَ النضالْ	بئسَ من يحيا كما يحيا الجبانْ
نحنُ أبناءُ الألى	. . . . . . الخ
صوتُ منفيسٍ يُدوّي كالرُّعودْ	هيّئوا للنيلِ مجداً في الخلودْ
فابتنينا مثلَ بنيانِ الجدودْ	كعبةً للنُّبلِ في أعلى مكانْ
نحنُ أبناءُ الألى	. . . . . . الخ
فاجرِ يا نيلُ بواديكَ الأمينْ	إنهُ وحيٌ من السحرِ المبينْ
تاجهُ في الدهرِ وضّاحُ الجبينْ	ينحني في جانبيهِ النيّرانْ
نحنُ أبناءُ الألى	. . . . . . الخ
واسقِنا يا نيلُ من نبعِ الحياهْ	أنتَ للأوطانِ جاهٌ أيُّ جاهْ
يستميتُ الشعبُ حباً في علاهْ	من شبابٍ أو كهولٍ أو حسانْ
نحنُ أبناءُ الألى	. . . . . . الخ
حولكَ الغرُّ الميامينُ السماحْ	يدفعونَ الضيمَ من كلِ النواحْ
فاجرِ يا نيلُ وفض بينَ البطاحْ	أنتَ والكوثرُ فيها توءمانْ
نحنُ أبناءُ الألى	. . . . . . الخ
قد وقفنا في ثباتٍ كالجبالْ	في صفوفٍ صدُّها صعبُ المنالْ
صوتُنا يملأُ آذانَ الليالْ	مصرُ للمصريِّ عاشت في أمانْ

(١١)

(الموضوع الحادى عشر)

سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون .
والبوليس - وهو من حراس القانون - صديق للشعب،
ووجوب مساعدة الشعب له فى أداء واجباته

....

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية

أتشرف بأن أقدم لدولتكم التقرير الذى وضعناه بشأن المباراة الصحفية فى الموضوع الحادى عشر .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام ؟

فى يوم السبت ٢٦ من المحرم سنة ١٣٥٥ — رئيس اللجنة

و١٨ من ابريل سنة ١٩٣٦ — (محمد لبيب عطية)

قرار اللجنة

لما أذاع حضرة صاحب الدولة رئيس الحكومة فى الناس أمر المباراة الصحفية، صدر رسالته بكلمات استظهرت، فى ايجاز وقور، الغاية التى قصد اليها من هذا العمل الجليل ، فقال :

« إن الحكومة رأت أن تخصص من ناحيتها جوائز للمجيدين ، والمحسنين ، تنشيطاً للأقلام ، وإنارة للأفهام ، وإثارة ، للحماس العلمى ، وإنهاضا للبحث الأدبى ، وإطلاقا للعنان العقلى ، وزيادة فى الانتاج الثقافى ، وتوخيا للأصلاح الاجتماعى »

بهذه الكلمات الجامعة رسم دولته، فى تواضع كريم ، دستورا دقيقا، تستهدى به لجان الاحتكام فى مهمة التقدير التى وليتها .

وقد كان علينا ، وقد وضحت الغاية وتكشف المرمى ، أن نخطو

الخطوة التالية . فتذاكرنا فيما عساه يكون عليه هيكل المقال النموذجى فى الموضوع الذى خصص للجنتنا ، وكان أن استوى لنا الرأى بأن الكاتب الذى يجيد حقا فى موضوعنا هو من يستعرض فى جلاء ومنطق سليم : ارتباط سلامة الدولة وبقاء كيانها، وارتفاع شأنها وتقدم أحوالها بانتشار الأمن والنظام فيها ، وباحترام القانون من شعبها ، يستعرض ذلك على وجه من البيان، ينبه الغافل، ويملك اليقين، ويستحث الوجدان، ويثير الوطنية الصادقة، ويخضع الغرور ويهذب الزهو، ويرد الجموح، وينير البصيرة . وعندما يلتفت الكاتب إلى الشق الثانى من الموضوع، ويتحدث عن البوليس ، صديق الشعب، وما تجب له من معاونة برسم مهمة رجل السلطة العامة بمعناها المطلق، من غير أن يتأثر بمصادفة حلولها فى شبح لم يلبس لبوسها ولم يؤد أمانتها . ثم يستظهر نبل هذه المهمة ومالها من معنى كريم، ويوليها لذاتها كل مالها من صفات، فيضع نصب العيون غرضها وما تلاقيه دونه ، وفخارها وما تعانيه فى سبيله . ويعطف فى هذا المقام إلى المثل الأعلى لرجل البوليس، فيخطه ناصعا ، ويرسم الوسائل الصالحة لانتاجه وبعث روحه فى بلادنا . وعندما يتحدث عن الشعب وواجبه نحو رمز النظام ورسول القانون، يكشف ماخفى عن الكثيرين من أن رجل السلطة العامة انما ينفذ القانون ولا يشرعه ، وأن عيب القانون لاينصلح بعصيان من ينفذه ، بل لذلك سبل أخرى، ويأتى فى هذا المقام بما يقترحه من الوسائل التى ترفع بالشعب إلى ادراك هذه الحقائق، وما يرتبط بها، غير ساه عن واجب الكتاب، مربى الشعب وناصحيه

رسمنا فى وجداننا هذا الهيكل للمقال ، ثم عكفنا على مطالعة ماتقدم لنا من رسائل المتبارين ، ففجعنا، فى كثير منها أخطأ المعنى وانحرف عن

الغاية ، وجاء بعضها بليغا فى أسلوبه، ولكنه رخو فى معانيه ، مشتت فى مناحيه .

ولزم آخرون من الكاتبين بحوثا نظرية جامدة ليس فيها هداية ، ولا فيها ثمر ، ولم يرتح نظرنا الا إلى مقالين ، ولكن على قدر ، فأجمعنا رأينا على أن نجزى صاحبهما بعض الجزاء ، وليكن أيضا على قدر ، بأن يمنحا الجائزتين الثالثة والرابعة ، وهذان الفائزان هما حضرة الأستاذ محمود كامل المحامى ورئيس تحرير مجلتى الجامعة والقضاء المصرى (الثالثة) وحضرة على حلمى افندى مأمور مركز ببا (الرابعة)

أما قيمة الجائزتين الأولى والثانية، فلعله من النصفة أن ترصد كلها لمن يضع مؤلفا فى الموضوع ، يعنى فيه بتحرى المراجع التى تناولت الشأن المبحوث، مستخلصا ماهو منتج وهاد ، ثم يطرح مقترحاته مقرونة بحججها ومراجعها، موشاة بالمنطق السليم، والنظر الدقيق، والعلم الاجتماعى الشامل .

بهذا ينفسح الجزاء لذوى الفضل النابهين ، وتجنى البلاد ثمرة تفكير جدى، وبحث علمى ، وجهد ثقافى باق على الزمان .

وليكن أجل ابراز المؤلف شهورا ستة مثلا ، يعلن فيما بعد متى تجرى، وترسم سنن المباراة فيه وما إليها من تفاصيل

الرئيس	الأعضاء
(محمد لبيب عطية)	(عبد السلام الشاذلى) (سيد مصطفى)
	(أمين سامى حسونه) (محمد عبد الله العربى)

يوم السبت ٢٦ من المحرم سنة ١٣٥٥
و١٨ من ابريل سنة ١٩٣٦

(١)

رسالة الأستاذ محمود كامل

لم يشك واحد من شراح القانون العام فى أن «النظام» ركن رئيسى من الأركان التى تتكون منها الدولة، بل إن هذا الركن ظاهر من التعاريف التقليدية التى تواتر شراح القانون الدستورى والقانون الادارى على تصدير كتبهم بها، ولعل التعريف الدارج هو تعريف بلانتشلى Bluntschli الذى يقول: (الدولة جماعة مستقلة من الأفراد المجتمعين الذين يعيشون بصفة مستمرة على أرض معينة بينهم طبقة حاكمة وطبقة محكومة) فعنصر «الحكم» فى هذا التعريف يحمل بين طياته معنى خضوع الطبقة المحكومة للطبقة الحاكمة، كما أن تعريف الرئيس ولسن الذى صدر به كتابه (الدولة) The State أكثر صراحة وجلاء فى التعبير عن وجوب نهوض النظام والخضوع للقانون، إذ يقول إن الدولة (شعب خاضع للقانون يقطن أرضا معينة)، أما هولاند، وهو أحد كبار شراح القانون الادارى أيضا، فيغلو فى الاشادة بوجوب ذلك النظام ، إذ يقول إن الدولة (جماعة كبيرة من الناس تحتل عادة بقعة معينة من الأرض تسود فيها آراء الغالبية، أو ارادة طبقة خاصة بقوة تلك الغالبية أو الطبقة، سيادة تتسيطر على كل من يخالفها) .

والواقع أننا مهما استعرضنا الآراء المختلفة التى تكلمت عن أغراض الدولة، وعن الأفق الذى لا ينبغى للدول أن تتعداه، فاننا لا نجد خلافا فى أن من واجبات الدولة الدفاع عن حرية الفرد ودرء الاعتداء عليه، وهو المعنى الموجز المقصود من التعبير البوليسى (حفظ الأمن والنظام). فلو أننا تغاضينا عن النظرية الفوضوية التى دعا اليها برودون، والتى تنكر قيام الحكومات، والتى لم تجد الى الآن الا الاستنكار، سواء من الوجهة النظرية أو العلمية، والتى يكفى لاثارة السخرية منها أنها تعتبر الملكية سرقة ! مع أن الملكية هى أولى الأشياء التى وضعت القوانين للمحافظة عليها — اذا استبعدنا هذه النظرية لوجدنا أن هناك ثلاث نظريات تتحدث عن أغراض الدولة أولها النظرية (الفردية) التى تنادى بقصر عمل الحكومة فى الدولة على النذر اليسير من الاختصاصات لا يعدو الذود عن حريات الأفراد ومنع الاعتداء عليهم كما قلنا، وثانيتها النظرية (الاشتراكية) التى تنادى بوجوب زيادة تداخل الحكومة فى جميع الأعمال التى يزاولها الأفراد وشل يدهم عنها، ثم أخيرا النظرية (المتوسطة) التى تقف حيرى بين الاثنتين .

ولقد كان هربرت سبنسر من أكثر دعاة النظرية الأولى تحمسا، ونظرة بسيطة الى المبادىء التى دعا اليها فى كتابه. Social Statics anb manversus the state تكفى للايمان بأن واجب الحكومات الأول هو إقرار الأمن والنظام ؛ لأنه علل قيام الحكومات ونسبه الى (أثرة الفرد وميله الى الجريمة ، فمن الخطل الادعاء بضرورة وجود الحكومات أبدا، لأن الحكومات شىء عارض يجب أن يندثر بزوال السبب الذى دعا الى وجودها) ، ولست فى حاجة إلى التدليل على مافى هذا القول من التناقض ؛ فالجريمة لم تختف من أفق الانسانية بعد ولا ينتظر أن تختفى ، وحتى مع التسليم جدلا بنظرية سبنسر ، فاننا نجد أنفسنا أمام ضرورة تحتم قيام الحكومات لدرء أخطار أثرة الفرد وأنانيته وإيقاف ميله الى الجريمة، وهما الأمران اللذان اعترف بهما سبنسر أكبر داعية من دعاة النظرية الفردية الأولى .

أما النظرية الاشتراكية ، فهى صريحة الصراحة كلها فى أن تضع الحكومة أنفها فى كل شىء ، وألا يقتصر ذلك على حفظ الأمن والنظام بل يتعداه الى غيرهما مما يزاوله عادة الأفراد .

بل ان شراح القانون العام استطاعوا أن يكونوا أكثر ايجازا من ذلك كله عندما ذكروا « أن النظام هو قيام شرطة يخضع لها المجموع ، فلو وجدت الأركان الأخرى وانعدم هذا الركن فلا دولة » ، ولقد لخص الأستاذ مصطفى بك الصادق هذه الآراء فى كتابه « مبادىء القانون الدستورى المصرى والمقارن ص ٢٤ »

والدولة اذ تباشر سلطاتها تستمد تلك السلطات من سياداتها ، فهى تأمر الأفراد باسم الوطن ، وتقضى فينفذ قضاؤها ، ولو أدى ذلك الى استعمال القوة ؛ ولقد اعتاد الناس فى فترات الانتقال بين الحكم المطلق والحكم الديموقراطى أن يكثروا من الثرثرة عن حقوق الأفراد ، وهى الحقوق التى أعلنتها الثورة الفرنسية والتى عرفت باسم (اعلان حقوق الانسان) والتى تصدر بها عادة الدساتير فى كل أمة ويسهب شراح القوانين الدستورية فى التعليق عليها واعطائها مسحة توهم رجل الشارع أن عمله فى الحياة أصبح مقتصرا على أن يطالب بحق دون أن يحس بواجب ؛ وبديهى أن كل حق فى الوجود يجب أن يقابله واجب على ذى الحق ؛ كما يتحدث القانون الدستورى فى أمة ما عن حق الفرد يتحدث الادارى فيها عن حق الحكومة وواجب الفرد نحوها .

ولقد أشار العلامة برجز Burges الى ذلك الحق فذكر أنه « السلطة المطلقة التى لاحد لها على كل فرد وجماعة ، وقد توصف السلطة بأنها اسمية أو فعلية ؛ فالسلطة

الاسمية هى تلك السلطة الوهمية التى يتمتع بها أصحاب التيجان ، فتصدر الأحكام باسمهم بغير أن يسمح لهم بالتدخل تدخلا فعليا فى تسيير الأمور. إذ الذين يتمتعون بالسلطة الفعلية أشخاص آخرون » .

ومن ذلك يتضح أنه سواء كانت تلك السلطة يباشرها ملك مستبد أو ملك ديموقراطى يباشر سلطانه بواسطة حكومته، فان هناك حقا لذوى السلطة فى أن يفرضوا إرادتهم على الطبقة المحكومة، وان على هذه الطبقة احترام تلك الارادة .

ولا شك أن أكثر ما أفسد عقلية الجمهور فى مصر هى الثرثرة المستمرة والطنطنة حول حقوق الأفراد وقوة الرأى العام ووجوب خضوع الحكومة لهذه القوة دون تفسير هذه النظريات تفسيرا علميا هادئا، ودون اقترانها على الدوام عند عرضها بما يقابلها من وجوب خضوع هذا الجمهور للحكومة عند مباشرتها لسلطاتها الشرعية، بل يخيل الى أن الكثيرين ممن تصدوا لتزعم الحملات الصحفية على الحكومات المتعاقبة منذ اعلان الدستور فى مصر عام ١٩٢٣ كانوا منقادين — دون أن يحسوا — إلى الأخذ بنظرية بالية من النظريات التى عفا عليها الفقه الادارى الحديث ، وهى نظرية جان جاك روسو المعروفة باسم العقد الاجتماعى Le Contrat Cocial فهذه النظرية التى أصبحت لا تعدو أن تكون حفرية قديمة من حفريات ذلك الفقه كانت تتوهم بأن سيادة الدولة وسلطانها للارادة العامة Volonte Generale أى لمجموع الشعب ولجمهور الناخبين، ولكن هذه النظرية انهارت على أثر الحملات المتوالية التى كان قوامها بأن السيادة يجب أن تكون لشخص معين أو لجماعة معينة تدين لها غالبية الشعب بالطاعة ولا تدين هى لشخص أو لجماعة أعلى منها، كما ذكر العلامة اوستن Austin

ولقد تعرض أستاذنا الدكتور محمد عبد الله العربى فى كتابه (تعريف القانون الادارى ص ٨) إلى تلك التفرقة بين القانونين الدستورى والادارى وذكر (أن كلاهما يحدد علاقات الدولة بأفراد الرعية) ،غير أن هذا التحديد مختلف للغاية فى كل منهما، فالدستور يعنى على الأخص ببيان حقوق الأفراد، والادارى يوجه أكثر اهتمامه الى بيان الاختصاصات الحكومية وأثرها فى تقييد حرية الأفراد ، ولذا قالوا إن القانون الدستورى يقرر حقوقا والادارى يفرض واجبات .

والمظهر الهام لمباشرة الدولة لسلطاتها هو الفصل بين تلك السلطات. ولا شك أن أكثر السلطات اتصالا بالشعب هى السلطة التنفيذية، التى يمثلها أثناء تنفيذها

لمختلف القوانين واللوائح رجل البوليس ،فهذا الرجل مكلف بطبيعة عمله بأن يمنع الجريمة قبل وقوعها،إذ يباشر اختصاص(البوليس المانع)،وهو فى مصر يباشر وظيفة أخرى وهى وظيفة (البوليس القضائى) إذ يحقق مع الخارجين على القانون .

ومما يدعو الى الألم الشديد أن الظروف كلها اجتمعت على وضع سد منيع بين رجل البوليس ورجل الشارع فى مصر ، سد من الكراهية والشماتة والتحدى ، فانهار المثل الأعلى الذى كان واجبا أن يسود العلاقة بينهما،وهو قيام نوع من الصداقة توحى الى رجل البوليس بأنه إذ يؤدى وظيفته فى منع الجريمة لايرضى شهوة خاصة فى التنكيل بمتهم معين ، وانما يدفع خطرا عاما عن المجموع الذى يعيش ذلك المتهم الشارع فى جريمته بينه . وإذ يقبض عليه بعد اتمام جريمته ويجرى حكم القانون فيه انما ينفذ ذلك القانون دون أن تكون للشماتة أثر أثناء أدائه لذلك العمل .

وإذا نحن رجعنا الى العلة الحقيقية فى قيام ذلك السد المقيت بين رجل البوليس ورجل الشارع لوجدنا أنها علة نفسية (سيكلوجية)،فرجل البوليس الحالى فى مصر إذا كان جنديا عاديا يختار من طبقة تعتبر من أحط الطبقات المصرية ولقد ذكر اللورد كرومر فى صفحة ٥٠ من تقريره عن عام ١٩٠٤ (ان أفقر أفراد الشعب هم الذين لايستطيعون دفع البدل وهو عشرون جنيها وعلى ذلك فوظائف البوليس فى الأرياف يشغلها أفراد من أحط أفراد الشعب وهؤلاء يطلب منهم تنفيذ القانون وأن يعيشوا هم وأفراد أسرتهم براتب شهرى قدره جنيه واحد) ، ولا شك أن هذه حقيقة مؤلمة،فمظهر السلطة التنفيذية هو ذلك الرجل ذو الأزرار اللامعة الذى يقف أثناء النهار والليل يمثل هيبة القانون وينفذ أوامر رؤسائه وهو رجل مغبون ساخط على حياته متبرم بها يريد أن يفرج كربته بالسخط على الناس والتنكيل بهم ليحقق حالة من حالات (التعويض) Compensation التى تحدث عنها فرويد أثناء شرح نظريته عن علم النفس الحديث،واذا كان ضابطا فهو الآخر يحيا أثناء عمله فى القسم حياة عسكرية تخضعه لنوع من الرئاسة الصارمة التى تتحكم فى طريقة مشيته وفى أسلوب حديثه ، وأحيانا فى حياته الخاصة،ولذا لايكاد يتبين من نفسه السيطرة على افراد الشعب حتى يحقق تلك الحالة نفسها من الحالات النفسية الحادة، وهى حالة «التعويض»،تعويض الغبن والذلة تجاه رؤسائه باذلال من يقع تحت يده ممن لايملكون حولا ولا طولا .

ولقد كانت هذه الحالة أكثر وضوحا قبل ادخال التعديل الأخير على نظام قبول

الطلبة بمدرسة البوليس، واشتراط الحصول على شهادة البكالوريا، لأن الطلبة ما كانوا ليقبلوا الاندماج فى تلك المدرسة إلا بعد يأسهم من متابعة دراساتهم العليا، وكانوا يتخرجون بعد بضعة أشهر يقضونها فى تلك المدرسة فيقبلون على حياتهم البوليسية وفى عقولهم الباطنة Inconcient mind نوع من التمرد على الظروف التى أتاحت لغيرهم من زملائهم تربع مراكز النيابة، والقضاء، والاشتغال بالطب أو المحاماة أو الهندسة، ووضعتهم هم فى ذلك العمل المرهق المتشابه ذى المرتب الضئيل، والذى تتحكم فيه رئاسة عسكرية عاتية. وسرعان مايظهر أثر مايوحى به ذلك العقل الباطن أثناء مباشرتهم لعلاقاتهم اليومية مع أفراد الشعب، ولا يكون هذا الأثر عادة إلا ستر الشعور بالنقص Inferiority complex بالتظاهر بالقوة والبطش أمام الأفراد الذين يتصلون بهم يوميا اتصال متهم بمحقق. والدليل على صحة ماأذهب اليه أنه بينما نجد الشكوى عامة من معاملة رجال البوليس للافراد لانجد لهذه الشكوى أثرا بالنسبة لمعاملة أعضاء النيابة لأولئك الافراد، فأعضاء النيابة لايعانون ذلك الشعور بالنقص، وهم بعد ليسوا فى حاجة الى تحقيق تلك الحالة من حالات «التعويض» لأن الرئاسة فى النيابة رئاسة أقدمية، وطول مران فى العمل التحقيقى، وعضو النيابة مهما صغر شأنه لاتمتهن كرامته ولا يعامل من أكبر رؤسائه إلا معاملة الند للند، ولقد جرى العمل على أن يلقب عضو النيابة بمجرد بدئه العمل بلقب البيكوية، وهم مطمئنون تمام الاطمئنان الى مستقبلهم والى الضمانات التى تحيطهم أثناء أدائهم لعملهم أداء حرا .

فاذا عدنا إلى الاحساس الذى يختلج فى صدر الفرد فى مصر عندما تحتم عليه الظروف أن يدخل إلى قسم من أقسام البوليس، لوجدنا أن ذلك الاحساس لايعدو أن يكون خوفه مماسوف يحدث له داخل القسم، وهذا الاحساس يشتد أحيانا الى حد الرهبة، وقد يصل الأمر ببعض المجنى عليهم إلى تفضيل التنازل عن شكواهم خشية أن يلحقهم أذى اذا تقدموا الى البوليس بشكوى! والفكر السائد أن لرجل البوليس الحق المطلق فى حبس المتهمين حبسا احتياطيا على ذمة التحقيق فى قضاياهم الى حين ارسالهم للنيابة، ولقد ساعد على رواج هذه الفكرة أن الكثيرين من رجال البوليس يقدمون عليها دون أن يجدوا رادعا يردعهم، مع أن اجماع شراح قانون تحقيق الجنايات على أن مأمورى الضبطية القانونية لايملكون سلطة الحبس الاحتياطى، ولقد ذكر أستاذنا احمد نشأت بك فى صفحة ٩٦ من شرح قانون

تحقيق الجنايات فقرة ٥٩ (ان مأمور الضبطية القضائية فى جميع الأحوال فى القضايا المركزية وفى حالة الانتداب من النيابة وفى حالة التلبس لا يملك الحبس الاحتياطى .

وانما حقه قاصر على القبض لا أكثر فاذا رأى أن قضية ما لظروفها الخاصة تستحق أن يصدر فيها أمر بحبس المتهم احتياطيا يجب عليه أن يرفع الأمر إلى النيابة) .

ولكن رجال البوليس بالتحايل على هذه الضمانة التى وضعها القانون لحماية حريات الأفراد، لجأوا إلى طريقة أصبحت تقليدية ، وهى طريقة وضع المتهمين فى فناء المركز أو قسم البوليس الذى يعرف فى الاصطلاح البوليسى باسم (الحجز) ولقد أصبح هذا (الحجز) شبحا مخيفا يرهبه الأفراد لأنه غير خاضع للسلطة التى يمنحها القانون لأعضاء النيابة فى التفتيش على السجون المركزية فليس له دفتر خاص تقيد فيه أسماء المسجونين حتى يمكن لعضو النيابة المفتش أن يشرف على استقامة الاجراءات التى اتخذت فى الزج بأولئك الأفراد إلى السجن وأن يتبين تاريخ وضعهم فيه والتاريخ الذى يجب أن ينتهى عنده أمد اقامتهم به، ومما يدعو إلى الأسف الشديد ان شكاوى كثيرة قدمت بشأن وضع افراد داخل الحجز وتركهم أياماً طويلة وحققت بواسطة بعض أعضاء النيابة فلم ينته التحقيق فيها إلى نتيجة حرصا على الرغبة فى عدم اثارة حادث incident بين وزارتى الداخلية والحقانية ، السر اذن فى ذلك السد الذى يقوم بين رجل البوليس فى مصر وبين الافراد هو الشعور بأن رجل البوليس لا يعتمد على القانون وحده فى معاملتهم وانما يفتات على ذلك القانون ويتعدى حدوده، والعلاج الوحيد هو إيجاد نوع من رجال البوليس يفهمون حقيقة رسالتهم فهما منطقيا سليما ، وايجاد هذا النوع كما يقول اللورد كرومر فى صفحة ٧٠ فى تقريره عن عام ١٩٠٦ شىء (من أصعب الأمور وأشدها تعقيداً لمن ينشد الاصلاح فى مصر . . ففيما يتعلق بالأخلاق والطبائع لا يمكن أن تتوقع من رجل البوليس المصرى أن يكون فى مستواه أرقى من مستوى البيئة التى نشأ فيها) .

ولعل خير تعبير عن عمل البوليس وحدود هذا العمل هو ما ذكره هوريو Hauriou فى صفحة ٤٤٥ من كتابه (موجز القانون الادارى) Precis du droit administrtif

(ان اضطرابات الأمن العام عرض يقود البوليس الى العمل كما تقوم الحمى بقيادة الطبيب ، والبوليس كالطب يستخدم كل الطرق التى تؤدى فقط إلى اختفاء تلك الأعراض). وقد عقب هوريو على ذلك بأن البوليس ليس من شأنه أن يتغلغل فيما هو أكثر من ذلك اذ يجب أن يقف عمله عند حد ازالة الأعراض التى تشكو منها بلدة ما ويكون مظهر هذه الشكوى اختلال فى حالة الأمن العام .

ولقد اقترحت اللجنة التى سبق أن تألفت فى وزارة الداخلية باسم لجنة اصلاح الأمن العام تقسيم البوليس المصرى إلى ثلاثة أقسام، وهى: (١) البوليس القضائى الذى يتولى التحقيق فى جرائم القانون العام التى يرتكبها الافراد ، وقد أوصت اللجنة بوجوب اختيار افراده من حملة ليسانس الحقوق لكى يكون هذا النوع مطمئنا إلى كفاءته الشخصية أثناء مباشرته لعمله، وفى تحقيق هذا الاقتراح انتفاء للعلة النفسية التى سبق أن أشرت اليها وهى علة شعور رجل البوليس الحالى بالنقص... نقص مرتبته الاجتماعية ونقص درجته الثقافية (٢) البوليس النظامى، وقد أوصت اللجنة باختياره من خريجى المدرسة الحربية وهو البوليس الذى يقوم (بالدوريات) والذى يؤدى الجانب العسكرى من عمل مركز البوليس أو (القسم) واختياره من هذه الطبقة لن يثير رهبة الأفراد لأن اتصاله بهم سوف يقتصر على المحافظة عليهم من الأذى والاعتداء وسوف يغذى طمأنينتهم إلى أن مصيرهم عند ارتكابهم ما يخالف القانون الى رجال توفروا على دراسة القانون الذى كان ولا يزال وسوف يكون أبداً فكرة « مدنية » انسانية سامية لا أثر للعسكرية فيها (٣) البوليس (البلدى)، وهو البوليس الذى يقوم أفراده بتنفيذ اللوائح الخاصة بالمجالس البلدية والمحلية والقروية وليس لهذا النوع الثالث أهمية خاصة فى هذا البحث لأن الجرائم التى يرتكبها الأفراد عادة والتى ينتظر أن تقع فى اختصاص هذا البوليس تعتبر من المخالفات البسيطة التى لا يجوز فيها القبض ولا الحبس الاحتياطى .

أما فيما يختص بضمان مستقبل رجال البوليس القضائى الذى يهمنا فى هذا البحث غاية الأهمية - وهو أمر له خطورته فى حالة أداء ذلك البوليس لعمله - فقد تعرض لهم تقرير تلك اللجنة أيضا إذ أفسح الطريق أمام رجال البوليس القضائى الاكفاء لكى يختار منهم النائب العام من يشغل وظائف أعضاء النيابة . هذا فيما يختص بايجاد نوع جديد من رجال البوليس تتوفر فيه الثقافة القانونية الكافية والضمانة الخلقية التى تؤيدها بيئة الأسرة التى تمكنت مواردها المالية من الانفاق على ابنها

حتى أتم كل مراحل دراسته والاطمئنان الشخصى إلى مساواته الفكرية والاجتماعية بغيره من أرقى الطبقات المصرية .

أما فيما يختص بشعور الافراد نحو رجل البوليس فانه سوف يتغير ولاشك بحلول الطبقة المنشودة من رجال البوليس محل الطبقة الحالية وتغير الأوضاع التعسفية التى اعتادت الطبقة القديمة السير عليها فى معاملة الأفراد، ولكننى يجب أن أضيف إلى أن التربية الحالية فى مصر لا تمهد لايجاد الفرد الذى يحترم القانون لأنه واجب الاحترام، وهذا راجع ولاشك الى نقص جوهرى فى برامج الدراسة بمدارسنا ، فهذه البرامج تكاد تكون خالية من (التربية الوطنية) وهى مادة جوهرية يقوم عليها النظام البيداجوجى فى أرقى الأمم المتمدينة وقد عرفت فى انجلترا Citizenship وفى فرنسا باسم : Instruction Civique وكانت قد أدخلت الى نظام التعليم المصرى منذ بضعة أعوام ثم ألغيت ثم ترددت بين الابقاء والالغاء، ولكن الواقع المؤلم أن الكتب التى وضعت فيها باللغة العربية لم تف بتحقيق الغرض السامى المنشود منها ، فالواجب التوافر على وضع عدد من الكتب فى التربية الوطنية يظهر للطلبة فى مختلف السنوات الدراسية بطريقة سهلة Vulgarise حق السلطة التنفيذية ممثلة فى رجل البوليس فى تطبيق القانون على الكبير والصغير ومدى هذا الحق وحق الفرد فى الشكوى من الاجراءات التى تتخذ ضده أمام الجهات المختصة بنظر تلك الشكوى، كما يجب تنظيم محاضرات عامة يقوم بها نفر من القانونيين الشبان يشرحون ، للعمال والفلاحين والذين لا تمكنهم ظروفهم من استيعاب المواد القانونية الجافة ، حقوق البوليس فى اتخاذ اجراءاته عند مخالفة الأفراد لواجباتهم أو ارتكابهم الجرائم المختلفة التى يعاقب عليها القانون العام، فهذا النوع من الشرح الدارج لمواد القانون تؤديه فى فرنسا كتب خاصة هى الكتب المعروفة باسم القانون الدارج Droit usuel ولكن انتشار الأمية فى مصر يجعل طبع مثل هذه الكتب عديم الفائدة .

ولا يمكننى أن أختم هذا البحث قبل أن أذكر عاملا جوهريا من العوامل التى يجب العمل على ايجادها، لتوطيد أواصر الصداقة بين رجال البوليس والأفراد فى مصر، لأن الصداقة لا تكون إلا بين طرفين متعادلين فى الحقوق، فكما يجوز لرجل البوليس أن يقبض على الفرد إذا ضبط متلبسا بجريمة وأن يستصدر من النيابة

أمرا بحبسه احتياطيا وأن ينذره متشردا أو مشبوها، يجب أن يجاز للفرد أن يعترض على ذلك أمام هيئة تسمع اعتراضه و تنتصف له إذا كان هناك محل للانتصاف، وهذه الهيئة ولا شك هي القضاء، والقضاة فى النظام الحالى وطبقا للمادة ١٢٤ من الدستور (مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون وليس لأية سلطة فى الحكومة التداخل فى القضايا) وهم يحكمون ولا شك بوحى ضمائرهم، ولكنهم معرضون عند هبوب العواصف السياسية التى تدع لرجال البوليس مجالا للتعسف فى إجراءات القبض والحبس الاحتياطى وعند إصدار أحكام لا توافق هوى السلطة التنفيذية التى يعمل رجال البوليس عادة بوحى منها — معرضون لقرارات النقل إلى جهات بغيضة أو الاحالة إلى المعاش ، وقد ظلت المادة ١٢٧ من الدستور التى تنص على (عدم جواز عزل القضاة أو نقلهم تتعين حدوده وكيفيته بالقانون) مشلولة ومعرضة التوازن الواجب بين رجل البوليس ورجل الشارع للاضطراب إلى أن صدر القانون الأخير الخاص بضمان ذلك الاستقلال إلى حد ما ، وفى يقينى أن هذا القانون خطوة موفقة نحو خلق جو من التفاهم الصالح بين رجال البوليس المصرى والأفراد، لأن الطرفين سيعلمان، عندما تقضى الظروف بالتقائهما، أن هناك حكما لن يكون لغير كلمة القانون ، وللقانون وحده سلطة عليه ، ولن يخشى إذا قال هذه الكلمة أن يحل به مكروه ولقد أشار أستاذنا الدكتور العربى فى صفحة ١٤ من رسالته عن (الضمانات الدستورية) إلى كلمة العلامة جاكلان Gacquelin أستاذ القانون العام بجامعة باريس الرائعة (أن عدم جواز عزل القضاة شرط لاستقلال القضاة واستقلال القضاء علامة وجود سلطة منفصلة مستقلة إلى جانب السلطتين التشريعية والتنفيذية) .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ على حلمى

مهد لبحثه بأن الأمم تختلف رقيا ، وحضارة ، وأدناها إلى المدنية ، وأقربها من الكمال ، ماتوافرت فيها أسباب الأمن والعدل والطمأنينة ، ولايتيسر هذا على الوجه الأكمل إلا إذا تعاونت الأمة « حكومة وشعبا » على سلوك السبيل الموصل إلى هذه الغاية السامية ، فأدى كل منهما وظيفته ، فوظيفة الحكومة اتخاذ الوسائل العملية لاعطاء كل ذى حق حقه ، ودفع كل عدوان يقع على الأفراد أو الجماعات ، وتوجيه الشعب إلى سبل الحضارة والتهذيب والرفاهية ، ويتعاون على تحقيق هذه الغايات سلطات ثلاث : التشريع ، القضاء ، التنفيذ . غير أن السلطة التى تقوم بالقسط الأوفر هى الشرطة « البوليس » التى تتولى السهر على رعاية القانون والمحافظة على الأرواح والأعراض والأموال ودرء الحوادث الجنائية وكشف مايقع منها ، فلهذا تتسابق الأمم فى الاهتمام بالبوليس ، وتعمل دائما على توفير التعليم الفنى والكفاية والمقدرة فيه ، وتزويد رجاله بالأخلاق الفاضلة ، وتحصينه بالضمانات التى تكفل له الطمأنينة فى التمسك بالحق ، والاضطلاع بالتبعات دون خشية أو تردد، وبوازع من وحى الضمير والواجب .

ولكى يتسنى لرجل البوليس أن ينهض بأعباء أعماله الخطيرة ، ويكون أهلا للقيام بواجبه من حراسة القانون وصيانة الأمن وسلامة الدولة ، يجب أن يكون حائزا للصفات الآتية :

الأخلاق فوق الكفاءة ، فخلق المرء دعامة مجده وأس نجاحه ، وأن أقل انحراف من رجل البوليس عن جادة الاستقامة يجعله موضع سخط الناس ، ويكون سببا فى تشديد العقوبة عليه من ولاة الأمور .

الشجاعة والأقدام ، فاذا جبن عن القيام بواجبه بالجسارة والاقدام ، لحقه العار الدائم ، وتعرض للمحاكمة ، ونال العقاب الصارم ، بل قد يكون جبنه سبب هلاكه .

بذل المساعدة للجمهور ، فيلبى دعوته ، ويسعف المصاب ، وينقذ الغريق ، ويطفىء الحريق ، ويرشد الضال ، ويساعد الضعيف والصغير والهرم .

حسن التصرف ، فيتخذ فى كل حالة ما يناسبها ، حازما فى غير عنف ، لينا فى غير ضعف .

التأدب فى الاجابة ، فيحسن الحديث مع الناس ، ويخاطبهم على قدر عقولهم، دون أن يتوانى فى أداء واجبه .

العدل وانصاف المظلوم ، فرجل البوليس قوى بالقانون ، يستطيع رد الحق المسلوب الى صاحبه ، قادر على ايقاف تيار الظلم ، فيجب أن يكون دائما فى جانب المظلومين ، فلا يؤثر فيه جاه أو ثروة أو نفوذ أو وساطة ، لأنه حارس القانون ، والكل أمام القانون سواء .

العمل على اكتساب ثقة الجمهور وتقديره، فيجب أن يجعل نفسه موضع ثقة الجمهور ، خادما له لاسيدا عليه ، مع الاحتفاظ بكرامة منصبه ، ووقار وظيفته، والاقتصار - فيما خول له من السلطة - على أداء الواجب دون ضجيج أو تحرش بأحد .

عدم الاكثار من مخالطة الجمهور ، فان ذلك خير لكرامته ، وأبقى لهيبته ، وأفضل لأداء وظيفته

النزاهة وعلو النفس ، فرجل البوليس - بما له من السلطان المباشر على الجمهور - أكثر الموظفين تعرضا لتطلع الناس إلى رشوته ، فيجب أن يكبح جماح نفسه ، ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا

الصراحة ، فان مما يفقد ثقة الناس بالمرء أن يلجأ الى التعمية فى حديثه ، فيمكر بمحدثه ، وليس أدعى الى الثقة به أن يتحلى بالصراحة فى قوله ، فهى تبعث الاطمئنان فى نفس السامع ، وانه ليسر الرئيس أن يصارحه مرءوسه بما يقع منه من خطأ ، وقد تدعو الصراحة الى العفو أو تخفيف العقوبة .

الصدق وتنزيه النفس عن النفاق ، فالصدق منج ، والكذب مرد

أداء الشهادة بصدق ، فعلى رجل البوليس أن يبتعد عن المبالغة فى شهادته بذكر وقائع لم تحصل ، مؤملا أن ينال بذلك فخرا أو يعظم شأنا ، فان ذلك مضيعة لثقة القضاء فى شهادته

التمسك بالدين ، فان شخصا يفرط فى دينه لا يؤتمن ولا يوثق به

الاخلاص لجلالة الملك ومحبة الوطن ، فجلالة الملك المعظم هو رمز الوطن ، وعنوان عظمته ، وولى نعمته ، والوطن هو الذى أظلتنا سماؤه ، وروانا ماؤه ، وأنبت

لنا نباتا حسنا ، وثمرا طيبا

احترام الرؤساء والاحتفاظ بالكرامة ، فيجب أن يكون الاحترام مبعثه حب القيام بالواجب ، لايصحبه ملق أو يشوبه رياء ، وألايكون الباعث عليه مجرد نفوذ الرئيس وسلطانه ورغبة المرءوس فى الحظوة لديه .

الاعتماد على النفس ، فالرجل الكفء فى عمله ، الكامل فى خلقه ، يكون شفيعه دائما الاعتماد على مايؤديه من عمل حسن ، ويربأ بنفسه عن الزلفى للرؤساء أو التوسط لديهم بالرجاء .

احترام القانون ، فرجل البوليس مكلف بحراسة القانون وتنفيذه على الجمهور ، وهو بذلك أولى الناس باتباعه واحترامه ، حتى يكون قدوة حسنة لغيره .

اتقان العمل والاخلاص فيه ، فيجب أن يعمل بوازع من وحى الضمير ، لارهبة من رئيس ، ولاخوف عقوبة ، فالله لايضيع أجر من أحسن عملا .

فاذا ماتوافرت فى رجل البوليس هذه الصفات ، علت مكانته فى النفوس ، وسهلت مهمته ، ومهمة الحكومة من ورائه ، فى الحكم الصالح المستقيم ، وحاز ثقة الشعب ومحبته واحترامه ، وكان بذلك صديقا له ، فتتوثق الروابط بين الحكومة والشعب على أساس متين من العطف والحزم من جانب ، والثقة والاحترام من الجانب الآخر .

على أن هذا لايتيسر للبوليس وحده من غير معاونة الجمهور له وقيامه بنصيبه من احترام القانون ، والانقياد له بسهولة ، عن طواعية ورغبة ، لاعن خشية ورهبة ، ولا يتسنى ذلك إلا بتعليم الشعب وتهذيبه ، وغرس احترام القانون فى نفسه وطاعة منفذيه ، ومعرفة ان القانون لم يوضع الا لخيره ورخائه ، وان فى طاعته للبوليس واعانته له تحقيقا لمصلحته .

ثم تحدث عن الجهل السائد بين صف الضباط وعساكر البوليس ، ورأى أن هذا الجهل كثيرا مايؤدى إلى سوء المعاملة والتحرش بالجمهور فى تنفيذ أعمالهم ، واقترح اختيار عساكر البوليس من الشبان المتعلمين العاطلين ، لأنهم أليق الناس لهذا العمل الهام ، وهم على استعداد لخدمة بلادهم بالبوليس ، الذى هو من أشرف أعمال الدولة وأسماها ، وان رجال البوليس الأميين - إذا عادوا إلى بلادهم عقب الخدمة الاجبارية - كانوا أنفع الناس للزراعة والفلاحة بالحقول المصرية ، التى نشأوا فيها منذ نعومة أظفارهم .

وانتقل إلى الكلام عن وسائل اعداد الجمهور للقيام بمعاونة البوليس ، فرأى أن يعنى بما يأتى :

التعليم الالزامى ، فهو نواة النهضة العلمية ، وكلما انتشر التعليم ، بث روح الفضيلة فى النفوس ، وباعد بين الجمهور وبين الرذيلة .

التربية الخلقية بجميع المدارس ، فيعود التلميذ منذ نشأته على التمسك بالأخلاق الكريمة والشهامة والنخوة ، والاعتماد على النفس، والاحتفاظ بمظاهر الرجولة ، ومما يساعد على ذلك، الاكثار من فرق الكشافة والجوالة ، والمران البدنى .

تنمية الوجدان الدينى ، فليس مثل تأثير الوازع الدينى فى نفس الشعب ، ويكون ذلك بالاكثار من الوعاظ والمرشدين ، وتسهيل سبل انتقالهم ، وتزويد خطباء المساجد بالخطب العصرية الملائمة لتطورات الزمن ، وبلغة سهلة مفهومة لعامة الشعب تغرس فى نفوسهم صفات الرحمة بالضعيف ، واغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم ، والتسامح ، والعفو عند المقدرة ، ومحو غريزة الانتقام ، والترغيب فى أداء الشهادة بالصدق ، والتحذير من الكذب وشهادة الزور

تنظيم الدعاية القومية ، فيعلم عامة الشعب فضيلة معاونة رجل البوليس واحترام القانون ، وذلك بالاكثار من المحاضرات فى المجتمعات والمنتديات والمذياع ، وعن طريق الصحافة ، وبواسطة التمثيل والسينما ، بلغة سهلة وبطرق مشوقة ومرغبة .

تعميم الرياضة البدنية ، فهى - فوق تنميتها الجسم وتقويته - تكسب النفس شجاعة واقداما ، وتعود الشخص حب النجدة والتفانى فى المحافظة على النظام والطاعة واحترام المجموع ، والعمل لخيره وخدمة الوطن ومجده ، وتشغل النفوس - وقت فراغها - عن المفاسد والتفكير فى الاجرام ، فيجب الاكثار من الجمعيات والنوادى الرياضية ، ورعايتها وتحبيبها إلى عامة الشعب وطوائف العمال، ومكافأة المبرزين فيها ، وتشجيع الفروسية والتحطيب (المبارزة بالعصا) ولعب الكرة بأنواعها فى بلاد الريف .

ثم تكلم عن الجرائم التى تحدث تحت سمع الجمهور وبصره، واحجام الشهود عن تأدية الشهادة ، رهبة من الجانى ، وخشية من سطوته ، وعلل هذا بطول اجراءات المحاكم الجنائية ، ومضى زمن طويل بين ارتكاب الجريمة والحكم فيها ، واقترح :

تبسيط اجراءات المحاكمة الجنائية ، فيشجع الجزاء السريع عامة الشعب على

عدم خشية الأشقياء ، ومعاونة البوليس فى الارشاد عنهم والشهادة ضدهم ؛ ولا تتاح الفرصة للجانى وشيعته فى اضعاف أدلة الاتهام ؛ والتلفيق لافلاته من يد العدالة ، ولا يدفع طول الزمن ذوى الشأن فى الجناية إلى الانتقام بأنفسهم علنيةالقصاص ، ليكون فى ذلك زجر للمجرمين ، وعبرة لأمثالهم من الآثمين .

واختتم بحثه باقتراح مكافأة الغيورين والممتازين فى خدمة المجموع ، وتشجيع كل من يمتاز فىمساعدة البوليس تشجيعاً أدبيا وماديا ، فالأدبى يكون بالاشادة بذكر من يتطوعون لمساعدة رجال البوليس فى خدمة الأمن العام ، ومنحهم أنواط الجدارة ، ونشر أخبارهم فى الصحف السيارة والمجلات الأسبوعية ، والتحدث عنهم فى المذياع ، وارسال كتب الشكر مكافأة لهم وتشجيعا لغيرهمعلى الاقتداء بهم ، والتشجيع المادى يكون بمنح الجوائز والمكافآت المالية بسخاء ومن غير ابطاء ، حتى يكون لها الأثر المطلوب

والأمل كبير فى الوصول إلى هذه الغاية السامية ، وهى : سلامة الدولةوأمنها ، فى المستقبل القريب ان شاء الله تعالى ، بما وضعهولاة الأمور فىحكومتنا السنية ـ خصوصا حضرة صاحب الدولة النابغة على ماهر باشا رئيس الوزراء ـ من أسس قوية ومشاريع نافعة ؛ لرقى الشعب واسعاده ، واصلاح أداة الحكم وانتظامها ، وتهذيب التشريع وتوحيد القضاء ، وترقيةالشؤون الصحية ،والأحوال الاجتماعية ، والمرافق القروية ، والنهوض بالصحافة ، ونشر الثقافة . . . . . .

علی ماهر باشا والجامعة

« نشرت جريدة الدستور الغراء بعددها الصادر »
« فى صباح السبت ٢١ من شعبان سنة ١٣٥٧ - »
« ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٣٨ ، مقالا بهذا »
« العنوان لحضرة الكاتب الأديب والنائب المحترم »
« الأستاذ سعد اللبان ، فرأيت أن أجعله مسك »
« الختام لهذا الكتاب ، لتناوله بعض ما عرضت له »
« فى بحثى الخاص بتاريخ حضرة صاحب المقام »
« الرفيع على ماهر باشا ، وهاهو ذا نص المقال : »

لئن كان المغفور له المرحوم الملك فؤاد صاحب الرعاية البارة والوصاية الكريمة على الجامعة المصرية ، فى عهديها الأهلى والحكومى ، فقد كان له من سعة وقته ونظام حياته عند ما كان أميرا ما يسمح له بالاشراف العملى على الجامعة وادارة شؤونها فى عهدها الأول ، ولكنه بعد أن رقى عرش البلاد ، وأصبح فى عهد جديد لا يباشر فيه شؤون البلاد ، أهلية أو حكومية ، بنفسه ، بل بواسطة وزرائه ، ومن يثق بهم من كبار أمته ، فان العناية الالهية قد اختارت لتنفيذ رغائبه الكريمة ، وتحقيق أمانيه الطيبة نحو الرقى بالجامعة المصرية ، رجلا من خاصة أمته ، وعظيما من عظماء شعبه ووزيراً من أحكم وأبرع وزراء دولته ، هو حضرة صاحب « المعالى » على ماهر باشا وزير المعارف « سنة ١٩٢٥ »

وهكذا وجدت مشيئة الملك الصالح السبيل لتحقيقها على يد وزير المعارف ، تحقيقا مستنيرا لا يقف عند انشاء الكليات وحشد الطلاب والأساتذة فيها ، ولكنه يتعدى كل ذلك إلى تنظيم الدراسات تنظيما عاليا ، يستحق الوصف الجديد للتعليم الجامعى فى مصر ، بعد عهد الاستقلال واضطلاع المصريين بشؤونهم الداخلية ، ويصل إلى حد إيجاد جامعة عصرية تضم خير الأساتذة العالميين وأحسن الطلاب فى جو جامعى يسود فيه روح التعاون العلمى والحرية الفكرية ، متخطيا لتحقيق ذلك جميع الحواجز المالية والتعلمية ، التى مهدها بصادق عزمه وقوة شكيمته حتى تمكن من انشاء الجامعة ، ممهدا لذلك خير تمهيد وأنفعه ، باعداد التلاميذ المصريين فى المدارس إعدادا

كافيا للدراسات العالية . فقد كان يرى أن انشاء الجامعة عمل ذو شقين ، الأول منهما : اصلاح مراحل التعليم المصرى التى تسبق التعليم الجامعى، وتعديل مناهجه وخططه وأساليبه، بحيث يصبح كفيلا باعداد الشاب المصرى للعمل فى الحياة، وللتعليم الجامعى إذا ما أراد الاستزادة من العلم .

والشق الثانى : إيجاد جامعة مصرية تصل بالطالب المصرى إلى أعلى مراتب التعليم فى فروعه المختلفة، لتعده للحياة العالية ومزاولة الشؤون الكبرى فى البيئة المصرية علمية، وأدبية ، وصناعية ، واقتصادية ، وزراعية . . .

ولم يكن فى التراث العلمى الضئيل، الذى خلفه لنا المحتلون فى ميدان التعليم، ما يصلح أساساً لشىء من هذا كله ، فعمد إلى الناحيتين يعمل فيهما ليل نهار، حتى استطاع، بعد هذه الفترة الوجيزة التى قضاها فى وزارة المعارف، أن يوجد لمصر مدارس مصرية، تعد شبابها خير إعداد للتعليم الجامعى ، وجامعة مصرية، تعد شبابها خير إعداد لمهام الأمور .

وإن المؤرخ المدقق ليجد هذه الظاهرة فى تاريخ التعليم فى مصر واضحة فى عمل المصلح الكبير على ماهر باشا فى صفحة سنة ١٩٢٥ من تاريخه المجيد ، فقد تولى « معاليه » وزارة المعارف، وعقد التنازل عن الجامعة المصرية الأهلية المبرم بين مجلس إدارتها وبين الحكومة المصرية، مطمور فى ملفات وزارة المعارف، فأخرجته يده الفاحصة، وتناولته بالتنفيذ، فالتحقيق، خلال فترة الصيف التى يقضيها غيره فى متعة وراحة واستجمام .

وما كاد يطلع العام الدراسى سنة ١٩٢٦ ، حتى كانت الجامعة بكلياتها المختلفة صروح علم عالية ، واذا بهذه الوثيقة المهملة تصبح وثيقة مجد وشرف للبلاد أولا، ومجد وفخار للوزير الكبير، الذى جعل من هذا الاتفاق المتواضع أساساً لحياة علمية باهرة لمصر وللشرق

كان « معاليه » قد أتم تنظيم برامج التعليم الابتدائى والثانوى على نمط جديد؛ وضحه فى القرار الوزارى الذى أصدره بتشكيل اللجان التى اضطلعت بهذه المهمة تحت اشرافه ورياسته الفعلية، فحدد الغرض من التعليم بأنه « تكوين المواطن المستنير والشاب الكفء للعمل فى الحياة باستقامة ونجاح » وأشاع فى برامج التعليم المختلفة الوسائل العلمية والعملية والرياضية والخلقية والاجتماعية التى تهيء لادراك هذا الغرض، مما لا عهد لوزارة المعارف به من قبل ، كما عمد الى تعليم

اللغات باعتبارها وسيلة للنجاح فى الحياة العلمية والعملية، فنظم دراستها تنظيما جديداً، وجعل من المحتم على الطالب المصرى دراسة لغتين أساسيتين هما الانجليزية والفرنسية، ولغة ثالثة اختيارية هى الايطالية أو الالمانية ، وسوى البنت والولد فى التعليم فأنشأ المدارس الثانوية للبنات، كما أنشأ لهن كلية خاصة لاعدادهن لوظيفة الأمومة على خير مثال، ولما انتهى من ذلك كله أراد أن يهىء لشبابه الجديد ميدان التعليم الجامعى - وكان قد استصدر المرسوم الملكى بانشاء الجامعة فى ١١ مارس ١٩٢٥ - فعكف على تنظيم الجامعة الجديدة، جاعلا من مدرستى الحقوق والطب ومن بقايا كلية الآداب فى الجامعة القديمة نواة لها، ثم أنشأ كلية العلوم، وعمد إلى تنظيم ذلك كله من جديد، فرتب الدراسات، ونوع فروعها، ووضع نظمها، وعمد إلى كل كلية من الكليات القديمة فأعاد تنظيمها ورتب من جديد دروسها ومناهجها، ثم اتجه بنظره إلى الأفق العلمى العالمى، فاستعان بنخبة من كبار الأخصائيين فى فنونهم المختلفة ، وبذل الجهد فى استقدامهم ; وعهد الى بعضهم فى تنظيم الكليات، وإلى البعض الآخر فى تولى الدراسة بها ; ولم يحل دون تحقيق غرضه، فى سبيل استعانة مصر بخبرة هؤلاء الأساتذة وعلمهم، ما كانوا يتمتعون به فى بلادهم من مراكز علمية سامية، وما ينالونه من مرتبات كبيرة، فقد استطاع أن يحقق، بكل الوسائل الدبلوماسية والأدبية، الوصول إلى ذلك، رغم حرص جامعاتهم وحكوماتهم على الاحتفاظ بهم .

ومما يذكر فى هذا الشأن انه لم يخضع عند الاختيار لغير الشهرة العالمية والمكانة العلمية، ولم يراع فى سبيل العلم أى مجاملة سياسية، مما أغضب المسيطرين على مصر فى هذا الحين، لأن نصيب الأساتذة الانجليز من هذا الاختيار كان قليلا جداً .

ومما يروى فى هذه المناسبة للتاريخ ، ويكشف عن الروح القومية الخالصة التى كان يعمل بها ماهر باشا عند انشاء الجامعة « ويعمل بها دائما » ، أن ممثل الدولة الانجليزية فى ذلك الحين «لورد لويد» ذهب إلى المرحوم الملك فؤاد محتجا على هذا ، فطيب المرحوم الملك فؤاد خاطره قائلا له :

« إن هذه الأساليب لا تجدى نفعا مع وزير معارفى ; وانه لا يمكن لانسان أن يثنيه عن عمل يعتقد أنه فى صالح بلاده » .

وهكذا برزت الجامعة المصرية إلى الوجود، يضىء جوها أساتذة من جميع الجنسيات لا ميزة لهم الا التفوق فى فنونهم، ولم يسبق لجامعة أخرى ان ضمت اليها مثلهم كفاية وعلما ، يعاونهم فريق من شباب البلاد المثقف تثقيفا عاليا فى مصر وفى الخارج،

فكان ذلك المظهر أول مظاهر استقلال التعليم، وتحريره من النفوذ والعقلية الانجليزية فى مصر .

ومما لا يعرفه إلا القليلون أن الحكومة الفرنسية « وقد كان عدد الأساتذة الفرنسيين فى الجامعة كبيرا » عدت ذلك مجاملة وميلا للتعليم الفرنسى، فأرادت - على عادتها - أن تقدم الوشاح الأكبر من نيشان اللجيون دونير لوزير المعارف ماهر باشا، باعتباره صديقا للثقافة الفرنسية، فاعتذر بشدة عن هذا الاكرام قائلا :

« إننى انما أخدم مصر، ولا أخدم فرنسا » ورفض ماعرض عليه، فاكتفت الحكومة الفرنسية بتقديم هدية أدبية له .

وإلى هنا ظفرت الجامعة بأمثال ديجى وجريجوار وهتبوم وتكهولم وجراى وغيرهم .

وفى مستهل العام الدراسى ١٩٢٥ - ١٩٢٦ افتتحت الجامعة المصرية أبوابها، وقد كانت مشكلة الأماكن الدراسية من أصعب ماعرض لوزير المعارف، ولكنه استطاع أن يبق كلية الطب فى مكانها، وكلية الحقوق فى مكانها، وأن يجعل مقر كليتى العلوم والآداب قصر الزعفران، وأن يحمل الحكومة على تخصيص المال اللازم لانشاء كليات الجامعة المختلفة فى أرض الجيزة ، وأن تمنحها الفضاء اللازم لذلك، والذى يتسع بجانب الكليات، للادارة العامة وقاعة الاحتفالات، وملاعب الطلبة والمدينة الجامعية .

ومما يذكر فى هذا المقام أنه احتاج قبيل إتمام مشروعاته الاصلاحية هذه، التى لم يكلف من أجلها الخزانة العامة شيئا يذكر، إلى ثمانين ألفا من الجنيهات تقريبا . وعلم أن مجلس الوزراء يميل إلى عدم الموافقة عليه، فدخل المجلس وفى جيبه كتاب استقالته، وخير زملاءه بين قبول هذه الاستقالة أو الموافقة على الاعتماد المطلوب، قائلا لهم: « إنى لا أفهم من عمل الوزير إلا أن يعمل مايراه واجبا عليه لصالح بلده، وإما أن يستقيل، إذا لم يمكن من العمل، فأنتم بين أمرين ، إما الموافقة على الاعتماد كاملا، وإما قبول هذه الاستقالة » فوافق المجلس على ماطلبه .

ومن العجيب انه عندما احتفل بوضع حجر الأساس لأبنية الجامعة بعد استقالة ماهر باشا لم يدع لحضور حفلة الجامعة منشؤها الكبير ! !

ومما يتصل بالتعليم الجامعى ومجهود ماهر باشا فى ايجاده، أنه أنشأ مدرسة طب الأسنان، لتكون متممة لكلية الطب، وأعاد تنظيم مدرسة الهندسة تنظيما جديدا بادخال

أقسام جديدة عليها غير ماألف المصريون من هندسة الري والبناء.وغادر وزارة المعارف، وهوأشد مايكون أسفا على عدم تمكنه من إنشاء قسم الكيمياء الصناعية، التي هي أساس لكثير من الصناعات الكبرى في هذا العصر .

وإني إذ أذكر سنة ١٩٢٥ في تاريخ التعليم ، تبرز في ذهني حقيقة لا أستطيع اغفالها،وهي أن كل اصلاح أراده المصلحون بعد تلك السنة في دوائر التعليم المختلفة،وانتهوا اليه ،إنما استمدوا أسسه وقواعده من بين دفتي تلك الملفات الثمينة التي تضمنت أبحاث ونتائج عمل ماهر باشا في وزارة المعارف،وقصر به الزمن عن تحقيقها

إن هذا الرجل الموهوب في تفكيره، وأساليبه،وخططه ،لتغلب عليه صفتان: ميله الشديد الى البيئة القانونية التي نشأ فيها.وعلة ذلك مفهومة بحكم التربية والثقافة، وميله الشديد الى العناية بشؤون التعليم ومتابعة مايبذل في سبيله من جهود، ولعل مرجع ذلك اعتقاده بأن كل مجد وطني مصدره المدرسة،وكل نهضة قومية تقوم على التربية الصحيحة والتعليم السليم .

وهذا يفسر اشتراكه الدائم في عضوية مجلس ادارة الجامعة ، لم يتخل عن ذلك قط، بل إنه ليجد من وقته الضيق مايسمح له بعضوية بعض اللجان الفرعية التي تؤلف لبحث شأن من الشؤون الجامعية، كتنظيم بعض الكليات ، أو وضع بعض اللوائح الجامعية الادارية أو المالية .

واذا كانت آراء شباب الجامعة قد التقت في النهاية مع آراء عقلاء الأمة،واتفقت كلمتهم على تقدير أساليب الحكم النافع للبلاد،فقد كان المأمول دائما أن العلم يهدي أبناءه الى الحقيقة ويرشدهم الى الصواب .

وإن جامعة تمتلىء رؤوس أبنائها بحب العلم،وتعمر قلوبهم بالاخلاص للوطن والعرش، لجديرة بهذا الاعزاز الذي تحوطها به البلاد،وهذا التكريم والتقدير الذي يتمتع بهما شبابها في جميع البيئات ، وفي ذلك خير ترضية لتلك الجهود العزيزة التي بذلت في سبيل انشاء الجامعة . والآمال العظيمة التي عقدت على شبابها ؟

فهرس